جامعة عين شمس
كلية البنات
قسم التاريخ

بيت المال في بغداد خلال العصر العباسي الأول

١٣٢ هـ - ٢٣٢ هـ

إعداد
عبد الحسين علي أحمد

للحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي

إشراف
الأستاذ الدكتور
علي حسني الخربوطلي
أستاذ التاريخ الاسلامي - كلية البنات
جامعة عين شمس

١٩٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك لا علم لنا إلا
ما علمتنا إنك أنت
العليم الحكيم

صدق الله العظيم
سورة البقرة ٣٢

فهرس محتويات الرسالة

الباب الثالث

الباب الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

موضوع هذا البحث هو " بيت المال فى العصر العباسى الأول ١٣٢ هـ ـ ٢٣٢ هـ" ويتناول الفترة الزمنية الممتدة من أواخر العصر الأموى وبداية الخلافة العباسية عام ١٣٢ هـ حتى خلافة المتوكل على الله ، وهى الفترة التى كان فيها خلفاء بنى العباس على درجة كبيرة من القوة بحيث كانوا متمكنين من أمور الدولة قابضين على أزمة الحكم ، فهم الآمرون والناهون ، لذا لم يجدوا صعوبة فى اسكات كل الأصوات المعارضة ، ولم يتركوا زمام الادارة لوزرائهم بل كانوا متابعين أمور البلاد الادارية والمالية ، مطلعين على صغائر الأمور فى الدولة وعلى بينة من ميول وأسرار الرعية ، وكانوا يتصرفون بأموال الدولة وفق أهوائهم ٠

لقد استحدث بيت المال منذ وقت مبكر من قيام الدولة الاسلامية ليكون المؤسسة المشرفة على ايرادات الدولة ونفقاتها المختلفة بعد أن توسعت رقعتها لأنها اتبعت سياسة نشر الدين الحنيف فى الأمم المجاورة بعد أن دخل العرب فى ظل الاسلام ، فنتج عن هذه الفتوحات انضمام أقاليم غنية بثرواتها ونظمها الادارية فاستفادوا من هذه النظم بما لا يتعارض والشرع الحنيف وتركوا هذه الأراضى بأيدى أصحابها وملكيتها لبيت مال المسلمين وفرضوا عليهم ضرائب قد اعتادوا دفعها من قبل ، فكان لزاما استحداث مؤسسة تشرف على ايرادات الدولة من هذه الضرائب ٠

ومنذ قيام الدولة الاسلامية تولى الخليفة ادارة بيت المال وشاركه الصحابة الذين اتصفوا بالحكمة وحسن التدبير بالمشورة ، فأصبحت تدابير الخلفاء الراشدين كالأسس الشرعية ، لذلك قد اتخذها الفقهاء فيما بعد نظما إدارية للدولة ، فوضعوا نظرياتهم من هذا الواقع واستناروا بمبادئها وتجنبوا ما لا يقره الشرع ٠

لقد رسم الدين الحنيف موارد الدولة فكانت أول الضرائب ما فرض على أغنياء المسلمين وتمثلت فى الزكاة ، إلا أن هذه الضريبة كان من الصعب استيفاؤها ،

وبمرور الوقت تركت على عاتق الشخص ذاته يخرج ما عليه ، وكان عمال المدقة لا يأخذون إلا الظاهر منها الذى يتمثل فى الدواب ، لذا لم تكن هذه الضريبة واضحة المعالم من حيث أهميتها لدخل بيت المال ، وتركزت ايرادات الدولة الاسلامية فى المقام الأول على ضريبة الأرض ، ثم الضريبة التى فرضت على المقتدرين البالغين من أهل الذمة ، وفرضت ضرائب على البضائع التجارية الداخلية والقادمة من الخارج وعلى المحلات التجارية فى الأسواق ودور المناعات ، وضرائب اضافية فرضت على دافعى الخراج كاختلاف فى سعر الصرف بين الدرهم والدينار ، وقيمة السجلات التى تدون فيها تحصيل الضريبة ٠

وقد سعى الخلفاء إلى تحسين العلاقة بين عمال الجباية وبين من وجبت عليه الضريبة ، وتطورت ادارة الدخل والنفقات عبر السنين ، وتغير مفهوم بيت المال من بداية الخلافة الأموية فأصبح ملكا للخليفة تابعا له ، وكذلك الوضع فى خلافة بنى العباس ، فايرادات الدولة ونفقاتها تستغل فى رسم السياسات وجذب الأنصار وقمع المناهضين ، فالخليفة هو المسيطر الأوحد على بيت المال يتصرف فيه دون أن يكون مسؤولا أمام أية جهة ، ونتج عن هذا الحكم رخاء اقتصادى لا نظير له فى العصر العباسى الأول حتى عد من أزهى عصور الحكم الاسلامى نظير ما قدمه من اعتناء واهتمام بأمور ايرادات الدولة حيث سخر جزءاً منها لخدمة المشاريع الاقتصادية العامة ، ولجعل الأمن مستتباً فى البلاد ٠ مما دفعنى لدراسة هذه المؤسسة الهامة فى العصر العباسى الأول كما أن دراسة النظم المالية ما زالت تنتظر الكثير من الأبحاث وأن موضوع بيت المال ما زال فى حاجة لمزيد من الدراسة ، وهو بحث ليس بالأمر اليسير نظرا لضآلة المادة العلمية فى كثير من جوانبه ، والتى لا تعدو المعلومات والحقائق المتناثرة فى ثنايا المصادر ، حيث إن المؤرخين لم يعتنوا بتدوين هذه الأحداث عنايتهم بتدوين الأحداث السياسية وابراز دور الخلفاء فى الحياة السياسية والحضارية ٠

ونظرا لضآلة المادة فقد اضطر الباحث للالمام بجميع المؤثرات التى كان لها دور فى بيت المال فى العصر العباسى الأول ، فقد شكلت هذه المؤسسة المالية ما نسميه فى عصرنا الحاضر بوزارة المالية فتعددت واجباتها وتشعبت فى عصور ازدهار الخلافة العباسية ، ولابد من الاشارة إلى أن الباحث لم يتقيد فى بحثه باقليم معين من الأقاليم التى خضعت للخلافة العباسية ، فاضطر إلى الاستعانة بأى نص كان لرسم صورة متكاملة عن موضوع البحث ، وعمد الى تجميع المادة المتوفرة واستنتاج ما اعتبره أقرب إلى المنطق والصحة ، وابتعد عن مناقشة الآراء والمذاهب الفقهية الا القليل منها .

كان تبويب البحث أمراً حتميا فرضته طبيعة الموضوع ، فقد قسم الباحث البحث إلى تمهيد وأربعة أبواب وخاتمة ، فتحدث فى التمهيد عن استحداث بيت المال فى الدولة الاسلامية ودورها فى دولة الخلفاء الراشدين وتطور هذا الدور فى خلافة بنى أمية ، وتناول أهم ايراداتها من الخراج والجزية ومكوس التجارة والضرائب الاضافية التى كانت فى عهد الساسانيين كالنيروز والمهرجان وألغيت من خلافة عمر بن الخطاب ، وبيان مدى اهتمام خلفاء بنى أمية بجبايتها وتعريب الدواوين المالية فى الدولة .

أما الباب الأول فقد عرض فيه الباحث العوامل المؤثرة فى موارد بيت المال ، و تناول فى الفصل الأول ، أحوال نهرى دجلة والفرات وتوفر مياه الرى ، وفى الفصل الثانى تكلم عن سياسة الخلفاء العباسيين الاقتصادية ، وبين فى الفصل الثالث الثورات والفتن الداخلية ، والفصل الرابع تناول العلاقات الدولية ، والفصل الخامس فقد عرض الآفات والكوارث الطبيعية ، أما الباب الثانى فتناول موارد بيت المال ، فعرض فى الفصل الأول الخراج ، والفصل الثانى الجزية ، والفصل الثالث المكوس ، والفصل الرابع الضرائب النوعية والرسوم الاضافية .

وتناول فى الباب الثالث المصروفات ، وبين فى الفصل الأول مخصصات الخلفاء وأمراء الأسرة العباسية ، والفصل الثانى مخصصات الوزراء وكبار الموظفين ، والفصل الثالث الرواتب والعطاء والأرزاق ، والفصل الرابع نفقات الانشاء والتعمير ، أما الباب الرابع فقد أفرده لأدارة دواوين المالية والجباية ، وتناول فى الفصل الأول الجهاز الادارى للدواوين ، والفصل الثانى النظم والقواعد الادارية التى وضعها قاضى القضاة أبو يوسف فى كتاب لبيت المال ، والفصل الثالث الادارة ووسائل جباية الضرائب ، والفصل الرابع العلاقة بين الأهالى والجهاز الادارى فى الدولة •

لقد هدف الباحث أن يقدم بحثا علميا لموضوع من موضوعات تاريخنا الاسلامى وجانبا من جوانب النظم المالية ليضيفها إلى سلسلة الأبحاث الجامعية ذات المنهج العلمى التى قدمها الباحثون السابقون وأضافوها الى مكتبتنا العربية الاسلامية عن تاريخ الدولة العباسية ، داعياً الله عز وجل أن يكون التوفيق قد حالفه فيما أراد والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق •

وفى ختام هذه المقدمة أقدم جزيل شكرى وعظيم امتنانى لأستاذى المشرف المؤرخ الجليل الأستاذ الدكتور على حسنى الخربوطلى أستاذ التاريخ الاسلامى بجامعة عين شمس ، الذى شملنى برعايته خلال اعدادى رسالتى هذه فلقد أعطانى الكثير من وقته الثمين ، ومن جهده العلمى وأسدى الى الكثير من النصح والارشاد والتوجيه ، فكان مثال الناصح الأمين ، وكم من مشكلة وقفت فى طريقى كان يحلها بصدر رحب ولسان عذب ، فاستفدت من أدبه وتواضعه وحسن خلقه وجديته فى العمل مما جعلنى أعتبره مثالا للمؤرخ القدير فجزاه الله خيراً •

كما أتقدم بعظيم الشكر وبالغ الامتنان إلى المؤرخين الكبيرين والأستاذين القديرين عضوى لجنة المناقشة على تفضلهما بقبول فحص الرسالة ومناقشتى فيها مدفوعين بالرغبة فى تقدم وازدهار الدراسات التاريخية الاسلامية فجزاهما الله تعالى خير جزاء ، وفقنا الله عز وجل إلى ما فيه خير أمتنا العربية والاسلاميةوالله تعالى هو الموفق •

" دراسة تحليلية لبعض مصادر الرسالـــة "

إن الخوض فى موضوع " بيت المال فى العصر العباسى الأول ١٣٢ هـ - ٢٣٢ هـ" فى فترة لا تزيد على قرن يقتضى الاطلاع على مصادر ومراجع مختلفة ، ولا أرى فائدة من تحليل كل ما جاء فيها ، ولكن لابد من عرض لبعض نماذج منها وما تحتـــوى عليه من مادة تتصل بموضوع البحث •

فالحق انه لم يكن هناك مصدر أولى أو رئيسى اعتمدت عليه ، فقد أفـــدت من جميع المصادر والمراجع التى وقعت بين يدى ، فقد أفادتنى الكتب التاريخيـــة مع أنها تهتم بشكل رئيسى بالجانب السياسى ، وابراز الدور السيا سى للشخصيات البارزه فى المجتمع ، وأهملت الجانب الاقتصادى ، والشؤون الادارية ومدى التفاعـــل بين الادارة المالية وأفراد المجتمع كما أنها لم تهتم بنقد وتحليل الأحداث لاصدار الأحكام ، بل تورد هذه الحوليات روايات وأحداث تختلف فى تفاصيلها ، وقـــد تناقض أو تبالغ فيها بما لا يتقبله المنطق وخاصة فى ذكر الكوارث الطبيعية •

فمن المصادر التى يمكن الاعتماد عليها كتاب " فتوح البلدان " لأبى الحسن البلاذرى ، المتوفى عام ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢م ، فهو دقيق فى اسناد روايته ولم يتبع فـــى كتابه تسلسل الأحداث ، انما قسمه حسبالبلدان والمقاطعات فجاء حافلا بتأريـــخ الفتوحات العربية الاسلامية وبمعلومات قيمة عن الدواوين المالية وارتفاع الخـــراج ومقادير الضريبة فى كل اقليم •

ويهتم اليعقوبى المتوفى عام ٢٨٢ هـ/ ٨٩٥ م فى كتابه المعروف " بتاريـــخ اليعقوبى " بالفتوحات والثورات التى قامت فى الداخل والحركات الانفصالية،ويشيـــر إلى النفقات التى كلفت الدولة فى قمعها لهذه الثورات،ويقدم تفاصيل مهمة عـــن الخلفاء والولاة وعمال الخراج والضرائب ، كما أنه صنف كتابا آخر فى الجغرافيـــة

يعرف ب " كتاب البلدان " دون فيه ملاحظاته ومشاهداته أثناء رحلاته وتنقلاته وبين فيها الحالة الاقتصادية فى العصر العباسى الأول ومقدار خراج بعض الأقاليم .

ويمتاز الطبرى المتوفى عام ٣١٠ هـ/ ٩٢٢ م ، بكثرة التفاصيل التى يذكرها فى كتابه " تاريخ الرسل والملوك " فأعطى جل اهتمامه للجانب السياسى والثورات إلى جانب اشارات قليلة للجانب الادارى ونفقات بيت المال ، ولا يستغنى الباحث عن الاطلاع عليه ، وقد اعتمد عز الدين بن الأثير المتوفى عام ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢ م ، فى مؤلفه " الكامل فى التاريخ " على روايات الطبرى مع بعض التعديلات والاضافات التى لجأت اليها لتوضيح بعض الأحداث السياسية .

ويعتبر كتاب " مروج الذهب " لعلى بن الحسين المسعودى المتوفى عام ٢٤٦ هـ / ٩٧٢ م ، كتابا جامعا للمعلومات الجغرافية والتاريخية والأدبية ، ويضم معلومات قيمة من الأوضاع المالية وثروات الخلفاء والأعيان وهو بهذا يشكل مصدراً هاما للحياة الاقتصادية موضحا بعض الضرائب فى العصر العباسى الأول .

ومن المصادر التى يمكن الاعتماد عليها فى دراسة النظم الادارية والمالية ارتباطها بالنواحي السياسية وسياسة الخلفاء كتاب " الوزراء والكتاب " لأبى عبدالله محمد بن عبدوس الجهشيارى المتوفى عام ٣٣١ هـ / ٩٥٧ م ، وكذلك كتاب " تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء " لأبى الحسن الهلال بن المحسن الصابى المتوفى عام ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م فهو يعرض سياسة الخلفاء والوزراء ومهامهم السياسية والادارية وله مؤلف آخر " رسوم دار الخلافة " يورد فيه مقدار ارتفاع بعض الأقاليم فى العصر العباسى الأول .

ومن المصادر الهامة كتاب " الذخائر التحف " للقاضى الرشيد بن الزبير الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى فالكتاب يحتوى على معلومات قيمة عن

نفقات الدولة وارتفاع الضياع وممتلكات الخلفاء والامراء وارتفاع ضياعهم وتركاتهم .

وكذلك الكتب التي تخصصت في تأريخ بغداد مقر الخلافة العباسية ، مثل كتاب " تاريخ بغداد او مدينة السلام " للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى عام ٤٦٣ هـ - ١٠٧٠ م ، حيث أفرد الجزء الأول من كتابه لوصف نشأة المدينة وتخطيطها وتطور الاحداث السياسية والحضارية فيها ، وجاء بتراجم الشخصيات التي لعبت دوراً أساسيا وحضاريا وفكريا في المدينه .

وكذلك كتاب " بغداد " لابي الفضل احمد بن طاهر الكاتب المعروف بابن طيفور المتوفى عام ٢٨٠ هـ - ٨٩٣ م ، وهو اول من أرخ من الكتاب لمدينة السلام وتناول فيه الأحداث السياسية والحضارية التي وقعت في عهد الخليفة المأمون ، وكتاب " مناقب بغداد " لجمال الدين ابي الفرج عبدالرحمن المعروف بابي الجوزي المتوفى عام ٥٩٧ هـ - ١٢٠٠ م ، الذي يصف معالم بغداد الحضارية ومدى استغلال مياه نهري دجلة والفرات وفيضاناتها ، ويماثل هذا كتاب " بغداد مدينة السلام " لابن الفقيه الهمداني حيث وصف تطور مدينة بغداد ، واهتم بالجانب الاقتصادي للمدينة ، ومدى استهلاك سكانها للمواد الغذائية وأسعارها وأجور بعض المهن .

وتعتني المصادر الدينية بالامور الفقهية والنظم المالية والفرق الاسلامية وهي ضرورية لدراسة الأحوال الاقتصادية والنظم وان كانت لاتعبر بصورة واضحة ودقيقة عن الواقع ، لأن السلطة السياسية لم تتقيد في كثير من الأحيان بتوجيهات الفقهاء وقد حاول الفقهاء وصف ما كان جاريا والتوفيق بين رغبات الخلفاء وبين النصوص ، ورغم ذلك فقد استفدت بمادهْ عزيرة عن موارد بيت المال ، ومقادير الضريبة وأنواعها وطرق جبايتها وتوزيعها ، ومن أهم المصادر على الإطلاق " كتاب الخراج " لأبي يوسف المتوفى ١٨٢ هـ / ٨٩٨ م وهذا الكتاب ضروري لموضوع البحث ، وقد

قام عبدالعزيز السرجي المتوفى عام ١١٨٤ هـ / ١٧٧٠ م بتأليف كتاب " فقه الملوك ومفتاح الرتاج المرصد على خزانة كتاب الخراج " والكتاب شرح واف لكتاب الخراج لأبي يوسف ، يسهل على الباحث فهم ما حواه كتاب الخراج .

كما استفدت من كتاب " الخراج " ليحيى بن آدم القرشي المتوفى عام ٢٠٣ هـ : ٨١٨ م ، وكتاب الأموال ، لأبي القاسم بن سلام المتوفى عام ٤٥٠ هـ/١٠٥٨م وكتاب " الاحكام السلطانية " لابي يعلى المتوفى ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م وكذلك كتاب " الأحكام السلطانية " للماوردي المتوفى ٤٥٠هـ/١٠٥٨م فهما يوضحان موارد بيت المال مع إشارات لمقادير ارتفاع الخراج في بعض الأقاليم ونصاب الضريبة المفروضة عليها ، اما كتاب " احكام أهل الذمة " لابن القيم الجوزية الذي عاش من ٦٩١ - ٧٥١ هـ ، فانه يبين ما على أهل الذمة من واجبات وحقوق وموقف السلطة منهم .

أما المصادر الجغرافية الاسلامية فتهتم بوصف البلدان والمسافات بين الاقاليم وقد اعتمدت على ما جاء فيها عن ثروات البلاد ومقدار ارتفاع الضريبة من هذه الأقاليم ، ولكن معظم كتب الجغرافيين القدماء كانت نقلا عن بعضهم البعض ومن هذه الكتب الهامة كتاب " المسالك والممالك " لابن خرداذبة المتوفى عام ٣٠١ هـ / ٩١٣ م ، ويحتوي الكتاب على مادة وفيرة عن أحوال البلاد وارتفاع الضريبة في أوقات مختلفة ، وكذلك الاعلاق النفيسة " لأبي علي بن رسته المتوفى عام ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م فقد حرص على ذكر مقدار ارتفاع الضرائب لكل إقليم ، ومن الكتب الجغرافية ايضا كتاب " مسالك الممالك " للاصطخري المتوفى عام ٣٤٦ هـ - ٩٥٧ م ويذكر مقادير الضريبة في البلدان التي يتحدث عنها ، وكتاب " احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم " للمقدس المتوفى عام ٣٧٥ هـ - ٩٨٥ م ، وقد اتبع منهج الذين سبقوه في وصف الاقليم ويصف مدى صعوبة جباية الضرائب ، أما كتاب " الخراج وصنعته الكتاب " لمقدامة بن جعفر المتوفى عام ٣٣٧ هـ - ٩٥٧ ميلادية يمكن اعتباره كتابا جغرافيا إلى حد كبير فقد نقل عن ابن خرداذبه واثبت قائمة

مفصله عن الخراج الكلى للدولة العباسية ، كما جمع بين الأدب والتاريخ تضم معلومات دقيقة عن ادارة الدواوين والنظم المالية إلا أن اجزاء تخص ديوان الخراج قد فقدت فنقصت بذلك فائده يصعب أن تعوض .

أما الكتب الأدبية فقد عثرت منها على إشارات وافية تخص موضوع البحث ويأتي في مقدمتها كتاب " نهاية الارب فى فنون الأدب " لشهاب الدين أحمد النويرى المتوفى عام ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م الذى استفدت منه فى تتبع النظم الإدارية والمالية وما يحتاجه الكتاب من الفنون الأدبية واللغوية بالاضافة الى الاحداث السياسيه ، ويعتبر كتاب " صبح الأعشى فى صناعة الانشا " لأبى العباس أحمد ابن على القلقشندى المتوفى عام ٨٢١ هـ / ١٤١٨ فقد سرد جانبا كبيرا عن النظم الادارية المالية وجانبا عن الاحداث التاريخية التى تتعلق بالشئون الاقتصادية للدولة العباسية .

أما كتاب " الأغانى " لأبى الفرج الاصفهانى المتوفى عام ٣٥٦ هـ/٩٦٧م فهذه الموسوعة تضم معلومات هامة عن الناحية الاقتصادية والمالية والسياسية للخلافة العباسية ، وكتاب " أدب الكتاب " لأبى بكر محمد بن يحيى الصولى المتوفى ٣٣٦ هـ - ٩٥٨م امدنا بمعلومات عن موارد بيت المال ، وارتفاع خراج الاقاليم عبر العصور المختلفه ، وكذلك كتاب " لطائف المعارف " لأبى منصور عبدالله بن محمد الذى عاش بين عام ٣٥٠ هـ / ٤٢٩ هـ - يذكر معلومات اقتصادية عن الأقاليم وعن الخلفاء .

أما المراجع الحديثة فإننى وجدت كثيراً من المؤرخين قد تناولوا الخلافة العباسية بالدراسة والتحليل فى مجالات عدة،اجتماعية وسياسية و نظم الاسلامية فا ستفدت منها،فقد استفدت من مؤلفات استاذى الدكتور على حسنى الخربوطلى ومن طريقة كتابته ومعالجته الموضوعية،كذلك استفدت من مؤلفات

يحرسه ؟ قال : عليه قفل ، فكان يعطى ما فيه حتى يفرغ ، فلما انتقل إلى المدينة حوّله فجعله فى داره "[١] ورغم بساطة الإدارة فى ذلك الوقت إلا أن الخليفة اعطى ما يخص المسلمين اهمية كبيرة ففى روايه تذكر ان ابابكر قد ولى ادارة بيت المال لأبى عبيده بن الجراح[٢] وفى رواية أخرى أن هذه المهمة كلف بها عمر بن الخطاب حتى وفاة الخليفة[٣] وللتوفيق بين الروايتين يمكن القول بأن أبا عبيده بن الجراح قد ولى رئاسة بيت المال فى أول الامر ثم خلفه عمر بن الخطاب الذى اسند اليه ولاية القضاء فمكث فيها سنه لا يأتيه أحد فى قضية[٤] ثم ولى ادارة بيت المال، وهذا خلاف ما ذكره العسكرى بان أبا بكر لم يتخذ بيت مال وان اول من استحدثه هو الخليفة عمر بن الخطاب ثم عاد ليؤكد ما نفاه من وجود بيت المال فى خلافة ابى بكر الصديق[٥] .

وظل الغرض الاساسى من بيت المال هو حصر ايرادات الدولة وحفظها لفترة قصيره من الزمن قبل توصيلها لمستحقيها ، فقد كانت القاعدة الاساسية عند الصحابة عدم ترك هذه الأموال تتراكم فى بيت المال ، وكان للخليفة حق التصرف فيما ينفع المسلمين ، فكان الخليفة ابوبكر الصديق يشترى من هذه الاموال الإبل والخيل والسلاح فيجعلها فى سبيل الله وبعد وفاة ابى بكر الصديق دعا عمر بن الخطاب - متولى بيت المال - والأمناء ومنهم عبدالرحمن بن عوف وعثمان بن عفان ففتحوا بيت المال فلم يجدوا فيه شيئا لا دينارا ولا درهما"[٦] وهذا يعنى ان فكرة استقطاع جزء من هذه

---

(١) السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، ص ٣١ ، الدجيلى ، بيت المال ، ص ٣٢ .
(٢) تاريخ ابن الخياط ، ص ٩٢ ، السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، ص ٣١ .
(٣) القلقشندى ، صبح الاعشى ، ج ١ / ٤١٣ .
(٤) العسكرى ، الاوائل ، ص ٣٥٧ ، سيد امير على ، مختصر تاريخ العرب ، ص ٦٤ الذهبى ، تاريخ الاسلام ، ج ٢ / ٢ .
(٥) العسكرى ، ص ٣٥٧ .
(٦) السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، ص ٣١ .

الأموال للنوائب كانت مرفوضة لدى الصحابة ، ومن هذا المنطلق سار الخلفاء الراشدون ففى خلافة عمر بن الخطاب ازدادت إيرادات الدولة فكان هناك فائض فى الأموال ، فاستشار الخليفة الصحابة فى أمره فكان رأى القلة منهم ادخار هذه الأموال للنوائب إلا أن الخليفة لم يأخذ برأيهم ، وأيد رأى الامام على بن ابى طالب بقسمة هذه الاموال على المسلمين [١] .

ولعل مهمة بيت المال اخذت فى البروز كمؤسسة مالية بعد الفتوحات الإسلامية فاحتاج الأمر إلى ضبط موارد الدولة ونفقاتها وذلك حين أنشأ الخليفه عمربن الخطاب الديوان عام ٢٠ هـ - ٦٤٠ م - ورتب فيه العطاء ، وضبط اسماء الجند بموجب اسس لتحديد العطاء [٢] بعد أن أوقف الأراضى المحررة على المسلين فى كل من العراق والشام وغيرها ، ونظمت الجزية على الأمصار على طبقاتهم الثلاثة وحددت نسبة ضريبة العشور على المسلمين والذميين وأهل الحرب .

ويوضح الماوردى مهمات الديوان الذى استحدث فى خلافه عمر بن الخطاب " والديوان موضع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الاعمال والأموال ، ومن يقوم بها من الجيوش والعمال " [٣] ويعنى هذا أن فكرة بيت المال نضجت فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ودونت فى سجلات منظمة واصبح الديوان يتولى شؤون الدخل وشؤون النفقات ، فاما ما يتعلق بايرادات الدولة فقد كتبت باللغة الفارسية فى العراق ، وكتب إيرادات الدولة من الشام باللغة الرومية ، اما ديوان النفقات فاستخدمت فيه اللغة العربية وكانت تضم اسماء المستحقين للعطاء من الجند والمقاتلة والذرية وغيرهم [٤]

---

(١) الصولى ، ادب الكتاب ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣

(٢) الطبرى ، ج ٤ / ١١٢ ، البلاذرى ، فتوح ٤٥٣ ، ابويعلى ، الاحكام السلطانية، ص ١٣٧ .

(٣) الماوردى ، الاحكام السلطانية ، ص ١٩٩ .

(٤) الجهشيارى ، الوزراء ص ٣٨ ، الصولى ، ادب الكتاب ص ١٩٢ ، العسكرى ، الأوائل ، ص ٢٥٦ .

كما ازدادت اهمية بيت المال من الناحية السياسية فاصبح مقراً للخليفة وأصحاب الشورى للمناظرة في شؤون الدولة [١] كما أسس في جميع حواضر الدولة بيت للمال لحصر ايرادات الاقليم وتنظيمها ووضع عليها الجند لحراستها ، وكان لكل ولاية أمين لبيت المال ، له اختصاص منفصل وقد جرت العادة بان يكون مستقلا عن الوالي [٢] فضبطت موارد الدولة من حيث الكم والنوع من جميع الوجوه لتكون القاعدة لموارد بيت المال المتمثل في خراج الارض وجزية أهل الذمة والعشور على الأموال المتنقلة في حين فوض الخليفة عثمان بن عفان الناس اخراج زكاة أموالهم [٣].

مع أن مبدأ عدم ادخار المال في بيوت الأموال كان سائدا عند الخلفاء الراشدين إلا أنهم راعوا ما فرض على الأمة من الضرائب بما لا يجحف حقوقهم ولا يبخس حقوق المسلمين فكان آخر تعديل ما قام به الخليفة علي بن ابي طالب في السواد على يد زيد الانصاري وأمره بأن يضع على كل جريب زرع غليظ [٤] من البر درهما ونصف وصاعا من الطعام ، وعلى كل جريب من البر رقيق الزرع ثلثي درهم ، وعلى الشعير الثلث ، وعلى البساتين التي تجمع النخل والشجر على كل جريب عشره دراهم ، وعلى جريب الكرم اذا أتت عليه ثلاث سنين ودخلت الرابعة عشره دراهم ، والغى الخراج عن كل نخل شاذ عن القرى ، كما الغى خراج الخضروات والحبوب كالسمسم والقطن ، وأمره بوضع الجزيه على ثلاثة مراتب على الاغنياء ثمانية وأربعين درهما ،

---

(١) سيد امير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ص ٦٦ ، الدجيلي ، بيت المال ، ص ٣٩

(٢) حسيني ، الاداره العربية ، ص ١٠١ .

(٣) السيوطي تاريخ الخلفاء ، ص ٦٤ ، العسكري ، الاوائل ، ص ١٨٢ .

(٤) كان الجريب ، كمقياس للأرض ، يساوي شرعا في اوائل العصور الوسطى وفي أوجها ١٠٠ قصبة مربعة ، وبذلك يكون الجريب - على وجه الدقة ١٥٩٢ متر مربع ، وكان هذا الجريب يعرف في فارس " بالجريب الصغير " أي ٦٠ × ٦٠ ذراع وكان الجريب الكبير يبلغ ٣٪ من الجريب الصغير أي أنه كان يبلغ ٥٨٣٧٪ متر مربع ، فالتر هنتس ، المكاييل والأوزان الاسلامية ، ص ٩٦ .

وعلى اوسط الناس من التجار على كل رجل اربعة وعشرين درهما فى السنة والحرفيين وسائر الرجال المقتدرين أثنى عشر درهما [(١)] ٠

إلا أن هذا التعديل لايختلف في الخراج عما سنه عمر بن الخطاب إلا أنه يبين مدى اهمية هاتين الضريبتين بالنسبة لبيت المال ٠

وبانتقال الخلافة إلى بنى أمية بعد الاحداث الدامية بين المسلمين وتولى معاوية ابن ابى سفيان خلافة المسلمين فاختلفت نظرة الخليفة إلى بيت المال فألغى مفهوم بيت مال المسلمين ففرض سطرته الكامله على موارده مما أثار حفيظة المسلمين عليه ومن مواقف الاعتراض على قطع العطاء يذكر الصولى " لما حبس معاوية على الناس أعطياتهم قام اليه ابو مسلم الخولانى [(٢)] وهو يخطب فقال يامعاوية إن هذا المال ليس لك ولا لأبيك وأمك ، فلم حبست على الناس العطاء فغضب ثم نزل فدخل وأوما إلى الناس أن تثبتوا ولا تتفرقوا ثم خرج فعاد إلى المنبر فقال أيها الناس أن أبا مسلم الخولانى قد قال ما قال فوجدت لذلك ، وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " اذا غضب احدكم فليغتسل " وصدق ابو مسلم فاغدوا على اعطياتكم فخذوها على بركة الله ٠ ثم كانت فضول الأموال تحمل إليه فيصل بها من أحب وينفق كيف يريد"[(٣)]

يعتبر قيام الدولة الاموية منذ عام ٤١ هـ ـ وهو المسمى بعام الجماعة ـ الوريث الشرعى لاملاك الدولة الاسلامية فى المدينة فضمت لها املاك عريضة فى الشرق والغرب واضافت إلى تلك الممتلكات اقاليم اخرى كبيرة فامتدت حدود الامبراطورية الاسلامية من

---

(١) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٢٨٠ ٠

(٢) اختلف في اسمه فقيل عبدالله بن ثوب ، وهو سيد التابعين بالشام ، وادرك الجاهلية واسلم قبل وفاة النبى (ص) ٠ الذهبى تاريخ الاسلام ، جـ ٣ / ١٠٢-١٠٥ ٠

(٣) الصولى ، ادب الكتاب ، ص ٢٢٤ ٠

تخوم الصين إلى جنوب بلاد الفرنجة ، وانتظمت ادارة الدولة في مختلف الانحاء في بدء عهد الدوله الأموية بفضل سياسة معاوية وكفاءة معاونيه الذين اختارهم (١) فكان هذا ركيزة لضمان جباية الضرائب التي كانت سائدة في عهد الخلفاء الراشدين لتمثل موارد بيت المال في دمشق ومنها :-

١ - الخراج :

انشيء في دمشق ديوان خاص لجباية الخراج كان يعتبر بمثابة الخزانة العامة للدولة يشرف على الشؤون المالية ويراقب عائداتها ويسجلها وكانت له فروع في الولايات والاقاليم يتولى جمع الخراج وتوزيعه وارسال ما يزيد عن حاجة الولاية إلى بيت المال بدمشق،فقد كان العرف السائد ، ان ينفق على امور الولاية معظم ما يجبى منها وكانت بعض الولايات تتمتع باستغلال ذاتي كامل من الناحية المالية كمصر فلم يكن امام معاوية في بادىء الأمر إلا أن يعتمد على دخل ولاية الشام ، لذلك امر ان تسهم كل ولاية بقدر معلوم يبعث به إلى دمشق ليسد به نفقات الدولة ويبين الصولي هذا الإجراء بقوله :

"ما أن تولى معاوية الأمر حتى قطع الوظائف على أهل المدن فوظف على قنسرين اربعمائه وخمسين ألف دينار على الجماجم من ذلك الثلثان وعلى أهل دمشق اربعمائه وخمسين ألف دينار على الجماجم من ذلك الثلثان وعلى الاردن مائه وثمانين ألف دينار على الجماجم من ذلك الثلثان وعلى فلسطين مثل ذلك ، ثم أخذ يصطفي الأرض الجيده ويدفعها إلى الرجل بخراجهاوعلوجها والخراج على أهله لاينقص من شيء" (٢)

فعزز معاوية مكانته المالية وكتب إلى مولاه عبدالله بن دراج على العراق عام ٤٢ هـ بأن يحمل إليه ما جباه من خراجها فرد عليه الوالي بان الدهاقين قد استولوا على املاك كسرى وآله واصبح جزء من ممتلكاتهم يجبون خراجها لانفسهم ولايدخل إلى بيت المال فأجابه معاوية بان يستصفي هذه الاملاك له ، ويعمل على صيانه الأنهار ويستصلح

---

(١) الريس ، الخراج ، ص ١٩١

(٢) الصولي ، ادب الكتاب ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ كرد علي ، خطط الشام ، جـ ٥ / ٥٥

هذه الأراضي فأصبحت من ممتلكاته فبلغت جبايتها خمسين مليون درهم من أرض الكوفة وسوادها ، وكتب بمثل ذلك إلى والي البصرة عبدالرحمن بن ابى بكرة وامرهم ان يحملوا اليه هدايا النيروز والمهرجان (١) ، فكان يحمل إليه من هذه عشره ملايين درهم (٢) .

لم يكن دخل الدولة ثابتا طيلة العصر الأموى ، وإنما كان يتأثر بعوامل متعددة منها دخول أصحاب الأراضي الخراجية في الإسلام ، وهجرة بعض المزارعين الذين كان أكثرهم من الموالي إلى المدن وحركات الثوار المناهضين للدوله وكل ذلك يؤدى إلى نقصان دخل الدولة في الوقت نفسه كانت على الدولة التزامات كبيرة لصد المعارضه من العلويين والخوارج وارضاء القبائل العربية بالعطاء ونفقات الجند واستكمال الفتوح فضلا عما ينفقه الخلفاء والامراء على اللهو والبذخ فيه،إلا أن المعلومات المتوفرة عن مقادير الخراج في العصر الأموى قليلة،وقد أشارت بعض المصادر إلى ارتفاع بعض الأقاليم في أوقات مختلفة ، فان من أهم هذه الاشارات ما ذكره اليعقوبي حيث أورد قائمة مفصلة عن ارتفاع الخراج في خلافة معاوية بن ابى سفيان (٣) .

---

(١) اجمعت الفرس ان جم الملك اول من اتخذ النيروز وجعل تعظيمه دينا ، واصبح اهداء الملك سنه عند ملوك الفرس ، والمهرجان مكونه من كلمتين مهر أى محبه ، وجان أى روح فيكون معناه : محبه الروح ، وقد اطلق المهرجان على اليوم الذى انتصر افريدون على الضحاك . العسكرى ، الاوائل ص ٤١١ - ٤١٣ ، ابن الزبير ، التحف ، ص ٥ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ / ٢١٨،الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٢٤ البلاذرى ، فتوح ص ٣٠٠ وقدرها الصولى بخمسين مليون درهم . انظر ادب الكتاب ، ص ٢١٩ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ، حـ٢ / ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

الخراج فى عهد معاويه بن أبى سفيان (٤١ - ٥٩ هـ)

اسم الاقليـــم	مقدار الخراج
السواد (١)	١٢٠،٠٠٠،٠٠٠ درهم
فارس	٧٠،٠٠٠،٠٠٠ درهم
الاهواز	٤٠،٠٠٠،٠٠٠ درهم
اليمامه والبحرين	١٥،٠٠٠،٠٠٠ درهم
كور دجله	١٠،٠٠٠،٠٠٠ درهم
نهاوند والدينور وهمدان وارض الجبل	٤٠،٠٠٠،٠٠٠ درهم
الرى	٣٠،٠٠٠،٠٠٠ درهم
حلوان	٢٠،٠٠٠،٠٠٠ درهم
الموصل	٤٥،٠٠٠،٠٠٠ درهم
أذربيجان	٣٠،٠٠٠،٠٠٠ درهم
الجزيره " ديار مصر وربيعه "	٥٥،٠٠٠،٠٠٠ درهم
مصر (٢)	٣،٠٠٠،٠٠٠ دينار
فلسطين	٤٥٠،٠٠٠ دينار
الاردن	١٨٠،٠٠٠ دينار
دمشق	٤٥٠،٠٠٠ دينار
حمص	٣٥٠،٠٠٠ دينار
قنسرين والعواصم	٤٥٠،٠٠٠ دينار
اليمن (٣)	١،٢٠٠،٠٠٠ دينار

(١) كان خراج العراق فى بداية خلافة معاوية خمسين مليون درهم ، الصولى ، أدب الكتاب ، ص ٢١٩ .

(٢) كان عمرو بن العاص يبعث الى بيت المال بدمشق مليون دينار ، ولم يبعث خراج مصر كاملا الا بعد وفاة عمرو بن العاص ، تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ / ٢٣٣ .

(٣) وقيل خراج اليمن تسعمائة ألف دينار ، المصدر السابق ، ج ٢/ ٢٣٣ .

ونستخلص من هذه القائمة ابتداء جباية المدن من بداية خلافة معاوية واستقرار خراج الأقاليم التي تتداول الدينار عملة لها .

وقد بلغ مجمل ارتفاع الخراج بالدراهم	=	٠٠٠ر٠٠٠ر٤٨٥
وبلغ مجمل ارتفاع الخراج بالدنانير	=	٠٠٠ر٠٨٠ر٦

على اعتبار سعر الصرف زمن معاوية ابن ابي سفيان عشرة دراهم للدينار ولو حولنا الدراهم الى دنانير لنجدها تساوي = ٠٠٠ر٥٠٠ر٤٨ فيكون المجموع الكلي ٠٠٠ر٥٨٠ر٥٤ دينار .

وهناك اشارات إلى مقادير ارتفاع الخراج تمثل فترات متباعدة زمنيا تلقى الضوء على مدى اهتمام خلفاء بني أمية في جباية هذه الضريبة من اهمها ما ذكره الماوردي (١) عن جباية الخراج في العراق فيذكر أن عبيد الله بن زياد عامل معاوية بن أبي سفيان على العراق جبى من السواد مائه وخمسة وثلاثين مليون درهم - جباه الحجاج مائة وثمانية عشر مليون درهم وجباه عمر بن عبدالعزيز مائه وعشرين مليون درهم . وكان ابن هبيرة يجبيه مليون درهم سوى طعام الجند وارزاق المقاتلة ، وجباه يوسف بن عمر في خلافة هشام بن عبدالملك ما بين ستين إلى سبعين مليون درهم كان يبعثها إلى الخزينه العامة بدمشق ، ويفصل لنا الماوردي خراج العراق في ولاية يوسف بن عمر كما يلي : -

٠٠٠ر٠٠٠ر٦٠	درهم ترسل الى بيت المال بدمشق .
٠٠٠ر٠٠٠ر١٦	درهم عطاء جند الشام في العراق .
٠٠٠ر٠٠٠ر٤	درهم نفقة البريد .
٠٠٠ر٠٠٠ر٢	درهم للطوارق والطراز .
٠٠٠ر٠٠٠ر١٠	درهم تبقى في بيوت الاحداث والعوائق .

وبهذا يكون مجموع خراج العراق ثلاثه وتسعين مليون درهم ، ومن رواية الماوردي يتضح أن خراج العراق لم يتسقر في خلافة بني أمية ، وهذا ما تؤكده مصادر أخرى بتذبذب خراج العراق ، فقد قدر خراج السواد في خلافة عمر بن عبدالعزيز مائة

(١) الماوردي ، الاحكام السلطانيه ، ص ١٧٥ - ١٧٦ أنظر ايضا ، ابويعلى ، الاحكام السلطانيه ، ص ١٨٥ .

واربعه وعشرين مليون درهم ، وجباه الحجاج ثمانية عشر مليون درهم . وذلك لعسفه وظلمه وقد سلف المزارعين مليوني درهم وجباها سته عشر مليون درهم ومنع أهل السواد من ذبح البقر ليستخدم في الحراثة والزراعة فقال الشاعر في ذلك :

شكونا إليه خراب السواد فحرم جهلا لحوم البقر [١]

ويتضح مما سبق أن أسوء الفترات على بيت المال بدمشق هي الفتره التي تولى فيها الحجاج على العراق (٧٥ - ٩٤ هـ) فقد انخفض خراجها لتصل الى العشر تقريبا مما جباه عمر بن عبدالعزيز ، إلا أن هذا الارتفاع لم يكن القاعدة، فقد ذكرت المصادر عدة مقادير لارتفاع خراج السواد في زمن الحجاج دون الإشارة إلى تاريخ الجباية ومنها ان الحجاج جبى من السواد ثمانين مليون درهم [٢] وجباها ستين مليون درهم [٣] وقيل أربعين مليون درهم [٤] .

ومما سبق يتضح أن أقل خراج للعراق في عهد الحجاج بلغ ثمانية عشر مليون درهم واكثرها مائة وثمانية عشر مليون درهم ، ويرجع بعض المؤرخين انخفاض خراج العراق في عهد الحجاج نتيجه الاضطرابات التي سادت البلاد ، وكان الخراج منكسرا في بداية ولايته على العراق [٥] في حين تذكر المصادر أن تشدد الحجاج في الجباية من اسباب انخفاض الخراج فقد كان شديدا يلجأ الى التعذيب والسجن من أجل زيادة الانتاج [٦] ، وقد لجأ إلى زيادة الخراج على السواد وكتب بذلك إلى عبدالملك بن مروان يستأذنه في اخذ الفضل من أموال أهل السواد فمنعه عن ذلك

---

(١) خرداذبه ، المسالك ، ص ١٤ . ابن حوقل ، صوره الارض ص ٢١١ ، احسن التقاسيم ص ١٣٣ .

(٢) الصولي ، ادب الكتاب ، ص ٢٢٠ .

(٣) العسكري ، الاوائل ، ص ١٦٨ .

(٤) وقيل لم يصل إلى هذا إلا بضرب الابدان اثناء فتنه ابن الاشعث ، ادب الكتاب ص ٢٢٠ .البلاذري ، فتوح ، ص ٢٧٩ .

(٥) صالح العلي ، التنظيمات الاجتماعيه ، ص ١١٥ .

ويذكر الصولي = مات الحجاج والخراج على خمسه وعشرون الف وظل الامر على ذلك حتى خلافه عمر بن عبدالعزيز ، ادب الكتاب ، ص ٢٢٠

وكتب اليه : " لاتكن على درهمك المأخوذ أحرص منك على درهمك المتروك وأبق لهم لحوما يعقدون بها شحوما "(١)

ويبدو أن الحجاج لم يعط صلاحيات فى تعديل الخراج وصيانة ضفاف الانهار مما تسبب أيضا فى اضطراب الخراج فى السواد فقد كتب إلى الوليد بن عبد الملك يخبره بحدوث انبثاق فى أرض البطائح ، وأنه يحتاج إلى ثلاثة ملايين درهم لاصلاح ضفاف الانهار واصلاح الأرض فاستكثرها الوليد ولم يوافق الحجاج على ذلك وتكفل مسلمة ابن عبد الملك بالانفاق عليها فآلت هذه الأرض اليه (٢)

إلا أن التعسف فى جباية الخراج فى عهد بنى أمية كان سببا رئيساً فى انخفاض الخراج فى فقد تجاوز عمال بنى أمية حدود الضرائب التى فرضت منذ خلافة عمر بن الخطاب وكان سوء تصرف العمال والجباة وخامة الدهاقين فى أساليب الجباية من أسباب انخفاض الخراج (٣)

إلا أن خراج العراق اخذ فى الارتفاع فيذكر ابن الاثير أن فى عهد سليمان بن عبد الملك "٩٩- ١٠٠ هـ "قام والى العراق صالح بن عبد الرحمن فجباها باكثر مما كان يجبيه الحجاج ،(٤) وقد استمرت تجاوزات الجباة فى العراق حتى بداية خلافة عمر ابن عبد العزيز ، فندد بسوء سيرة الجباة (٥) واتبع سيرة الخلفاء الراشدين ، ويصفه ابن طباطبا " من خيار الخلفاء ، عالما زاهدا عابرا تقيا ورعا ، سار سيره مرضية "(٦) فجعل غاية حكمه أن تكون سياسته ولا سيما فى الشؤون المالية مطابقة لاحكام الشريعة الاسلامية

---

(١) الماوردى ، الاحكام السلطانية ، ص ١٤٩

(٢) البلاذرى ، فتوح ، ص ٣٠٢

(٣) الدورى ، مقدمة فى تاريخ الاقتصاد ى ، ص ٤٥ فان فلوتين ، السياده العربية ،ص ٢٨

(٤) ان الاثير الكامل ص ٥ /٩

(٥) وقد سأل عمر عبد العزيزعن يزيد أبن مسلم ، كاتب الحجاج فقيل له : أنه غزا الصائعة فأسر بالكتاب اليه يرده وقال : لا أستنصر بجيش هو فيهم فرده من الذرب ٠ الجهشيارى ، الوزراء، ص ٥٥٠

(٦) ابن طباطبا ، الفخرى فى الاداب السلطانية ، ص ١١٦ ٠

وبادر الى رد الحقوق لاصحابها ، وابطل وظيفة الخراج التى كان فرضها محمد بن يوسف اخو الحجاج على أهل اليمن وارجعها عشرية حسب ما جاء به الشرع ، قائلا بهذه المناسبة (والله لأن لا يأتينى من اليمن غير خفنة كتم أحب إلى اقرار هذه الوظيفة (١)

ونهى عماله من اللجوء إلى تعذيب أهل الضرائب واستكبرها ، فقد كتب اليه عدى ابن ارطأه - عامل كان لعمر بن عبد العزيز - اليه " "أما بعد فان أناسا قبلنا لايؤدون ماعليهم من الخراج حتى يمسهم شئ من العذاب " فكتب إليه عمر " آما بعد فى العجب كل العجب من استئذانك اياى فى عذاب البشر كأنى جنة لك من عذاب الله وكان رضاى ينجيك من سخط الله ، اذا أتاك كتابى هذا فمن أعطائك ماقبله عفوا وإلا فاحلفه فوالله لأن يلقوا الله بجناياتهم أحب الى من أن ألقاه بعذابهم والسلام " (٢)

ويعنى هذا أن بعض أهل السواد كانوا يماطلون فى دفع الضريبة المقررة عليهم لذا لم يكن الخراج فى خلافة عمر بن عبد العزيز ثابتا فقد ذكر أن مبلغ الجباية فى عهده بلغ من السواد مائة مليون درهم ، وقيل بلغ مائة وعشرين مليون درهم (٣) وقدرها الصولى بنصف هذا المبلغ فذكر أن مبلغ الجباية بلغ ستين مليون درهم ، كان نصيب بيت المال منها عشرة ملايين درهم ، من بعد خضم نفقات الاقليم (٤) ويمكن اعتبار هذا المقدار فى بداية خلافته ثم ارتفع خراج الاقليم بعدله ومنعه الجباه من التجاوز فبلغ اقصى قدر يمكن ان يبلغه ليتعدى ما جباه الخليفة عمر بن الخطاب الذى بلغت جبايته للسواد مائه مليون درهم (٥)

لقد كان عهد عمر بن عبدالعزيز قائما بذاته ، إذ أنه كان نسيج وحده ، وقد اخذت الامور بعده تعود إلى مثل ما كانت عليه قبل توليه الخلافة ، وقد خالف يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٢٥ هـ) كل الاصلاحات المالية فأعاد اخذ كسور الخراج التى اسقطها

(١) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص٨٠ ، اليس ، الخراج ، ص٢٢٩
(٢) ابو يوسف ، الخراج ، ص١١٩
(٣) الماوردى ، الاحكام السلطانية ،ص ١٧٥، ابو يعلى ، الاحكام السلطانية ، ص ١٨٥
(٤) الصولى ، ادب الكتاب ص ٢٢٠
(٥) البلاذرى ، فتوح ، ص ٢٧٩

عمر بن عبد العزيز[١] وفرض الخراج على بعض الاقاليم العشرية[٢] وولى عمالا مشهورين بسوء السيرة فقد عين يزيد ابن مسلم واليا على افريقية فأثار ضده أهلها فقتلوه عام ١٠٢هـ[٣] ولقله الاشاره الى مقدار الخراج في الخلافة الاموية لم يستطع الباحث ان يتتبع موارد بيت المال من خراج السواد في عهد كل خليفة .

أما الشام فقد كانت مقر الدولة حيث كان يسودها الاستقرار ولم تتعرض لتغييرات سياسية عنيفة كالتي حدثت في العراق ، فان من المتوقع استقرار الخراج في هذا الاقليم والتساهل مع العرب وخاصة في بداية قيام الدولة فقد ذكر الصولي[٤] أن معاوية وصف على اقليم الشام خراجا معلوما وأضاف عليها جزية أهل الذمة التي مثلت ضعفي خراج الارض فكان مجمل خراج الشام اربعمائة وعشرين الف دينار منها :-

خراج قنسرين	١٥٠ر٠٠٠	دينار
خراج دمشق	١٥٠ر٠٠٠	دينار
خراج الاردن	٦٠ر٠٠٠	دينار
خراج فلسطين	٦٠ر٠٠٠	دينار

إلا أن مقدار خراج الشام تغير بعد وفاة معاوية ، وهناك اشارة إلى زيادة كبيرة على خراجها ، فيذكر ابن حوقل بان خراج الشام بلغ في عهد بني أُمية مليون وثمانمائه ألف دينار ، وكان خراج قنسرين وحدها اربعمائة وخمسين ألف دينار[٤]

ويمكن ارجاع هذه الزيادة إلى ما بعد خلافه معاويه ، فهذا الارتفاع يقارب ماذكره البلاذري عن خراج الشام في خلافة عبد الملك بن مروان عام ٨١هـ[٥] كالتالي :-

---

(١) الريس ، الخراج ، ص ١٤١
(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٨٠
(٣) الجهشياري ، الوزراء ، ص ٥٧
(٤) الصولي ، ادب الكتاب ، ص ٢١٦ ص ٢١٧
(٥) ابن حوقل ، صورة الارض ص ١٦٢

خراج دمشق :	٤٠٠ر٠٠٠ دينار .
خراج الاردن :	١٨٠ر٠٠٠ دينار .
خراج فلسطين :	٣٥٠ر٠٠٠ دينار .
خراج حمص وقنسرين والعواصم :	٨٠٠ر٠٠٠ دينار .
فيكون مجمل خراج الشام	١ر٧٣٠ر٠٠٠ دينار .

ومن هذه القائمة يتضح أن معاويةً كان يراعي أهل الشام فخفف الخراج عنهم حتى يكسب نصرتهم له ، إلا أن من خلفه لم يعتنوا بذلك بعد أن تمكنوا من الأمر ، كما يرجع الباحث ان هذه القائمة تمثل خراج الأرض بالاضافة الى جزيةً أهل الذمةً ، ويظهر ذلك من خراج الاردن الذي بقي كما وظفه معاويةً في بداية خلافته وانخفض خراج دمشق مقدار خمسين ألف دينار عما وظفه معاويةً على خراج الارض وجزيه أهل دمشق في خلافه عبد الملك

اما مصر فقد ظل ديوان الخراج فيها مدونا بالقبطيةً ، حتى نقله الى العربية عبد الله بن عبد الملك بن مروان في خلافةً الوليد بن عبد الملك عام ٨٧ ه [(١)] ، وقد استقر خراج مصر في أيام معاويةً على ثلاثة ملايين دينار ، وكان عمر بن العاص يفرق في الناس أعطياتهم ، ويبعث إلى بيت المال بدمشق بمليون دينار [(٢)] ويبين اليعقوبي في كتابه البلدان أن الكثير من الاقباط دخلوا الاسلام فأثر هذا على خراج مصر فيقول : " ثم أسلم رجالها فبلغ خراج الأرض في أيام معاوية مع جزية رؤس الرجال خمسة آلاف ألف دينار [(٣)] .

ويؤكد المقريزي أن الخراج في مصر في أيام بني أميةً ظل ثلاثة ملايين دينار ، ثم ارتفع في خلافةً هشام بن عبد الملك نتيجة إصلاحات عبد الله بن الحبحاب إلى أربعة ملايين دينار [(٤)] ويظهر أن ماجباه ابن الحبحاب لم يدم طويلا فقد ذكرت بعض المصادر بان

(١) المقريزي ، الخطط ، جـ١/ ٩٨ .
(٢) تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢/٢٣٣ .
(٣) اليعقوبي، البلدان ، ص ٣٣٣٩ .
(٤) المقريزي ، الخطط ، جـ١/ ٩٨-٩٩ .

خراج مصر انخفض فى أثناء تولى ابن الحبحاب مصر وبلغ مليونين وسبعمائة ألف وثمانمائةوسبعة وثلاثين دينار [١] ، ويضيف المقريزى أن ابن الحبحاب وظف الخراج على مصر عام ١٠٧ هـ فقال " وظف ابن الحبحاب بمصر طبقات معلومة منسوبة فى الدواوين ، ولم تزل إلىمابعـــد ذهاب بنى أمية ومبلغها ألف دينار وسبعمائة ألف دينار وثمانمائة وسبعة وثلاثون دينـارا ، منها على كور الصعيد ألف وأربعمائة دينار وعشرون دينارا ونصف الباقى على كـــور أسفل الارض [٢] ورغم هذا القول ، يذكر المقريزى أن أسامه بن زيد جبى مصر فى عهـــد سليمان بن عبد الملك أثنى عشر مليون دينار ، ويستنكر بعض المؤرخين هذا القـــول فيتساءل كيف استطاع أسامة أن يدبر هذه الزيادة التى بلغت تسعة ملايين دينار مـــع العلم بان خراج مصر حوالى عام ١١٠ هـ أربعة ملايين دينار [٣]

أما مملكة الفرس فقد اعتاد جباة الخراج تقويم المحاصيل قبل زمن الحصاد وارغام المزارعين على النزول عنها بثمن أقل من الثمن الذى يتبايع به الناس ، حتى خلافة عمر ابن عبد العزيز فكتب إلى عدى بن أرطاة والى فارس لكى يمنع عماله من هذه التجاوزات [٤] ولاشك ان هذه المملكه كان خراجها كبيراً لاتساع رقعتها،ويذكر اليعقوبى أن خراج مملكـــة الفرس بالاضافة إلى العراق كان فى زمن معاوية بن أبى سيفان ستمائة وخمسة وخمسيـــن مليون درهم [٥] وليس فيما أطلع عليه الباحث ذكر لارتفاع خراجها ، إلا أن هذا الاقليـــم كان موطنا للاضطرابات مما يجعل خراجها غير مستقر فى خلافة بنى أمية •

٢ـ الجزيـــــة :ـ

لقد تميزت الصلات المالية بين العرب والمسلمين وسكان البلاد المفتوحـــــة بالبساطة واليسر ، فكانت الجزية ضريبة يدفعها أهل الكتاب للدولة اعترافا بسيادتهاوقد تحدد مقدار هذه الضريبة فى خلافة عمر بن الخطاب بقيمة معينة فكان على الاغنيـــاء

(١) المقريزى ، الخطط ، جـ ١ /٩٩ •
(٢) المقريزى ، الخطط ، جـ ١ /٩٩ ، الريس الخراج ، ص ٢٥٦
(٣) فان فلوتن السيادة العربية ص ٢٨
(٤) تاريخ اليعقوبى ، جـ ٢/ ٢٣٣
(٥) ابن رسته،الاعلاق النفيسه ، ص ١٠٥

ثمانية واربعون درهما ، وعلى متوسطى الحال أربعة عشرون درهما، وعلى الفقراء الذين يعملون اثنا عشر درهما.

لقد شكلت هذه الضريبة ايرادا كبيرا لبيت المال فى الخلافة الراشدة فقد كان عدددافعى الجزيه فى السواد مائة ألف فى خلافة عمر بن الخطاب (١)، عدا باقى الاقاليم، فبقيام خلافة بنى أمية فرض معاوية بن أبى سفيان مبلغا محددا على كل مدينة فى الشام فكان خراج دمشق اربعمائه وخمسين ألف دينار على الجماجم من ذلك الثلثان ، وعلى الاردن مائه وثمانين دينار على الجماجم من ذلك الثلثان وعلى فلسطين مثل ذلك ، وجعل على قنسرين اربعمائه وخمسين ألف دينار على الجماجم من ذلك ايضا الثلثان (٢) فقد نظر معاوية إلى ضريبة الجزية بانها المصدر الأول لخزينة الدولة فشكلت ضعف ضريبة الارض فى بلاد الشام ، وفكر معاوية بن ابى سفيان ايضا فى زيادة الجزية عما كان عليه ايام الخلفاء الراشدين فكتب إلى وردان مولى عمر وبن العاصى أن يزيد على الجزية ، على كل قبطى بمصر قيراطا فرد عليه وردان " كيف أزيد عليهم ، وفى عهدهم أن لا يزاد عليهم "(٣) ويوضح ابن الجوزية نظرة بنى أمية لأهل الذمة على أنهم كالعبيد بقوله " ... انهم كانوا يأخذونها منهم وقد اسلموا ، يذهبون إلى أن الجزية بمنزلة الضرائب على العبيد ، يقولون : لا يسقط اسلام العبد عن ضريبته "(٤)

ولما تولي عبد الملك بن مراون الخلافة كانت جزية أهل العراق دينارا ومدين قمحا وزيتا وقسطين خلاً فى العام ، فاستغل عبد الملك هذه الجزية فبعث إلى عامله فاحص الجماجم وجعل الناس كلهم عمالا بأيديهم حسب ما يكسبه العامل سنته كلها ، ثم طرح من ذلك نفقته فى طعامه وأدمه وكسوته وطرح أيام الأعياد فى السنة كلها فوجد الذى يحصل بعد ذلك فى السنة لكل واحد أربعة دنانير فألزمهم ذلك جمعيا و جعلهم طبقة واحدة (٥)

---

(١) ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ص ١٠٥ .

(٢) الصولي ، ادب الكتاب ، ص ٢١٦، كرد على ، خطط الشام ، ج ٥ /٥٥ .

(٣) البلاذرى ، فتوح البدان ، ص ٢٢٥ ، محمد النجار، الموالى فى العصر الاموى ، ص ٥٣، السياده العربيه ، ص ٢٧ .

(٤) ابن الجوزيه ، احكام اهل الذمه ج ٥٩/١ .

(٥) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٤١ ، كرد ، الاداره الاسلامية ، ص ٨٨، الرحيبى ، ١ / ٣٠٥ .

ويعقب بعض المؤرخين على ماورواه ابو يوسف ، ويرجع المفهوم بأنه ساوى بين الاغنياء ومتوسطى الحال والضعفاء فى الجزية وأنه لم يترك للطبقة العامة إلا مايكفيها للحاجات الضرورية وهذا الخبر على اهميته لم يرد إلا فى كتاب فقه لم يجزم راويه بصحته ولذا فإننا نقف منه موقف الشك [١] .

وتشير المصادر أن تغير ضريبة الجزية وزيادتها جاءت بعد وفاه معاوية فقد نفذ العمال اقتراح معاوية بزياده الجزية على كل امرىء من القبط ، حين ولى عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وكانت جزيتهم تقدر بمليونين دينار فزاد الجزية عليهم فقدم وفد منهم إلى عبد الملك بن مروان يشكون ذلك إلا أن الخليفة لم يستجب لهم ، وحين رجعوا إلى مصر زاد الوالى عليهم ضعف هذه الزيادة [٢] .

كما نفذ اقتراح معاوية عبيد الله بن الحبحاب متولى الخراج من قبل هشام بن عبد الملك فزاد على القبط قيراطا فى كل دينار، فلم يتحمل القبط ذلك وكانواهم السواد الأعظم فثاروا فحاربهم المسلمون وقتلوا منهم جميعا كثيراً [٣] ، وقد حدث نحو ذلك على أيام اسامة التنوخى متولى الخراج من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك لذا كثر الالتجاء إلى الرهينه فى ايامه فرارا من تلك الضريبة فاراد أن يمنع ذلك فاحصى الديور والرهبان والزم كل ذمى بمنشور يحمله يدل على أنه أدى ما عليه، وفرض على كل متهرب من دفع الجزية عشرة دنانير [٤] .

وكان نفيع بن ذوءيب يكتب للوليد بن عبد الملك على المستغلات بدمشق وكان اسمه مكتوبا فى لوح فى سوق السراجين بدمشق [٥] .

---

(١) الدورى ، النظم الاسلاميه ، ص١٤٢

(٢) الصولى، ادب الكتاب ، ص٢١٧

(٣) الكندى ، الولاه والقضاه ، ص٧٣ ، المقريزى ، الخطط ، جـ٢ / ٤٩٢

(٤) المقريزى ، الخطط جـ٢ / ٤٩٢ _ ٤٩٣ .

(٥) الجهشيارى ، الوزراء ، ص٤٧ .

وقد اعتبر البحيرات التى تتجمع فيها الأسماك من المستغلات فكانت الدولة الأموية تفرض ايجاراً على القائمين بصيد الاسماك فى البحيرات فى العراق (١).

لقد كان دخل خزينة دمشق من اموال الضرائب عاليا إلا أن المعلومات لم توضح مدى ارتفاع هذه الضرائب فى كل اقليم ومدى تأثرها بالاضطرابات التى وقعت، وهناك وثيقة أوردها القاضى ابو يوسف توضح مدى اهتمام الأُمويين وتشددهم فى الجباية وتشير إلى انواع الضرائب الشريعة وغير الشرعية التى فرضت حتى بداية عهد الخليفة عمر ابن عبد العزيز الذى أمر بأبطالها فقد كتب الخليفة إلى عاملة عبد الحميد بن عبد الرحمن " أن انظر الأرض ولاتحمل خرابا على عامر ولا عامرا على خراب ، و انظر الخراب فان اطلق شيئاً فخذ منه ما أطلق واصلحه حتى يعمر ، ولا تأخذ من عامر لا يعتمل شيئا ، وما أجدب من العامر من الخراج فخذه فى رفق وتسكين لأهل الارض ، وآمرك أن لاتأخذ فى الخراج الاوزن سبعة ليس فيها تبر ، ولاأجور الضرابين ، ولا إذابة الفضة ولاهدية النيروز ...... " (٢) وتعتبر خلافة عمر بن عبد العزيز عهد رخاء واستقرار لأهل الخراج وللذميين حيث اتبع سنه الراشدين في الجباية ، وابطل كل التجاوزات التى سبقت عهده وكتب إلى جميع عماله بالغاء الجزية عن من أسلم وخير أهل الذمة العاملين في وظائف الدولة بين الاسلام او ترك عمله وبقائه على دينه (٣).

كما الغى الضرائب الساسانية فى عيدى النيروز والمهرجان (٤) . واصدر أمرا لعامله على الكوفه بالغاء كل الضرائب الاضافية التى استحدثت منذ قيام الدولة الأُموية (٥)

إلا أن السمه الغالبة على خلفاء بنى أمية التشدد فى جباية الجزية والتشدد فى تحصيلها حتى قبيل سقوط خلافتهم وقد حاول والى خراسان نصر بن سيار اصلاح شئون أهل الذمة والمسلمين فى الاقليم فأعفى ثلاثين ألف مسلم كانوا يدفعون الجزية (٦) .

(١) ابو يوسف ، الخراج ، ص٨٧ .

(٢) ابو يوسف ، الخراج ، ص٨٦ .

(٣) ان الجوزية ، احكام اهل الذمة، حـ١ / ٢١٣ .

(٤) الجهشيارى ، الوزراء ، ص٢٤ .

(٥) ابن سلام ، الاموال ، ص١٤٤، ابو يوسف الخراج ٩٦، الرتاج ٥٨٢/١ - ٥٨٥ .

(٦) تاريخ ابن الخياط، ص٣٨٦ ، فلوتن ، السياده العربية، ص١٣٧، زيدان ، التمدن حـ٢/٣٦٠ .

٣ - العشـــور :

فرضت الدولة الاسلامية العشور على التجارتين الداخلية والخارجية وهى ضرائب بدل المرور ، وبدأ فرضها زمن الخليفة عمر بن الخطاب عندما كتب إليه أبو موسى الأشعرى ان تجاراً من المسلمين يأتون أرض الحرب فيأخذون منهم العشر ، فأمر عمر ابن الخطاب أن يأخذ من تجارتهم كما يأخذون من المسلمين فاخذ من أهل الذمة نصف العشر ، ومن المسلمين ربع العشر ، وجعل النصاب مائتى درهم وما يعادله من الدنانير ، مرة واحدة فى العام ، عند انتقال الأموال التجارية من بلدة إلى أخرى(١) .

اهتم خلفاء بنى أمية بجباية العشور منذ قيام دولتهم فاقاموا المآصر وكان مسروق أشهر من أشرف على أعمال هذه المآصر تحت اشراف زياد وجاءت شهرته أنه كان عفيفا لا يفتش المارين ويكتفي بالقول لمن مربه : إن كان لنا معك شيء فاعطناه ، لذا كانت جباية العشور قليلة فبلغت عشرين ألف درهم قدمها لزياد ، ولكنه تنازل عنها له (٢).

ولاريب أن مقدار حصيلة هذه الضريبة تتوقف على نشاط الحركة التجارية فى الإقليم ومدى استقرار الأمن فيها ، إلا أن الباحث لم يعثر فيما اطلع عليه على مقدار دخل بيت المال بدمشق من هذه الضريبة ، وتوضح رواية بان دخل الدولة من العشور كان كبيرا ، فقد بلغ ارتفاع العشور على ما جلبه أهل الذمة من الخمور بالبصرة أربعة آلاف درهم فى خلافة عمر بن عبدالعزيز (٣)

وجرت العادة أن ترسل هذه الضريبة إلى بيت المال بدمشق إلا أن الخليفة عمر بن عبدالعزيز قد غير هذا النظام وجعل ضريبة العشور تنفق على مصالح البلدة نفسها فقد

---

(١) ابو يوسف ، الخراج ، ص ١٣٠ ، الصولى ، ادب الكتاب ، ص ١٩٩
(٢) ميخائيل عواد ، المآصر ، ص ١٢ ، وانظر ابو يوسف ، الخراج ، ص ١٣٧ .
(٣) صالح العلى ، التنظيمات الاجتماعية ، ص ١٤٤ .

أمر بترك عشور البصرة لتصرف فيها، وان توزع على فقرائهم والمساكين فيها ، وكذلك فعل بعشور عمان [(١)] .

وإلى جانب العشور فرض المكس على المبيعات داخل المدينة ، وقد ألغى عمر بن عبدالعزيز هذه ، ويبدو أن الدولة كانت تقوم بنفسها بجباية المكس الذى كان يلقى من الأهلين معارضة شديدة [(٢)]

وفرضت الضريبة على المشتغلات من الاسواق والدور واطلق المشرف على هذا لقب " العامل على الأسواق " وجعلت من مهامه مراقبة الأوزان والمكاييل وجباية الضريبة على الحوانيت والصناع [(٣)]

واذا اخذنا بان الخليفة عمر بن عبدالعزيز الغى بعض الضرائب فى خلافته ، إلاأنها عادت مرة اخرى فجبيت، ويوضح ابن الزبير ما تركه عمال وخلفاء بنى أمية فى بيوت مال الأموال فقد خلف زياد بن أبى سفيان بالكوفة عام ٥٣ هـ ، ستة ملايين درهم ، ومنه ألف دينار سوى الضياع ، فاخذ جميع ذلك اخوه معاوية [(٤)] وترك الحجاج بن يوسف عام ٩٥ هـ فى بيت المال بواسط مائه مائه وسبعه عشر مليون درهم عدا السلاح فحملها يزيد بن أبى مسلم كاتبه إلى الوليد بن عبدالملك [(٥)]

وكان فى بيت مال الوليد بن يزيد بن عبدالملك يوم قتل سبعه وأربعون مليون دينار فرقها يزيد الناقص [(٦)] ، وترك مروان بن محمد الجعدى هربا من العباسيين عام ١٣٢ هـ بالموصل أربعة ملايين دينار وسبعين مليون درهم [(٧)] .

مما يدل أن موارد بيت مال قد تأثر نتيجة الثورة المناهضة للأمويين ، إلا أن بنى أميه كانوا يدخرون المال للنوائب .

---

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ٨٥ ، حسينى ، الادارة العربية ، ص ١٨٧
(٢) صالح العلي ، التنظيمات ، ص ٣٠٤ ، كردعلى ، خطط الشام ، جـ ٥ / ٥٩ الشيخلى، الأصناف ص ٥٠ .
(٣) الشيخلى، الأصناف ، ص ١٤١ ، الدورى ، النظم الاسلاميه ، ص ١٤٣ .
(٤ - ٧) ابن الزبير، الذخائر والتحف، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٢ .

الباب الأول

العوامل المؤثرة في موارد بيت المال

الفصل الأول

أحوال نهري دجلة والفرات وتوفر مياه الري

أولاً   الاهتمام بالأرواء .

ثانياً   مناطق الري بين دجلة والفرات .

ثالثاً   الأمطار وأثرها في توفر مياه الري .

إن سبب أشتهار خصوبة أرض العراق من القدم يرجع الى التوزيع الصحيح والمنظم لكميات المياه خلال شبكة كثيفة من الأنهر ، وقد قامت هذه الأنهر برى المناطق البعيدة عن ضفاف نهرى دجلة والفرات ، وكذلك لتصريف المياه التى تتجمع فجأة من الفيضانات السنوية ، وبهذا يتم تفادى الأشباع المفرط بالرطوبة الذى يلحق الضرر بالأرض .

ومنذ القدم تولى حكام وادى الرافدين على عاتقهم مسؤولية حفر الأنهر واصلاحها ، إلا أن تأريخ أنهر العراق من أصعب المهام ، لتغير مسار الأنهر وقلة اهتمام المؤرخين بالتدوين،ويبدو أن عناية الحكام كانت شديدة ، وقد ذكر أن على ساحل دجلة شيدت في عهد الأكاسرة والعباسيين عدد كبير من المدن والقرى ، وكانت تتفرع من دجلة جداول تحمل مياها كثيرة وقدر أحدهم عدد الجداول التى كانت بين بغداد والبصرة بستة عشر ألف جدول [(١)] كما ذكر أبن حوقل أن البصرة أختصت بأربعة آلاف نهر فى زمن الرشيد [(٢)]

وهناك من المؤرخين من يذكر أن الخلفاء المسلمين لم يحدثوا أنهراً وقنوات جديدة ، وأن هذه الأنهار يرجع عهدها الى زمن البابليين القدماء ، ولكنها اندثرت فأعاد الخلفاء شقها ، وهذا ينطبق أيضا على مصر [(٣)] ، إلا أن هذا الرأى لم يستند على دلائل ثابتة ، ويؤكد المؤرخون ما قام به خلفاء المسلمين وبخاصة أبى جعفر المنصور من تنظيم للرى ، والاستفادة من المياه حتى أمكن الاحتفاظ بماء دجلة لإرواء جميع الأراضي الممتدة بين الصحراء

(١) الحسينى ، عمران بغداد ، ص ١١ .

(٢) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٢١٣ .

(٣) فيليب حتى ، تاريخ العرب،ج ٢/ ٤٢٩ .

العربية وجبال كردستان (١) .

ولاشك أن الاضطرابات التى وقعت فى نهاية العهد الأموى كان لها تأثير شديد على الحياة الزراعية ، إلا أن هذه الحياه عادت نشطة فى العهد العباسى، وإزدهرت أزدهاراً فائقا ، لأن بغداد ، وهى العاصمة ، كانت فى بقعة خصبة من السواد وأن العباسيين أنفسهم أدركوا أن الضرائب المفروضة على الزراعة تدر على الدولة أهم موارد الدخل ، ولأن حراثة الأرض وإستثمارها ظل معظمه بأيدى أهل البلاد الأصليين الذين أخذت أحوالهم تتحسن نوعا ما فى العهد الجديد (٢)

أولا : الاهتمام بالأرواء :

ما أن تولى العباسيون الخلافة فى العراق حتى أنصب اهتمامهم على تحسين القنوات والأنهار وخاصة فى السواد ، فأحيوا نظام الرى القديم ونظموا وشقوا الترع ، وحفروا قنوات جديدة وخاصة فى منطقة بغداد (٣) فعاد العمران الى المزارع المهجورة والقرى الخربة فى كثير من أنحاء الدولة وأخذت تنتعش هذه المزارع تدريجيا بحيث صارت الأرض سوادا مشتبكا غير متميزة من الأشجار (٤)

لقد وجه أبو العباس السفاح اهتمامه بالأرض فى بداية توليته الخلافة فنظم أراضى الحكم السابق ليكون بذلك أولى الممتلكات السلطانية ، ليمكن للدولة أن تستعين بها لسد نفقاتها العسكرية والمدنية ، إلا أننا لم نلمس مدى إهتمامه بالرى ، حتى بدأ أول مشروع كبير للرى بإعادة حفر نهر عيسى ، فربط الفرات عند الأنبار فى الشمال الغربى بدجله عند بغداد ، وكان من

(١) الخربوطلى ، المهدى العباسى ص ٧١ ، حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام ، ج٢/٢٠٤
(٢) فيليب حتى ، تاريخ العرب ، ج٢ / ٤٢٨ .
(٣) الدورى ، العصر العباسى الأول ، ص٢٦١ ، والنظم الاسلامية ص ١٦٠ - حتى تاريخ العرب ج ٢/ ٤٢٨ .
(٤) الاصطخرى ص ٥٩ ، حتى ، تاريخ العرب ج٢/٤٢٨ .

فروعها الرئيسية نهر الصراة ، ونهر صرصر اللذان يصبان فى دجلة أعلى المدائن ، والثالث كان نهر الملك الذى يصب فى دجلة أسفل المدائن [١]

وحين لاحظ العباسيون أن هذه المياه لا تكفى وحدهالرى أراضى السواد عملوا على تنظيم وسائل الرى بحفر الترع والجداول وشق الأنهر ، فقد عنى المنصور بحفر وتعميق نهر الفرات من ثمانية فراسخ وفوهة النهر من دمما [٢] ، فأجرى إلى بغداد ليضيف إليه موارد الشام [٣] ، فتزيد كمية المياه فى النهر ، ويسهل على المزارع رى أرضه مع حدوث الفيضان ، بل وبعد انخفاض منسوب المياه .

ومن أعمال الرى الجديدة نهر أبى الأسد عند البطيخة ، وقد حفره أو وسع فوهته أبو الأسد قائد المنصور [٤] ، وشق المنصور لأهل الكرخ أربعة أنهر ، وهى نهر الدجاج ، ونهر القلائين ، ونهر طابق ، ونهر البزازين [٥] .

وكرس المنصور جل اهتمامه بالرى ، فقد كان يتابع أى بثق يحدث من الأنهار ، ويصر على إصلاحه بأسرع ما يمكن ، ففى عام ١٥٨هـ -٧٧٤م - خرج إلى الرقة مشيعا ابنه المهدى فعلم هناك أن بثقا حدث فى النهروان وأن الماء يتدفق منه إلى نهر ديالى ، فأقام ثمانية عشر يوما بنفسه على اصلاح هذا البثق [٦] .

---

(١) الاصطخرى ص٥٩ ، ابن حوقل ، صورة الأرض ص٢١٠ ، المقدسى ، أحسن التقاسيم ص ١٢٤ .

(٢) دمما : مدينة كبيرة على فم نهر عيسى قريبا من الفرات .

(٣) الدينورى ، الأخبار الطوال ، ص ٣٨٣ .

(٤) الدورى ، النظم الاسلامية ص ١٦٠ والعصر العباسى الأول ، ص ٢٦١ .

(٥) الخطيب تاريخ بغداد جـ١/٧٩ ، عبد السلام رستم ، أبو جعفر ص ٧٣ .

(٦) الطبرى ، جـ ٨/ ٥٧ .

وقد بلغ من حرص المنصور على سلامة موارد بيت المال أنه أنشأ ديوانا خاصا سماه ، ديوان الأكرة ، وجعل مهمته السهر على العناية بكل ما يتعلق بشئون الرى ، وإقامة السدود ، وشق الترع ، وحفر القنوات ، وبناء الأحواض ، وهو يشبه ادارة هندسة الرى فى الوقت الحاضر ، ويترتب على هذا كله أن تضاعف الانتاج (١) وأزدياد دخل الدولة من الخراج ، وإرتفاع مستوى المعيشة لأهل البلاد ورخص الأسعار .

وإتبع المهدى سياسة المنصور فى العناية بمشروعات الرى ، فأمر بحفر عدد من الأنهار والترع ،فذكر منها نهر الصله فى اقليم واسط ، فأحيا بذلك مساحات واسعة من أرض الموات فأصبحت تأتى بإنتاج زراعى كبير فقرر مضاعفة الخراج على الأرض التى استفادت من جريان هذا النهر لمدة خمسين سنة ، وذلك نظير ماأنفقه بيت المال فى انجاز هذا المشروع العظيم ، وخصص غلاته صلة لأهل الحرمين ولنفقاتهم (٢).

ولم يقف عند هذا المشروع ، بل إنه أمر باعادة حفر الأنهار والقنوات التى كانت موجودة فى عصر البابليين ، ثم اندثرت عبر العصور (٣).

وأمر المهدى وهو ولى العهد بحفر نهر آخر حين نزل الرصافة يستمد ماءه من النهروان ، وسماه نهر المهدى ويجرى فى الجانب الشرقى (٤) وقامت

---

(١) الزهرانى ، مواردبيت المال ص ٢٤٥ .

(٢) قدامه ، الخراج ص ١٧٠ - الزهرانى ، موارد بيت المال ، ص ٢٤١ .

(٣) الخربوطلى ، المهدى ، ص ٧٤ ، الدورى ، النظم الاسلامية ، ص ٢٦٠ حتى،تاريخ العرب،حـ٤٢٩/٢ .

(٤) اليعقوبى ، البلدان ، ص ٢٥١ .

الخيزران بدورها في حفر نهر الريان (١) ونشط هارون الرشيد في إتباع هـــذه السياسة فأمر بحفر نهر القاطول المعروف باسم أبي الجند ، وجعل العائـــد منه أرزاقا للجند ، وأنفق عليه عشرين مليون درهم (٢) ولبى الرشيد طلـــب بعض أهل السواد فحفر لهم نهرا بعد ما تعطل فمدحه أشجع السلمي بقوله :-

أجرى الامام الرشيد نهرا عاش باجرائه المـوات

جاد عليه بربق فيـــه وسر مكنـــونه الفـرات (٣)

ويذكر الخطيب خبرا مفاده أن الخلفاء العباسيين منذ بداية خلافتهـم وضعوا ملكية الأنهار جميعها في أيدي السلطة فلم يكن هناك ملكية لأحد مـن الأهالي للمجاري المائيه ما عدا نهر الدجاج فقد ظل في أيدي أصحابه ، فيقول " نبأ نا يحيي بن الصامت ، قال : سأل رجل عبد الله بن المبارك أين يرى لي أن أنزل من بغداد متى دخلتها ؟ ، قال : إن إبتليت بذلك فأنزل نهر الدجاج فانه في أيدي أربابه لم يغصبوا عليه أحدا " (٤) ونظرا لعناية الدولة للأنهر كـان خراج دجلة ثمانية ملايين وخمس مائة ألف درهم (٥) ، ويمكن أن يكون الهدف مـن تأميم الأنهر والترع خدمة للأهالي ، حيث أن الخلافة قادرة على صيانتها وتوزيع المياه بالعدل ، ومنع التجاوزات والقضاء على المنازعات بين الأفراد ويصـــف

---

(١) الدوري ، النظم الاسلامية ،ص١٦٠، الدوري ، العصر العباسي الأول ، ص٢٦١ .
وكانت غلة الخيزران أم الهادي والرشيد في كل سنه مائتي وستين مليـــون درهم ، ماتت عام ١٧٢هـ ومشى الرشيد في جنازتها ، ابن الزبير ، الذخائر ص ٢٣٥ .

(٢) لسترنج ، بلدان الخلافه الشرقيه ، ص٨٣ - الجهشياري ، الوزراء ص ١٧٧ ، الريس ، الخراج ص ٤٢٨، الدوري ، العصر العباسي الأول ص ٢٦١ .

(٣) الأغاني ، جـ ٢٠/ ٧٠٦٣ .

(٤) الخطيب ، تاريخ بغداد جـ١/٦ .

(٥) خرداذبه ، المسالك والممالك ص ٧ ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٣٣ .

اليعقوبى نتيجة إهتمام العباسيين لتوفير مياه الرى بقوله " إلا أنهم بين دجلة والفرات من جميع النواحي تتدفق عليهم المياه حتى غرسوا النخل الذى حمل من البصره ، فصار ببغداد أكبر منه بالبصرة والكوفة والسواد ، وغرسوا الأشجار وأثمرت التمر العجيب وكثرت البساتين والأجنه فى أرباض بغداد من كل ناحية لكثيرة المياه وطيبها ، وعمل فيها كل ما يعمل فى بلد من البلدان لأن حدائق أهل الصناعات انتقلوا اليها من كل بلد وأتوها من كل أفق ونزحوا إليها من الأوانى والأقاصى ... "(١)

ويوضح لنا قاضى القضاة أبو يوسف مدى مسئولية الدولة عن شئون الرى وخاصة فى السواد ، فحدد واجبات الدولة ومنها أن يتكفل بيت المال بجميع نفقات كرى الأنهار الكبيرة المستمدة ماءها من دجلة والفرات (٢) ، وأن يتكفل بصيانة كل كسر فى ضفاف الأنهر والسدود ، وأن يتولى بيت المال هذه النفقة وليس على المواطنين أية التزامات (٣) ، لأن العائد الأساسى يرجع الى بيت المال من الضرائب المفروضة على تلك المناطق الزراعية .

وتابع الخلفاء فى العصر العباسى الأول سياسة العناية بالرى وشق الأنهار وأعادة حفرها ، ليس فقط فى السواد، بل حتى فى أطراف الامبراطورية فقد طلب ابن أبى دؤاد من الخليفة المعتصم بالله أن يحفر نهرا قد اندفن لأهل الشا ش وفرغانه فاستجاب الخليفة لطلبه ، وبلغت تكاليف حفره مليونى درهم (٤) .

---

(١) اليعقوبى ، البلدان ص ٢٥١ .
(٢) أبو يوسف ، الخراج ، ص ١١٠
(٣) ابو يوسف ، الخراج ، ص ١١٠
(٤) الطبرى ، حـ٩/١٢١ ، ابن الاثير ، الكامل،حـ٥/ ٢٦٦ . عرنوس ، تاريخ القضاة ، ص ١٨٤ .

وحين عزم المعتصم على بناء عاصمة الجديدة سر من رأى أدرك أن مياهها الجوفية مالحه فاستغل مياه دجلة استغلالا حسنا ، فكثرت الراويا منه بشق الترع الى كل المناطق (١) ، وكانت هذه الأراضي بكرا لم تزرع من ألوف السنين ، فجاء ثمرها أزكى ثمر وبلغ خراجها أربع مائة ألف دينار في السنة (٢).

ويضيف اليعقوبي ، أنه بالرغم من استقرار الخلفاء "بسر من رأى" من عام ٢٢٣ هـ -٨٣٧م - الا أن بغداد لم تتعرض للأزمات الاقتصادية بل ازدهرت في العمارة واتصلت المنازل بين بغداد وسرمن رأى على ضفتي دجلة (٣) وهذا يعني أن الخلفاء لم يقطعوا صلتهم بالعاصمة الأم ، بل زاد اهتمامهم بالجانب الزراعي وحصنوا ضفاف الأنهار وحموا الأهالي من خطر الفيضان ، فانتشر العمران حتى اتصلت بغداد بسرمن رأى .

ورغم هذا العمران والازدهار ، لم ينقطع الخلفاء من توفير المياه لكل المناطق فالواثق أعان أهل فرغانه على حفر نهر وسد بثق هناك ، فقد كان الخليفة الواثق بالله حسن الفكر في صلاح الرعية والمجتمع (٤)

أما الخليفة المتوكل على الله فبرغم اهتمامه بالقضاء على المعتزلة ولهوه فقد أمر بحفر النهر المعروف بالجعفرية ، وأسند أمره الى أحمد بن كثير الفرغاني فأخطأ في تحديد مستوى فوهة النهر ، وجعلها أخفض من بقية مجراه ، فصار ما يغمر الفوهة لا يغمر سائره ، الا أنه استدرك الخطأ لتأخر

---

(١) أحمد سوسه ، ري سامراء ، حـ١/٢٤٤ .

(٢) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٦٣ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٦٤ .

(٤) الاربلي ، الذهب المسبوك ، ص ٢٢٤ .

فيضان دجلة ، وكان مقتل المتوكل بعد شهرين من جريان النهر[(١)] وقدرت تكاليف حفر هذا النهر مليون وخمسمائة ألف دينار[(٢)].

ثانيا: مناطق الرى من دجله والفرات :

ترتب على اهتمام العباسيين بالإرواء تقسيم منطقة السواد إلى مناطق رى مستمدة من نهرى دجلة والفرات قسمها ابن خرداذبه إلى ثلاث مناطق رى هى :

أ- المنطقة الأولى : وتقع شرق نهر دجلة وكانت تروى من مياه دجلة والنهروان وتمتد من الدور فى الشمال الى نهاية النهروان فى ما درايا فى الجنوب .

ب- المنطقة الثانية : وترويها مياه دجلة والفرات ، وتتألف من الأراضى الواقعة بين مادرايا فى الشمال والبطيحة فى الغرب والخليج العربى فى الجنوب .

ج- المنطقة الثالثة : وهى أوسع المناطق وأكثرها انتاجا ، وتقع بين النهرين بين الانبار والدور فى الشمال والبطيحة ، وكانت تروى بالقنوات المتفرعة عن الفرات وبنهر الدجيل الذى يستمد ماءه من دجلة[(٣)]

ويمكن أن نتتبع مناطق الرى هذه بدراسة أهم الفروع المستمدة من دجلة والفرات التى كانت تزود المدن والقرى بالمياه .

(١) الكاتب ، المكافأة ، ص ١١٠

(٢) اليعقوبى ، البلدان ، ص ٢٦٦ .

(٣) خرداذبه ، المسالك ، ص ٦-٩ الدورى ، تاريخ العراق الاقتصادى ، ص ١٢

الأنهار المستمدة من دجلة :(١)

شق من غرب دجلة نهراً يقال له الإسحاقي من أسفل تكريت ، ويمر في غربي دجلة ويسقي ضياعا وعمرانا ، ويمر بطيرهان ويجيء الى قصر الخليفة المعتصم بالله المعروف بقصر الجص ، ويسقي سبع ضياع التي في غربي سر من رأى (٢) ، وقد يكون الاسحاقي هو نهر الدجيل الذي يذكره الجغرافيون المتأخرون (٣)

ويخرج من شرق دجلة نهر القاطول (٤) ، يمر بجانب قصر الخليفة المتوكل على الله نحو الايتاخيه المحمدية والأجمة ، ثم الى الشاذروان ثم يمر الى المأمونية وهذه قرى عامره بالسكان كثيرة الضياع متصلة ببعضها ، ثم يمر بقرية صولى وباعقوبا ، ويسمى هناك بنهر تامرا ، ثم يمر بجسر النهروان ويعرف النهر هناك بالنهروان ، ثم يمر الى الشاذروان الأعلى ثم بجسر بوران الى عبرتا وبرزاطية ، والشاذروان الأسفل - وهذه المناطق كثيفة السكان وكثيرة الضياع متصلة ببعضها- الى أن يصب في دجلة أسفل ما ذرايا ، ويحمل منه أيضا ثلاثه أنهر من أسفل سر من رأى ، يسمى الأعلى نهر اليهودي ، والثاني يعرف بنهر المأموني الذي يشق عدة قرى وضياع ويعرف الثالث بنهر أبو الجند وهو الأسفل وهو من أكبر الأنهار الثلاثة وأعمرها شاطئا ويمر بين ضياع وقرى ويتفرع منه عدة أنهار يسقي الضياع التي على شاطيء دجلة الشرقي ، ويصب أكثرها في دجلة ثم يمر الى طفر (٥) وتتفرع من تامرا نهر يقال له الخالص ،

(١) دجله كلمه معربه على ديلد ، ولها اسمان آخران وهما آرنك روذ وكودك دريا .. ياقوت الحموى ، معجم البلدان حـ٢/ ٤٤٠ .

(٢) سهراب ، عجائب الاقاليم السبعة ص ١٢٧ .

(٣) ستريك ، خطط بغداد ص ٥١ .

(٤) القاطول : اسم نهر كان مقطوعا من دجلة ، وهو نهر كان في موضع سامراء قبل أن تعمر ، وكان الرشيد أول من حفر هذا النهر وبنى على فوهته قصرا اسماه ابا الجند لكثرة ما كان يسقي من الأراضي ، وجعله لأرزاق جنده وهو يصب في النهروان ، الحموى ، معجم البلدان حـ ٤/ ٢٩٧ .

(٥) سهراب ، عجائب الأقاليم ص ١٢٨ .

سمي نسبة إلى عيسى بن على بن عبد الله بن عباس عم الخليفة المنصور ، ومخرجه تحت الأنبار ، تحت قنطرة دمما ، يسقى طسوج فيروز سابور ، ويمر بقرى وضياع على جانبيه فاذا جاء الى المحول تتفرع منه أنهار تدخل بغداد[١] ، وفي ايام نقص مياه نهر الفرات ينقطع جريان نهر عيسى ، وتسقى البساتين التي عليه بالدواليب من مستنقعات يتبقى في النهر[٢] ويتفرع من نهر عيسى نهر الصراة فوق المحول ، فيسقى ضياع بادوريا وبساتينها ، ويتفرع منه عدة أنهار الى أن يصل بغداد[٣] .

ويستمد من الفرات نهر صرصر ، وهو نهر كبير ذوب[٤] يسقى منه بالدوالي والشواديف[٥] ، ومخرجه أسفل نهر عيسى ، ويسقى سواد العراق بين بغداد والكوفة ويعود ليصب في دجلة ،[٦] أما نهر الملك فهو نهر كبير أسفل نهر صرصر ، ويسقى ضياعا كثيره وتتفرع منه أنهار كثيرة[٧] ويستمد من الفرات نهر كوثى الذى يسقى ضياعا كثيرة ، وتتفرع منه أنهار تسقى طسوج كوثى وبعض نهر جوبر حتى يصب في دجلة ، ويتفرع منه نهران بعد تجاوزه الفرات بستة فراسخ ، يمر أحدهما إلى جنوب الكوفة حتى يصب في البطائح ويمر الآخر بإزاء قصر ابن هبيرة فيعرف بنهر سوار ، ويتفرع من نهر سوار بعد أن يتجاوز

---

(١) سهراب ، الأقاليم السبعه ص١٢٣ ، الخطيب ، تاريخ بغداد ، حـ١/١١٢، ابن الجوزى مناقب بغداد ص ١٨ .
(٢) أبو الفداء ، تقويم البلدان ص ٥٢ .
(٣) الخطيب ، تاريخ بغداد ، حـ١/ ١١٢ .
(٤) الأذيب ، الماء الكثير، لسان العرب حـ١/ ٣٨٣ .
(٥) سهراب ، الأقاليم السبعه، ص١٢٤ .
(٦) أبو الفداء ، تقويم البلدان، ص ٥٢ - ٥٣ .
(٧) سهراب ، الأقاليم السبعه، ص١٢٤ ، أبو الفداء ، تقويم البلدان، ص ٥٣ .

بابل عدة أنهار ويتجه عموده الى مدينة النيل ويسمى بعد مدينة النيل بنهر الصراة الكبير.(١)

هذه أكثر الأنهار شهره ، وقد وجد الباحث صعوبة في دراسة مجرى الأنهار في منطقة السواد لداخلها من جهة ، ولاختلاف الجغرافيين في ذكر مسار الأنهر وتغير أسمائها ، الا أن الهدف من ذكر هذه الأنهار أن مياه الري كانت تغطي مناطق شاسعة من الأراضي الزراعية ، ويورد خرداذبه قائمة حصر فيها طساسيج السواد ورساتيقها والتي أعتمدت على مياه دجله والفراع والانهار المستمدة فيها ، ورتبها على حسب الطسوج وما لها من الرساتيق ومقدار خراج الطسوج وهي كما يلي :-

---

(١) سهراب،الأقاليم السبعه،ص ١٢٤ - ١٢٥ - أبو الفداء ، تقويم البلدان،ص ٥٣ الاصطخري ، المسالك والممالك،ص ٥٩ ، ستريك،خطط بغداد،ص ٤٨ - ٤٩ .

(١) الجانب الغربى سقى الفرات ودجيـل

اسم الطسوج	عدد الرستاق	البيادر	الخراج - باكر: حنطه	الخراج - باكر: شعير	قيمة العشر بالدرهم
الانبار	٥	٢٥٠	٢٢٠٠	١٤٠٠	١٥٠ر٠٠٠
قطربل	١٠	٢٢٠	١٠٠٠	١٠٠٠	٣٠٠ر٠٠٠
مسكن	٦	١٥٠	٣٠٠٠	١٠٠٠	١٥٠ ٠٠٠
بادوريا	١٤	٤٢٠	٣٥٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠ ٠٠٠
بهر سير	١٠	٢٤٠	١٩٠٠	١٧٠٠	١٥٠ ٠٠٠
الرومقان	١٠	٢٤٠	٣٣٠٠	٣٠٥٠	٢٥٠ ٠٠٠
كوثى	٩	٢١٠	٣٠٠٠	١٠٠٠	١٥٠ ٠٠٠
نهر درقيط	٨	١٢٥	١٠٠٠	١٠٠٠	٢٠٠ ٠٠٠
نهر جوبر	١٠	٢٢٧	١٧٠٠	٦٠٠٠	١٥٠ ٠٠٠
كوهالزواوى-٣طسابج	١٢	٢٤٤	١٤٠٠	٧٠٠٠	٢٥٠ ٠٠٠
بابل وخطرنيه	١٦	٣٧٨	٣٠٠٠	٥٠٠٠	٣٥٠ ٠٠٠
الفلوجه العليا	١٥	٢٤٠	٥٠٠	٥٠٠	٧٠ ٠٠٠
الفلوجه السفلى	٦	٧٢	١٠٠٠	٣٠٠٠	٢٨٠ ٠٠٠
النهرين	٣	١٨١	٣٠٠	٤٠٠	٤٥ ٠٠٠
عين التمر	٣	١٤	٣٠٠	٤٠٠	٤٥ ٠٠٠
البحبه والبداة	٨	٧١	١٢٠٠	١٦٠٠	١٥٠ ٠٠٠
سوار وبربيسما	١٠	٢٦٥	٧٠٠	٢٤٠٠+الارز	١٠٠ ٠٠٠
باروسماونهر الملك	١٠	٦٦٤	١٥٠٠	٤٥٠٠	٢٥٠ ٠٠٠
السيبين والوقوف	*	-	٥٠٠	٥٥٠٠	١٥٠ ٠٠٠
فرات بادقلى	١٦	٢٧١	١٠٠٠	٢٥٠٠+الارز	٩٠٠ ٠٠٠
السيلحين	٢	٣٤	١٠٠٠	١٧٠٠	١٤٠ ٠٠٠
روذمستان وهرمزجرد	-	-	٥٠٠	٥٠٠	١٠ ٠٠٠
تستر	٧	١٧٣	١٢٥٠	١٠٠٠+الارز	٣٠٠ ٠٠٠
ايغار يقطين	*	-	-		٢٠٤ ٠٠٠

* ضياع جمعت من عدة طساسيج وصيرت ضيعة واحدة ، خرداذبه ، المسالك،ص١١

* ايغار يقطن من عدة طساسيج ، خرداذيه ص١١ ، ثم صار ذلك الى السلطات فنسب الى يقطين ، ابن قدامه ، الخراج،ص ١٧٠ .

(٢) الجانب الشرقي سقي دجله وتامرا :ـ

اسم الطـــوسج	عدد الرستاق	عدد البيادر	الخراج - باكـــــر حنطـــه	شعيـــر	العشر بالدراهم
برز حسـابور	٩	٢٦٣	٢٥٠٠	٢٢٠٠	٣٠٠ ٠٠٠
الراذانين	١٦	٣٦٢	٤٨٠٠	٤٨٠٠	١٢٠ ٠٠٠
نهر بون	-	-	٢٠٠	١٠٠٠	١٠٠ ٠٠٠
كلواذى ونهربين	٣	٣٤	١٦٠٠	١٥٠٠	٣٣٠ ٠٠٠
جازروالمدينة العتيقة	٧	١١٦	١٠٠٠	١٥٠٠	١٤٠ ٠٠٠
روستقيـاذ	-	-	١٠٠٠	١٤٠٠+دخن	١٧٠ ٠٠٠
مهروذ وسلسل	-	-	٢٠٠٠	٢٥٠٠	٢٥٠ ٠٠٠
جلولا وجللتا	٥	٧٦	١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠ ٠٠٠
الذيبين	٤	٢٣٠	٧٠٠	١٣٠٠	٤٠ ٠٠٠
الدسكرة والرستاقين	٧	٤٤	٢٠٠٠	٢٠٠٠	٧٠٠٠٠
براز الروز	٧	٨٦	٣٠٠٠	٥٥٠٠	١٢٠ ٠٠٠
البندنيجين	٥	٥٤	٦٠٠	٥٠٠	١٠٠ ٠٠٠
النهروانات	٢١	٣٨٠	-	-	-
النهروان الاعلى	-	-	٢٧٠٠	١٨٠٠	٣٥٠ ٠٠٠
« « الاوسط	-	-	١٠٠٠	٥٠٠	١٠٠ ٠٠٠
« الاسفل	-	-	١٠٠٠	١٢٠٠	١٥٠ ٠٠٠
بادرايا وباكسايا	٧	٢٠٧	٤٧٠٠	٥٠٠٠	٣٣٠ ٠٠٠
كوره استان شاذ فيروز وهي	حلوان	-	-	-	*١٨٠٠٠٠

* كـوره استان شاذ فيروز وهى حلوان ، وظيفة حلوان مـع الجابارقه والاكراد

نستخلص من هذا الجدول

أن منطقة السواد يعتمد في ريها على نهرى دجلة والفرات ومن هذين النهرين شقت جداول كثيرة لتروى المناطق البعيدة عن شاطئيها ، وقد قسمت هذه المناطق إداريا إلى وحدات كبيرة ، ثم الى وحدات صغيرة ليسهل جباية الخراج منها فالطسوج قسم الى عدة رساتيق ، وتضم هذه الرساتيق عدد كبير نسبيا من البيادر[1] وهذا يدل على الانتاج الوفير الذى ترتب على توافر المياه .

وكانت البيادر هى الأماكن التى يوضع فيها الخراج من المواد الزراعية الخاصة للدولة ، وهدف من كثيرة أعداها سهولة توصيل هذه الغلة إلى أماكن آمنه لحفظها من الضياع والتلف ، وتوحى هذه الكثرة أيضا بانتعاش النشاط الزراعى نتيجة الخدمات ، وليس هناك ارتباط نسبيا بين عدد الرساتيق وبين البيادره ولا علاقة نسبية بين عدد البيادر وارتفاع الخراج ، مما يوضح أن العباسيين أخذوا فى الاعتبار عند المقاسمة مدى كلفة الزراعة ونظام الرى والبعد عن مراكز البيادر .

إن معظم أراضى السواد كانت عشرية ، وحدد خراج الغلة بالكر كوحدة وزن ، والثمن بالدرهم ليسهل على المزارع دفع خراجه عينا أو ما يعادلها ثمناً .

إلا أن الباحث لم يجد أن هناك علاقة نسبية بين الخراج العينى من الحنطة والشعير ، وبين قيمتها بالدراهم ، والمرجح أن ذلك يرجع الى مدى جودة المحصول ، وكان المحصول الرئيسى للسواد فى المقام الأول الحنطة ويليه الشعير ثم الأرز وآخرها الدخن .

---

(١) البيدر : الموضع الذى يداس فيه القمح والشعير معرب باى در ومعناه الرجل الساحقه الدائسة ، ويحتمل أن يكون معربا عن السريان - السيدادى شير ، الألفاظ الفارسية المعربة ، ص ٣٢ .

ثالثا : الأمطار وأثرها في توفر مياه الري :

أما الأمطار فكانت مهمة للزراعة في بعض مناطق الجزيرة ، وكان موسمهــــــا بين تشرين الأول ونيسان ، ويذكر الجاحظ أن حقولا في البراري وعلى سفـــــوح الجبال كانت تعتمد على مياه الأمطار ، وتغل غلة كبيرة [(١)] وكان لنصيبين حقول واسعة ترويها مياه الأمطار [(٢)]

كما استعانوا بمياه العيون في الري ، وذلك في منطقة الجزيرة فـــــفي مدينة رأس العيـــــــن ثلثمائة وسبعون عينا للماء يستفاد منها فـــي ري البساتين [(٣)]

واتبع سكان العراق طريقة المناوبة في الزراعة ، فكانوا يزرعون نصـــــف الأرض ويترك الثاني دون زرع [(٤)] والمرجح أن هذه الطريقة من الأسباب التـــي جعلت خلفاء بني العباسي يعيدون النظر في نظام الخراج ، والتحول من نظـام المساحة إلى المقاسمة في عهد المهدي ٠

وسائل الـــري:

أشرفت الخلافه العباسية على توزيع المياه ، وكانت مسؤولة بالدرجـــــة الأولى عن إنشاء القنوات والسدود وصيانتها ، وجندت لهذا الغرض عددا كبيرا من العمال والمهندسين ، والمراقبين للتنبيه عن حدوث أي بثق [(٥)]

(١) الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص٥٣
(٢) الاصطخري ، المسالك ص ٥٢
(٣) الاصطخري ، المسالك ، ص ٥٣
(٤) الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٥٣
(٥) حسام السامرائي ، في الاقتصادالزراعي للدولة العباسية ، ص ٣٦٣
الجاحظ ، التبصرة بالتجار ص ٢٤٥

وكانت المزارع تسقى سيحا ، أو بواسطة الآلات الرافعة ، وأكثر هـذه الآلات شيوعا هى الدالية والناعورة ، والدولاب ، وهى الآلات التى كانت تستعمل فى رى الأراضى العالية [١] فكانت النواعير تستعمل فى منطقة النهـروان [٢] والدواليب تستعمل فى الجانب الغربى من بغداد لرى الحدائق [٣] وكذلك المنطقة الواقعة بين بغداد والأنبار حيث كان الأهالى أحيانا يستعملون الجمال لتدويرها [٤]

أما فى منطقة البصرة فقد اتبع نظام خاص للرى ، فقد ربطت المنطقـة بشبكة من القنوات تأخذ ماءها نتيجة دفع مياه المد التى تدخلها مرتين كـل يوم ، فتروى الحقول والبساتين بصورة ميكانيكية [٥] بحيث تسقى المناطق العاليـة كل يوم من بداية الشهر ثم تقل يوما بعد يوم حتى منتصف الشهر لتعـود قوة دفع المد كما كانت فى بداية الشهر [٦]

نتج عن أهتمام العباسيين بالرى للمناطق الزراعية وفرة فى المحاصيـل الزراعية الرئيسية مثل الحنطة والشعير والأرز ، والتمر ٠٠ وغيره ، وحـددوا الخراج على هذه المحاصيل بما يناسب طريقة الرى فكلما زادت نفقات أو وقفـت عقبات فى توصيل المياه الى الأرض قلت نسبة الخراج ، حتى لا يضطر المـزارع الى ترك أرضـه ٠

(١) السـيح: ما علا ظهر الأرض من الماء يسقى من غير آلة من دولاب أو دالية وغيره ، الخوارزمى، مفاتيح العلوم ، ص ٤٦ ٠
الدالية : هى دولاب يديره ثور أو بقرة ، والناعورة هى دولاب يديره تيـار النهر ، أما الدولاب فكان أكثر الثلاثة تعقيدا يديره حصان أو ثور ٠ الدورى ، تاريخ العراق ، ص ٥١ ٠
(٢) ابن رسته ، الاعلاق النفيسه ص ١٦٣ ٠
(٣) ابن الجوزى ، مناقب بغداد ، ص ٢٦ ٠
(٤) الدورى ، تاريخ العراق ، ص ٥١ ٠
(٥) المقدسى أحسن التقاسيم ص ١٢٤ - ١٢٥ - ياقوت معجم البلدان حـ١/٤٣٩
(٦) ياقوت معجم البلدان حـ١/٤٣٩ ٠

الفصل الثاني

سياسة الخلفاء العباسيين الاقتصادية

أولاً   الصرف والادخار .

ثانياً   النظر في شئون الدولة .

ثالثاً   الحفاظ على ملكية الارض .

رابعاً   إصلاح تقديرات الضريبة .

خامساً   محاسبة العمال والولاه .

أدرك خلفاء بنى العباس العلاقة الوثيقة بين الضرائب التى تجبى وبين دخل بيت المال ، فعمل كل خليفة على تحسين موارد الدخل وخاصة الزراعة كقاعدة لزيادة ايرادات بيت المال للتمكن من مواجهة نفقات الدولة فاهتموا بالري،وهو أمر لاغنى عنه للمزارعين ، وهذا ما تطرق اليه الباحث فى الفصل الأول ، واتخذوا سبلا عدة للحفاظ على الأموال ونظروا فى شؤون الدولة وحاسبوا العمال وخففوا الضرائب المفروضة على المواطنين ٠

وقد ساعد على ذلك ما قام به أبوسلمة الخلال [1] منذ فجر الخلافة العباسية فوضع أساس الادارة وساعده فى ذلك انتظام الشئون الادارية فى عصر الخلافة الأموية فسار على منوالها فولى العمال الدواوين ، وجبى الخراج ، وما أن اعتلى السفاح على عرش الخلافة حتى كانت بيوت الأموال ممتلئه [2] ، ومن اتجاهات الخلفاء الاقتصادية :

<u>أولا</u>: <u>الصرف والادخار :</u>

عرف أبو العباس بالكرم فأغدق الأموال فى تجهيز الجند كما أغدق على بنى العباس وآل على وساعده على ذلك ما صودر من أملاك بنى أمية فاستحدث ديوانا خاصا عرف بديوان الضياع ، وقلده لعمارة بن حمزة [3] ٠

---

(١) الخلال : هو أحمد بن سليمان الخلال تولى الوزارة لابى العباس السفاح ستة أشهر ، وقيل أربعة أشهر ، وسمى خلالا لأنه كان يجلس عند الخلالين ومنزله قريبا منهم ، وكان من مياسير أهل الكوفة ينفق من ماله على رجال الدعوة العباسية ، الجهشيارى الوزراء ص ٨٦ العسكرى ، الاوائل ص ٣٤٦ ،إبن طباطبا الفخرى في الاحكام السلطانية ص ١٣٦ ٠

(٢) مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص ٣٧٧ ، كرد على الادارة الاسلامية ، ص ١٢٢ ٠

(٣) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٩٠ ٠

لم يظهر السفاح أي اهتمام بجمع المال ، ولم تذكر المصادر أنه اتبع سياسة معينة للتنمية بل أنه اعتبر المال وسيلة لتوطيد أركان الدولة ، كما أنه وسيلة تمكن صاحبها من الانقضاض على الدولة وتهديد أمنها وسلامتها لذا نقض الأمان الذى أعطاه لأبن هبيرة (١) واستولى على ما في بيوت أمواله بواسط ، وقد قدرت بثلاثة ملايين درهم عدا الطعام والسلاح (٢)

ومنذ تولى أبى جعفر المنصور الخلافة نظر للمال على أنه أساس الملك وخاف من سيطرت أبى مسلم الخراسانى على أموال خراسان فسعى الى قتله ، وإتبع سياسة الأدخار فاستحوذ على ما تركه سلفه وأخوه أبو العباس السفاح في بيت المال ، ولم يعد الناس بالعطاء واعتبر نفسه قفلا على بيت المال ، وجعل أساس العطاء الولاء للدولة ، ومدى خدمتها حتى طبق ذلك على أعمامه (٣).

وقد وصفته المصادر بجميع الصفات ومنها الشجاعة والبخل وحبه لجمع المال ، والكرم في المواقف (٤) وتعرض هذا الشح لنقد الفقهاء (٥) .

---

(١) ابن هبيرة : الامير ابو خالد يزيد بن عمر بن هبيره الفزارى تولى العراق فى خلافه مروان بن محمد ، كان سخيا جوادا خطيبا ، ولد عام سبع وثمانين وكان رزقه فى العام ستمائة الف كان يقسمها في خواصه وفى العلماء ، كان أبوجعفر قد أمنه ثم قتله فى ذى القعدة عام ١٣٢هـ بايعاز من ابى العباس السفاح ، الذهبى ، تاريخ الاسلام ، حـ٥/٣١٥ .

(٢) الذهبى ، تاريخ الاسلام ، حـ٥/٢٠٧ ، الدينورى ، الاخبار الطوال ، ص ٣٧٣ . عبد السلام رستم ، ابو جعفر ص ٢٩ .

(٣) شذرات الذهب حـ١/٢٤٤ ، ابن الاثير حـ٤/ ٣٤٨ ، الذهبى ، تاريخ الاسلام جـ ٥/ ٢١٤ .

(٤) ابن قتيبه ، عيون الاخبار حـ٢/٢٥١ ، السيوطى ، تاريخ الخلفاء صـ٢٦٣ ، تاريخ الخميس حـ٢/٣٢٤ .

(٥) الدميرى، حياه الحيوان حـ١/١٠٦ ، ابن دقماق ، الجوهر الثمين حـ١/١١٧ ابن دحيه ، النبراس فى تاريخ بنى العباس ص ٢٥ .

وللمنصور ايديولوجية ومأثورات تدل على سياسة اقتصادية فريدة في عصره ، فقد منع بيع القراطيس التي تستورد من مصر خوفا من قيام ثورة فترتفع أسعارها [1] وكان يقول : " من قل ماله قل رجاله ، ومن قل رجاله قوى عليه عدوه ومن قوى عليه عدوه اتضع ملكه ، ومن اتضع ملكه استبيح حماه " [2]

ويتضح من وصيته لأبنه المهدى أهمية سياسته المالية فذكر له أن المال أساس الملك فيه تجهيز الجيوش ويحفظ مصالح الدولة داخلها وخارجها ، وحذره من التبذير وحثه على اساءة الظن بعماله وكتابه وأن لا يترك لهم حرية التصرف ، ومحاسبتهم، وبعمارة البلاد وتخفيف الخراج ... [3]

ولم ينظر باقي خلفاء بني العباس نفس نظرة المنصور لأهمية المال فالمهدي بسط يده وأسرف حتى ذهب جميع ما خلفه المنصور وما جباه ، وبعث اليه متولى ببيت المال ابى حارثة النهرى بمفاتيح بيت المال بعد فراغ ما كان فيها ، فأسرع المهدى بارسال عمال الخراج لجباية الأموال [4] ، فكان المهدى يتفاخر عند انتقاده بكثرة عطائه واسرافه واعتبر ذلك كرما [5]

واقتدى الهادى بسياسة المهدى في الاشراف ، أما الرشيد فقد نهج نهجا قويماً وجعل شعاره وخير الأمور الوسط " فلم يبسط يده كل البسط ولم يغلها الي عنقه ، حتي سميت أيامه " أيام العروس " [6]

(١) الجهشياري ، الوزراء ، ص ١٣٨ ، الريس ، الخراج ، ص ٣٩٧ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ، حـ٣٨٧/٢، محمد كرد على الادارة الاسلامية ، ص١٢٤ ، الريس الخراج ص ٤٠٠

(٣) ابن الأثير ، الكامل جـ٤٢/٥ـ٤٤، النويرى ، نهاية الارب حـ١٠٣/٢٢ـ١٠٥، العصامى سمط النجوم حـ٢٦١/٣، تاريخ اليعقوبي حـ٣٩٣/٢ .

(٤) المسعودى ، مروج الذهب حـ٣٢٢/٣، الدميرى ، حياة الحيوان حـ١٠٧/١ ، الريس الخراج ص ٤١٥ .

(٥) الجهشارى ، الوزراء ، ١٥٩ ، إبن الأثير ، الكامل حـ٦٨/٥ .

(٦) سمط النجوم حـ٢٧٤/٣ ، كرد على الادارة الاسلامية ص١٣٧ ، الريس الخراج ص ٤١٨ .

وخالف محمد الأمين سياسة أبيه الحكيمة فأنغمس في الخلاعة والمجون ، وقرب إليه أصحاب الملاهى ، وقسم عليهم الأموال والجواهر ، وأنفق الأموال التى آلت اليه بالوراثة [(١)] وأفرغ خزائن بيت المال حتى قيل أن ما جمعه السفاح والمنصور والمهدى والرشيد من الأموال أنفقه الأمين [(٢)].

ووصفت أيام المتوكل بالهدوء فاستطاع جبابه اقليم المشرق والمغرب [(٣)] ومن هذا الاستقرار أحيا سيرة الأمين فى الاسراف ، حتى قيل عنه أن ما جمعه المأمون والمعتصم والواثق فرقه المتوكل [(٤)] فقيل أنه أنفق فى جلسة واحده خمسين ألف دينار [(٥)]

ثانيا : النظر فى شئون الدولة :

اعتنى المنصور بالحالة الاقتصادية على أنها أساس الاستقرار فقسم يومه للنظر فى شئون الدولة ، فكان شغله فى صدر نهاره بالأمر والنهى والولايات والعزل وشحن الثغور والأطراف وتأمين الطرق ، والنظر فى النفقات ومصالح الرعية ، وفي العشاء ينظر فيما ورد عليه من الكتب ، وكان ولاة البريد يكتبون اليه كل يوم تقريرا عن أسعار المواد الغذائية وما حكم به القضاة فى نواحيهم ، وما يرد الى بيت المال ، وبعد المغرب يتفقد حالة الأسعار ويبحث فى أسباب ارتفاعها [(٦)].

(١) القلقشندى ، مآثر الاناقه حـ١/٢٠٥ إبن الساعى ، مختصر اخبار الخلفاء صـ ٢٥ .
(٢) الثعالبى ، لطائف المعارف صـ ١١٨ القلقشندى ، مآثر الاناقة حـ٣/٢٧٠
(٣) العمرانى ، الانباء فى تاريخ الخلفاء ، صـ١١٧ .
(٤) الثعالبى لطائف المعارف ، صـ١١٨ .
(٥) التنوخى ، نشوار المحاضره حـ١/٣٠٢ .
(٦) ابن الاثير حـ٥/٤٧ الاربلى ، الذهب المسبوك صـ٦١ ، ٦٢ - كرد على الادارة الاسلامية صـ١٢٥

ونتيجة هذا الاهتمام رخصت المواد الغذائية فى عهد المنصور[1]. وأحبط محاولة وزيره أبى أيوب فى احتكار المواد الغذائية ، بعد أن اشترى منتجات سواد الكوفة والبصرة طمعا فى الربح[2].

تابع المهدى سياسة العدل والانصاف حتى وصفه المؤرخون بقولهم:" كان حليما جوادا فصيحا سلك مع الناس سيرة مرضيه ، فقد أراح الناس من تعب الظلم والجور والاعتساف ، لما أضاف الى ذلك من الحلم والجود والانصاف حتى اطمأن له العباد والبلاد وكانت أيامه كالأعياد"[3]

وتنازل المهدى عن المتأخرات وكسور الخراج التى بلغت اثنى عشر مليون درهم للفلاحين.[4] ويحاسب التجار الذين التزموا ببيع نصيب الدولة من غلة الخراج ، فكان رحيما بهم عند خسارتهم[5].

ونظم الرشيد وقته للنظر فى شئون الدولة ويذكر ابن قتيبه بأن الرشيد " كان قد قسم الأيام والليالى على سبع ليال ، ليلة للوزراء ، يذاكرهم أمور الناس ويشاورهم فى المهم ، وليلة للكتاب يحمل عليهم الدواوين ويحاسبهم عما لزم من أموال المسلمين ، ويرتب لهم ما ظهرمن صلاح أمور المسلمين ، وليلة للقواد وأمراء الأجناد يذاكرهم أمر الأمصارويسألهم عن الأجناد ، ويوقفهم

---

(١) الطبرى ج٧/٥٠٨ .

(٢) الجهشيارى،ص ١١٧ ، ص ١٢٠، ص ١٢١

(٣) سمط النجوم،ج٣/ ٢٦٥

(٤) الخربوطلى ، المهدى، ص٧٣ احمد يونس ، تطور انظمة الاستثمار ، ص ٧٣ .

(٥) الخطيب ، تاريخ بغداد ، ج ٩/ ٢٥٦ .

على ما يتبين له من صلاح الكور وسد الثغور ، وليلة للعلماء والفقهاء يذاكرهم العلم ويدارسهم الفقه ، وليلة للقراء والعباد يتصفح وجوههم ويتعظ برؤيتهم ، ويستمع لمواعظهم وليلة لنسائه وأهله وليلة يخلو فيهابنفسه"(١)

وسعى الرشيد لتوفير الرخاء الاقتصادى فعزم على توصيل بحر الروم ببحر الفلزم إلا أنه خاف هجمات الروم (٢)

واعتنى المأمون بمصالح الأهالى والمزارعين ، فكان سخيا ولم يحمل المزارعين نفقات اصلاح أى كسر لضفاف الأنهار والسدود وجعلها على بيت المال فقد أنكسر سد فى الأهواز وخربت العماره أنفق والى المدينة الفضل من مروان مائة ألف دينار فى إصلاحه ، وكان خراج الأهواز اذ ذاك أربعة وعشرين مليون درهم (٣)

وتبنى المعتصم سياسة عمرانية لتنشيط الاقتصاد ، فكان يقول : " أن فيها أمور محموده ، فأولها عمران الأرض التى يحيا بها العالم ، وعليها يزكو الخراج وتكثر الأموال ، وتعيش البهائم وترخص الأسعار ويكثر الكسب ، ويتسع المعاش "

ويقول لوزيره محمد بن عبد الملك الزيات : " إذا وجدت موضعا متى انفقت فيه عشرة دراهم جاءت بعد سنة إحدى عشره درهما فلا تؤامرنى فيه " وأعط أهل الشاس مليون درهم لحفر نهر لهم (٤).

(١) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة، حـ٢/١٥٦

(٢) سمط النجوم، حـ٣/٢٩٨

(٣) التنوخى، نشوار المحاضره ، حـ٨/٥٠

(٤) المسعودى، مروج الذهب حـ٤/٤٧ كرد على ، الادارة الاسلامية ، ص ١٦٦

وتابع الواثق النظر فى شئون الدولة ، وقد تمتع الأفراد فى خلافته بالأطمئنان ، ووصف العمرانى عهد الخليفة المتوكل على الله بقوله :" كان زمانه صافيا وأيامه لحسنها أعيادا ".

لذا تمكن خلفاء بنى العباس تذليل مشاكل المزارعين وحل المنازعات التى قد تحصل حول الأراضى الزراعية ومياه الرى ، وصيانة السدود ، وحفر القنوات سواء تحت اشرافهم مباشرة أو تحت اشراف وزرائهم وباشراف ديوان الخراج .

ثالثا :الحفاظ على ملكية الأرض :

على الرغم من القيود الشرعية المفروضة على ملكية الأراضى الخراجية التى تمنع من أنتقالها الى أصناف أخرى فان بعض الأراضى الخراجية انتقلت الى أراضى عشرية من بعد الخلافة الراشدة ، سواء بأمر الخليفة صاحب الاختصاص أو عن طريق البيع وغيره .

فخلفاء بنى العباس عملوا على إعادة هذه الأراضى إلى أصلها وعدم السماح بتحويلها الى عشرية ، والتى هى بحكم الوقف ملك مشترك ، فحرص المنصور على منع تحويل الأراضى الى عشرية ، وعمل على أرجاع الأراضى الخراجية إلى أصلها بعد أن تعرف الأمويون فيها بالبيع والهبة ...

فقد رفع إليه بأن معظم الأراضى الخراجية أصبحت عشرية مما أضر بالخراج وكسره ، فبعث المعدلين[1] الى الشام "١٤١هـ -٧٥٨م" فمسح عبدالله بن يزيد حمص

(١) معنى التعديل اعادة النظر فى مقادير الضرائب " الوظائف " المربوطة على الكور وأمر أيضا بمنع تحويل الأراضى الخراجيه الى أرض عشرية،الريس ، الخراج ، ص ٣٨٩ .

ومسح اسماعيل بن عياش بعلبك ، وبعد فترة أرسل هضاب بن طوق ومحرز بن رزيق الى غوطة دمشق ، فقام هؤلاء بمسح الأراضي وتحديد أنواعها ، والتحقق من أصحابها ، وجعلوا العشر على الأراضي التى انتقلت الى أيدى الناس عن طريق الشراء قبل عام ١٠٠هـ -٧١٨م أما الأراضي التى انتقلت الى أيدى المسلمين بعد التاريخ المذكور والتى بيعت بايدي أصحابها الأصليون من السكان المحليين فتقرر عليها الخراج.(١)

لم يقف المنصور عند هذا التعديل ، بل فكر فى تفتيت الملكيات الكبيرة التى فى أيدى أبناء الصحابة فى الشام حين قدم عليها عام ثلاث أوأربع وخمسين ومائة إلا أنه عدل عن ذلك فى آخر الأمر(٢) حتى لا يثير غضبهم وخاصة أنهم تمتعوا بامتيازات فى عهد الخلافة الأموية .

أما المهدى فقد مارس حقه الشرعى فى التحويل ، فلم يكن متشددا كالمنصور ، فأمر بجعل بعض أراضي الفرات عشرية ، وكانت هذه الأراضي خراجية فى الأصل فتحولت تارة إلى عشرية وتارة إلى خراجية فى الخلافة الأموية ، حتى استقر الأمر بها بأن جعل نصفها خراجيا ونصفها عشريا(٣) .

وتذكر المراجع أن المأمون عنى بالأمر أيضا ، وقد أقام بدمشق سنة ٢١٤هـ ، ومسح أراضي الشام ، وعدلت بمعرفة مساحى العراق والأهواز ، الري ، فعدلت أراضي دمشق والأردن ، وحملت كل أرض ما تستحقه(٤) ، وليس

(١) ابن عساكر ، تاريخ دمشق حـ١/١٨٥وحـ٣/٤٢ الريس الخراج صـ٣٩٠، احمد يوسف، تطور أنظمة صـ ٦٥ .

(٢) ابن عساكر ، تاريخ دمشق حـ١/١٨٦

(٣) البلاذرى ، فتوح صـ ٣٧٥ .

(٤) كرد على، خطط الشام حـ٥/٦٢ وايضا الادارة العربية صـ١٦٢ الدورى، العصر العباسى الأول صـ ٢٦٦، ابن الاخوة، معالم القربة صـ ٨٨ .

واضحا إن كان هذا التعديل فى نوع الأرض أم فى تقدير نسبة الضريبة .

ويشير الطبرى إلى أن الخليفة المتوكل على الله أمر عام " ٢٤١ هـ - ٨٥٥م بتحويل جميع أراضى كورة شمشاط الى عشرية وأعطى الفلاحين وثائق رسمية تفيد انتقالها من خراجية الى عشرية (١)

ويذكر قدامة أن أراضى الثغور كانت كلها عشرية ما عدا شمشاط ، لذا جعلها الخليفة المتوكل عشرية أسوة بغيرها (٢) وهذا يسهل تعميرها على المقاتلين والمرابطين فيها على مواجهة أعدائهم بعد تراخى المتوكل عن معونتهم ماليا .

ويذكر الصابى أن المتوكل كلف أبا الحسن أحمد بن محمد بن المدبر بالخروج الى الشام لتعديل أراضيها وأجرى عليه مائتى ألف درهم (٣)

ومن هذا نلاحظ أن خلفاء بنى العباس راعوا عدم تحول الأراضى الخراجية الى نمط آخر الا فى نطاق ضيق وخاصة فى الثغور لأنها منطقة حرب دائم ولولا هذه المغريات ما استقر بها أحد .

رابعا : إصلاح تقديرات الضريبة :

أتضح اهتمام العباسيين لجباية الضرائب وتخفيضها منذ قيام الدولة ، وأكد عليه أبو العباس السفاح ، وحققه على يد خالد بن برمك حين قلده توزيع الغنائم بين الجند ، وجباية خراج ما افتتح من اقليم خراسان ، فقسط الخراج

(١) الطبرى ح٩/ ٢٠٣

(٢) قدامه ، الخراج ص ٣١٦ .

(٣) الصابى ، الهفوات النادره ، ص٩٢ .

علىالأهالي وأحسن اليهم حتى كان يقال ما أحدمن أهل خراسان إلا ولخالد عليه يد ومنه (١) .

ثم ولى ابو العباس ديوان الجند وديوان الخراج لخالد من برمك فعمل على تنظيمه ، فرتب كشوف الدواوين وجعلها فى سجلات ودفاتر بدلا من الصحف، (٢) إلا أن الخراج ظل كما كان فى العهد الأموى على المساحة ، يؤخذ نقدا ، زرعت أم لم تزرع ، مما أثار غضب دافعي الضريبة ، وقد عبر ابن المقفع فى " رسالة الصحابه " عن سوء حالة المزارعين وتطاول الجباة عليهم ، وعرض عدة مقترحات منها مسح الأراضى وتحديد مقدار خراجها لأنها غير ثابتة وغير موحدة على كل كور ، مما أفسح المجا ل للجباة لتقديرها وزيادتها فاستعملوا العنف فى جبايتها واقترح ضبط الدواوين والتدقيق فى أخبار العمال ومحاسبتهم ، (٣) غير أن المنصور اعتبر هذه المقترحات امتهان له فأمر بقتله (٤) ولكن المنصور أدرك هذا الخلل فكلف حماد التركى بتعديل السواد ، وأمره بعدم الاستعانة بأهل الذمة (٥) .

ونتج عن هذا التعديل تثبيت مقدار الخراج على كل كورة لأول مرة منذ قيام الخلافة العباسية ، ويذكر ترتون أن المنصور اتبع نظام المقاسمة فأخذ نصف خراج السواد من الحنطة والشعير بدلا من النقود (٦) .

(١) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٨٧

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٩

(٣) الخربوطلى ، رسالة الصحابة ، ص ٣٥-٣٦ الريس ، الخراج ص٣٨٨- ٣٨٩

(٤) وقيل أن سبب قتله كتاب الأمان الذى كتبه ابن المقفع لعبد الله بن على ، الاصطخرى ، المسالك ، والممالك ، ص ٨٨ ، الجهشيارى ، الوزراء ص١٠٣

(٥) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٣٤ .

(٦) ترتون ، أهل الذمة ، ص٢٥٦ ، الخربوطلى ، المهدى ، ص٧٢ .

أما الماوردى فيرجع قيام المنصور بتعديل السواد لانخفاض الأسعار وأن الغلة لم تف بخراجها[١] وعندما قام المنصور بتعديل خراج الشام صحب هذا التعديل بعض الاجحاف ، فقد فرض العمال على كل ثلاثين مديا دينارا ، وأضافوا ضريبة أخرى وهى قيمة الكتب وأتعاب الرسل فبدأوا بنصف دانق على الدينار ثم زيدت إلى دانق واستمر فى الارتفاع[٢] ويظهر أن هذه الضريبة لم تكن تؤخذ فى الشام إلا أنها كانت معروفة فى العراق فنهى عن أخذها القاضى أبو يوسف فى خلافة الرشيد .

استمرت الجباية على ما رسمه المنصور حتى أبدله المهدى بنظام المقاسمة بدلا من نظام المساحة الذى أصبح مرهقا للفلاحين[٣] وجعلت المقاسمة بحسب طريقة السقى فاذاكان سيحا أخذ النصف ، واذا سقيت بالدوالى فالمقاسمة على الثلث ، والربع على ما يسقى بالدواليب مراعيا تكاليف الرى بنسبة عكسية ، أما خراج النخيل والكروم والأشجار ، فقد قدرت قيمة المحصول نقدا ، وتقدر الضريبة بالنصف أو الثلث مع مراعاة قربها من الأسواق فى تقدير الضريبة[٤] وهذا يعنى أخذ الضريبة من الأرض المزروعة فقط[٥]

لم تكن ضريبة الخراج ثابتة ، بل تغيرت تبعا للظروف فحين ولى المهدى خالد بن برمك فارس قسط الخراج عليهم ، ووضع عنهم خراج الشجر

(١) الماوردى ، الأحكام السلطانيه ، ص ١٧٦

(٢) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ج٢/٢٩٩ ، ٣٠٠
المدى ، ستون قضية ، خطط الشام ٥/٦١

(٣) البلاذرى ، فتوح البلدان ص٢٨٠ ، قدامه ، الخراج ص٢٢٢ ابن طباطبا ، الفخرى فى الآداب السلطانية ص١٦٢ ، وأيضا :
Frede lokkegaard, islamic taxa tion, p.104.

(٤) البلاذرى ، فتوح ، ص٢٨٠ ـ الماوردى ص١٧٦ سيد أمير على ، مختصر تاريخ العرب ص٣٦٥ الغزاوى ، تاريخ الضرائب ، ص ١٠٠ .

(٥) الدورى ، مقدمة فى التاريخ الاقتصادى ، ص ٦١ .

وكان خراجها كبيراً عليهم [(١)]

وأضاف المهدى العشر على أهل السواد في أواخر خلافته نتيجة لإسرافه فجبى من أهل السواد ٦٠٪ من غلتهم [(٢)]، فكانت هذه النسبة ثقيلة عليهم علاوة على الضرائب الأخرى ، فترك بعض أصحاب الأراضي زراعة أرضه ..

أدرك الرشيد هذه المشكلة ورغب في رفع الظلم عنهم وإصلاح الضريبة على أساس الشريعة الاسلامية ، فكلف القاضي أبا يوسف بذلك فكانت مقترحاته للرشيد على النحو التالي :-

أ- أن يقاسم محصول الحنطة والشعير على الخمسين للسيح ، أما الدوالي فعلى خمس ونصف (٣٠٪) وأما غلال الصيف فعلى الربع مراعيا في ذلك مشاكل الرى وتكاليفه وطاقة أهل الخراج .

ب- تطبيق المقاسمة على الشجر المثمر ، على الثلث .

ج- واقترح إلقاء الرسوم الإضافية ، وتولى بيت المال نفقات كرى القنوات الرئيسية .

وجد الرشيد أن هذه المقترحات من شأنها إضعاف إيراد بيت المال فلم يطبق مقترحات القاضي إلا أنه ألغى العشر الذى أضيف في أواخر عهد المهدى [(٣)]:

---

(١) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٥١
(٢) ابن طباطبا ، الفخرى ص ١٧٩ الدورى ، النظم الاسلامية ص ١٦٢
(٣) ابن الأثير، جـ٥/٨٦

وليس هناك ذكر بأن الرشيد خفض خراج كور إلا في فلسطين بعد أن تدهورت منطقة واسعة حين ترك الفلاحون أراضيهم نتيجة ثقل الضريبة ، فكلف الرشيد هرثمة بن أعين بالتفاوض مع مزارعيها وتخفيف الخراج عليهم للعودة الى أراضيهم فاستجابوا له ، وعرفوا بأصحاب التخافيف ، ثم تلاهم قوم منهم إلا أن هرثمة لم يخفف من الخراج ، وسمح لهم أن يرجعوا الى أراضيهم عرف هؤلاء بأصحاب الردود (١) ، إلا أنه خفض خراج أهل الثغور فيقزوين ليتمكنوا من الدفاع عن بلادهم وصد هجمات الديلم ، فجعل خراجهم مقاطعة (٢) في كل سنة عشره آلاف درهم (٣)

أما المأمون فقد تبنى سياسة تخفيف الضرائب ، ويمكن القول بأنها كانت حركة سياسة هدف بها حماية ملكه على الحدود الشرقية وفي الداخل فوادع ملك التيت وملك الترك وترك لهم خراج ما تحت أمرتهم (٤) وألغى ربع خراج خراسان فكسب مودة أهلها حتى قالوا " أبن أختنا وابن عم نبينا " (٥)

وحين عزم على الاقامه ببغداد ، وفي طريقه لاحظ طاقه المدن والقرى الاقتصادية فلم يستطع أن يعسكر في مرو لقلة مواردها (٦) وأسقط عن خراج

(١) البلاذري، فتوح البلدان ص ١٥١ ، كرد علي ، خطط الشام ، حـ٥/٦٢
(٢) المقاطعة : من طرق استيفاء الخراج ، وتتلخص في منح أحد الأعيان امتيازاً - ولمدة طويلة من الزمن يؤدي بموجبه للدولة مبلغا متفقا عليه ومحدداً تحديدا ثابتا، كاهن، تاريخ العرب ، الشعوب الاسلامية ، ص ٩٢ .
(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٣١ ، القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ص ٤٣٥ ، ابن الفقيه ، البلدان ص ٨٢ ٢ .
(٤) تاريخ ابن خلدون ، حـ٥/٤٩٤
(٥) الطبري حـ٨/٣٧٢، العقد الفريد حـ١/٨٧ ، تاريخ بن خلدون حـ٥/٤٩٢ ، مجهول ، العيون والحدائق ، ص ٣٢١ .
(٦) المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ٢٩٩ .

الري مليوني درهم ، وهذا المبلغ الذى أضافه المنصور عليهم بعد ثورة سنباذ [١] وما أن استقر ببغداد حتى أمر بمقاسمة أهل السواد على الخمسين ، وكانوا على النصف من عهد الرشيد [٢] .

ويرجع بعض المؤرخين التخفيف الأخير الى أنه حركة سياسية لكسب مودة أهل بغداد من بعد الاضطرابات [٣] بينما يعللها آخرون بأن المأمون وجد أن المقاسمة على النصف ثقيلة على الرعية ، ورأى بيوت الأموال عامرة فعمد الى التخفيف [٤] .

ومع رجاحة عقل المأمون فانه كاد يقع فى خطأ مؤثر على بيت المال حين أستحسن مقاطعة الخراج على ولاته فى السواد ، فجمع العمال وقبلهم أعمال السواد واحتاط فى العقود ، فلما فرغ قام إليه بعض قضاته وأنكروا عليه ذلك ورأوا أن تقبيل الأعمال مؤد إلى تحكم العمال ، وتحكمهم يسبب الخراب فامتنع المأمون وعدل عن رأيه [٥] وأتضح له ذلك عمليا حتى امتنع وال السند عن إرسال الخراج الذى أقطع عليه [٦]

أدرك المأمون فعالية تخفيف الخراج عن الرعية ، وأن ثقلها والتشدد فى أخذها مصدر كل الاضطرابات فاستجاب لأهل الموصل ، وألغى قرار أخذ

(١) البلاذري ، فتوح ص٣٢٨ ، مسكويه ، تجارب الأمم ، حـ٦/٤٤٤ ، الطبرى حـ٨/٥٦٨ ، قدامه ، الخراج ص ٣٧٦ .

(٢) الطبرى حـ٨/٥٧٦، ابن الاثير حـ٥/١٩٦ ، ابن طباطبا، الفخري، ص١٩٨ العيون والحدائق ، ص٣٥٩ .

(٣) الدوري ، النظم الاسلامية ، ص ١٦٥ ، العصر العباسى الأول ص ٢٦٦

(٤) جرجي زيدان ، التمدن حـ٢٧١/١

(٥) الماوردى ، تسهيل النظر ص ٢٤١ .

(٦) طيفور ، بغداد، ص١٣٠ ، الطبرى حـ٨/٦٢٠ ، ابن الأثير حـ٥/٢١٦

الخراج فى وقت الاستفتاح وجعلها خلال السنة بعد أن اشتكى أهلها من عجزهم عن الوفاء بها [١] .

وبعث عام ٢١٠هـ-٨٢٥م عبد الله بن طاهر لتهدئة الشام وبسط الأمان والنظر في مصالح البلدان ، وخول اليه تخفيف الخراج عليهم [٢] ، وأوصى عماله في الشام عام ٢١٨هـ -٨٣٣م بحسن السيرة وتخفيف المؤونة وكف الأذى عنهم [٣] .

كان هدف المأمون رفع معاناة الفلاحين من الضرائب إلا أنه رفض طلب من استغل ذلك ، فقذ طمع أهالي قم برفع جزء من خراجهم أسوة بالرى ، وكاتبوا الخليفة الذى رفض طلبهم ، فامتنعوا عن أداء الخراج ، فندب اليهم المأمون قوه عسكرية بقيادة على بن هشام وعجيف بن عنبسة فهدما سور المدينة ، وجبيا من أهلها سبعة ملايين درهم بعد أن كانوا يتظلمون من مليونى درهم [٤] .

واتبع الخليفة الواثق سياسة المأمون ، فخفف خراج الكرخ [٥] ، وأبطل عام ٢٣٢هـ - ٨٤٦م أعشار السفن وكان مورداً عظيما لبيت المال [٦] ، واستجاب الخليفة المتوكل على الله لأهل الجزيه عام ٢٤٦هـ ٨٦٠م حين طلب أهل قرية بيت ماما ضعفهم ، فجعل خراجهم ثلاثة بدلا من خمسة دنانير [٧] وأمر بتأخير

---

(١) الازدى ، تاريخ الموصل ، ص٤١٠-٤١١ كان الرشيد قد أقر هذا لتأخر خراجهم .
(٢) تاريخ اليعقوبى ، حـ٤٦٠/٢
(٣) كرد على ، خطط الشام ، حـ٦٢/٥ ، والادارة الاسلامية ص ١٦٢ .
(٤) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص٣٢٢ ، مسكوية ، تجارب الامم ، حـ٤٦١/٦ . الطبرى حـ٦١٤/٨ ، النويرى ، نهاية الأرب حـ٢٢٨/٢٢ .
(٥) اليعقوبى ، البلدان ، ص ٢٧٣ .
(٦) كرد على ، الادارة الاسلامية ، ص ١٧٠ ، جرجى زيدان ، التمدن حـ٣٧١/١
(٧) البلاذرى فتوح البلدان ، (بيت ماما) قريه من قرى فلسطين ، نفس المرجع .

موعد افتتاح الخراج شهرين بعد أن رفض من سبقه كبس السنة الشمسية [(١)].

لم يمنح خلفاء بني العباس صلاحية إلغاء الخراج للعمال والولاة فحين تصرف خالد بن برمك في أموال الدولة ألزمه المنصور ثلاثة ملايين درهم [(٢)] ولم يستطع كاتب المهدي الغاء خراج خراساني من ضريبة ضيعته لغرقها بفعل الفيضان وأجله للسنة المقبلة [(٣)] ولم تشر المصادر الى أن الرشيد قد أعطى هذه الصلاحية للفضل بن يحيى حين وهب خراج سجستان لابن جبريل ، ولم تذكر رد الفعل على هذا التصرف ، وأن اختلفت الروايات في سبب نكبتهم [(٤)]

وكان العمال ملزمين بدفع نفقات الاصلاح والتعمير من مال الخراج وارسال الباقي منه ، ففي عهد المأمون انكسر سد وخربت العمارة بالأهواز ، وكان الفضل بن مروان متوليا ديوان الخراج ، فانفق الفضل على إصلاحه مائة ألف دينار في حين كان ارتفاع الأهواز أربعة وعشرين مليون درهم [(٥)]

---

(١) القلقشندي ، صبح الاعشى حـ١٣/٥٥ ، الالوسي ، بلوغ الارب حـ٣٥١/١ السنة الشمسية ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع ، وكانت الفرس تكبس في كل أربع سنين يوماً واحداً ، البيروني ، الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ص ٣٣ ابن مماتي - قوانين الدواوين ص ٣٥٨ .

(٢) النجوم الزاهرة ، حـ٣٢/٢ - ابن الاثير ، حـ٤٦/٥ - ابن خلكان ، حـ٣٠/٤ .

(٣) الجهشياري ، الوزراء ، ص ٩٢-٩٣ - الطبري ، حـ٧/ ٥٠٧ .

(٤) المسعودي ، مروج الذهب ، حـ٣٨٩/٣ . الجهشياري ، الوزراء ص ١٧٧ ، أمير علي ، تاريخ العرب ، حـ٣٧٧/٣ - التحف والهدايا ، ص ٢١٤ - ابن خلكان ، حـ١ / ٢٤٤ .

(٥) التنوخي ، نشوار ، المحاضرة ، حـ٨/ ٥٠ .

خامسا : محاسبة العمال والولاة :

لم يظهر المنصور اهتماما فى بادىء الأمر بتصرف عمال الجبايـــة ، فالهدف لديه أن يحصل على الضريبة كاملةً ، فانتقده الفقهاء لتركه عمـــال الخراج يظلمون الناس دون أن يجد المظلوم منصفا [١] فطرح مبدأ الثقة فـــى عماله ، وأكد على مراقبتهم عن طريق ولاة البريد للوقوف على حقيقة الأمر [٢] ، وكان يقول " ما أحوجنى الى صاحب خراج يستقص ولا يظلم فأنى عن ظلم الرعيـة غنى [٣] ، وتجنبا للإجحاف أمر بضبط العيارات التى يجببون بها الضرائب [٤] ، واستحدث كيلا جديداً لجباية الخراج عرف بالقفيز الهاشمى [٥] •

وحاسب المنصور العمال محاسبة شديدة بعد عزلهم وصادر أموال مـــن شك بأنه أستغل وظيفته ، وأودع ما صادره فى بيت المال أطلق عليه " بيـــت المال المظالم " [٦] •

اتبع المهدى سياسة المنصور فأوصى عماله ببسط العدل والرفق بالرعية [٧] ووصف الفقهاء المختلس من الولاة بالعزيم ، لذا حاسب المهدى خالد بـــن برمك لتصرفه فى الأموال أثناء توليه فارس ، وكلفه بدفع مليون درهم كـــل أسبوع ، ثم اسقطها بعد تدخل الخيزران [٨] •

---

(١) ترتيب الدول ، ص٥٩ • الماوردى ، التحف الملوكية، ص ١١٥

(٢) الطبرى، حـ٨/٩٧ ، الجهشيارى ، الوزراء، ص١٣٧ - عبد السلام رستم ، ابوجعفر، ص١٤٠ •

(٣) ابن الاثير حـ٥/٤٦ ، وكان ظلم الولاه ظاهره عامه فى بداية خلافه المنصور وبعد احتجابه، الثعالبى ، لطائف المعارف، ص١٩ - الذهبى ، تاريخ الاسلام، حـ٦/٢٢٢ •

(٤) البلاذرى ، فتوح البلدان ص ٤٧٤ - الكرمى ، النقود العربيه ص ١٥ •

(٥) عصام عبد الرؤوف ، الدولة العباسيه ، ص ١٠٣ •

(٦) الطبرى حـ٨/٨١ - الريس ، الخراج ص ٣٩١ •

(٧) العقد الفريد، حـ١/٢٣ •

(٨) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٣٧٥ •

فالمهدى كان مدققا فى ارتفاع الأمصار ، ويباحث عماله فى شأن نقصان خراج ضيعة أو كورة [(١)] ، وأنشأ ديوانا خاصا لتلقى شكاوى الرعية من الولاة لحمايتهم من جور الولاه [(٢)] .

وتابع الرشيد مراقبة عماله ، وأعطى الامتيازات للبرامكة للجباية ومراقبة العمال ، فقاموا بأعمال جليلة فى خراسان عام ١٧٩هـ - ٧٩٥م ، وأزال الفضل عن الفلاحين ظلم العمال ، وألقى بقايا الخراج عنهم والتى قدرت بعشرين مليون درهم [(٣)] .

ونتيجة هذه الثقة فسح المجال أمام الفضل بن يحيى لبعض التجاوزات فوهب ابراهيم بن جبريل خراج سجستان ، قدر بأربعة ملايين درهم وأكثر [(٤)] ولم تذكر المصادر رد فعل الرشيد على هذا التصرف ، الا أنه لم يكن يسمح لأحد من عماله بالعبث بأموال الدولة ، فقد طالب يحيى بن خالد بما عليه من الأموال ،وهدده بالقتل فى حالة تأخره [(٥)] ، وحين أدرك بأن العمال قد استعملوا ثقته جلس بنفسه عام ١٨٤هـ - ٨٠٠ م ليحاسبهم ، فجمع العمال والتناة والدهاقين [(٦)] وأصحاب الضياع والمبتاعين للغلاف والمقبلين ، وكان عليهم أموال مجتمعة فطالبهم بشىء من القسوة وحبس وعزل من أهمل وعجز عن السداد [(٧)]

---

(١) الأزدى ، تاريخ الموصل ، ص ٢٤٩ .

(٢) ناجى معروف ، موجز تاريخ الحضارة ، ص ٣٣٥ .

(٣) الجهشيارى ، الوزراء ، ص١٩١ ، البيهقى ، المحاسن والمساوى ص ٢٠٠ .

(٤) الجهشيارى ، الوزراء ص١٩٢ ، الطبرى حـ٢٥٨/٨ ، البيهقى ، المحاسن ص١٨٢ الخالدين ، التحف والهدايا ص ١٥٠ .

(٥) الخطيب ، تاريخ بغداد ، حـ٢٨١/١٢ .

(٦) التناء جمع تأنىءوالتأنىء يعنى الدهقان وهو التاجر أو رئيس الاقليم وهوفارسى معرب والمقبلين هم ملتزمو جباية الخراج للولاة - رفاعى . عصر المأمون حـ٣١٦/١ .

(٧) تاريخ اليعقوبى ،حـ٤١٥/٢ - ابن كثير ، البداية والنهاية،حـ١٨٤/١٠ .

أما المأمون فقد كلف في بادىء الأمر الفضل والحسن بن سهل بالنظر في شؤون موارد بيت المال ومحاسبة العمال[١] وأوصاهما بحسن السيرة وكف الأذى[٢] ، وكان يقول :

" مافتق على قسط فتق في مملكتي إلا وجدت سببه جور العمال "[٣]

وعزم على أن يبعد كتاب أهل السواد ويستعين بكتاب خراج من أهـــل خراسان إلا أنه عدل عن فكرته حين وجد ذلك لا يخدم مملكته[٤] .

وما أن استقر المأمول ببغداد حتى رفع الظلم الذى أصاب ضياع أصحـــاب البرامكة والمقربين اليهم[٥] وعزل من تجاوز حد العدالة من العمال ، ووافـــق على طلب أهل الكوفة ، حين تظلموا من واليهم[٦] وعزل عامل صدقات البصـــرة لظلمه[٧] . وحاسب عمال الخراج فى الأموال المتبقية لديهم ، وكان يتقبل كـــل عذر ليسقطها[٨] . ورأف بحال ضامنى الخراج فى حالة تأخرهم فى الدفع فلـــم يكن عسوفا بهم[٩] .

ونتيجة هذا التسامح مكن عماله بأسقاط جزء عمن عجز عن دفع ما عليه من الخراج ولم يعطيهم الحق باسقاطها كلها[١٠]

(١) البيهقى،المحاسن،ص١٢٠ ، ابن ظفر ، انباء نجباء الابناء،ص١٣٦ - ابن الاثير حـ٥/ ١٧٢ .

(٢)الدورى ، النظم الاسلاميه،ص ١٦٥ .

(٣) سراج الملوك،ص ١٢٣ .

(٤) تجارب الأمم،حـ٦/٤٥٠-٤٥١ .

(٥) التنوخى ، الفرج بعد الشده،ص ٢٢٦ .

(٦) الآبى ، نثر الدر ، حـ٢/ ١٧٣ .

(٧) العقد الفريد،حـ٢/ ١٧ .

(٨) التنوخى الفرج بعد الشدة،ص ٢٤٠ - الصابى ، رسوم دار الخلافه ص ٣٨-٤١

(٩) طيفور ، بغداد ص٥٨ - الأزدى ، تاريخ الموصل ص٣٦٧ - الفرج بعد الشده ص ٢٧٥-٢٧٦ .

(١٠) الازدى ، تاريخ الموصل،ص ٣٣٩ .

وتشدد على المختلس من عماله ، فقد بعث عجيف بن عنبسة الى عامله على بن هشام والى أوربيجان والجبال وقم وأصفها ن بعد أخذ أموال النـــاس وقتل منهم الكثير عام ٢١٤هـ - وقبض عليه فأمر المأمون بقتله وكتب على رأســه أن سبب قتله الخيانة [(١)] .

وواجه المأمون مشاكل مصر بنفسه بعد أن عبث فيها عمال الخراج ، ثم ولي عبد الله بن طاهر عليها لنزاهته ، فلم يستطع أحد رشوته ، واغـــراءه بالمال فمكث عاما واستقامت الأوضاع فى عهده [(٢)] .

وكان العزل نصيب كل وال يحجب أموال الخراج عن بيت المال فعـــزل داود بن يزيد عن السند بعد رفضه أرسال الأموال ، وكان المأمون قاطعه علـى مليون درهم عام ٢١٣هـ - ٨٢٨م [(٣)] .

أما المعتصم فكان حكمه صارما على عماله ، فقد القى بيحيى بن خاقـان فى السجن بعد أن عجز عن دفع ما عليه من الأموال حين كان واليا على فـارس وظل ابن جاقان فى السجن حتى أفرج عنه المتوكل وولاه ديوان الخراج [(٤)]

وكان الخليفة الواثق يشبه عمه المأمون فى حلمه ونظره فى الدواويـــن وحاسب ولاة الخراج فى الأقاليم ، وأسقط عنهم مبالغ كبيرة بقيت عليهم وحيـن

(١) طيفور - بغداد ص ١٤٥ - ١٤٦ - نهاية الارب ، حـ٢٢/ ٢٣٢ .
(٢) طيفور ، بغداد ص ٩٢ - الشابستى ، الديارات ص١٣٦ ، عصر المأمون حـ ٣/ ٢٩٦ .
(٣) الطبرى جـ٨/ ٥٨٠و ٦٢٠ - ابن الاثير الكامل حـ٥/ ٢١٦ . طيفور ، بغداد ص١٣٠
(٤) تاريخ اليعقوبى حـ٢/ ٤٨٥ .

يقى على والى مصر محفوظ ابن سليمان ثلاثمائة ألف دينار ، أمر بأحضاره مكبلا بالحديد ، إلا أنه عفا عنه عند حضوره إلى بغداد[(١)] .

وتشدد الخليفة المتوكل على الله على العمال فحاسب الكتاب عند احتجازهم الأموال فقد سخط على نجاح بن سلمة الكاتب لأستيلائه على أموال الناس وعذب حتى الموت وصادر أمواله وضياعه[(٢)] . ولم يسلم حتى القواد من المحاسبة فطولب أبو سعيد الثغرى بعد غزواته ، وسلم إلى أبى الخير النصرانى الجهبذ ليستخرج المال منه .[(٣)] وشاع فى أواخر العصر العباسى الأول مصادره العمال والكتاب بحق وبغير حق .

(١) تاريخ الاسحاقى ص ١٠٩ - ابن اياس،بدائع الزهور،حـ١/ ١٥٨ -١٥٩ .
(٢) تاريخ اليعقوبى ، حـ٢/ ٤٩٢ .
(٣) التنوخى ، الفرج بعد الشدة ، ص ٩٥ .

الفصل الثالث

الثورات والفتن الداخلية

أولاً   ثورات العلويين السياسية .

ثانياً   الثورات الاقتصادية بالمشرق .

ثالثاً   الثورات في أفريقية .

رابعاً   فتنة الأمين والمأمون .

فلم يستطع الوالى المعزول تعليل ذلك فأودعه السجن [1].

ورغم دهاء المنصور إلا أنه وقف حائرا تجاه النفس الزكيه ، فاستشار عمه عبد الله بن على وهو فى السجن ، وقد تعددت الروايات فيما أجابه به ففى رواية تقول بأنه أشار عليه أن يبذل مما يملكه من المال فان ظفر به استطاع تعويض المال ، وإن نجحت الثورة فلن يجد النفس الزكية مالا لإقامة خلافته [2] ورواية أخرى أنه أشار عليه أن يسيطر على الكومة لأنهم أعوان العلويين ، وأن يستعين بأهل الشام ويحسن عطاءهم [3]

وفى رواية ثالثة أن المنصور استشار أهل الحكمة فأشاروا عليه قائلين أن " الحمد لله ظهر حيث لا مال ولا رجال ولا سلاح ، ولا كراع ، أبعث مولى لك تثق به فليسر حتى ينزل بوادى القرى فيمنعه ميره الشام فيموت مكانه جوعا .." [4]

أدرك المنصور أهيمة ما قيل له ، فلابد أن يستعجل خروجه ويقطع المعونة عنه ، فأمر والى المدينة باعتقال آل الحسن ومصادرتهم ونقلهم مقيدين إلى العراق ، ولكى يقطع كل مدد يصل الى النفس الزكية وأخيه من آل على ، ويستفزه للخروج ، كما أمر بقتل محمد بن ابراهيم بن الحسن الملقب بالديباج الأصفر وبعث برأسه مع جماعة من الشيعة ليطوفوا به بخراسان ويحلفوا أنه

(١) الطبرى حـ٧/٢٩ص٥٣٣ - ابن الاثير حـ٣٧٢/٤ ، النويرى ، نهاية الارب حـ١٤/٢٥ تاريخ ابن خلدون حـ ٤٠١/٥ ، وفى رواية الذهبى بان نفقاته بلغت أكثر من مائة الف دينار - الذهبى ، تاريخ الاسلام حـ٦/ ٨و٩ .

(٢) الطبرى ٥٦٥/٧ ، الذهبى ، تاريخ الاسلام ١٣/٦ - ابن الاثير ، حـ٥/٤

(٣) النويرى ، نهاية الارب ، حـ٢٩/٢٥ - ابن الاثير ، الكامل حـ٥/٤

(٤) الطبرى ، حـ٧/ ٥٧٨ .

عيسى أقتحام المدينة وقتل محمدا الذى حمل رأسه إلى المنصور فى منتصف رمضان عام ١٤٥هـ وكانت مدة خروج محمد إلى مقتله شهرين وسبعة عشر يوما [١] ولاشك أن الجانب المالى كان عاملا قويا فى هزيمة محمد ، فهو رغم تعيين العمال ألا أنه لم يستطع فى هذه المدة اليسيرة من جباية الخراج ، وقبيل مقتله كان عليه دين قدر بأربعمائة دينار لم يستطع الوفاء به ، فدفع سيفه ذو القفاز ليسد به ذلك الدين [٢]

أما ابراهيم بن عبد الله فقد كلف باشغال الثورة فى العراق فتوجه إلى البصره وأقام بها مستترا وأخذ يكاتب الناس ، ويدعوهم الى طاعته وبلغ المنصور خروج ابراهيم فى أحرج المواقف فجيشه موزع بين الرى وافريقية والحجاز ، ولم يكن معه بالكوفه سوى ألف مقاتل [٣] فى حين لقى ابراهيم ترحيبا كبيرا فى البصرة والكوفة • ويمكن أن نرجع تأييد أهل البصرة للثورة العلوية بأنها نكاية فى المنصور وليس حبا لآل على ففى عام ١٤٣هـ-٧٦٠م هجم الديلم على المسلمين وقتلوا منهم الكثير ، فبعث المنصور حبيب بن عبد الله وأمره باحصاء كل من يملك أكثر من عشرة آلاف درهم ويوجههم إلى قتال الديلم ووجه آخر لنفس الهدف الى الكوفة [٤].

لم يلق ابراهيم التأييد الشعبى فحسب ، بل إن والى البصرة سفيان بن معاويه قد تهاون معه لما كان فى نفسه على المنصور ، فاستطاع ابراهيم أن

---

(١) الطبرى ، جـ ٧/ ٦٠٩ ، ابن خلكان ، جـ ٦/ ٣٣٠

(٢) الذهبى ، تاريخ الاسلام ، جـ ٦/ ١٨

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥/ ١٧ ، الذهبى ، تاريخ الاسلام ، جـ ٦/ ٢٤ •

(٤) الطبرى جـ ٧/ ٥١٥

يهزم عسكر المنصور الذى يقوده أبو حماد الأثرم فكانت أول غنيمة من جيش المنصور يغتنمها من الدواب والسلاح تقوى بها ، ثم استولى على بيت مال البصرة فوجد فيه على حسب رواية ستمائة ألف أو أكثر [١] ، وقيل مليون درهم ففرقها على أصحابه ليكون نصيب الرجل منهم خمسين درهما [٢] . وانهالت عليه المساعدات المالية من أنصاره إلا أنه رفض أخذ هذه المساعدات المالية فكان يقول لهم : " من كان عنده شيء فليعن به أخاه " [٣]

واستطاع ابراهيم الاستيلاء على الأهواز وواسط وفارس ، ورغم هذه الانتصارات فأن ابراهيم كانت تعوزه المقدرة السياسية فرفض الاتجاه نحو الكوفة حيث كان المنصور مرابطا بجيش هزيل [٤] وعجز عن أتخاذ قرار من بين آراء البصريين والكوفيين ، ليرسم سياسته القتالية أو الاقتصادية فكان البصريون يرون أن يقيم بالبصرة ويوجه الجيوش وينظمها ويمدها بما يجبيه من الأموال ، أما الكوفيون فكان رأيهم أن يقود الجيش إلى الكوفة حتى ينضم اليه أنصاره من أهل الكوفة ، فنزل ابراهيم أخيرا عند رأى أهل الكوفة [٥] إلا أن خبر مقتل أخيه محمد كان نكسة له وتعزيزا للمنصور الذى استطاع أن يسحب جندا من الرى بقيادة سالم بن قتيبة وسيرها نحو ابراهيم وبعث خزيمة بن خازم الى الأهواز فى أربعة آلاف فارس ، ووجه عيسى بن موسى فى خمسة عشر الفا وعلى مقدمته حميد بن قحطبة فى ثلاثة آلاف فلم يستطع ابراهيم مواجهة هذه الجيوش فقتل وبعث برأسه الى المنصور ، وقد مكث منذ خروجه الى أن قتل ثلاثة أشهر

---

(١) الذهبى ، تاريخ الاسلام ، حـ٦/٢٣ ، النويرى ، نهاية الارب حـ٢٥/٥٦ ، تاريخ ابن خلدون ٥/٤١٤ .

(٢) ابن كثير ، البداية ، حـ١٠/٩٢ - الأزدى ، تاريخ الموصل ص ١٨٨ ، ابن الوردى حـ١/٢٩٤ .

(٣) الحسينى ، غايه الاختصار ، ص ١٩ .

(٤) بروكلمان ، تاريخ الشعوب حـ٢/٧

(٥) الطبرى ، حـ٧/ ٦٤٢ ، ابن الاثير ، حـ٥/١٧ .

إلا خمسة أيام [١] وأقطع المنصور نوبخت المنجم الذى بشره بالنصر على ابراهيم ألفى جريب على نهر الحويزة [٢] .

وامتدت هذه الثورة الى مصر أيضا بمقدم علىبن محمد بن عبد اللـه فتولى نشر الدعوة لها خالد بن سعيد بن ربيعة . كان جده صاحب الامـام على، إلا أن قلة المال كانت العقبة الكبرى لنشر الثورة ، فأستولى علـى بيت المال إلا أنه لم يجد من المال الا اليسير فأستطاع الوالى يزيد بن حاتم المهلبى أن يخمد الثورة [٣] ومنع أهل مصر من الحج فى تلك السنة [٤] وسـد الخليج بأمر من المنصور حتى لاتصل المؤونة الى المدينة [٥] وظل المنصـور لا يأمن العلويين فى مصر فأمر الوالى يزيد بن حاتم عام ١٤٦ هـ -٧٦٣م بنقـل مقره من العسكر الى الفسطاط ، وأن يجعل الدواوين فى كنائس القصر [٦]

نتائج ثورة النفس الزكيـه

أ - بفشل ثورة النفس الزكية وأخيه ابراهيم لقب أبو جعفر المنصور [٧]

ب - لم يطمئن المنصور لأهل البصرة والكوفة فقرر حصرهم داخل المدينـة بتسويرها وبحفر خندق حولها على نفقة أهل المدينتين ، ففى عـام ١٥٥هـ - ٧٧١م - أمر اعطاء كل فرد خمسة دراهم وقصد بذلك معرفـة

(١) ابن الأثير ، جـ ٥/ ١٧ - ١٨ .

(٢) نفس المصدر جـ ٥/ ٢٠ .

(٣) الكندى ، الولاة وكتاب القضاه ، صـ ١١١ - ١١٢ .

(٤) ابن الآبار ، الحله السيراء ، جـ ٧٤/١ ، المقريزى ، الخطط ، جـ ١/ ٣٠٦ .

(٥) ابن دقماق ، الانتصار ، صـ ١٢٠ ، صبح الأعشى جـ ٣/ ٢٩٨ .
الطبرى ، جـ ٧/ ٦٢١ .

(٦) الكندى ، الولاة وكتاب القضاه ، صـ ١١٥ .

(٧) المسعودى ، التنبيه والأشراف ، صـ ٢٩٥ .

تعدادهم ، فلما عرف،أمر بجباية كل واحد منهم أربعين درهما ، وأنفق ما جمعه منهم على بناء سور وخندق لكل من البصرة والكوفة (١)

وبروايه أخرى أن المنصور أمر بعد دور أهل الكوفة وأعطى لكل منزل خمسه دراهم ، فلما عرف عدد الدور جبى كل منزل أربعين درهما (٢) فأنشد شاعرهم :

يالقومي ما لقينا	من أمير المؤمنينا
قسم الخمسة فينا	وجبانا الأربعينا

جـ - أمر المنصور عام ١٤٦هـ ٧٦٣م ، بهدم منازل الذين خرجوا عليه مع ابراهيم وعقر نخلهم في البصرة ، وبعث محمد بن سليمان فعاث بها فساداً وهدم منازل كثيره (٣).

د - ألغى المنصور كل الامتيازات لأهل مكه والمدينة وقطع المعونات التي كانت تأتيهم من البحر وظل هذا القرار ساريا حتى ألغاه المهدى بعد توليه الخلافة ليعيد تلك الامتيازات اليهما (٤)

---

(١) الطبرى جـ٨/٤٦ ، مجهول ، العيون والحدائق ، ص٢٦٥ ، الازدى ، تاريخ الموصل ، ص٢٢٣- النجوم الزاهرة ، حـ٢/٢٤ ، ابن الاثير ، حـ٥/٣٨ ، الذهبى تاريخ الاسلام حـ٦/١٦١ .

(٢) المقدس ، البدء والتاريخ ، حـ٦/٩١ ، العبرى ، مختصر تاريخ الدول ص٢١٣ التوحيدى ، البصائر ، ص ٢٥٤ .

(٣) العقد الفريد ، حـ٢/٢٩٠ ، ابن كثير ، البداية والنهاية حـ١٠/١٠٣

(٤) الطبرى حـ٧/٦٠٣ ، تاريخ ابن خلدون حـ٥/٤١١ .

الازدى ، تاريخ الموصل ، ص ١٩٣ ، سيد أمير على ، مختصر تاريخ العرب ص ٢١٣ .

هـ - توقف المنصور عن صد هجمات الروم من عام ١٣٩هـ حتى عام ١٤٩هـ - ٧٥٦م - ٧٦٦م ، وكرس اهتمامه للقضاء على ثورة محمد بن عبد الله بالمدينة ، عدا صائفة عام ١٤٠هـ - ٧٥٧م[1] وحاول المنصور الاستعانة بالمقاتلين والمرابطين فى الثغور ليشتركوا فى صد ثورة النفس الزكية إلا أنهم رفضوا ذلك ، فأهملهم المنصور في الثغور واستطاع ملك الروم أسر أعداد كبيرة من المسلمين ، وطالب بالفدية ، إلا أن المنصور رفض أن يدفع شيئا فتدخل الفقيه الأوزاعى فعدل الخليفة عن رأيه وأمر بالفداء[2] .

و - لم يستطيع المنصور أخماد بقايا شرارة ثورة النفس الزكية ، فقد قام مؤيدوه بشغب عام ١٥٧هـ -٧٧٣م ببغداد واشترك معهم محتسب بغداد أبو زكريا يحيى بن عبد الله فـأ حدثوا اضطرابا فى المدينة وأسواقها فأمر بقتل المحتسب فكان ذلك من أسباب نقل الأسواق الى الكرخ[3] ورغم هذه الاجراءات فقد ظل العلويون يطالبون بالخلافة ويتطلعون اليها بين الحين والآخر إلا أن ثوراتهم لم تكن فى نفس قوة ثورة النفس الزكية ومنها :

ثورة عيسى بن زيد بن علـى فى الكوفة وكاد المنصور ينهزم لولا اغراؤه لأصحابه بالعطاء والصلات الجزيله ، واستمر القتال حتى هزم عيسى[4] وخروج الحسين بن على عام ١٦٩هـ ٧٨٥م بالمدينة على الخليفه المهدى ونهب عسكره بيت المال وكان فيه بضعة عشر ألف دينار وقيل سبعون ألفا إلا أنه لم يلاق العون من أهل المدينة الذين أغلقوا أبوابهم وانتهت هذه الثورة بمقتله[5] .

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، حـ١٠/٧٤

(٢) الذهبى ، تاريخ الاسلام ، حـ٦/٢٢٣-٢٢٤

(٣) الازدى تاريخ الموصل ص٢٢٥ - الكبيسى ، اسواق بغداد ، ص٧٩ .

(٤) ابن قتيه ، الامامه والسياسه ، حـ٢/١٣٦ .

(٥) تاريخ ابن خلدون ٤٥٦/٥ - النويرى ، نهاية الارب حـ٢٥/٦٦- ٦٧ .

وحاول الرشيد استرضاء العلويين بالمال وتجنب القوة العسكرية لاخماد الثورات العلويه فقد خرج عليه يحيى بن عبد الله بالديلم عام ١٧٦هـ-٧٩٢م فبعث اليه الفضل بن يحيى البرمكي ، وأعطى صاحب الديلم مليون درهم لكي يسهل خروج يحيى للتفاوض معه فأجاب يحيى الى الصلح (١) فكافأه الرشيد بعد نجاح مهمته بأربعمائة ألف دينار من بيت المال (٢) ، وتخلص الرشيد من عبء نفقات أخماد الاضطرابات في المغرب بتولية ابراهيم بن الأغلب أفريقية (٣) .

واستغل العلويون في بغداد الاضطرارات وسخط أهلها على تولي الفضل ابن سهل الولاية،فقادوا عدة ثورات في العراق والحجاز واليمن ، وأخطرها ثورة أبي السرايا . وابن طباطبا فاستطاعا مؤقتا أن يسيطروا على البصرة وواسط والحجاز واليمن واستولوا على أموال العباسيين في كل مدينة احتلوها ، وما انتهت عام ٢٠١ هـ - ٨١٦ م حتى استطاع المأمون أن يقضي على هذه الثورات بسهولة بعد مقتل أبي السرايا ، ولم يبق في العراق معارضا للخلافة سوى الساخطين على ولاية الحسن بن سهل (٤)

وثار عبد الرحمن بن أحمد في اليمن سنة ٢٠٧ هـ وكان سبب خروجه سوء سيرة العمال مع الناس (٥) ، هذه أهم ثورات العلويين التي أخذت طابعا

---

(١) الطبري،جـ٨/٢٤٣ -العصامي ، سمط النجوم جـ٣/٢٧٨ - العيون والحدائق ص ٢٩٢
(٢) عصام عبد الرؤوف - الدولة العباسية ، ص ١٠٧ .
(٣) عصر المأمون جـ ١/ ١٢٩
(٤) تجارب الأمم، ٤٢٤/٦ ،ابن كثير البداية والنهاية ٢٤٤/١٠ ، تاريخ ابن خلدون، ٥١٥/٥ ، الدوري ، العصر العباسي الاول ص ٢٠٤ . العيون والحدائق ، ص ٣٤٧ .
(٥) النويري ، نهاية الارب ، جـ ٢٢/ ٢١٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية جـ١٠/٢٥٩

سياسيا ، وكان محركها سوء ادارة الولاة وظلمهم ، واعتقاد العلويين بأحقيتهم في الخلافة .

ثانيا : الثورات الاقتصادية والاجتماعية بالمشرق :-

قامت العديد من الثورات المناهضة للخلافة العباسية كان هدفها التخلص من القيود الاقتصادية والاجتماعية المرتبطة بالخلافة ساهم فيها المزارعون نتيجة الضغوط واستغلال أصحاب الأقطاع ، إلا أن الخلافة تصدت لهذه الثورات بكل حزم دون أن تظهر المراجع التى اطلع عليها الباحث آثاراً لتدهور الحالة الاقتصادية والتأخير فى دفع الضرائب على المزارعين ، وهذه الثورات نجدها فى مصر وخراسان حيث تبنى الخرمية آمال الفئات الفقيرة ضد العباسيين وخلفائهم من أشراف الفرس فقاموا بسلسلة من الثورات منها :-

حركة سنباذ فى خراسان عام (١٣٧هـ-٧٥٤م) وتسمى بفيروز اصبهبذ مطالبا بدم أبى مسلم الخراسانى ، وقد تمكن من الاستيلاء على نيسابور وقوس والرى واستولى على خزائن أبى مسلم ونهب الأموال وسبى الحرم ، ولم يتعرض للتجار فكثر جمع سنباذ من أهل الجبل وطبرستان ، فندب المنصور اليه جمهور بن مراد الذى استطاع قتل سنباذ وستين ألفا من أصحابه [(١)] وعاقب المنصور أهل الرى لمساعدتهم لسنباذ فزاد عليهم خراجهم الى اثنى عشر مليون درهم ، ولم تخفض الا فى عهد المأمون ليجعلها كما كانت عشرة ملايين درهم [(٢)]

وفى العام التالى خرج جمهور نفسه على المنصور وكان سبب ذلك أنه لم يبعث بالغنائم الى الخليفة فندب اليه محمد بن الأشعب ففر جمهور

(١) الطبرى جـ٧/٤٩٥ ، النويرى ، نهاية الارب جـ٢٢/٧٧ العيون والحدائق ، صـ٢٢٤ - المسعودى ، مروج الذهب جـ٣/٣٠٦ .

(٢) قدامه ، الخراج ، ص ٣٧٦ .

إلى آذربيجان حيث قتل.(١)

وخلع والي خراسان عبد الجبار بن عبد الرحمن بعد أن كثرت الأموال والعدة بين يديه ، فوجه اليه المنصور ابنه المهدى فاستطاع أسره وأخذ الى بغداد حيث استخرجت منه الأموال وأعدم (٢)

وفى سنة ١٥٠ خرج الاستاذ سيس فغلب على عامة خراسان يدعمه جيش قوامه أكثر من ثلثمائة الف مقاتل عبروا عن سخطهم على الخلافة العباسية وكانت هزيمته عام ١٥١ هـ -٧٦٨م(٣)

وخرج سنة١٦٠هـ -٧٧٦م - يوسف البرم واستمرت انتفاضته عشر سنين ، فطالب بالمساواة والعدل(٤) ، وخرج المقنع ١٦٠هـ -٧٧٦م بخراسان ، وتعتبر هذه الثورة ثورة الفلاحين حيث امتدت الى ما وراء النهر وكان هدفها انتزاع الأراضى من الاقطاعيين والموسرين لتوزيعها على الفلاحين ولم تخمد هذه الثورة الا بعد ثلاث سنين ، وقد شكلت خطراً جسيما على كبار الملاك (٥)

ونشطت المحمرة بقيادة عبد القهار بحرجان سنة١٦٢هـ -٧٧٨م وكانت غالبية المشاركين فيها من الفلاحين الخرمية ضد الاستغلال الاقطاعي في

---

(١) النجوم ،الزاهرة ، حـ٣٤٧/١ ، النويرى ، نهاية الارب ٧٩/٢٢- العيون والحدائق ص ٢٢٥ .

(٢) الطبرى حـ٥٠٣/٧ - العيون ، صـ٢٢٨ - اليعقوبى ، البلدان ص ٣٠٣ .

(٣) الطبرى حـ٢٩/٨ -٣٢ - ابن الاثير حـ٢٨/٥-٢٩ - شذرات الذهب حـ٢٢٥/١ .

(٤) الطبرى ، حـ١٢٤/٨ - احمد يونس تطور انظمة استثمار الارض ص ١٣٧ .

(٥) ابن الاثير جـ٥/ ٥٨ـ٢ - الدورى ، مقدمة فى تاريخ الاقتصاد العربى ص ٦٣ - العبرى ، المختصر ص ٢١٧ .

تلك الجهات[١] .

نشطت أيضا عام ١٩٢هـ ٨٠٧م - فى اذربيجان فى وجه السلطة العباسية الاستقراطية المحلية[٢] ، وأعلن رافع بن الليث ثورته لظلم عمال الرشيد ، وسوء سيرتهم ، من تحامل ابن ماهان على عرب خراسان واساءة معاملتهم . فهدف رافع من الثورة رفع الظلم عنهم[٣] وقد تكلفت هذه الثورة الكثير من المال ، حتى ادعى ابن ماهان أنه أنفق الكثير من الأموال فى حرب رافع حتى باع حلى نسائه إلا أن الرشيد علم كذبه ، فعزله وصادر أمواله التى بلغت ثمانين مليون درهم ، وحملت خزائنه وأثاث بيته على ألف وخمسمائة بغير ، وولى هرثمة بن أعين خراسان[٤] .

وثار أهل مدينة قم عام ٢١٠هـ - ٨٢٥م - ضد الخلافة العباسية لثقل الخراج عليهم ،[٥] وكانت آخر الثورات الخرمية وأخطرها فى العصر العباسى الأول ثورة بابك الخرمي التى استمرت من عام ٢٠١هـ الى ٢٢٢هـ - ٨١٦م - ٨٣٦م - فبدأت بتدمير المدن حول البذ ليصفو له البلاد ويصعب الوصول اليه فاشتدت شوكته[٦] وهزم العديد من الجيوش التى بعثها المأمون ، ويرجع البعض هذه الهزائم الى أن جزءا كبيرا من الجيش كان من المتطوعه الذين وجدوا أن النصر غير قريب فرجعوا الى منازلهم[٧] فى حين أخذ بابك يهاجم كبار الملاك ويقسم أراضيهم على الفلاحين[٨] .

---

(١) الطبرى،حـ٨/١٤٣ - الدينورى،الاخبار الطوال،ص ٣٢٦- احمد يونس،تطور انظمة،ص ١٣٧ .

(٢) الطبرى،حـ٨/٣٣٩ - الدينورى،الأخبار الطوال،ص ٣٩١- ٣٩٢

(٣) الشبيبى ، مؤرخ العراق،حـ١/٥٦/٥٧ .

(٤) ابن الاثير ، حـ٥/١٢٦ .

(٥) الطبرى،حـ٨/ ٦١٤ .

(٦) الأخبار الطوال ، ص٤٠٢ ، الطبرى ، حـ٩/١١ .

(٧) حسينى ، الادارة العربية ، ص ٤١٤ .

(٨) الدورى ، مقدمه فى التاريخ الاقتصادي ص٦٤، العصر العباسي الاول ص ٢٣١ ،

ركز المعتصم كل جهوده للقضاء على حركة بابك ، وقدم المغريات لقادة الجيش ، فقد خصص للافشين راتبا يوميا عشرة آلاف درهم أن هو قاد حملة على بابك وإن لم يقد حملة عليه فخمسة آلاف درهم [(١)] وانفق الكثير على الجيش فيذكر ابن الاثير وغيره من المؤرخين أن المعتصم بعث عام ٢٢٢هـ ٨٣٦م - للافشيين بثلاثين مليون درهم للجند والنفقات [(٢)] وكان بابك حريصا على قطع هذه المعونات عن الجيش والاستيلاء عليها ، وقد نجح بابك في قطع تلك المعونات حتى أصاب عسكر الافشين القحط [(٣)] . إلا أن الأفشين أستطاع أن يهزم جيش بابك عام ٢٢٢هـ وهرب بابك واستطاع سهل بن سنباط أن يأسره فأجازه المعتصم بمليون درهم ومنطقة ذهب مرصعة بالجواهر وأعفاه من الخراج مدة عشرين سنة [(٤)]

ويروى صاحب العيون أن الكتاب تذاكروا ما أنفقه المعتصم فى حرب بابك فلم يتوصلوا الى حصره عدداً ، ولكن قدروه بخمسمائة وقر من الدراهم أ وأكثر [(٥)]

أماثورة المازيار الذى تعين على ولاية طبرستان أيام المأمون ، فكان أول مظاهر انفصاله عن الخلافة العباسية رفض تبعيته لولاة خراسان ، فكان يوجه الخراج الى المعتصم مباشرة وشجعه الافشين على ذلك ، طمعا في ولاية خراسان فأعلن انفصاله عام ٢٢٤ هـ -٨٣٨م وألقى القبض على كبار الملاك من العرب والأنباء ، وأمر الفلاحين بانتهاب أموالهم ، وجبى الخراج سنة في شهرين بعد

(١) النويرى ، نهاية الارب حـ٢٢/٢٥٠ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل حـ٥/٢٣٩ ، الطبرى،حـ٩/٢٩ ، ابن كثير ، البداية والنهاية حـ١٠/٢٨١ ، ويذكر المسعودى بان المبلغقدره ثلاثين الف درهم ، شذرات الذهب حـ٢/٤٩ .

(٣) مسكويه ، تجارب الامم ، حـ٦/٤٧٣ـ ٤٧٧ .

(٤) مجهول ، العيون والحدائق ص ٣٨٧ - النجوم الزهره حـ٢/٢٣٧ .

(٥) العيون والحدائق ص ٣٨٩ .

أن مسح الأرض وعدل الضرائب ، وزادها ، ودمر سور مدينة آمل ، ومدينة طميس وفر أهل جرجان إلى نيسابور [(١)]

ويؤكد بعض المؤرخين بأن ثورة المازيار لم تكن الاثورة خرمية ، وأن اسلام المازيار كان صوريا ، وأن تدابير المازيار بعد ثورته تدل على نزعته الخرمية الاشتراكية إذ أراد الاستيلاء على أراضي كبار الملاك وتوزيعها على الفلاحين [(٢)]

فبعث المعتصم بثلاث الوية حاصرت المازيار إلى أن استلم وصودرت أمواله التي بلغت ستة وتسعين ألف دينار ، وسبع عشر قطعة زمرد ، وست عشرة قطعة ياقوت أحمر ، وثمانية أوقار [(٣)] فيها ألوان الثياب وتاج محلي بالذهب والجوهر ، وحق [(٤)] مملوء بالجوهر [(٥)]

أما في العراق فكان المنصور حذرا من الخارجين عليه ، ولم يجعل في بيوت أموال المدن مبالغ كبيرة يمكن أن يستعين بها الثوار ، فقد وضع موسى بن مصعب والي الموصل مبلغا أحتياطيا علم به المنصور فأمره بارساله ، وقدره أربعمائة ألف درهم [(٦)] .

---

(١) الطبري حـ٩/٨٠-٨٥ـ ابن الاثير حـ٥/٢٥٣ ـ تجارب الامم حـ٦/٥٠٢ـ ٥٠٤
ابن كثير البدايةوالنهاية ، حـ١٠/٢٨٩ .

(٢) الدوري ، العصر العباسي الأول ص ٢٤١ ـ ٢٤٢ .

(٣) الوقر : حمل الدابة ، وقد قدر وقر الحرير حوالي عام ١٥١٨ في ارزنكان بـ ١٠ بثمن كل بثمن ١٥٤و٦ كغم ، اى أن وقر الحرير = ٥ر٦١ كغم[٣] ونادرا ما كان يميز بوضوح بين الوقر (حمل الدابه) وحمل البعير . ڤالترهنتس ، المكاييل والاوزان الاسلاميه ص ٢٧ ، ص ٥٧ .

(٤) الحق = وعاء من خشب أو العاج . أقرب الموارد حـ١/٢١٥ .

(٥) الطبري ، حـ٩/٩٦ ، مسكويه ، تجارب الامم حـ٦/٥٠٥ـ ٥١١ .

(٦) تولى موسى بن مصعب ولاية الجزيرة سنة١٦٠ هـ وظل حتى عزله المهدى ، تاريخ ابن الخياط ص ٤٧٣ .

واستطاع العطاف الازدي عام١٧٧هـ - ٧٩٣ م أن يسيطر على الموصل ، وانضم اليه نحو أربعمائة ألف رجل ، وجبى الخراج وطرد عمال الرشيد (١) وفي عام ١٨٠هـ ٧٩٦م خرج الرشيد الى الموصل وقضى على الاضطرابات ، وصادر ضياع العطاف ومن خرج معه ، وولى يحيى بن سعيد الحرشي فطالبهم بخراج سنتين مضت فهاجر عدد كبير من سكان الموصل الى آزربيجان ، واستطاع الحرشي جباية سته ملايين درهم حملها الى الرشيد فأمر هذا بدفعها الى خالمه فقدم الحرشي لظلمه (٢)

وفي الجنوب عاش الزط وهم من الشعوب الهندية الا أنهم كانوا مصدراً للاضطرابات وتعددت الآراء في أسباب شغبهم ، ويرجع البعض سبب ذلك الى وضعهم المعاشي حيث كان منخفضا جدا (٣)

وينفي آخر حاله بؤس للزط ، وأن الخلفاء عاملوهم معاملة حسنة وشاركوا في الجيش العباسي (٤) وهناك من يشير بأصبع الاتهام الى محمد بن سليمان ابن على بأنه شجع الزط على قطع الطريق ومحاربة السلطة (٥) وكانوا في بداية الأمر يرضون بما يسد حاجتهم ، وبلغ بهم الأمر في أيام المأمون أن الناس احتموابهم ليستطيعوا عبور البطائح ، وقد قطع الزط عن بغداد ما كان يحمل اليها من البصرة (٦) .

(١) ابن الاثير حـ٦/٩٦ - الأزدي تاريخ الموصل صـ ٢٧٩ - ٢٨٠ .
(٢) ابن الاثير الكامل حـ٦/١٠٣ - الازدي تاريخ الموصل صـ ٢٨٧ .
(٣) الدوري ، العصر العباسي الاول صـ ٢٤٠ .
(٤) بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، حـ٢/٤٧ .
(٥) توفي محمد بن سليمان بن على ١٧٣هـ - تاريخ ابن الخياط صـ ٤٦١ .
(٦) البلاذري ، فتوح صـ ٣٨٣ - كاظم ، تاريخ البصرة ، حـ١/ ١٧١ .

ولما استخلف المعتصم كان الزط قد تحكموا واستولوا على غلات البيادر بكسكر وما يليها من البصره ، فوجه اليهم عام ٢١٩هـ -٨٣٤م عجيف بن عنبسه لقتالهم فحاصرهم فى البطيحه وسد أفواه الانهار ليحصر حركتهم وبعد تسعة أشهر استسلموا فأعطى الأمان لنحو عشرين الفا بين رجل وامرأة ، ونفاهم الى ثغو زربة ، وأجاز جنده دينارين لكل واحد منهم ، وكانوا خمسة آلاف مقاتل(١) .

وفى فلسطين خرج أبو حرب المبرقع على المعتصم ، وكان معظم جنده من الفلاحين حيث بلغوا نحو مائة ألف رجل عام ٢٢٧هـ -٨٤١م ولما جاء موعد الفلاحة انفض عنه جنده وبقى فى ألفين وانتهى أمره بالأسر(٢) فكان هذا مظهر من مظاهر سوء العلاقة بين المزارعين والسلطة .

ثالثا : الثورات فى افريقية

وشهدت أفريقية العديد من الثورات ، وكان سببها ، ظلم جباة الخراج فثار سكان البلاد من الفلاحين والقبائل العربيه حتى الأقباط بمصر احتجاجا على سوء سيرة العمال وعسفهم وزيادة الضرائب عليهم .

وقد رشحت أفريقية مندوبا ، عنهم الى المنصور ليناشده رفع الظلم عنهم فمكث شهرا حتى استطاع مقابلة الخليفة فاختصر الرجل كلامه بقوله :
" ظهر الجور ببلدنا فجئت لأعلمك فاذا الجوريخرج من دارك ..."(٣)
ونتيجة للمعاناة شهدت أفريقية عدة ثورات كلفت بيت المال فى بغداد مبالغ كبيرة فالمنصور أنفق الأموال للقضاء على الخوارج فى أفريقية عام ١٥٤هـ ٧٧٠م

(١) الطبرى ح٩/٩-١٠- تجارب الامم ح٦/٤٧١- ٤٧٢ - نهاية الارب ح٢٢/٢٤٤
(٢) ابن الاثير الكامل ح٥/ ٢٦٤ .
(٣) ابن العماد شذرات الذهب،ح١/٢٣٦ ، ابن كثير، البداية والنهاية ح١٠/١١١
الخطيب، تاريخ بغداد ، ج١٠/ ٢١٥ .

ثلاثة وستين مليون درهم (١)

وتجنب الرشيد هذه النفقات حين عرض عليه ابراهيم بن الأغلب بأن يتولى ولاية افريقية وراثيا ، على أن يقدم لبيت المال ببغداد أربعين ألف دينار سنويا ، على أن يوفر على الخلافة ما خصص لقمع الثورات من خراج مصر الذى بلغ مائة ألف دينار سنويا ، فوافق الرشيد بعدما استشار بطانته (٢)

أما مصر فقد شهدت ثورات عديدة حتى أصبحت سمة من سماتها نتيجة تجاوز الولاة فى زيادة الضرائب على الأرض وسوء سيرتهم وعسفهم فاضطروا فى كثير من الأحيان أن يرفضوا أداء الخراج فلجأت الخلافة العباسية لاستخدام القوة العسكرية لجبايته .

ففى بداية خلافة المهدى ناشد محمد بن مسلم الخليفه ليرفع المعاناة عن أهل الخراج فاستجاب المهدى لذلك وكتب الى العمال برفع العذاب عنهم (٣) الا أن هذا القرار لم يتبع طويلا ، مما اضطر أهالى الحوف الى القيام بالعديد من الثورات منها :-

حين تولى موسى بن مصعب مصر على صلاتها وخراجها عام ١٦٧هـ-٧٨٣م تشدد فى استخراج الخراج ، وزاد على كل فدان ضعف ما تقبل به ، وارتشى فى حكمه ، وفرض الضرائب على الأسواق ، وعلى الدواب فنفر الجند منه ، وخرج عليه دحية بن مصعب وظل الموقف مضطربا حتى تولى الخليفة الهادى فأرسل

(١) البدء والتاريخ ، ج ٨٧/٦ ، وقيل ستين مليون درهم ، النجوم الزاهرة ، ج ٢١/٢ ، وقيل ثلاثة ملايين درهم ، الأزدى ، تاريخ الموصل ، ص ٢١٨ .

(٢) ابن الأثير ، ج ١٠٤/٥ ، تاريخ ابن خلدون ، ج ٤٤٦/٥ ، حسينى ، الادارة العربية ، ص ٣٢٤ ، أمير على ، مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٢٢ .

(٣) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٤٢ ، الدورى ، العصر العباسى الأول ، ص ٢٦٨ .

صالح بن علي بن العباسي ليعيد الهدوء اليها [1] واستعمل على خراجها عام ١٧٣هـ ٧٨٩م عمر بن غيلان فنفر عنه الناس وثار عليه الجند [2]

وفي عام ١٧٧هـ تولى اسحاق بن سليمان ، وأخذ في اصلاح الأمور الا أنه حين كشف الخراج لم يرضى بما كان يأخذه الوالي السابق ، فزاد على المزارعين زيادة فاحشة فثار عليه جماعة من أهل الحوف [3]

وفي السنه التالية كشف اسحاق بن سليمان الخراج وزاد على المزارعين زيادة أجحفت بهم فثار عليه أهل الحوف [4] كما خرج أهل الحوف على الليث بن الفضل بعد أن أنقص ما سحو الأرض أصابع من القصبة فتظلم الناس إلى الليث فلم يجبهم فخرجوا عليه [5]

ولما تولى الحسين بن جميل مصر عام١٩٠هـ -٨٠٥م تشدد في الجبايه فثار أهل الحوف وامتنعوا من أداء الخراج [6]

كثرت ثورات أهل الخراج بمصر وكان من أخطرها تلك التي استمرت من ٢١١-٢١٧هـ (٨٢٦-٨٣٢م) وذلك احتجاجا على الظلم وتفاقم الضرائب وسوء سيرة العمال فقد زاد ابن شيرزاد عليهم الخراج فثار الصعيدواستمرت الثورة حتى

---

(١) الكندي ، الولاة وكتاب القضاة،ص ١٢٥- ١٢٩ - النجوم الزاهرة،حـ٢/٥٤
ترتون ، اهل الذمه،ص ٢٥٠ .
(٢) النجوم الزاهرة ، حـ٢/ ٧٤ .
(٣) النجوم الزاهرة حـ٨٧/٢ - الكندي الولاة ص ١٣٦ ، الايوبي ، تاريخ مصر ، جـ١/ ١٢٣ .
(٤) المقريزي ، الخطط حـ٨٠/١ - الطبري جـ٢٥٦/٨ .
(٥) الكندي ، الولاة ، ص ١٤٠ - المقريزي ، الخطط حـ٨٠/١ - الايوبي ، تاريخ مصر حـ١٢٤/١ .
(٦) النجوم الزاهرة حـ١٣٥/٢، الكندي الولاة ص١٤٣- المقريزي- الخطط حـ٨٠/١ .

بلغت أوجها عام ٢١٦ هـ - ٨٣١ م حين ولى عيسى بن منصور فثار عليه الصعيد عربها وقبطها وخلعوا الطاعة ، فتوجه المأمون الى مصر عام ٢١٧ هـ - ٨٣٢ م . فوبخ عيسى بن منصور ، وقمع الثورات وأعاد الأمور إلى صوابه.(١)

فاذا كانت المراجع تشير الى سلبية الولاة وجباة الخراج فان المراجع تشير أيضا الى سلبية سكان وادى النيل فى دفع ما عليهم من الضرائب فقد كان بمصر قوم يمانعون دفع الخراج ويسلكون مناهج عديدة من المماطله والرشوة ، وادعاء عدم القدرة ، فلم يُجب خراج مصر كاملاً إلا مرة واحدة وذلك فى عهد الرشيد حين ولى عمر بن مهران خراج مصر عام ١٧٦هـ - ٧٩٢م فاستطاع أن يجبى الضرائب كاملة من دون نقص (٢)

رابعا : فتنة الأمين والمأمون :

من أخطر الفتن التى عصفت بالخلافة العباسية تلك التى قامت بين الأمين والمأمون ، فقد انقسمت الدولة بين الأخوين فاستقر المأمون بخراسان ، والأمين ظل ببغداد فواجه الطرفان صعوبات مالية أثر الصدام العسكرى وما يتطلبه من الدعم المالى والفوضى التى تصاحب كل اضطراب .

لقد وقعت الوحشة بين الأخوين قبيل وفاة الرشيد عام ١٩٣هـ ٨٠٨م بعد أن وهب الخليفة كل ما فى عسكره من الأموال والجواهر وغيره للمأمون معللا

(١) المقريزى ، الخطط ، حـ١/٨١ - ابن اياس ، بدائع الزهور ، حـ١/١٥٠ . النجوم الزاهرة ، حـ٢/٢٠٥- ٢١٢ .

(٢) الجهشيارى ، ص٢١٧ - ٢٢٠ - الطبرى جـ٨/٢٥٣ ، التحف الهدايا ص ٢١٣ النجوم الزاهرة ، حـ٢/٨٠ - ابن الاثير ، حـ٥/٩١ .

أن له ببغداد مثل ذلك وأنه تركه للأمين [1] عظم ذلك على الأمين وراسل سراً الفضل بن الربيع الذى تآمر مع القادة فى عسكر الرشيد وأنكروا هبة الرشيد للمأمون ونقلوهاالى الأمين ، ثم سعى الفضل حتى أقنع الأمين بخلع أخيه من ولاية العهد ، وأخذ البيعة لابنه موسى وقطع ذكر المأمون من الخطبة ورد المأمون على ذلك بأن أسقط الأمين من الطراز وقطع البريد عام ١٩٤هـ ٨٠٩م [2] فاستولى الأمين على مايملكه المأمون ببغداد والسواد [3] ومنع التعامل بما سكه المأمون ١٩٥هـ - ٨١٠م [4]

عرف المأمون بحسن سيرته ورجاحة عقله ، فانضم اليه بعض القادة كرافع ابن الليث بن نصر بن سيار ، واتبعه هرثمة بن أعين [5] فكان لهما الفضل فى تفوقه عسكرياواكتمل تفوقه حين أشار عليه الفضل بن سهل بأن يؤمن حدود خراسان بمصانعه ، ملك كابل وأطرافها بالهدايا والموادعة وبالتنازل عن خراج سنة للملك ابراز بنده [6] واسقاط ربع الخراج عن خراسان [7].

وفى ربيع الآخر عام ١٩٥هـ عقد الأمين لعلى بن بن عيسى بن ماهان على كور الجبل ، حربها وخراجها ، وأمره بالسير لحرب المأمون فى جيش قوامه

---

(١) العمرانى ، الانباء ، ص٨٧ - تاريخ البيهقى ص٢٨ - ابن الاثير الكامل حـ٥/١٣٤

(٢) نهاية الارب حـ١٦٧/٢٢ -١٧١ - ابن الاثير حـ٥/١٣٤ - تاريخالبيهقى ص ٢٩ الجهشيارى ، الوزراء ٢٧٧ - المسعودىالتنبيه والاشراف ص٣٠٠ .

(٣) الجهشيارى ص ٢٩٠ - تاريخ اليعقوبى ، حـ٢/٤٣٦ .

(٤) ابن الاثير حـ٥/١٤٢ .

(٥) الطبرى حـ٨/٣٧٥ - نهاية الارب حـ١٧٠/٢٢ - ابن الاثير حـ٥/١٣٨ - العيون والحدائق ص ٣٢٢ .

(٦) الطبرى ، حـ٨/٤٠٤

(٧) الطبرى حـ٨:٣٧٢ .

خمسون ألف فارس وفرق عليهم أموالاً لاتحصى[1] . وكان نصيب ابن ماهان مليونـــي دينار سوى الأثاث والكراع [2]

ووأمره أن يتقرب من أهل خراسان ويغمرهم بالاحسان والعدل[3] متناسيــــا سيرته السيئة في خراسان في عهد أبيه . أما المأمون فقد ندب طاهر بـــــن الحسن الخزاعي بمقابلة ابن ماهان الذي هزم بالري ، وغنم أصحاب المأمـــــون سبعمائة كيس في كل كيس ألف درهم[4] فعوض الأمين هذه الخسائر بمصادرة مليون درهم من أموال المأمون كانت مع وكيله وضياعه وغلاته في بغداد والسواد [5]

ثم جهز الأمين جيشاآخر قاده عبد الرحمن بن جبلة وأجازه بجوائز وولاه حلوان . واستطاع طاهر هزيمته وفر جنده الى بغداد ، وسيطر طاهر على مـــدن وقرى حلوان وقزوين وسائر كور الجبال بعد طرد عمال الأمين منها[6] فأصبحـــت تابعة لسلطة المأمون في خراسان .

وجه الأمين عام ١٩٦هـ أحمد بن مزيد محاولا وقف تقدم طاهر وأصحابـــه الا أن طاهر استطاع أن يثير جند ابن مزيد عليه فطالبوابزيادة روايتهم فعجــز عن اجابتهم فتفكك جيشه ، وأمر المأمون طاهر بتسليم القيادةلهرثمة بن أعين والتوجه نحو الأهواز[7] فاستولـــى عليها وعلى واسط ، وأعلن والي الكوفـــة

(١) الطبري حـ٨/٣٨٩ ـ النويري،نهاية الارب حـ١٧٢/٢٢ ،شذرات الذهب حـ٣٤٢/١

(٢) المقدسي ، البدء والتاريخ حـ١٠٨/٦ ـ

(٣) عبد الرحمن بن عبد الله ، المنهج المسلوك ص ٨٢

(٤) الطبري حـ٨/ ٣٩٤ .

(٥) النويري،نهاية الارب،حـ١٧٤/٢٢ ـ ابن الاثير الكامل جـ٥/ص٤٠ـ الطبري حـ٨/٣٩٥

(٦) الطبري،حـ٨/٤١٦ ، نهاية الارب ، جـ٢٢/ ١٧٥ .

(٧) الطبري ، حـ٨/٤٢٣ .

العباسى بن موسى الهادى خلع الأمين ونادى بخلافة المأمون وتبعه والي البصرة والموصل ثم اتجه طاهر الى المدائن فاستولى عليها واستقر بصرصر [1] ولكن الأمين استطاع من استمالة نحو خمسة آلاف من جند طاهر ، وفرق فيهم مالا عظيما عرفوا بالقواد الغالية ، وفرق فى قواده المحدثين خمسمائة ألف درهم وقارورة غاليه ، ولم يعط أصحابه القدماء [2] .

وتمكن طاهر من احداث فتنة فى معسكر الأمين فشغب الجند عليه فى ذى عام ١٩٦هـ وتقدم طاهر الى باب الأنبار [3] ونزل هرثمه بن اعين نهر بين ، ونزل ابن الوضاح الشماسية فحاصروا الأمين الذى خوت خزائنه ولم يعد فيها من المال مايسد حاجته ، فأمر ببيع كل مافي الخزائن من الأمتعة ، وسك الأوانى الذهبية والفضية دنانير ودراهم ، ليسد نفقاته [4] .

وشدد الحصار على بغداد ثم قذفها بالمجانيق حتى درست محاسنها ، ومنعت المواد الغذائيه عنها فارتفعت الأسعار فصار رطل الخبز بدرهم [5] ، وفرض طاهر المكوسى على السفن ما بين ألف الى ثلاثة آلاف درهم [6]

ونظرا لانقطاع موارد بيت المال لجأ الأمين الى مصادرة أصحاب الأموال

---

(١) نهاية الارب ، حـ٢٢/١٧٧-١٧٨ - الأزدى ، تاريخ الموصل ، ص٣٤٦ .

(٢) المسعودى ، مروج الذهب ، جـ٣/٤٠٩ - نهاية الارب جـ٢٢/١٨٠ ابن الاثير حـ٥/١٥٥ .

(٣) النويرى ، نهاية الارب ، حـ٢٢/١٨٠ - ابن الأثير ، جـ٥/١٥٦ .

(٤) الطبرى ، حـ٨/ ٤٤٦ ، مجهول ، العيون والحدائق ص ٣٣٢ .
المسعودى ، مروج الذهب جـ٣/ ٤١٨ .

(٥) العيون والحدائق ص ٣٣٤ ، نهاية الارب ، حـ٢٢/ ١٨١ .
الطبرى ، حـ٨/٤٥٨ ، مروج الذهب ، حـ٣/٤١٥ .

(٦) الخطيب ، تاريخ بغداد جـ ٨/٤٦١ - الطبرى، حـ٨/٢٤٥ .
الاربلى ، الذهب المسبوك ص ١٨٣ .

ففر كثير منهم بعلة الحج [١] واجتمع التجار على تأييد طاهر بعد ما تعرضت أموالهم للنهب من قبل الشطار [٢] وهدد طاهر بمصادرة ضياع من لم يخرج اليه من بني هاشم وقاده الأمين [٣] فانضم اليه العديد منهم ، وبقي القليل مع الأمين فأشاروا عليه باللجوء الى الجزيرة والشام لكي يستطيع أن يوحد صفوفه ويجبي الخراج ، فنزل الأمين عند رأيهم إلا أن طاهر علم بذلك فاستولى على أسواق الكرخ وحذر الأعيان من عواقب هروب الأمين واستطاعوا اقناعه بالعدول عن مشروعه ، وأن يسلم نفسه الى هرثمة بن أعين مؤكدين له السلامة [٤] ، ولكن جند طاهر استطاعوا القبض عليه وقتله وبعثوا برأسه مع البرده والقضيب والمصلى مع محمد بن الحسن الى المأمون الذي أمر له بمليون درهم [٥]

وتجمع المراجع أن سوء التدبير كان كامنا وراء هزيمة الأمين فقد أحرق الدفاتر والسجلات الخراجية ، وأسرف في الأنفاق على مجونه وبذخه الأموال الطائلة في اعداد الجيش ، في حين اتسم المأمون بالحكمة ، حتى صار يضرب

---

(١) الطبري ، خـ٨/٤٦٣ ، المسعودي ، مروج الذهب حـ٣/٤١٦ .

(٢) الشطار = جماعة من العامة تميزت حركاتها بالطابع الثوري وبخاصة ضد السلطة الحاكمه وأصحاب الأموال ، وكانت تضم بين صفوفها مختلف الأجناس والطوائف منهم العربي والكردي والفارسي والتركي والسني والشيعي فضلا عن أرباب الحرف المختلفة ، وكانت لهم تنظيمات عسكرية ولهم زي عسكري مكون من خوذ مصنوعة من خوص وورق البواري المحشي بالحصى والرمل والجلاجل في أعناقهم،مليحه ، الحالة الاجتماعية في العراق ، ص ٥٥ .

(٣) ابن الاثير ، حـ٥/ ١٥٨ ، المسعودي ، مروج الذهب حـ٣/٤١٧ .

(٤) ابن الاثير ، حـ٥/ ١٦٣ .

(٥) تجارب الامم،حـ٦/ ٤١٦ .

المثل بحلمه وبهذه الخصله تهيأ ملكه وقهر أخاه الأمين [(١)]

أما المأمون فيرجع هزيمة الأمين الى الفوضى الادارية ، وسوء بطانته ، والتسرع فى اتخاذ قرارات غير سليمة وغير مدروسه فيقول : لو أن الأمين حط خراج سنة عن خراسان لاستطاع أن يحدمن نشاطى [(٢)] إلا أن أهل بغداد اعتبروا اسراف الأمين نوعا من الكرم لأنه كان يغدق عليهم الكثير من الأموال والخيرات، وندموا وحزنوا على رحيله [(٣)]

وأثار المأمون غضب العباسيين وأهل بغداد حين ولى موسى الرضا لولاية العهد ، الا أن القفطى يصف هذه الحركة بانها سياسة رسمها المأمون لكى يتخلص من الهالة المرسومة للعلويين فى نفوس العامة [(٤)] فلم يدرك أهل بغداد ما هدف اليه ، فأجمعوا على مبايعة ابراهيم بن المهدى بالخلافة سنة٢٠٢ هـ ولقبوه بالمبارك فتولىوخزائن بيت المال فارغة ، فاقترض من التجار ، فأقرضه عبد الملك بن محمد الزيات عشرة آلاف درهم [(٥)] فسيطر على الكوفة والسواد ، الا أنه لم يستطع الاحتفاظ بالقوة العسكرية حين ثار عليه الجند مطالبين بأرزاقهم ، فأخذ يماطلهم لقلة المال ، فأعطى البعض مائتى درهم

---

(١) الطرطوسى سراج الملوك ص ٤٧ الدورى ، مقدمة فى تاريخ صدر الاسلام ص ١٦ عصر المأمون حـ١/ ٢٠٥ .

(٢) الجهشيارى ص ٣١١الطرطوسى ، سراج الملوك ص ١٢٣ .

(٣) عصر المأمون جـ١/ ١٩٩ .

(٤) القفطى ، اخبار العلماء /١٤٩- ١٥٠ - وقيل:كان ميل المأمون للعلويين اصطناعا،شذرات الذهب حـ٢/٣ .

(٥) عصر المأمون حـ٣/ ٢٧٩ .

وكتب للآخرين صكوكا يستلم بها الحنطة والشعير من السواد بدلا من أرزاقهم [1] كما امتنع قادته من القتال ، مدعين بأن الجند يطالبون بأرزاقهم ، [2] فأعلن افلاس الخزائن فأنفض عنه الناس ، فمكث في الحكم ستة شهور الى أن قدم المأمون نحو بغداد ، واستتر ابراهيم أكثر من ست سنوات عن المأمون الى أن ألقى القبض عليه [3]

وكادت تقع فتنة أخرى بعد وفاة المأمون ومبايعة المعتصم بالخلافة فقد تحيز بعض القاده الى العباس بن المأمون بعد فتح عموريه ، ومرجع هذا أن المعتصم وجه عجيف بن عنبسه لغزو بلاد الروم مع الفرغاني ولم يطلق يده في النفقات كما فعل المعتصم مع الأفشين في حربه ضد بابك ، فأخذ عجيف يحرض القادة والجنود على مبايعة العباس ، الذي رفض في بادىء الأمر فكرة الانقلاب ثم وافق ، فعلم المعتصم بهذه المؤامرة ، فقتل رؤساء الانقلاب جميعا ومن ضمنهم العباس بن المأمون وصادر أموالهم [4]

ومما سبق فان الثورات والفتن كلفت الدولة الكثير من المال والجهد في اخمادها، وتأخرت جباية الضرائب في مناطق الاضطرابات ، الا موارد بيت المال لم تنقطع عن خزينة الدولة ، لأن الثورة لم تكن شاملة لجميع الأقاليم ،

---

(١) ابن الاثير حـ٥/١٨٩ ـ تجارب الامم حـ٦/٤٣٨ .

(٢) الطبرى حـ٨/٥٦٩ ـ ابن عساكر ، تاريخ دمشق حـ٢/٢٧٥ .

(٣) ابن خلكان ، وفيات الاعيان حـ١/٣٨٥ ـ الجراح ـ الورقة ص ٢١ .

(٤) تجارب الامم حـ٦/٤٩٥ ـ العيون والحدائق ص ٣٨٠ .
النويرى ، نهاية الارب حـ٢٢/ ٢٥٣ .

بل اقتصرت فى مناطق محدوده قليلة الدخل اذا قورنت بالدخل العام لبيت المال ، ولأن هذه الثورات لم تدم فترة طويلة .

فأقوى الثورات العلوية تلك التى قام بها محمد النفس الزكية فى المدينة وقد استمرت أقل من ثلاثة أشهر ، وكذلك اخوه ابراهيم الذى استطاع أن يسيطر على مناطق واسعة ، ولكن لفترة قصيرة لم تؤثر على موارد بيت المال .

أما ثورات الخرمية فكانت تهدف الى الاستقلال عن الدولة الاسلامية سياسيا واقتصاديا ، فكلفت بيت المال نفقات باهظة ، لأنها قامت على أطراف الامبراطورية ، واستمرت فترات أطول ، وكان أخطرها ثورة بابك حيث استمرت عشرين سنة وتليها حركة المازيار ، واستطاع الثوار جباية الأموال من المناطق التى سيطروا عليها ، إلا أن دخل تلك المناطق كان ضئيلا ، فلم يؤثر على موارد بيت المال لكثرة مناطق الجباة ولا تساع رقعة الامبراطورية العباسية واستقرار الأمن فيها .

ومن جانب آخر فان خلفاء بنى العباس لم يتهاونوا فى موارد بيت المال فالمنصور لم يتخل عن خراج ضيعه فكيف فى خراج أقليم ، لذا زاد خراج السرى لمساندتهم ثورة سنباذوطالب الرشيد أهل الموصل بقيمة خراج السنين التى سيطر فيها العطاف عليهم رغم أن العطاف كان قد جبى هذاالخراج ، وجبى المأمون من أهل قم ضعف ما كان مقررا عليهم مع أنه سلك مع المناطق الأخرى مسلكا مغايرا ، اذ خفف عنهم الخراج .

وكان المزارعون ينظرون لهذه الثورات من جانب المصلحة ، فحين وجدوا

أن الثورة الخرمية تمدهم بالأراضى فأصبحوا هم المالكين للأرض ساندوا هـــذه الثورات ، فى حين نرى أن المزارعين فى فلسطين انفضوا عن ثورة المبرقع حيـن لم يجدوا فى هذه الثورة ما يعود عليهم بالفائدة .

وقد تكررت الثورات بمصر ولأسباب عدة ، ولكن خراج البلاد استمر كما هو على الرغم من قيام تلك الثورات ، ولكن الحقيقة أن الجباية لم تكن كاملة وذلك لأن جماعة من أهل مصر اعتادوا المماطلة فى دفع ما عليهم من الضريبة .

ولم تكن فتنة الأمين والمأمون عاملا لانقطاع موارد بيت المال ، فقـــد ظل كلاهما يجبى ضرائب الأقاليم التى يسيطر عليها ، وكان المأمون يضم كـــل اقليم ينتزعه من أخيه الى ممتلكاته الى أن حاصر بغداد فلم يجد الأمين مناطق للجباية فخلت خزائنه من الأموال .

ثم انتظمت الجباية للمأمون على يد الفضل بن سهل ، والحسن بن سهل وهو بخراسان .

الفصل الرابع

العلاقة الدولية

أولاً الثغور الجزرية
ثانياً الثغور الشامية
ثالثاً الثغور البكرية

لقد وجدت الخلافة العباسية منذ قيامها أن حدود بلادها تلامس بلاد وحكومات مستقلة لذلك كان لابد لها أن تحدد نمطا سياسيا فى التعامل معها ففى الشرق لم يخضع الترك والديلم لسلطان بنى العباس ، فكانت سياسة المنصور تهدف الى بسط سلطانه عليهم فى حذر ،بين الفتح تارة والتحالف تارة أخرى .

وكانت هناك دولة اسلامية فى الاندلس مناهضة لحكومة بغداد ، معادية لها فنتج عن ذلك تقارب بين الفرنج والعباسيين ، فتبادلوا الهدايا ، وان كان مغزى هذه الهدايا التى أرسلها شارلمان للرشيد تهدف الى حماية النصارى الذاهبين إلى بيت المقدس فاستجاب الرشيد لمطلبه (١) مقابل تحريض شارلمان على الأمويين فى الاندلس (٢)

أما البيزنطيون فهناك اشارات قليلة إلى بعض العلاقات الودية ، فيذكر الخطيب البغدادى قدوم وفد قيصر الروم لتقديم تهانيه للمهدى (٣) ، وان المأمون تبادل الهدايا مع قيصر الروم (٤) ، وكذلك الواثق (٥) ومقابل هذه الصورة من العلاقة الطيبة فى ظاهرها نجد نقفور ملك الروم يجعل يوم وفاة الرشيد عيداً للروم، ويوم وقوع الفتنة بين الأمين والمأمون عيداً آخر ، وعيداً ثالثا فى الوقت الذى بلغه خبر خروج أبى السرايا على الدولة العباسية (٦) . لذا فان الباحث لا يجد فى مصادرنا ذكر لهذه العلاقة الطيبة بين خلفاء العباسيين وبين البيزنطيين والفرنج ، بل أن من المؤرخين من ينفى هذه العلاقة ، وأن التجار قد لعبوا دوراً رئيسا فى نقل الهدايا من هذه الدولة إلى تلك باسم الخلافة

(١) سيديو ، خلاصه تاريخ العرب ، ص ١١٥ .
(٢) فليب حتى ، تاريخ العرب،حـ٢/٣٧٠ .
(٣) الخطيب ، تاريخ بغداد،حـ١/٩٢ ـ لسترانج ، بغداد،ص ١٢٧ .
(٤) الخالدين ، التحف والهدايا،ص ٢٥٩ .
(٥) الصولى ، ادب الكتاب ، ص ٤٥ .
(٦) الكاتب ، المكافأة ، ص ٨١ .

لتسهيل أمورهم التجارية ، وأن ما ذكر عن هذه الصلات هو محض خيال[١] وظل الروم العدو الرئيسي للخلافة الاسلامية ، فقسطنطين هاجم منطقة الثغور منتهزا فترة الاضطرابات في السنوات الأولى من عمر الدولة العباسية وهدد كل الثغور الاسلامية كالحدث وزبطره ومليطة[٢] فالقاعدة الأساسية للعلاقة هي الحروب بين الطرفين أما السلم فمسألة عارضة تحل حينا ثم تختفي ويمكن القول انهم كانوا يضطرون الى المهادنة اضطراراً[٣].

لقد بذل العباسيون جهوداً عظيمة ، والأموال الطائلة لتشييد القلاع واقامة الحصون وتزويدها بالرجال والعتاد ، وبتقديم الامتيازات للمرابطين وهذه الأمور كانت تكلف بيت المال الكثير بحيث لم يكن العائد من خراج تلك الثغور يكفي لسد ما ينفق عليها الأمر الذي يضطر بيت المال الى سد هذا العجز ، رغم وقوع جميع هذه الثغور في أغنى المناطق الزراعية والتجارية ، وهذا ينفي ما زعم من أن الصوائف والشواتي لم تكن سوى غارات للاستيلاء ، أو النهب والسلب الشائعين في ذلك العصر[٤]

فالعداء كلف بيت المال في العصر العباسي الأول ببغداد مبالغ باهظة على جميع الخطوط الحدودية الثلاثة من الثغور الجزرية والشامية والبكرية .

أولا : الثغور الجزرية :

من أهم الثغور الجزرية مرغش ، والحدث ، وزبطرة ، والحسنية ، وكيسوم ،

---

(١) فاروق عمر ، العباسيون الأوائل ، جـ ٢/٢٦٠ .

(٢) الطبري ، جـ٧/ ٤٩٧ ، الازدي ، تاريخ الموصل ، صـ ١٤٢ .
فاروق عمر ، العباسيون الأوائل ، صـ ٢٣٧ .

(٣) عصر المأمون ، جـ١/ ٢٩٠ .

(٤) علية الجنزوري ، الثغور البرية الاسلامية ، صـ٢٧ .

ومنصور ، مليطـــة ، وكان ارتفاع خراج هذه الثغور سبعين الف دينـــار ، يصرف فى مصالحها أربعون ألف دينا ر، ويبقى ثلاثون الف دينـــار ، ويحتاج لنفقة الأولياء والصعاليك على التجزئة مائة وعشرون ألف دينار ، تضاف الى البقية ، وعلى المبالغة مائة وسبعون ألف دينار تضـــاف اليها تتمـــه مائتى ألف دينار ، سوى نفقات المغازى فى أوقاتها[(١)] .

ومن أهم الثغور مرغش وهى مدينة صغيرة من حصون الشام الشماليـــة عامرة فيها مياه وزروع وأشجار[(٢)] ولها سوران وخندق وفى وسطها حصن عليـــه سور يعرف بالمرواني ، بناه مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين[(٣)] ، هاجمهـــا البيزنطيون وخربوها فكلف المنصور صالح بن على ببنائها واعادة تحصينهـــا فلما أتم البناء ندب الناس اليها وأغراهم بزيادة عطائهم[(٤)]

وتعرضت مرغش فى خلافة المهدى عام ١٦١هـ-٧٧٧م لغزو بيزنطى بقيـــادة ميخائيل فى ثمانين ألف جندى فحاصر المدينة وبها على بن عيسى فلم يستطـع اقتحامها[(٥)] وتكررت الهجمات على الثغر ، وكان أهمها عام ١٦٢هـ - ٧٧٨ م ، أما الرشيد فقد اهتم بالثغور وجعلها تحت أدارة واحدة عام ١٧١هـ - ٧٨٧م ، وسميت بالعواصم[(٦)] وقد تمكن البيزنطيون من مهاجمة مرغش عام ١٩١ هـ وقتـل عدد كبير من المرابطين فيها[(٧)] .

(١) قدامة ، الخراج ص١٨٧ ، خرداذبـــه ، المسالك ص ٢٥٤ ، كانت نفقات الصوائف والشواتي برا وبحرا تبلغ مائتى الف وقد تصل الى ثلثمائة الـف دينار أحيانا في السنة .- فازيلييف ، العرب والروم ص ٩٠ .

(٢) ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص٢٦٣ ،

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، حـ٥/١٠٧ .

(٤) قدامة ، الخراج ، ص٣١٩ ، البلاذرى ،فتوح البلدان ص ١٩٧ .

(٥) قدامة ، الخراج ص ٣١٩ - البلاذرى فتوح ص ١٩٨ .

(٦) صبح الاعشى حـ٤/١٣١ ، فاروق عمر ، العباسيون الاوائل حـ٢/٢٣٥ .

(٧) الطبرى ، جـ٨/٣٢٤ ، علية الجنزورى ، الثغور البرية ، ص ٧٨

ومن الثغور الهامة الحدث ويطلق عليه المهدية والمحمدية (١) وهي قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرغش يقال لها الحمراء (٢) وهي عامرة كثيرة البساتين والأشجار (٣) قد أدرك الحسن بن قحطبة أهمية ثغر الحدث عسكريا عام ١٦١هـ ، فلفت نظر الخليفة المهدي اليها فأمر ببناء الحدث فولى أمرها لعلى بن سليمان وبعد الفراغ من البناء توفى المهدي عام ١٦٩هـ ٧٨٥م ، فسميت المهدية (٤) بعد أن سكن بها ستة آلاف رجل ، وفرض لكل منهم أربعون دينارا وأقطعهم المساكن وأعطى كل شخص ثلثمائة درهم (٥) .

لم يكن بناء الحدث متينا فلم يصمد أمام الأمطار الغزيرة والثلوج فتهدم سورها واستطاع الروم اقتحامها ، فأمر الرشيد باعادة بنائها وتحصينها واقطاع مقاتليها المساكن والقطائع (٦) وقد تعرضت الحدث لعدة غزوات من الروم فهو جمت عام ١٧٠هـ - ٧٨٦م ، وهدمت وأعاد الرشيد بناءها من جديد فقد كانت هذه المدينة موضع اهتمام الخلفاء العباسيين (٧) .

أما زبطرة فقد كانت حصنا روميا قديما فتح مع حصن الحدث على يد على بن حبيب بن مسلمة الفهري (٨) واشتهرت زبطرة بكثرة أشجار البلوط

---

(١) قدامة ، الخراج ، ص٣٢٠ - ياقوت معجم البلدان حـ٢/٢٢٨ .
(٢) ياقوت ، معجم البلدان جـ٢/ ٢٢٧ .
(٣) ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٦٣ .
(٤) قدامة ، الخراج ، ص٣٢٠ .
(٥) ياقوت معجم البلدان حـ٢/٢٢٨ ، البلاذري ، فتوح البلدان ص ١٩٨ .
(٦) البلاذري ، فتوح ص١٩٨ ، قدامة ، الخراج ، ص٣٢٠ ، ياقوت ، معجم البلدان حـ٢/٢٢٨ .
(٧) عليه الجنزوري ، الثغور البرية ، ص٩٠ .
(٨) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٠٠ .

عبد الوهاب بن ابراهيم الامام واليا على الجزيرة وثغورها ، وصاحبه الحسن بن قحطبه فنزلا مليطة فى سبعين الف جندى ، وجمع العمال من كل بلد وساهم الحسن بن قحطبة فى البناء واطعام الرجال من ماله فجد الناس فى العمل حتى فرغوا من بناء مليطة ومسجدها فى ستة أشهر ، وقد حشد فيها المنصور أربعة آلاف مقاتل من أهل الجزيرة على زيادة عشرة دنانير فى عطاء كل رجل منهم ومعونة مائة دينار ، سوى الجعل الذى يتجاعله القبائل بينها ، وأقطع الجند المزارع وبنى حصن قلوذيه (١)

وحاول قسطنطين اقتحام مليطة فى أكثر من مائة ألف رجل وبلغه كثرة المسلمين ، فأحجم عنها ، ثم هوجمت فى خلافة الرشيد فلم يقدروا مع اقتحامها لتحصينها (٢) .

وحاصرها الامبراطور ثيوفل عام ٢٢٣هـ - ٨٣٧م ، فاضطر سكانها المسلمون تحت التهديد الى تقديم الهدايا وما تحت أيديهم من أسرى الروم ، ثم عاود الهجوم عليها عام ٢٢٧هـ-٨٤١م ، واستطاع الاستيلاء على جزء منها (٣) .

ويعتبر كمخ من الثغور التى تأرجحت كفة المسلمين عليها ، فقد استولى عليها المسلمون عام ٥٩ هـ -٦٧٨ م - على يد عمير بن الحباب (٤) وأمر المنصور الحسن بن قحطبه والعباس بن محمد بغزو كمخ ، فلم يستطيعا فتحها الا بعد ضربها بالمنجنيق ، ثم استولى عليها الروم واستعادها المسلمون عام ١٧٧هـ -

---

(١) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص١٩٥ ، ابن الفقيه ، البلدان ، ص١١٤ قدامة ، الخراج ص ٣١٩ .

(٢) قدامة ، الخراج ص٣١٩ ، البلاذرى ، فتوح البلدان ص ١٩٥ .

(٣) عليه الجنزورى ، الثغور البرية ، ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(٤) قدامة ، الخراج ، ص ٣١٦ .

٧٩٣ م - وظلت تحت سيطرة المسلمين حتى قيام فتنة الأمين والمأمون فهجرها أهلها ، واستولى عليها الروم ، واستطاع عبد الله بن طاهر من فتحها في خلافة المأمون ، الا أن الروم عادوا واستولوا عليها بعد أن تآمروا مع جماعة من أهل الذمه فسهلوا لهم فتحها (١)

ثانيا : الثغور الشامية

من الثغور الشامية المهمة طرسوس ، واذنه والمصيصة وعين ذربة والكنيسة والهارونية وبياس ونقابلس .

وقد بلغ خراج هذه الثغور نحو مائة ألف دينا ر، ينفق في مصالحها وسائر وجوه شئونها وهي المراقب والحرس والفوائير (٢) والركاضه ، والموكلين بالدروب والمخايض (٣) ، والحصون ، وغير ذلك مما ماثله من الأمور والأحوال وما يحتاج الى شحنها من الجند والصعاليك ، وراتب مغازيها ، الصوائف ، والشواتي ، في البر والبحر في السنة على التقريب مائتي وعلى المبالغة ثلثمائة ألف دينار (٤)

وقد تكفل بيت المال بسد النفقات المالية لهذه الثغور فاهتم خلفاء بني العباس بصيانتها وشحنها بالرجال والعتاد ، فمن الثغور المهمه :-

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٩٢ -١٩٣ ، قدامة ، الخراج ، ص ٣١٦

(٢) الفوائير : جماعة يذهبون خلف العدو في الطلب ، أو الجاسوس ، أقرب الموارد حـ٢/٩٠٣ ، فازيلييف ، العرب والروم ص ٩٠ .

(٣) المخايض : الذين يكلفون باختراق الأنهار والحصون ، فازيلييف ، العرب والروم ، ص ٩٠ .

(٤) خرداذبه ، المسالك والممالك ص٢٥٣ ، قدامة ، الخراج ص ١٨٦ .

طرسوس فقدعني الخلفاء العباسيون ولا سيما المهدي والرشيد بتحصين طرسوس التي تعتبر من أخصب الثغور ويشقها نهر في وسطها وعليه قنطرتان والمدينة تشكل حاجزا بين الروم والمسلمين (١) ، ويرجع الفضل في بناء طرسوس إلى الحسن بن قحطبة الذي أشار عام ١٦٢هـ - ٧٧٨م ، على المهدي بأن الثغر يتسع لمائة ألف مقاتل وكانت آنذاك خرابا ، فأوصى المهدي ببناء طرسوس (٢) .

اتبع الرشيد سياسة تعزيز الثغور ، وفي عام ١٧١ هـ علم هارون الرشيد بعزم الروم على اقتحام طرسوس فأمر بتحصينها وشحنها بخمسة آلاف رجل على زيادة لكل رجل في أصل عطائه عشره دنانير ، وتم الانتهاء من تحصينها في شهر ربيع الآخر عام ١٧٢هـ - ٧٨٨م ، فأقطع الرشيد أهل طرسوس الخطط (٣) .

ومنذ عام ١٩٦هـ - ٨١١م ، انشغل المسلمون في الحرب بين الأمين والمأمون وبدأ أمير طرسوس يهاجم الروم الا أنه هزم عام ١٩٧هـ - ٨١٢م، وسيطر الروم على طرسوس ، حتى تصدى لهم المأمون الذي استطاع أن يرد هجمات البيزنطيين التي كان آخرها عام ٢١٨هـ -٨٣٣م ، حين غزاهم واقتحم طرسوس وتوفى بها ، وبعد ظهور العنصر التركي استقلت طرسوس إلى حد ما بأوضاعها حتى في القيام بحملات ضد الروم (٤)

---

(١) أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص٢٤٩ ، القلقشندي ، صبح الاعشى جـ١٣٣/٤ .

(٢) قدامة ، الخراج ، ص ٣١٠ ، ابن الفقيه ، البلدان ص ١١٣ .
وذكر أن الثغر يتسع لمائتي ألف مقاتل .

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٧٦ - ١٧٧ ، قدامة ، الخراج ، ص٣١١ .
القلقشندي ، صبح الأعشى جـ١٣٣/٤ ،ابن الفقيه ، البلدان ص ١١٣ .

(٤) علبه الجنزوري ، الثغور البرية ، ص ٣٢ - ٣٥ .

أما المصيمة فهي عبارة عن مدينتين تسمى إحداهما المصيمه والأخرى كفربيا على جانبي جيحان ، وبينهما قنطرة حجاره ، وأرضها خصبة جداً تكثر فيها البساتين ، وريها من نهر جيحان ، ومن خصائص الثغر التجاريه عمل الفراء التي تصدر إلى الآفاق ، وربما بلغ سعر الفرو منها ثلاثين ديناراً [(١)]

تعتبر المصيمة من أوائل المناطق التي اهتم العباسيون بتحصينها لأنه الثغر الذي ينفذ منه الروم الى انطاكية ، وقد حصنها الأمويون عام ٨٥ هـ - ٧٠٤ م ، وعمرت فيعهدهم ، ومع بداية الخلافه العباسيه غززها أبو العباس بأربعمائة رجل زياده على من كان بها ، وأقطعهم ، وبعث المنصور اليها أربعمائة مقاتل ، وأمر عام ١٣٩هـ - ٧٥٦ م ، بترميم المدينة بعد إصابتها بهزه أرضيه ، وبنى سورها وأمدها بألف مقاتل وسماها المعمورة ، وأمدها المهدى بألفي رجل وفرض لهم العطاء إلا أنه لم يقطعهم الأراضي ، لأنها شحنت من الجند والمطوعة ، وكانت المقاتلة تأتيها من أنطاكية في كل عام فكثر من بها حتى وليها سالم البرلسي ففرض لخمسمائة مقاتل على خاصة عشرة دنانير [(٢)] ، وفي عام ١٦٥هـ - ٧٨١م - أغزى المهدى الرشيد الى بلاد الروم فنزل المصيمة ورمم المدينة ومسجدها وزاد في مقاتليها وبنى له قصرا عند جسر أذنة ، وفي خلافة المأمون أبطل الضرائب التي كانت على منازل كفربيا وبنى سور المدينة إلا أنه توفى قبل إتمامه فاستكمل في عهد المعتصم [(٣)]

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان حـ٥/١٤٥ ، أبو الفداء ، تقويم البلدان ص ٢٥١

(٢) قدامة ، الخراج ، ص ٣٠٨ ، البلاذرى ، فتوح البلدان ص ١٧٣ .

(٣) البلاذرى ، فتوح البلدان ص ١٨٣ ، قدامة ، الخراج ، ص ٣٠٨ .

أما أذنة فهى مدينة على نهر سيحان خصبة عامرة بالقرب من المصيصة[(١)] شحنت عام ١٤١هـ - ٧٥٨- ٧٥٩ م - بالجنود الخرسانيين بأمر صالح بن على بن عبد الله بن عباس[(٢)] وفى عام ١٦٥هـ - ٧٨١م - التى غزا فيها الرشيد بلاد الروم بنى جسر أذنة على سيحان ، وأعاد بناء القصر الذى بنى فى عهد المنصور ، وفى عام ١٩٤هـ - ٨٠٩ م - حصن أبو سليم فرج الخادم أذنة فأحكم بناءها وحصنها وندب اليها رجالا من أهل خراسان على زيادة العطاء بأمر الأمين[(٣)] .

ولقيت أذنة عناية فائقة من المأمون ، فقد أعاد بناءها وتحصينها والراجح أن أذنة ظلت تحت سيطرة المسلمين دون وجود أية قلاقل حتى قدم إليها فى خلافة المتوكل عام ٢٦٥هـ - ٨٧٨م - خمسة من بطارقة الروم فى ثلاثين ألفا من المقاتلين وتوجهوا الى المصلى وأسروا حوالى أربعمائة رجل وقتلوا حوالى ألف وأربعمائة من المسلمين[(٤)] .

وعين زربة من الثغور الغنيه ، فأراضيها خصبة كثيرة الثمار والمزارع والمراعى والنخيل[(٥)] وقد أمر هارون الرشيد عام ١٨٠هـ - ٧٩٦م - ببناء المدينة وتحصينها وشحنها برجال من خراسان وغيرهم ، وأقطعهم بها المنازل[(٦)] وأنفق على عمارتها مائة وسبعين ألف دينار ، وكان يعمل فيها كل يوم أربعون ألف

---

(١) أبو الفداء ، تقويم البلدان ص ٢٤٩ .
(٢) ياقوت،معجم البدان حـ١٣٣/١ ، قدامة ، الخراج ص ٣٠٩
(٣) قدامة ، الخراج ص ٣٠٩ ، البلاذرى،فتوح البلدان ، ص ١٧٥ - ١٧٦ .
(٤) عليه الجنزورى ، الثغور البريه ص ٥٥ .
(٥) الاصطخرى ، المسالك والممالك ، ص ٤٧
(٦) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص١٧٨ ، قدامة ، الخراج ، ص ٣١١ .

فاعل سوى البنانيـــن والحدادين والنجاريـــن (١) .

أما الهاونية وهو حصن صغير بالقرب من مرغشى فى طريق جبل اللكـــام عليها سور وأبوابها حديدية (٢) وقد استحدثها الرشيد عام ١٨٣هـ - ٧٩٩ م . وشحنها بالمقاتلة ، وقيل بروايه أخرى أن الرشيد بنى هذا الحصن فى خلافـــة المهدى وفرغ من بناءها فى خلافته ، كما أمر بإعادة بناء ثغر الكنيسة السوداء التى كانت من ثغور الروم خربـت فأعادوا بناءها وانتدب اليها المقاتلـة وزاد فى عطائهم (٣)

ثالثا : الثغور البكريـة

بلغ ارتفاع خراج هذه الثغور مليونا وثلثمائة ألف درهم فى السنـــة ، أما نفقاتها فى مصالحها وحصونها وأرزاق جندها فهى تساوى الايرادات حينا ، وتزيد عليها مليونا وسبعمائة ألف ، لتصل نفقاتها السنوية الى ثلاثة ملاييـــن درهم سنويا (٤)

ومن أهم الثغور البكرية سميساط ، وحانى وملكين ، وأهم حصونها جمح وحوران ، وقد وجه خلفاء بنى العباس عنايتهم لتحصين هذه الثغور حتى تكـــون قادرة على الصمود أمام هجمات الروم المتكررة ، فسميساط مدينة صغيرة مـــن بلاد الشام على نهر الفرات ، غنية بالبساتين (٥) ، فتحها المسلمون فى عهـــد

---

(١) عليه الجنزورى ، الثغور ص ٦٩ .
(٢) الاصطخرى ، المسالك ، ص٤٧ ، ياقوت الحموى ، معجم البلدان،ج٥/٣٨٨ .
(٣) البلاذرى ، فتوح البلدان ص ١٧٨ ، قدامة،الخراج ، ص ٣١١ .
(٤) قدامة ، الخراج ، ١٨٧ - ١٨٨ .
(٥) أبو الفداء، تقويم البلدان ص ٦٦ ، الاصطخرى ، المسالك ص ٤٦ .

الخليفة عمر بن الخطاب وقد ظلت تنتقل من السيطره الاسلامية الى السيطرة البيزنطية وبقيت مدة طويلة فى أيدى الروم ، ثم هاجمها المسلمون عام ١٥٢هـ - ٧٦٩م وأسروا عدداً كبيراً من أهلها ، وفى خلال فتنة الأمين والمأمون برز بعض الثوار الذين عملوا كقطاع للطرق ، وأثارة الاضطرابات فى المدينة وفرضوا الضرائب على أهلها ، وقد ظلت هذه الثغور معرضة لهجمات البيزنطيين كان من أشدها ما وقع عام ٢٤٢هـ - ٨٥٦م - حيث هاجموا ضواحى المدينة وغنموا وأسروا الكثير من المسلمين(١)

ومما سبق نجد أن الخلافة العباسية نظرت للامبراطورية على البيزنطية أنها العدو الأول لها ، فلم يكف الروم من مهاجمة الثغور مستغلين انشغال العباسيين بالأمور الداخلية وقد تصدى العباسيون لهم بروح الجهاد الاسلامى ، إلا أن هذه الصوافى لم تكن تهدف الى توسيع رقعة الدولة الاسلامية ، فجاءت فى هيئة هجمات فصلية لأبعاد تمركز البيزنطيين بالقرب من أقوى وأحصن - الثغور - المناطق التى يتمركز فيها المسلمون ، وقد كلفت بيت المال مبالغ باهظة فكانت أكثر من ضعف ما يجبى من الضرائب فى هذه الثغور ، فالصائفة التى خرج فيها الرشيد عام ١٦٥هـ - ٧٨١م - لغزو الروم قد رصد لحملته مبلغ " ١٩٣٤٥٠ دينار وأحدا وعشرين مليونا وأربعة عشر ألف وثمانمائة درهم " ونتج عن هذه الصائفة وصول جيش الرشيد الى خليج القسطنطين والتوصل الى هدنه مع أمرأه ليون لمدة ثلاث سنين وعليها أن تدفع فدية قدرها سبعون ألف دينار كل سنة ، بالاضافة الى ما غنمه المسلمون(٢)

---

(١) عليه الجنزورى ، الثغور ، ١٣٤ - ١٣٥ .

(٢) ابن الاثير ، حـ٥/٦٥ ، الطبرى ، حـ٨/ ١٥٢ .

ولا شك أن انتظام موارد بيت المال كان دافعا لإعداد مثل هذا الجيش ورصد مثل ذلك المبلغ له الى جانب سخاء العباسيين فى صد وردع البيزنطيين لإعتقادهم بأن هذا الجهاد واجب شرعى الهدف منه ردع المعتدى حتى تأمن حدود الدوله الاسلامية ، وليس توسيعا لها ، ولم يكن الهدف للاستفادة مما يفتحه الجيش أو للنهب ، وظل مبدأ الردع قائماً فى نظر الرشيد فما أن نكث نقفور بعهده ورجع عن الهدنة التى عقدها حتى سارع الرشيد اليه قبل أن يهاجم حدود الدولة الاسلامية ، وترتب على ذلك خضوع نقفور فقبل أن يدفع الجزية عن نفسه وعن ابنه ، وتعهد بدفع ثلثمائة ألف دينار سنويا لبيت المال ببغداد[(١)] حتى لا يكون لدى نقفور المزيد من المال يستعين به لمهاجمة المسلمين ٠

استمرت سياسة الردع لمقاومة البيزنطيين دون الإلتفاف للعبء المالى الكبير ، الذى يتحمله بيت المال لتجهيز الجيوش حتى عهد المأمون الذى غزا عام ٢١٨هـ - ٨٣٣م - أرض الروم بجيش كبير ، وقد عرض عليه رسول ملك الروم أن يعوضه عن كل ما أنفقه على الجيش منذ خروجه من بغداد الى وصوله الى البذيدون ، على أن يعود من دون قتال ، إلا أن المأمون رفض ذلك[(٢)] لأعتقاده بسلامة سياسة الردع التى اتبعها آباؤه وليس المغانم أو الفتح ، لأن الاستيطان فى هذه الجهات تكلف الدولة الكثير من الأموال ، كما أن الطقس البارد والمقيع مما لا يطيقه العربى ولم يألفه فيصعب عليه الحياه فى تلك المناطق ٠

ونظرا لصعوبة الحياة فى الثغور وخطورتها اتبع خلفاء بنى العباس تقديم الحوافز ، والامتيازات للمرابطين لحث المقاتلة على الاقامة فيها ، فجعل عطاء كل مقاتل عشرة دنانير إضافة على راتبه ، ومعونة قدرها مائة دينار

(١) الطبرى حـ٨/ ٣٢٠/٣٢٢ ٠

(٢) المسعودى ، مروج الذهب حـ٤/٤٢ ٠

فى السنة وشيدوا لهم منازل خاصة لإقامتهم وأسرهم ، وأقطعوهم الأراضى الزراعية وألغوا بعض الضرائب ، ويظهر أن هذه الامتيازات كانت غير كافية فى نهاية العصر العباسى الأول ، فلم يرجع هؤلاء المقاتلون بثروة ترفع مكانتهم الاجتماعية فى أوطانهم ، وقد صور الجاحظ المقاتلة بعدعودتهم الى ديارهم بأنهم انقلبوا الى شحادين فقراء يتجولون فى شوارعها يتكلمون عن بطولاتهم فيترجم عليهم الناس ويساعدونهم بالمال والزاد [(١)]

كان أول موقف سلبى تجاه الثغور من بعد خلافه المأمون حين تخلى المعتصم عن بعضها عام ٢١٨هـ - ٨٣٣م - وسحب من كان بها من المرابطين والسلاح ، وأمر بحرق ثغر طوانة[(٢)] ثم أهملت الثغورحتى بلغت ذروة الاهمال فى خلافة الخليفة المتوكل على الله فبدأ الضعف ينخز فى أسوارها ، وتدهورت اقتصاديا فاضطرب خراجها بعد أن تدخل العجم فى أمور الدولة ، فلم يعتن الخلفاء بهذه الثغور فانخفض خراجها وأعشارها ، فأمر المتوكل عام ١٤٣هـ - ٧٦٠م - بابطال الاغارات[(٣)] بعد عجزها من تقديم التزاماتها المالية والتى كانت تدفع مباشرة للخليفة .

---

(١) البيهقى ،المحاسن حـ٢/٦٢٢/٦٢٤ ، فاروق عمر ، العباسيون الأوائل حـ٢/٢٥٢

(٢) الطبرى حـ٨/ ١٦٧ .

(٣) البلاذرى ، فتوح البلدان ص ١٧٩ ، قدامة ، الخراج ص ٣١١ .

الفصل الخامس

الآفات والكوارث الطبيعية

أولاً الفيضانات .

ثانياً الحرائق .

ثالثاً الأوبئة .

رابعاً الزلازل والأعاصير .

خامساً الآفات .

أولا : الفيضانـــــات

لقد عجز الانسان منذ بداية تطور المجتمعات الحضرية من مكافحـــــة الآفات والكوارث ، ففي وادي الرافدين أنعم الله على سكان العراق بنهري دجلـة والفرات ، إلا أن هذه النعمة كثيراً ما عرضت وادي دلتا الرافدين لخطـــــر الفيضان ، فأصابها ما أصابها من المحن والكوارث ، وقد واجه سكانها منـــذ القدم هذا الخطر وعملوا على تفادي الفيضان بانشاء السدود الواقية ، وفتحوا الجداول والمصارف الواسعة الى المناطق المنخفضة .

فالبابليون اعتنوا بشئون الري ، وأدل شيء على عظم اهتمامهم ما جـاء بشريعة حمورابي من أنظمة فيما يتعلق بشئون الري حيث أدرك مدى الضـــرر الذي ينجم من إهمال الري فحتم على كلمزارع أن يطهر الترعة المارة في أرضه ، ويحافظ على سدودها ، وأن يقوم بما يلزم من الاصلاحات فيها[1]

ظل المزارع يعتنى بما تحت يديه حتى قيام الدولة الاسلامية ، ففـــي السنة السادسة من الهجرة زادت مياه دجلة والفرات زيادة عظيمة كسرت ضفاف الأنهار ، فحاول ابرويز أن يسدها فلم يستطع وخاصة بعد تقدم المسلمين نحـو العراق ، كما لم يكن في قدرة الدهاقين سدها فعظم الخراب[2]

إن للفيضان في وادي الرافدين طبيعتان تتميزان ، الواحدة عن الأخـرى بأن لكل منهما أهمية خاصة ، اخداهما تختص بارتفاع مناسيب المياه في مختلف المواسم ، والثانية تختص باحصاء كمية تصريف المياه التي تصل الى النهـــر

---

(١) سوسة : فيضانات بغداد ، حـ١/ ٢٠١ .

(٢) قدامه ـ الخراج ص ١٦٨ ـ ١٦٩ .

خلال السنة الموسمية ، وهذه تعتمد كليا على مدى استمرار ارتفاع مستوى الماء ولا علاقة لها بذروة منسوب الفيضان ، لذلك قد يصادف أن يرتفع منسوب مياه الفيضان ارتفاعا كبيراً ويبلغ ذروته لبضعة أيام في احدى السنين ، ولكن يكون مجموع كمية تصريف المياه التى تصل إلى النهر في خلال تلك السنة الموسمية أقل مما قد يكون عليه في سنة أخرى فيسجل منها منسوب الفيضان ذروته (١)

إن جريان مياه نهرى دجلة والفرات لا يخضع إلى نظام معين أى أن ما يحدث في سنة ما سواء كان ذلك فيما يتعلق بارتفاع منسوب مياه الفيضان أو ما يختص بكمية تصريفها السنوى لا يمكن أن يستنتج منه ما قد يحدث في السنة أو السنوات التى تليها ، كما أن لكل من النهرين نظامه الخاص ، فان ما يحدث في دجلة لا يحدث دائما في الفرات (٢)

لذا لم يوجه الأمويون ولا بنو العباس الأوائل العناية بمراقبة وتسجيل ارتفاع منسوب المياه في النهرين ، رغم ادراكهم أهمية ذلك ، فالمأمون أمر عام ٢١٧هـ - ٨٧٢م - أثناء رحلته الى مصر ببناء مسجد وسط النيل على أن يكون خلفه صهريج ووفى وسط الصهريج عمود من الرخام لقياس منسوب المياه في النيل (٣)

ومشكلة الفيضان في العراق قد بدأت نتيجة اهمال مشاريع الرى والتوسع العمرانى من بعد عام ٣٥٠هـ - ٩٦١م - على التقريب ، فصار فيضان نهرى دجلة والفرات موضع عناية خاصة من المسؤولين ، وأول اشارة الى مقياس نهر دجلة

---

(١) سوسه ، فيضانات بغداد ص ١٤٥ .

(٢) نفس المرجع ص ١٤٦ .

(٣) القزوينى ، آثار البلاد ص ٢٦٤ .

ذكره ابن الجوزي في حوادث عام ٢٩٣هـ - ٩٠٥م - فقال:" ونصب المقياس على دجلة من جانبها طوله خمسة وعشرون ذراعا ..."[(١)]

أما أخبار الفيضانات التي حدثت في الفترة التي تمتد من الفتح الاسلامي للعراق وبين تأسيس مدينة بغداد فليس لدينا معلومات عنها ، وقد بدأ المؤرخون بتدوين بعض أخبار الفيضانات الخطيرة بعد تأسيس المدينة ، وذلك بعد أن أصبحت معرضة لأخطار فيضانات دجلة والفرات وفرعيهما في العصر العباسي الأول ، الا أنها لم تصور بدقة مدى حجم الاضرار الواقعة على المنشآت السكنية والزراعية ...

وجاء ذكر أول فيضان لنهر دجلة بعد بناء بغداد عام ١٨٦هـ - ٨٠٢م - في أيام الرشيد حيث زادت مياه دجلة زيادة كبيرة فأضطر الرشيد أن ينزل بأهله وحرمه وأمواله الى السفن ومنع الناس من العبور اشفاقا عليهم[(٢)] .

وذكر فيضان آخر عام ٢٠٥هـ - ٨٢٠م حيث زادت دجلة زيادة عظيمة فهدمت المنازل ببغداد ، وكثر الخراب فيها[(٣)] وفي السنة التالية كان مد الفيضان أكبر من سابقتها ، فغرق السواد وكسكر وقطيعة أم جعفر ، وقطيعة العباس ، وأتلف أكثرها[(٤)]

---

(١) ابن الجوزي المنتظم حـ٦/٥٧ ، سوسه فيضانات بغداد حـ١/٢٨٣ ، ميخائيل عواد ، صوره مشرقه صـ ١٣٢

(٢) الجهشياري ، الوزراء ، صـ ٩١ . سوسه ، فيضانات حـ١/٢٨٠ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل حـ٥/١٩٧ .

(٤) الطبري حـ٨/٥٨١ ، ابن الاثير الكامل حـ٥/٢٠٤ ، الكبيس ، أسواق بغداد صـ ٢٨٦ .

وفي عهد المأمون زادت دجلة زيادة عظيمة وكان ذلك يوم الاربعاء لغرة ذي الحجة عام ٢١٥هـ - ٨٣٠م - حتى صار الماء على ظهور بيوت الرحى من الصراة - الجانب الغربي من المدينة - وذلك في وقت لم تكن تزيد فيه هذه الزيادة وتقطعت لذلك الجسور بمدينة السلام وزاد بعد ذلك أكثر من تلك الزيادة(١) .

كما زادت مياه دجلة في عام ٢٢٠هـ - ٨٣٥م - في شهر نيسان حينما كان المعتصم يريد القاطول وبناء سرمن رأى ، فقد صرفه حينئذ عن مقصده لكثرة زيادة دجلة فامتنع عن الحركة وانصرف الى بغداد ، ثم الى الشماسية حتى نزلت المياه الى مجاريها ، ولم يلحق النهر ضرراً بالمدينة(٢)

وفي عهد المتوكل عام ٢٣٢هـ - ٨٤٦م - غرقت مدينة الموصل وهلك خلق كثير من أهلها قيل : كانوا نحو مائة الف انسان ، وكان سبب ذلك هطول الأمطار الغزيرة التي لم يسبق لها مثيل ، بحيث إن بعض أهلها جعل سطلا عمقه ذراع في سعه ذراع فامتلأ عدة دفعات في نحو ساعة ، كما زادت دجلة زيادة عظيمة فركب الماء الربض الأسفل وشاطىء نهر سوق الأربعاء ، فدخلت المياه الأسواق ، وهدمت المنازل ، وقيل أن أمير الموصل غانم بن حميد الطوسي كفن ثلاثين ألفا وبقي تحت الهدم خلق كثير لم يستطع انقاذهم بالاضافة الى من جرفته المياه(٣) .

أما نهر الفرات فكان أول فيضان له عام ٢٧٠هـ - ٨٨٣م - حيث انكسرت السدود التي في منطقة نهر عيسى بالجانب الغربي من المدينة ، فتسبب عن

(١) طيفور ، بغداد ص١٤٣ ، سوسه ، فيضانات حـ١/٢٨٠ .

(٢) سوسه ، فيضانات حـ١/١٨٠ ، ميخائيل عواد ، صوره مشرقة ص ١٢١ .
الطبري جـ ٩/٢٠

(٣) ابن الأثير ، جـ ٥/ ٢٧٩

ذلك غرق حوالى ستة آلاف دار من محلات الجانب الغربى ، فيذكر الطبرى في تلك السنة " منها انبثق ببغداد فى الجانب الغربى منها من نهر عيسى من الياسريه بثق فغرق الدباغين وأصحاب الساج بالكرخ ، وذكرأنه دق سبعة آلاف دار ونحوها..."(١)

ويتضح من هذا أن نهر الفرات كان أقل خطراً من نهر دجلة ، وعلى كل حال فان عددالفيضانات المدمرة كان يسيرا فى العصر العباسى الأول . ويرجع البعض قلة الفيضانات فى هذه الفترة الى منشآت الرى التى كان لها أثر كبير فى السيطره على مياه الفيضان(٢) وكان فيضان نهر ديالى تجرى من أمام السد عند جبل حمرين لتصب فى دجلة عن طريق منخفضات ، أما نهر العظيم فكان يجرى من أمام سد العظيم حيث كانت تخزن فيها مياه الفيضان لتموين جدول النهروان بها فى موسم شح المياه ، فضلا عن ذلك كان سد نمرود على نهر دجله الذى يساعد على تحويل كمية غير قليلة من المياه الى جدول النهروان فى الجانب الشرقى إلى جدولى نهر الاسحاقى ونهر دجيل فى الجانب الغربى من النهر(٣) ، بالاضافة أن جميع الأنهار والجداول كانت ضفافها عالية لدرجة لا يخشى معها من خطر الفيضان(٤) .

وأن الأهالى أقاموا منازلهم فى مناطق عالية ويحيطون مزارعهم على أحد شطي النهر بسدود محكمة تاركين مياه الفيضان تنتشر فى الأراضى الواطئة خلف الشطر المقابل ، وهكذا كانت الحالة حين أقام المنصور مدينة السلام فقد أنشأها على الجانب الغربى لنهر دجلة حيث تقع أراضى هذا الجانب فى

(١) الطبرى ، حـ٩/٦٦٧ ، أحمد سوسة ، فيضانات بغداد حـ٢٨١/١ .
(٢) فيضانات بغداد حـ٢٨٠/١
(٣) نفس المرجع حـ٣٣٧/١ .
(٤) الدورى ، تاريخ العراق الاقتصادى ، صـ١٠

مستوى عال بالقياس الى مستوى أراضى الجانب الشرقى ، واستفاد من الأسوار المحيطة بالمدينة للوقاية من خطر فيضان دجلة من الشرق والفرات من الغرب تاركاًمياه فيضان دجلة تنتشر فى الأراضى الواطئة [١]

وهذا ينطبق أيضا على الرصافة فمن المرجح أن السور الذى أنشىء حول معسكر المهدى عند تأسيس الرصافة قد استفيد من وجوده للوقاية من أخطار الفيضان ، وإن كان الهدف الأساسى منه لتحقيق أغراض عسكرية دفاعية [٢] ، أضف الى ذلك مشاريع الرى التى يرجع تنظيمها بالأصل الى العهد الساساني ، فجعلت هذا الجانب أقل تعرضا لخطر الفيضان وخاصة سد نمرود [٣] . كما أن خلفاءبنى العباس أخذوا على عاتقهم مراقبة ضفاف الأنهار وتحصينها من أجل ضمان عدم تعرض المزروعات لأخطار الفيضانات وذلك بتقوية ضفاف الأنهار وللقنوات والسدود وهذا ما يطلق عليه " بتحصين الغلة " [٤]

ثانيا : الحرائق :

لقد تولى بيت المال تعويض الضرر من كوارث الحرائق التى نشبت فى عهد الخلفاء العباسيين الأوائل ، فقد وقعت عدة حرائق كبيرة دونها المؤرخون ففى عام ١٥٩هـ - ٧٧٥م - شب حريق فى السفن التى كانت راسية فى دجلة عند قصر عيسى بن على راح ضحيته عدد كبير من السكان بالاضافة الى السفن بما فيها [٥] .

---

(١) سوسة، فيضانات بغداد، حـ١/٢٢٧ .

(٢) نفس المرجع حـ١/٢٦٣ .

(٣) سوسة، فيضانات، حـ١/ ٢٦٠ .

(٤) الزهرانى ، موارد بيت المال، ص ٢٤٣ .

(٥) الطبرى، حـ٨/١٢١ ، ابن الاثير ، الكامل، حـ٥/٥٣ ، ابن كثير، البداية حـ١٠/١٣٠ .

وفى أثناء فتنة الأمين والمأمون تسبب الشطا رفى اشتعال الحريق فـــى سوق العطارين والصيارفة والصفارين والفرانين وأصحاب الراه وبعض الدور ، فأمر المأمون باعدام أربعة أشخاص عام ٢١٠هـ - ٨٢٥م - ذكر أنهم قد تسببوا فـــى الحادثة (١).

وفى عهد المعتصم عام ٢٢٥هـ - ٨٣٩م - وقع حريق هائل لم تشهد بغـداد مثله من قبل وكان السبب فى ذلك أن رجلا فى سوق الخزازين كان يثقب لؤلـؤاً وبين يديه نار فمر به جمل يحمل قضيبا فوقع طرقه على النار فاشتعلت ، فكلما أحس الجمل بوقع النار عليه جرى وتناثر الشرر منه على جانبى الطريق فحـــرق كل ما يجتاز به ، فكان حد ما احترق من أول سوق الخزازين الى طاق الحرانـى وسط قطيعة الربيع ، ومات عدد كبير من السكان ، وحدثت خسائر مالية عظيمة من رؤوس أموال التجار وانهارت بعض العقارات (٢)

وهذه هى المرة الأولى التى تتدخل فيها الدولة لتعويض المتضررين مـــن هذه الكارثة ، وكان ذلك بايعاز من ابن أبى دؤاد وزير المعتصم مبررا بأن هذه المعونة تعمل على ارهاب أعدائه ، فأطلق له خمسة ملايين ، وقيل عشرة ملايين درهم ليعوض بها المتضررين من التجار (٣)

ويذكر التنوخى بأن حجم الخسائر كان أكبر من مبلغ التعويض ، فتنـازل كبار التجار عن العوض حتى يأخذها صغارهم ، ورغم ذلك لم يكف واحتيج الـى

---

(١) طيفور : بغداد ص ١٩٨ ، الكبيسى،اسواق بغداد،ص ١٢١

(٢) التنوخى ، نشوار المحاضرة ، حـ١٠١/٢ ، اليعقوبى البلدان ص ٢٧١ .

(٣) وكيع ، اخبار القضاة حـ٢٩٧/٣، التنوخى،نشوار. حـ١٠٢/٢ ، الخطيب تاريخ بغداد، حـ١٤٩/٤ ، شذرات الذهب،حـ٥٦/٢ ، الكبيسى ، اسواق بغداد. ص٢٨٦

أضعاف ما حمل لهم من المال [1] ويمكن القول بأن هذه المعونة جاءت لكسب ود أهل بغداد واسترضائهم عن المعتصم بعد انتقاله الى سر من رأى ، ورغبته فى الحفاظ على مكانة بغداد الاقتصادية وهذا ما هدف اليه التجار ، وتعاونوا فيما بينهم فى المهنة الواحدة بأنهم كانوا يسهلون البيع للمحتاج منهم لكى يعوض ما خسر مع تحديدهم الأسعار [2] .

كما وقع حريق عظيم فى أيام الواثق فى الكرخ إلا أن الخراب لم يدم طويلا ، فقد تسارع الأغنياء بعمارة منازلهم وعجز الفقراء عن ذلك فأعانهم الواثق من ماله الخاص فى بناء مساكن الفقراء ، وقد بلغت هذه المعونة مليون درهم [3] .

ثالثا : الأوبئة :

لقد عجز الانسان قبل استكشاف العلم الحديث عن مقاومة الأوبئة فاستسلم لقضاء الله والدعاء والعبادة ليفرجها الله عنهم الكرب ، ويذكر المؤرخون بعض الاشارات الى تلك الأزمات باختصار شديد دون الاشارة الى مدى الأضرار الاجتماعية والاقتصادية ومدى تأثيرها على المجتمع .

أول اشارة لهذه الأوبئة فى العصر العباسى الأول كانت عام ١٤٦هـ ، حيث

---

(١) التنوخى ، نشوار المحاضرة، حـ٢/١٠٣ .

(٢) الشيخلى ، الاصناف. ص ١٣٤ .

(٣) الاربلى، الذهب المسبوك، ص ٢٢٤ ، تاريخ اليعقوبى. حـ٢/٤٨٣
الحسينى، عمران بغداد، ص ١٤٣ ، لسترانج. بغداد. ص ٦٦ .

وقع الطاعون ببغداد [١] وفي عام ١٥٥هـ - ٧٧١م - أصاب الناس وباء شديد توفى فيه خلق كبير وجم غفير [٢] وفي عام ١٥٨هـ - ٧٧٤م - أصاب الناس وباءعظيم [٣] وفي عام ١٦٧هـ ٧٨٣م - وقع وباء ببغداد وفشا في الناس سعال شديد وكثر الموت بين السكان [٤] ويذكر اليعقوبي بأن وباءآخر وقع في نهاية عام ١٦٨هـ - ٧٨٤م - وبداية عام ١٦٩هـ - ٧٨٥م - وصاحب هذا الوباء الأتربة ، توفى على أثره عدد كبير من السكان [٥] ووقع طاعون جارف في فلسطين في خلافة الرشيد ، نتج عنه وفاة معظم السكان ، فخربت أراضيهم وتعطلت فوكل الرشيد من عمرها ، وانتقلت ملكيتها للدولة لتكون من الضياع السلطانية ورغم ذلك ظلت المنطقة تشكو من ضعف أداء الخراج حتى عهد المتوكل الذي تسامح معهم [٦] وآخر وباء وقع في العصر العباسي الأول كان عام ٢٢١هـ - ٨٣٦م - حيث وقع الطاعون ببغداد [٧] .

رابعا : الزلازل والأعاصير

لقد اعتنى المؤرخون بتدوين هذه الظواهر وبالغوا في وصف هذه الكوارث بشيء من اللامعقول ، ولاشك بأن هذه الكوارث كانت لهانتائج عكسية على الناحية الاقتصادية والعمرانية في المناطق المنكوبة بصورة من الصور .

ومن كوارث الزلازل في العصر العباسي الأول ما وقع في خراسان ويذكر ابن الأثيربأن في عام ٢٠٣هـ - ٨١٨م - وقعت بخراسان زلازل عظيمة دامت مقدار سبعين يوما ، وكان معظمها ببلخ والجوزجان والغاريات والطالقان وما وراء

---

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور. حـ١/١٤٤ .
(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية . حـ١٠/١٢٩ .
(٣) الطبري. حـ٨/١١٥ ، ابن الاثير. حـ٥/٥١ .
(٤) ابن الاثير ، حـ٥/٦٩ ، الاربلي.الذهب المسبوك ص ١٠١ .
(٥) تاريخ اليعقوبي حـ٢/٤٠١ .
(٦) البلاذري ، فتوح البلدان. ص ١٦٥ .
(٧) ابن اياس ، بدائع الزهور. حـ١/ ١٤٤ .

النهر ، فخربت البلاد وتهدمت الدور وهلك فيها عدد كبير من السكان (١) .

وتعرضت الأهواز لزلازل عظيمة تصدعت منها الجبال وهرب أهل البلد الى البر والى السفن ، وسقطت فيها منازل كثيرة ، وسقط نصف الجامع واستمرت الزلازل ستة عشر يوما (٢) وصحبتها رياح شديدة (٣) .

وفى أيام الخليفة المتوكل ٢٣٢هـ - ٨٤٦م - وقعت هزة عظيمة باذربيجان مكثت سبعة أيام حتى دكت الاقليم دكا ، فمات عدد كبير من سكانها تحت الردم وترتب على ذلك خسائر مالية كبيرة ، وجاءت هزة بعد ذلك عام ٢٤٢ هـ ٨٥٦م - أعظم من الأولى بالري وجرجان ونيسابور واصفهان وقم وقاشان وأمغان فخربت مدنا عظيمة ، وقتلت خلقا كثيرا وسقط نصف دامغا على أهلها (٤)

وتعرضت قومس (٥) وما يليها من المدن لهزة عنيفة مات فيها خلق كثير ، وتساقطت المنازل عليهم وبلغ عدد ضحايا هذه الهزة أكثر من خمسة وأربعين ألفا ، وقد سبقت هذه الهزة عواصف شملت فارس وخراسان والشام واليمن (٦) وهبت أعاصير شديدة عام ٢٣٢هـ - ٨٤٦م - بالعراق لم يعهد مثلها أحرقت زرع الكوفة والبصرة وبغداد ، وقتلت المسافرين ، ودامت خمسين يوما ، واتصلت بهمدان ، وأحرقت الزرع والمواشي واتصلت بالموصل وسيخا ، ومنعت الناس

---

(١) ابن الاثير ، الكامل.حـ٥/١٩٥

(٢) شذرات الذهب.حـ٢/٥٦

(٣) ابن الاثير ، الكامل حـ٥/٢٦٤ ويذكر أن هذه الهزة وقعت عام ٢٢٦هـ .

(٤) ابن الساعى ، مختصر اخبار الخلفاء.ص ٦٢ .

(٥) يقال لها بالفارسية كومش وتقع بين خراسان وبين بلاد الجبل من ناحية السفوب أكبر مدنه الدامغان ، وقومس منطقة كبيرة كثيرة القرى ، ابو الفداء ، تقويم البلدان.ص ٤٣٢ .

(٦) القلقشندى ، مآثر الأناقة ،حـ١/٢٣٣ .

من المعاش في الأسواق ومن السير في الطرقات وأهلكت خلقا عظيما [١] .

خامسا : الآفـــات

لم يتوصل الفلاح في العصر العباسي الى وسيلة يقاوم بها الآفات الزراعية كالجراد والفئران وغيرهما فكانت تلتهم المزروعات والمحاصيل ولم تستطع الخلافة العباسية أن تقدم أي عون للمزارعين سوى تخفيف الخراج عليهم أو الغائهـــا وتأجيلها في حالات نادرة ، أما المزارع فقد وقف مكتوف الأيدي تجاه الجـــراد وغيره وان حاول الفلاحون دفعه عن المزروعات بدق الطبول والأبواق [٢]

ففي خلافة المأمون رفع أهل السواد اليه شكوى اتيان الجراد على غلاتهم فعجزوا من أداء الخراج ، فكتب المأمون في عريضتهم " نحن أولى بضيافة الجراد من أهل السواد فليحط عنهم نصف الخراج" [٣]

وفي عام ٢٢٢هـ - ٨٣٦م - ظهر في كورتي سرخس ومرو ودنسق من الفئران لا حصر له ولا عد ، فلم يستطع الأهالي مقاومتها ، فاستطاعت هذه الفئـــران اتلاف غلات تلك السنة [٤]

ولم يجد الباحث فيما أطلع عليه أن خلفاء العصر العباسي الأول قـــد ساهموا في تخفيف الأضرار التي وقعت على المزارعين غير المأمون ، وهـــذا يعني أن الضرر كان يتحمله المزارع في أغلب الأحيان .

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء ص ٣٤٧ ، الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك الارض ص ١٤٥-١٤٦. ويذكر ابن الاثير ان الاعاصير وقعت عام ٢٣٤هـ ، حـ٦/٢٧٥ .

(٢) الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص٥٠ .

(٣) الثعالبي ، خاص الخاص ، ص ٧٠ .

(٤) الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك الارض ، ص ١٤٥ .

فمنذ قيام الخلافة العباسية لاقى سكان المعمورة الاسلامية رخص الأسعار ووفرة في المواد الغذائية واستقرارا حتى تطور الأمر الى البحث عن الكماليات والرفاهية لدى أصحاب الثروات ، الا أن هذه الحياة الرغده تخللتها بعض الأزمات السياسية والطبيعية فتعرضت لموجات متباعدة من القحط والمجاعة ولفترة زمنية محدودة خلال العصر العباسي الأول ٠

وجاءت الاشارة الأولى لقلة المواد الغذائية في خلافة المهدي عام ١٦٥هـ وذلك بسبب سقوط الثلوج على بغداد وقد بلغ ارتفاع الثلوج على الأرض نحو ذراعين فقلت المواد الغذائية وقحط الناس في السنة التالية فنادى المنادي أن يصوموا ثلاثة أيام وليستسقي في اليوم الرابع فلما كانت الليلة الثالثة أصابهم الثلج فقال لقيط بن كثير المحاربي في ذلك :

وسقينا - قد قحطنا وقلنا   سنة قد تنكرت حمراء

بدعاء أخلمته في سواد   الليل لله فأستجيب الدعاء

بثلوج تحيا بها الأرض حتى   أصبحت وهي زهرة خضراء [(١)]

وحدثت مجاعة في عهد المأمون وهو مقيم بخراسان في عام ٢٠١هـ - ٨١٦م فقد أصاب تلك البلاد وأصبهان والري مجاعة شديدة وكثر الموت بين سكانها [(٢)] وبلغ مد القمح عشرين دينارا ، ويرجع سبب المجاعة الى تحركات المأمون العسكرية والنفقات الكبيرة في قتاله الأمين ، ومن جهة ثانيه تحرك بابك الخرمي وانضمام عدد كبير من الفلاحين اليه فتركوا الارض دون زراعة فشحت المواد الغذائية [(٣)] ٠

---

(١) الطبري،جـ٨/١٨٣ ، الاربلي،الذهب المسبوك،ص ١٠٠

(٢) الطبري،جـ٨/٥٥٦ ، ابن الاثير جـ٥/١٨٩ ، العيون والحدائق ص ٣٥٩

(٣) البدء والتاريخ،جـ٦/١١٢ ٠

كما أصاب أهل بغداد ضيق في المواد الغذائية عند دخول المأمون اليها (1) وهذه المجاعة كانت حصيلة الصراع بين الأمين والمأمون ، وأيضا الاضطرابات على أثر مقتل الأمين وانتشار الشطار وقطعهم للطريق فضلا عن كونهم تسببوا في حريق السوق ، مما دفع المأمون الى اعدام أربعة منهم ومن جهة أخرى فان الزط حالوا دون وصول المواد الغذائية ، وقطعوا الطريق عن بغداد •

نرى مما سبق أن خلفاء العصر العباسي الأول اعتنوا بتقوية ضفاف الأنهر والجداول الكبيرة للحد من فيضانات دجلة والفرات حتى لا تغمر الأراضي الزراعية والمناطق السكنية ، ومع ذلك اجتاحت المياه هذه المناطق وهدمت المنازل وأتلفت المزروعات ، الاأن المصادر التي أطلع عليها الباحث لم تذكر إن كان الخلفاء قد أعفوا من تضرر من الخراج ، أو أنهم تلقوا المساعدات من بيت المال • في حين ساهمت الدولة بمبالغ عوضت المتضرر من الأهالي والتجار بعد كوارث الحرائق ، ولكن هذا التعويض لم يسد جميع ما خسروه •

ونتج عن الأوبئة والزلازل والآفات تعطل مصالح المسلمين ، وخربت بعض الأراضي الزراعية نتيجة وفاة عدد كبير من مزارعيها ، وليس هناك ما يدل على أن من خلفاء العصر العباسي الأول قد ساهم في الغاء أو تأجيل خراج هذه المناطق ، أو أنهم أصروا على جبايتهم عدا موقف للمأمون الذي ألغى نصف خراج سرخس ومرو، وهذا يعني أن هذه الأضرار كانت تقع على عاتق المزارعين ولم تلغ ، بل ظلت الضريبة قائمة ملزمة إلى أن يتمكن الناس من أدائها ، ولم تتضح أن الدولة تصدت لأزمات القحط ووفرت المواد الغذائية للمناطق المنكوبة حين ارتفعت أسعارها •

---

(1) ابن قتيبة ، المعارف ص ٣٩٠ •

الباب الثاني

موارد بيت المال

الفصل الأول

الخراج

اولاً تعريف الخراج .

ثانيًا الخراج في الدولة الاسلامية .

ثالثًا الخراج في العصر العباسي الأول .

أولاً: تعريف الخراج :

الخراج كلمة فارسية المقصود منها مايؤخذ من أرض الصلح ، والعشر على مايؤخذ من زكاة الارض التى أسلم أهلها وهى فى حيازتهم ، وعلى التى أحياها المسلمون من الارض او القطائع [١] وقال أبو عبيد : " معنى الخراج فى كلام العرب هو الكراء والغلة ، ألا تراهم يسمون غلة الارض والداء والملوك خراجا " فأرض العنوة يؤدى أهلها الى الإمام الخراج كما يؤدى مستأجر الارض والدار كراءها الى ربها الذى يملكها ويكون للمستأجر مازرع وغرس فيها [٢]

ويذكر الماوردى أن الخراج ما وضع على رقاب الارض من حقوق تؤدى عنها ،وان الفرق بين الخرج والخراج أن الخرج من الرقاب والخراج من الارض ، والخراج فى لغه العرب الكراء والغلة [٣]

ويذكر الصولى أن الخراج فى اللغة الأجر ، ومنه خراج الارضين ، وقال الفراء الخراج أعم والخرج اقل كأنه شئ من الخراج ، ويقال للذمى أد خرج راسك [٤]. وذكر ابن رجب ان معنى الخراج هو المال الذى يجبى ويؤدى بأوقات محدده [٥]

مجموع هذه التعاريف تبين أن كلمة الخراج تعنى عدة معانه ،ويذكر الدكتور الدورى ان المعنى استقر فى عهد عمر عبد العزيز بمعنى انها الضريبة المفروضة على الأرض .

---

(١) الخوارزمى ، مفاتيح العلوم ص ٣٩ ، وقيل الخراج كلمة نقلت عن اليونانية عن طريق البيزنطيين . الريس ، الخراج ، ص ١٢٣.

(٢) ابن سلام ، الاموال ، ص ٧٤ ابن الجوزية ، احكام اهل الذمة حـ١/١١٠

(٣) الماوردى،الاحكام السلطانية . ص ١٤٦

(٤) الصولى ، ادب الكتاب ، ص ٢٢١

(٥) ابن رجب ، الاستخراج لاحكام الخراج ، ص ٩

تعد ضريبة الخراج أهم موارد بيت المال • وأقدم أنواع الضرائب التى عرفها التاريخ ، والأصل في وضعه أن الناس كانوا يعتبرون الأرض ملكا للسلطان أو الملك ، فأعتبر التتر الارض لايحق أن يتملكها الافراد ، والجرمان القدماء لايعترفون بملكية الارض الا لحكامهم او رؤسائهم [(١)]

عرفت الأمم الخراج ولكن نظامه لم يكن واحداً فى المقدار والجباية • نشأت هذه الضريبة بمصر فى عهد الملك رمسيس الثانى ، فقد وزع الاراضى على طبقات المجتمع ، وأعطى رجال الدين من الخراج ، اما الفلاح فقد كان يزرع ويحصد ثم يترك رجال السلطان يأخذون مالهم ويترك له الباقى ، لأن الزراعة اعتمدت على فيضان النيل ، وقيل بل كان الخراج على المساحة وفرضت عليها عشر المحصول الناتج [(٢)] وقدر خراج مصر أيام الفراعنة بستة وتسعين مليون دينار [(٣)] •

أما الروم فقد فرضوا خراجا ثقيلا على الأهالى ولم يراعوا حالة الأرض مما أثار تذمر الأهالى فتركوا الأرض ونزحوا بعيداً عنها تخلصا من دفع الخراج [(٤)] فى حين كان النبلاء قد حملوا على الحماية فلم يستطيع الجباة دخول أراضيهم وامتنعوا من دفع الخراج [(٥)] واتبع الرومان نظام المساحة وفرضوا على كل مائتى مدى ثلاثة دنانير فى كل سنة بالاضافة لعشر الغلات لنفقات الجيش [(٦)] •

---

(١) جرجى ، التمدن ، حـ١/٢٢١

(٢) المقدسى ، احسن التقاسيم ، ص ٢١٢ ، بدوى،النظام المالى ، ص ٣٤

(٣) خرداذبه المسالك ، ص ٨٣ ابن رسته، الاعلاق النفسيه ، ص ١١٨

(٤) بدوى ، النظام المالى ص ٣٥

(٥) الدورى ، نشأه الاقطاع ، ص ٦

(٦) ابن الفقية، البلدان،ص ١٤٧

اما الخراج عند الفرس فكان في بادئ الأمر على المقاسمة [(١)] ، واختلف مقدار المقاسمة بأختلاف الجهات تبعا لجودة الارض ، وطريقة الري ونوع الزرع وكان الواجب فيه لايزيد على الثلث ولاينقص عن السدس ، [(٢)] وظل متبعا حتى أيام قباذ ، فأمر بالعدول عنه الى نظام المساحة ، ولكنه توفى قبل أن يقره ، فأمر كسرى أنوشروان باقراره ووضع الخراج بحسب ما تتحمله الارض ومع أصناف معينة مثل الحنطة والشعير والرطاب والزيتون والنخيل والارز ، وترك ماسوى ذلك تقوية للناس في معاشهم وأمر بعدم أرهاق المزارعين ، واعفى من تضرر زرعه من الافات من دفع الخراج [(٣)] ، وقسط الخراج على ثلاثة انجم [(٤)] فكان خراج السواد مائة وخمسون مليون درهم في عهده [(٥)] .

أما العرب في الجاهلية فلم يكن لديهم نظام الخراج ، لعدم وجود حكومة منظمة تقوم بالجباية ، وكانت موارد الدولة الاسلامية أيام الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأبي بكر منحصراً في الزكاة والغنائم والجزية ولم يكن الخراج معروفا حتى نهاية خلافة أبي بكر وبداية خلافة عمر بن الخطاب [(٦)]

ثانيا : الخراج في الدولة الاسلامية :

اعتمدت موارد الدولة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وابي بكر على الزكاة والجزية بالمقام الاول ثم الغنائم . إلا أن هناك بوادر مايشبه

---

(١) خطط الشام حـ٥/ ٤٨

(٢) الاصطخري،المسالك،ص ٩٥ ناجي معروف ، موجز تاريخ الحضارة،ص ٤

(٣) الدينوري،الاخبار الطوال،ص ٧١ _ دانيل،الجزية والاسلام،ص ٤٢ بدوي ، النظام المالي ص ٣٦.

(٤) صالح العلي ، التنظيمات الاجتماعية ص ١١٥

(٥) خرداذبة المسالك ص ١٤ .

(٦) ابن الجوزية _ احكام اهل الذمة حـ١/ ٥٤

الخراج فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فبعد فتح خيبر عام ٧ هـ ٦٢٨م واستيلاء المسلمين على اراضى اهلها ، لم يكن فى أمكان الرسول من رعاية الارض لقلة عدد الصحابة ، وعدم درايتهم بأمور الزراعة ، فوافق اليهود على أن يعلموا مجرد مزارعين لأرض خيبر بعد أن أصبحت من ممتلكات الدوله ، على أن يقاسمهم الرسول نصف غلاتهم ، وولى عليهم عبد الله بن رواحة ، فأستمرت المقاسمة حتى بدايه خلافة عمر بن الخطاب [(١)]

لم يأخذ عمر بن الخطاب بهذا النظام ، ويمكن القول بأن الخراج في اساسه اجتهاد عمر بن الخطاب وكبار الصحابة ، فالمصادر لم تشر الى أن الخليفة استشار أهل خيبر عندما فرض الخراج ولم يوزع الاراضى على المقاتلين ، ولكن جاء بمبررات أخرى تتفق مع مصلحة دخل الدولة منها :-

أنه حين بعث عما له الى الكوفة وحدد لهم أرزاقهم فى كل يوم شاه تقسم بينهم قال :ما أرى قرية يؤخذ منها كل يوم شاة الا سريعا خرابها [(٢)] " ، وقال حين طالبوه بتقسيم أرض السواد " فما لمن جاء بعدكم من المسلمين ، وأخاف ان تفاسدوا بينكم فى المياه ، فأخاف أن تقتلوا [(٣)] "

وقال ابو يوسف ان عمر رغب أن يقسم السواد فوجد الرجل يصيب الاثنين والثلاثة من الفلاحين فشاور عليا فأجاب : " دعهم يكونوا مادة للمسلمين " فامتنع [(٤)]

---

(١) البلاذرى ، فتوح ص ٣٠ ـ ٣٢ ابو يوسف الخراج ص ٥٠ الرخبى ، الرتاج حـ١/ ٣٥١ .

(٢) ابن الجوزية احكام اهل الذمة حـ١/١٠٧

(٣) الصولى ، ادب الكتاب ، ص ٢٠١ ـ الخطيب ، تاريخ بغداد حـ١/٧ ابويوسف الخراج ص ٢٨.

(٤) ابو يوسف،الخراج ص ٣٦

وأرتفعت أصوات الفاتحين احتجاجا وعلى رأسهم بلال بن رباح ، فاجتمع الخليفة بأهل الرأى ووضح لهم وجهه نظره المتمثلة فى مصلحه الدولة ومستقبلها ، وسانده عثمان بن عفان والامام على وطلحة ، فاتفق على ترك الارض وفرض الخراج عليها (١)

كلف عمر عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان بمسح اراضى السواد فوجدوه سته وثلاثين مليون جريب ، فوضع على كل جريب درهما وقفيزاً (٢) معتبراً ذلك أجراً سنويا على الأرض ، ولم يفرض الخراج على الشجر والنخيل (٣)

وفى سنه ٢٢هـ وجه المغيرة نظر الخليفة الى وجود مساحات كبيرة من الارض تنتج محاصيل أخرى غير الحبوب ولاتخضع للضريبه ، فأصدر عمر سلسلة جديده عن تقديرات ضريبيه لتشمل معظم الغلات (٤)

فوضع على جريب الحنطة أربعة دراهم ، وعلى جريب الشعير درهمين ، وعلى جريب النخل ثمانية دراهم وجريب الكرم ستة دراهم وجريب الرطاب ستة دراهم .. (٥)

ويذكر ابن القيم أن الروايات اختلفت عن تقدير الخراج فى عهد عمر بن الخطاب ، ممايدل على أن الخراج لم يكن مقدراً من الناحية الشرعية بل قابلا للزيادة والنقصان على اساس طاقة الارض من جودة الخصوبة أوقلتها ، ومن جهة نوع الشجر والزرع وغير ذلك ... (٦)

---

(١) ابو يوسف الخراج ص ٣٥ الرجبى ، الرتاج ، حـ١/٢٦٦ .

(٢) ابن الجوزيه حـ١/١٠٨ ، الصولى ، ادب الكتاب ص ٢١٨ .

(٣) الصولى ـ ادب الكتاب ، ص ٢١٨ ابو يوسف ، الخراج ، ص ٣٨ .

(٤) دانيل ، الجزيه والاسلام ، ص ٥٧ .

(٥) ابن الجوزيه احكام اهل الذمه حـ١/١٠٧ ، خرداذبه، المسالك، ص١٤ ـ المقدسى احسن التقاسيم ص ١٣٣ ابويوسف الخراج، ص ٣٦.

(٦) ابن الجوزية ، احكام أهل الذمة، حـ١/١١٥ .

أما ابو يوسف فيقول ان تقدير الخراج جاء على اساس العدل واحتمال الأرض[(١)] ويرجع بعض المؤرخين أن الاختلاف فى تقدير الخراج فى عهد عمر انما كان شكليا فقط لأن سعر القفيز من الحنطة كان يساوى آنئذ ثلاثة دراهم وسعر القفيز من الشعير يساوى درهما وأحداً ، وهذا يعنى بأن عمر الغى العين من المحاصيل وأبدلها بالدراهم[(٢)] .

أقر عمر بن الخطاب نظام المساحة ، وسار عليه من جاء من بعده حتى خلافه المهدى العباسى كما اتبع نظام المقاسمة ولكن فى حدود ضيقه وخاصة فى القرى الصغيرة ، بعهد من عمر وعلى فقاسموا على العشر والثلث ، والربع وغير ذلك ، كما اتبعت المقاسمة او المقاطعة وعلى الأكراء على الضياع السلطانية[(٣)] وقد بلغ خراج السواد قبيل وفاة الخليفة عمر بن الخطاب مليون درهم[(٤)] .

وجزيتها بلغت مائة وثمانية وعشرين مليون درهم[(٥)] وقدر خراج مصر فى عهد عمر باثنى عشر مليون دينار[(٦)] وبلغ خراج مصر فى خلافة عثمان بن عفان اربعة عشر مليون دينار[(٧)] .

ولست بصدد حصر مقدار الخراج في الاقاليم الا أن الخراج أصبح مصدراً رئيسياً لسد نفقات الدولة فى صدور الدولة الاسلامية .

---

(١) ابو يوسف الخراج ص ٣٧

(٢) الدورى ، النظم الاسلامية ص ١٢٣ ، كان الدرهم = اربعة عشر وعلية جرى تقدير الخراج الرحبى . الرتاج حـ١/٢٠٦ .

(٣) الاصطخرى المسالك ص ٩٥ ، عبد الرازق الظاهر ، الاقطاع والديوان ص٧ ، الريس ، الخراج ، ص ٤٠٣ .

(٤) البلاذرى فتوح ص ٢٧٩ الرحبى الرتاج حـ١/٢٠٦

(٥) احسن التقاسيم ص ١٣٣، خرداذبه ، المسالك ص ١٤

(٦) النويرى ، نهاية الارب ، حـ١٩/٣٢٣ ابن حوقل ، صورة الارض ص ١٢٩

(٧) النويرى ، نهاية الارب حـ١٩/ ٣٢٣ .

ثالثا : الخراج فى العصر العباسى الأول :

اعتنى بنو أمية فى جباية الخراج لسد نفقات الدولة من شحن الثغور بالرجال ودفع مرتبات الموظفين واسترضاء القبائل بالعطاء ، أما مقدار ايرادات الدولة من الخراج فقد ضاع تفصيله (١) وأستمروا فى جباية المناطق على النظام الذى سنه عمر بن الخطاب فلم يحدثوا فيه ، إلا أن الجباة لم يتورعوا عن استعمال العنف ، كما فرضوا بعض الضرائب الاضافية ، ولكنها الغيت فى زمن عمر بن عبد العزيز ، ولم يطل زمن الغائها فسرعان ماعادت لحاجة الدولة للمال .

ورث العباسيون كل أيجابيات وسلبيات الجباية من العصر الأموى ، إلا أنهم أسهموا فى استصلاح الرى ونظموه وحفروا القنوات ولاسيما فى منطقة السواد حتى أصبحت سنة كل خليفة . (٢)

وانتظمت الجباية فى عهد ابى العباسى السفاح وأخذ الخراج نقداً وعلى مساحة الأرض زرعت أم لم تزرع ، واستمر كذلك حتى أبدله الخليفة المهدى بنظام المقاسمة ، ولاشك أن واردات بيت المال من الخراج كانت تتأثر بعدة عوامل منها ما ذكره الباحث فى الباب الاول ، ولأسباب أخرى ، فاستبدال نظام المساحة بالمقاسمة يجعل نصيب الدولة من ناحية الكم غير ثابت ، لظروف عدة تعتمد على استقرار الامن وسلامة المزروعات من الآفات والكورات ، وكذلك طبيعة الارض من زيادة فى الملوحة أو نقص فى المياه وتوفر الايدى العاملة

---

(١) جرجى زيدان ، التمدن حـ١/٢٨١ .

(٢) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٨٩ ، ٩٠ ، الريس ، الخراج ، ص ٣٧٧ . الدورى ، النظم الاسلامية ، ص ١٦١ .

فى الزراعة ، وخاصة أن العرب لم يأخذوا بفكرة رقيق الارض ،أضف الى ذلـــــك المغريات المدنية ، ونزوح الفلاحين الى المدينة طلبا فى حياة أفضل ولزيـــادة دخلهم ، أو هربا من الجباة لسوء المعاملة" .[(١)]

مقدار دخل بيت المال :

يعتبر العصر العباسي الأول أزهى العصور ، فقد بلغت فيه الدولـــة قمة مجدها ، وبلغت ثروتها أعظم ما بلغت في عصر من العصور، الا أن المؤرخيــن تجاهلوا تدوين مقدار دخل الدولة بشكل منتظم للبعد الزمنى بين تدويــــن التاريخ والواقع ، ولاهتمامهم بالأحداث السياسية والغزوات ، وكذلك ضياع صحــف الجباية فى العصر الأموى عام الجماجم [(٢)] وضياع حسابات الدواوين فى فتنة الامين والمأمون [(٣)].

ويمكن معرفة دخل بيت المال فى العصر العباسى عن طريقين ، أولهمـــا بيان ما تركه الخلفاء بعد وفاتهم فى بيت المال ، وثانيهما القوائم الخراجيــة التى دونها المؤرخون أثناء التحدث عن الاقليم .

لم يكن بنو العباسى اصحاب ثراء يستطيعون تمويل الثورة ، فقد تلقــوا المساعدات من شيعتهم،وحتى قبيل قيام الدولة لم يكن أبو العباس السفاح ميسور الحال [(٤)] فاعتمد فى قيام الدولة على مايرد لبيت المال ، ولم يتمكن الباحـــث

(١) السامرائى ، المؤسسات الادارية،ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .
(٢) الماوردى ، الاحكام السلطانية،ص ١٩٣،ذلك سنة ٨٢هـ فتنة ابن الاشعث
(٣) قدامة، الخراج ، ص ١٦٢،الصابى ، رسوم دار الخلافة،ص ٢٩ .
(٤) مصطفى جواد ، سيدات البلاط العباسى،ص ٦ .

من الوقوف على مقدار ارتفاع الخراج في عهد السفاح وتذكر المراجع أن تركته كانت عبارة عن تسع جبات ، وأربعة اقمصة ، وخمسة سراويلات ، واربعة طيلسانات وثلاثه مطارف خز [(١)] وهذا غير معقول بالنسبة لتركة هذا الخليفة فقد ذكر أن خزائن السلاح في عهده كانت تضم خمسين ألف درع وخمسين ألف سيف ، وثلاثين ألف جوشن ومائه الف رمح [(٢)]، ويذكر البيهقي ان أبامسلم بعث بخاتم غنمه الى السفاح ، فلم يستطيع أحد ان يقيمه فظل مرفوعا في خزانته الى أن مات ، فلما أخرج ما كان في خزانته من الجوهر ، الذخائر ليباع أخرج الخاتم ليباع في مزاد فتنافس عليه المنصور وعيسى بن موسى ، فأشتراه المنصور بأربعين الف دينار ، ويصف البيهقي بأن الدرهم كان أعز من الدينار في ذلك الزمان ؟ [(٣)]

وتكاد المصادر تتفق على أن المنصور تولى الخلافة والخزائن ممتلئة فظفر بمبلغ طائل في دار الخلافة [(٤)] وقدره ابن الزبير بخمسة ملايين دينار ، ومائتي مليون درهم ومئه الآف دابة وبغل [(٥)]

ومن هذا يمكن القول بأن السفاح عرف بالكرم حتى لم يبق من ماله الخاص شيئاً وبيعت نفائس بيت المال على أن يعود ثمنها اليه ، فلم يظهر سيطرة أبي العباس السفاح عليه كما كان في الخلافة الراشدة ، فاعتبر ما في بيت المال ملكا للمسلمين وليست تركه للخليفة يرثها ابناؤه ، ففرق المؤرخون بين تركة السفاح المتواضعه وبين ما في بيت مال المسلمين ٠ ولكن

(١) ابن الاثير ، حـ٤/٣٤٦ ، ابن الساعي ، مختصر اخبار الخلفاء ، ص ١٠ ٠
(٢) نعمان ثابت ، الجندية في الدوله العباسية ، ص ١٠١ .
(٣) البيهقي ، المحاسن والمساوى ، ص ٤٧١ ٠
(٤) شذرات الذهب ، حـ١ /٢٤٤ ، ابن الاثير ، حـ٤/٣٤٨ الذهبي ، تاريخ الاسلام حـ٥/ ٢١٤ ٠
(٥) ابن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ٢١٣ ٠

بعد أبى العباسي اعتبر المؤرخون بنت لمال ملكا للخليفة يرثه ولى عهده ، فالخطيب البغدادى ذكر أنه بعد وفاة الواثق ٠٠٠٠٠٠٠٠ " وجاء الفراشون فأخذوا ماتحته فى المجلس ليردوه الى الخزائن لأن جميعه مثبت عليهم ، وترك وحده فى البيت (١)".

وحين قتل الخليفة المتوكل على الله كان فى بيت المال مليون دينار ، وخمسون مليون درهم وخلف من الخدم والجوارى أحدى عشر الفا ، منهم سته الاف خادم ومن الغلمان المماليك ثمانية آلاف ، ولم يوزع المنتصر تركة أبيه بل صالح اخوته وأخواته من ميراث أبية من الغوش والرقيق والدواب على أربعة عشر مليون درهم واشهد عليهم ، وقيل انه صالحهم على مليون دينار (٢).

اما أرتفاع الخراج فى خلافة المنصور فلم يجد الباحث فيما اطلع عليه تحديداً لمقدارجباية الاقاليم ، فقيل: إن خراج مصر عام ١٤٣هـ/٧٦٠م مليونان وثمان مائه الف دينار ، واربعه وثلاثون الفا وخمس مائة ، عدا الهدايا والتحف (٣) وكان خراج الرى عشرة ملايين فزاد عليهم ليصبح أثنتى عشره مليون درهم (٤)

وليس هناك ذكر لانقطاع خراج اقليم أورستاق مما يعزز القول أن دخل بيت المال كان كبيرا منتظما ، وكانت تركته كبيرا مع اختلاف الروايات ، فقيل

---

(١) الخطيب ، تاريخ بغداد، جـ١٤/٢٠.

(٢) ابن الزبير ، الذخائر والتحف،ص ٢١٨ - ٢٢٠.

(٣) مجهول، العيون والحدائق،ص ٢٣٠ .

(٤) قدامة ، الخراج ، ص ٣٧٦ .

تسعمائة وخمسين مليون درهم [١] وقيل تسعمائة وستين مليون درهم [٢] ، وقيل ستمائة مليون درهم ، وأربعة عشر مليون دينار [٣] وقيل مائه وستين مليون درهم [٤] هذا بالاضافة الى المؤن المجففة المخزونة للطوارئ فى حالة الحصار [٥]

وقد انخفض ارتفاع الخراج لبيت المال فى خلافة المهدى لمقاسمته اهل السواد مما اضطره في أواخر خلافته الى رفع نسبة الضريبة الى ٦٠٪ ، وسواء لاسراف المهدى ولقلة دخل بيت المال كانت تركته سبعة وعشرين مليون درهم [٦]

وكان المهدى قد توفى فى المحرم عام ١٦٩هـ/٧٨٥م وصادق آخر نيروز موعد افتتاح الخراج يوم الاحد أول شوال عام ١٦٨هـ/٧٨٤م وكان على ابنه الهادى انتظار عده شهور حتى يأتى موعد استفتاح الخراج الذى بصادف ١٢ من شوال سنه ١٦٩هـ [٧] فاعتقد أن المبلغ لايكفى ليسد احتياجاته فأثر ذلك على علاقته بأمه التى تدخلت فى أمور الحكم ، وهددها بمصادرة ممتلكات كل من يتصل بها من رجال الدولة ، وكانت الخيزران ذات مال عظيم [٨]

---

(١) الثعالبى، لطائف المعارف،ص ١١٨ ، القلقشندى،مآثر،ح٣/٣٦٣ ، الشالجى ، الرواتب فى الاسلام،ص ٢٥٩.

(٢) العيون ، الحدائق ، ص ٢٦٩ .

(٣) المسعودى،مروج الذهب،ح٣/٣١٨،الريس ، الخراج ، ص ٤٠١ .

(٤) الدميرى ، حياه الحيوان،ح١/١٠٧ .

(٥) الخطيب،تاريخ بغداد ، ح١٠/٥٧ .

(٦) ابن الزبير ، الذخائر والتحف ص ٢١٣،الكبيسى ، اسواق بغداد ، ص ١٢٧ .

(٧) الاصفهانى ، تاريخ سنى ملوك الارض،ص ١٣٥ ، ١٣٦

(٨) كان ارتفاع ضياعها فى كل سنه مليون وستين الف درهم ابن كثير، البداية والنهاية ح١٠/١٦٤، وقيل مليونين وستين ألف درهم الاربلى ، الذهب المسبوك ، ص ١١٧.

فسعى الهادى للجبابه وقلد عمالة الولايات والدواوين على نهج المهدى[(١)] لجباية الاقاليم، إلا أنه كان مسرفا حتى أعطى عبد الله من مالك اربعمائة بغل موقرة دراهم ، لذا لم يسجل أحد مقدار ماخلفه[(٢)] .

أما الخراج فى عهد الرشيدفيذكر الصابى اجمالى ارتفاعه بالورق عـام ١٧٩ هـ /٧٩٥م، بلغ ٣٣٨ مليون و ٩١٠ آلاف درهم ،وبالعين خمسة ملاييـــن، وثمانمائه الف ونيف وثلاثين الف دينار[(٣)] هذا صافى دخل بيت المال بعـد خصم نفقات مناطق الجباية ، ويذكر الجهشيارى قائمة مفصلة اعدها أبو الوزير عمربن مطرف ليحيى بن برمك بين فيها بالتفصيل خراج الاقاليم لبيت المال[(٤)] فى الحضره وهى :-

---

(١) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٦٧ .

(٢) جرجى زيدان ، التمدن،جا /٢٨٨ .

(٣) الصابى، رسوم دار الخلافه ، ص ٢٨ - ٢٩ ، وكان اهل الموصل يمانعون دفع الخراج بسبب ثورة الخوارج ففى سنه ١٧٥ هـ خرج الخوارج فلم يجبى سوى ربع الخراج ، الأزدى، تاريخ الموصل ص ٢٧٦، وانقطع خراج الموصـل سنين لسيطره العطاف بن سفيان عليها سنه ١٧٧ هـ النويرى ، نهاية الارب جـ١٢٩/٢٢ ،انظرالازدى ، تاريخ الموصل،ص ١٧٨ .

(٤) الجهشيارى،الوزراء،ص ٢٨١ - ٢٨٧ .

اسماء الاقاليم	مقدار الجبايه من الاموال	الامتعه والعروض
اثمان غلات السواد	٨٠ر٧٨٠ر٠٠٠ درهم	
ابواب غلات السواد	١٤ر٨٠٠ر٠٠٠ درهم	٢٠٠ حلة نجرانية ، ٢٤٠ رطلا من طين الختم
كسكر	١١ر٦٠٠ر٠٠٠ درهم	
كور دجلة	٢٠ر٨٠٠ر٠٠٠ درهم	
حلوان	٤ر٨٠٠ر٠٠٠ درهم	
الاهواز	٢٥ر٠٠٠ر٠٠٠ درهم	٣٠ ألف رطل سكر
فارس (١)	٢٧ر٠٠٠ر٠٠٠ درهم	٢٠ ألف رطل ماء الزبيب الاسود ، ٢٥ ألف رطل رمان وسفرجل ، ٣٠ الف قارورة ماء ورد ، ١٥ ألف رطل مانجو ، ٥٠ الف رطل طين الختم ، ٣ أكرار زبيب مالكر الهاشمي .
كرمان	٤ر٢٠٠ر٠٠٠ درهم	٥٠٠ فوب يمنى ، ٢٠ ألف رطل تمر ، ١٠٠ رطل كمون
مكران	٤٠٠ر٠٠٠ درهم	
السند - مايليها	١١ر٥٠٠ر٠٠٠ درهم	مليون قفيز طعام ، ثلاثة فيله ، الف ثوب جبشى ٤ آلاف فوطه، ١٥٠ من عود هندى ، ١٥٠ من اصناف العود ، الفازوح نعال . بالاضافة الى القرنفل والجوز بوا .
سجستان	٤ر٦٠٠ر٠٠٠ درهم	٣٠٠ من الثياب المعينه ، ٢٠ الف حلوى الفاتيذ
خراسان	٢٨ر٠٠٠ر٠٠٠ درهم	الف نقرة فضة ، ٤ آلاف برذون ، الف راس رقيق ٢٧ آلف ثوب ، ٣٠٠ رطل اهليلج .
جرجان	١٢ر٠٠٠ر٠٠٠ درهم	الف من أبريسم .
قومس	١ر٥٠٠ر٠٠٠ درهم	الف نقره فضه ، ٧٠ كساء ، ٤٠ آلف رمانة
طبرستان والرويان ودنباوند	٦ر٣٠٠ر٠٠٠ درهم	٦ مئه من الفرش الطبرى ، ٢٠٠ كسوه ، ٥٠٠ ثوب ، مئه منديل ، ٦ مئه جام .

(١) تغير خراج كوار من اقليم فارس في عهد الرشيد كان على الثلثين فرده الرشيد الى ثلثي الربع الاصطخرى المالك ٩٥ .

اسماء الاقاليم	مقدار الجبايه من الاموال	الامتعه والعروض
الرى	١٢ر٠٠٠ درهم	١٠٠ مليون رمانة ، الف رطل خوخ
اصفهان	١١ر٠٠٠ر٠٠٠ درهم	٢٠ ألف رطل عسل ، ٢٠ ألف شمع
همدان ودستبى	١١ر٨٠٠ر٠٠٠ درهم	الف من رب الرومان ، ٢٠ ألف رطل عسل الأروندى
ماه البصرة والكوفة	٢٠ر٧٠٠ر٠٠٠ درهم	
شهر زورومايليها	٢٤ر٠٠٠ر٠٠٠ درهم	
الموصل ومايليها	١٤ر٠٠٠ر٠٠٠ درهم	٢٠ ألف رطل عسل ابيض
الجزيرة والفرات	٣٤ر٠٠٠ر٠٠٠ درهم	
اذربيجان	٤ر٠٠٠ر٠٠٠ درهم	
موقان وكرخ	٣٠٠ر٠٠٠ درهم	
جيلان	— —	
ارمينية	١٣ر٠٠٠ر٠٠٠ درهم	مائة راس رقيق ، ١٢ زقا عسل ، عشرة بزاة ، ٢٠ كساء ٢٠من البسط المحفورة ، ٥٨٠ قطعه رقم ، ١٠ الاف رطل من المالح المنبوذ ، ١٠ الاف رطل طريخ ، ٣٠ باذيا بزاة ٢٠٠ بغل .
قنسرين والعواصم	٤٩٠ر٠٠٠ دينار	
حمص	٣٢٠ر٠٠٠ دينار	الف راحلة زبيب
دمشق	٤٢٠ر٠٠٠ دينار	
الاردن	٩٦ر٠٠٠ دينار	
فلسطين	٣٢٠ر٠٠٠ دينار	ومن جميع اجناد الشام ثلاث مئه الف رطل زبيب
مصر (١)	١ر٩٢٠ر٠٠٠ دينار	وكانت تنيس ودمياط واشمون وقف للنفقات
برقة (٢)	١ر٠٠٠ر٠٠٠ درهم	
افريقيا (٣)	١٣ر٠٠٠ر٠٠٠ درهم	
اليمن	٨٧٠ر٠٠٠ سوى الثياب	
مكة والمدينة	٣٠٠ر٠٠٠ دينار	

(١) بلغ خراج مصر فى عهد هارون الرشيد اربعة ملايين دينار، اليعقوبى ، البلدان ، ص٣٣٩ ، وكان الخراج فى عهده بولاية موسى بن عيسى مليـــــون وماثة وثمانين ألف دينار ،خرداذبة، المسالك ، ص٨٤ وانظر ، الكندى ، الولاه ،ص١٣٤ ، وقد تولى موسى مصر مرتين عام ١٧١هـ ، وعـام ١٧٥ هـ، ابن الفقية ، البلدان ، ص٧٩ .

(٢) خراج برقة ثبت فى خلافة الرشيد ، بعد أن بعث مولى له يقال له بشا الذى وظف على برقة اربعة وعشرين الف دينار على كل ضيعة شئ معلـــوم ، سوى الاعشار والصدقات والجوالي ، اليعقوبى ، البلدان ، ص٣٤٤

(٣) [illegible] دينار جرجى ، التمدن ، ج١/ ٢٠٣ وانظر ، تاريخ اليعقوبى ، ج٢/٤١٢ .

جملة الخراج على ماذكره المؤلف من :-

العين خمسون مليون دينار قيمتها حساب صرف الدينار = ٢٢ درهم .
٠٠٠ر٥٣٢ر١٢٥ درهم ، ومن الورق ٠٠٠ر٨٠٧ ر٤٠٤ درهم ، يكون الورق مع قيمة العين = ٠٠٠ر٣١٢ر٥٣٠ درهم (1)

والملاحظ أن الجهشياري لم يحدد تاريخ القائمة الخراجية ، في حين حدد الصابي تاريخ ارتفاع الخراج ، وهناك زيادة في قائمة الجهشياري وقدرها مع اعتبار صرف العين عند الصابي ٢٢ درهما للدينار = ٠٠٠ر١٤٢ر٦٣ درهما .

ويمكن تفسير هذا الاختلاف بأن الاجمالي يكون بعد صرف نفقات الاقاليم من خدمات ورواتب ، وهذا الاجمالي ليس خراج الارض فقط بل يضم ضرائب اخرى كالأعشار والصدقات والجزية ، ومن المتحمل ان يكون لصابي لم يجمع ذلك .

وعلى ضوء هذا الدخل الكبير اختلف المؤرخون في تقدير تركة الرشيد فقيل تسعمائة مليون ونيف (2) وهذا يقارب ما تركه المنصور ، وقيل مليون وخمسه وعشرون الف دينار (3) وهذا لايمثل عظم دخل الدولة رغم الاستقرار ، فقد ذكر

---

(1) حاصل جمع المؤلف مخالف فحاصل ضرب ٥٠×٢٢=١١٠٠ مليون ، وكذلك جمع الدنانير في القائمة الجهشياري ، الوزراء ص ٢٢٨

(2) ابن الاثير، حـ٥/١٣٠، الشالجي ، الرواتب في الاسلام، ص ٢٥٩. ابن الزبير ، الدخائر، ص ٢١٢ .

(3) السيوطي ، تاريخ الخلفاء، ص ٢٩٦ ابن كثير ، البداية والنهاية، حـ١٠/٢٢٢ القلقشندي، مآثر ، حـ٣/٣٦٣، الثعالبي، ثمار القلوب، ص ٨٨ ، الثعالبي، لطائف المعارف، ص ١١٨ .

ابن الزبير أن ما خلفه الرشيد لم يخلفه أحد من خلفاء بني العباسي ، ويؤيد السيوطي ما في خزائن الرشيد بعد وفاته برواية الفضل بن الربيع عام ١٩٣هـ /٨٠٨م أنه احصى ما في الخزائن فكان في خزائن الكسوه أربعة الآف جبة وشي ، واربعة آلاف منسوجه بالذهب وعشرة آلاف قميص ، وعشرة آلاف خف ، والفاسروال من أصناف الثياب ، واربعة آلاف عمامة ، وألف طيلسان ، والف رداء من اصناف الثياب وخمسة الاف منديل وخمسمائة قطعة خز ، ومائة الف وسادة ومخدة خز ، وألف بساط طبرستاني والف وسادة مرقوم ، وألف سترخز ساذج ، وثلاثمائه ستر مرقوم ، وخمسمائه بساط طبري ، والف وساده طبري مرقعة ، والف مخدة طبري ، ومن الآنية الف طشت ذهب ،وألف ابريق ذهب وثلاثمائة كانون فضه ، وألف توذ سمع مذهب ، والف قطعة نحاس من سائر الاصناف وألف منطق ذهب [(١)] ولم تذكر المصادر مقدار الجباية في خلافة الأمين ففي زمنه احترقت الدواوين وقد اسرف في تبديد الاموال ، قتل في المحرم عام ١٩٨هـ/ ٨١٣م ، فولى المأمون الحسن بن سهل بغداد حربها وخراجها فجبى عام ١٩٩هـ /٨١٤ م من طسا بيج السواد ، وعدة بلدان ، وكسور المشرق والمغرب على ماوجد في ديوان المستأنف [(٢)] جملته على تسعير الغلة اربعمائة وستة عشر مليون وتسعمائة واثنين وعشرين الف درهم[(٣)]

وانتظمت الجباية في خلافة المأمون فكان اول تدوين لها من بعد عام ٢٠٤هـ ٨١٩ م [(٤)]، ويورد ابن خلدون قائمه خراجية دون أن يحدد سنه جبايتها ، ويحتمل ان تكون جبابه ما بين عام ٢٠٤ - ٢١٠ هـ ٨١٩ - ٨٢٥م ، [(٥)] حيث قال : " وجد بخط احمد بن محمد بن عبد الحميد عمل بما يحمل الى بيت المال ببغداد أيام المامون من جميع النواحي من جراب الدوله ..." [(٦)]

---

(١) السيوطي ، تحفه المجالس ، ص ١٢١ ، وانظر ابن الزبير ، ص ٢١٤ - ٢١٨

(٢) ديوان المستأنف هو ديوان الامور التي لم يسبق اليها

(٣) الصابي ، رسوم دار الخلافه ،ص ٢٩ في هذه السنة قدم الحسن بن سهل الى بغداد واليا على الخراج والحرب .

(٤) قدامة ، الخراج ، ص ١٦٢

(٥) جرجي زيدان ، التمدن حـ١/ ٣٠٤

(٦) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٦٠ - ١٦٢

قائمة ابن خلدون :

الاقليم	الجباية من الدراهم والدنانير	الجباية من العروض
السواد	٢٧٫٨٠٠٫٠٠٠ درهم	٢٠٠ حله نجرانية ٢٤٠ رطلا من طين الختم
كسكر	١١٫٦٠٠٫٠٠٠ درهم	
كور دجلة -	٢٠٫٨٠٠٫٠٠٠ درهم	
حلوان	٤٫٨٠٠٫٠٠٠ درهم	
الاهواز	٢٥٫٠٠٠٫٠٠٠	٣٠٠٠٠ رطل سكر ،
فارس	٢٧٠٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠ قاروره ماء ورد ، ٢٠٠٠٠ رطل زيت اسود
كرمان	٤٫٢٠٠٫٠٠٠	٥٠٠ ثوب يماني ، ٢٠٠٠٠ رطل تمر
مكران	٤٠٠٠٠٠	
السند ومايليه	١١٫٥٠٠٫٠٠٠	١٥٠ رطل عود هندى
سجستان	٤٫٠٠٠٫٠٠٠	٣٠٠ ثوب معين ، ٢٠ رطل فانيد
خراسان	٢٨٫٠٠٠٫٠٠٠	٢٠٠٠ نقرة فضة ، ٤٠٠٠ برذون ، ١٠٠٠ رأس رقيق ، ٢٠٠٠٠ ثوب متاع ، ٣٠٠٠٠ رطل اهليلج
حرجان	١٢٫٠٠٠٫٠٠٠	١٠٠٠ شقة ابرسم،
قوس	١٫٥٠٠٫٠٠٠	١٠٠٠ نقرة فضة
طبرستان والريان وماوند	٦٫٣٠٠٫٠٠٠	٦٠٠ قرش طبرى ، ٢٠٠ كساء ، ٥٠٠ ثوب ، ٣٠٠ منديل ، ٢٠٠ جام ،
الرى	١٢٫٠٠٠٫٠٠٠	٢٠٠٠٠ رطل عسل
همدان	١١٫٣٠٠٫٠٠٠	١٠٠٠ رطل رب الرمانين ، ١٢٠٠٠ رطل عسل
ماها البصرة والكوفة	١٠٫٧٠٠٫٠٠٠	
ماسبذان والريان	٤٫٠٠٠٫٠٠٠	
شهر زور	٦٫٧٠٠٫٠٠٠	
الموصل مايليها	٢٤٫٠٠٠٫٠٠٠	٢٠٫٠٠٠ رطل عسل ابيض
اذربيجان	٤٫٠٠٠٫٠٠٠	
الجزيرة ومايليها من اعمال ...	٣٤٫٠٠٠٫٠٠٠	١٠٠٠ راس رقيق ، ١٢٠٠ زق عسل ، ١٠ ابزاة ، ٢٠ كساء

الاقاليم	الجباية من الدراهم	الجباية من العروض
ارمينية	١٣،٠٠٠،٠٠٠	٢٠ قسط محفور، ٥٣٠ رطل رقم ، ١٠٠٠٠ رطل من المسايح الرمايهي ، ١٠٠٠٠ رطل صونج ، ٢٠٠ بغل ، ٣٠ مهراً ٠
برقة	١،٠٠٠،٠٠٠	
افريقية	١٣،٠٠٠،٠٠٠	١٢٠ بساط
الاقاليم	**الجباية من الدنانير**	**الجباية من العروض**
قنسرين	٤٠٠،٠٠٠	١٠٠٠ حمل زيت
دمشق	٤٢٠،٠٠٠	
الاردن	٩٧٠٠٠	
فلسطين	٣١٠،٠٠٠	٠٠٠ ٣٠٠ رطل زيت
مصر (١)	٢،٩٢٠،٠٠٠	
اليمن	٣٧٠،٠٠٠	سوى المتاع
الحجاز	٣٠٠،٠٠٠	

جملة الخراج من الدراهم : ٣١٨،٦٠٠،٠٠٠ درهم

جملة الخراج من الدنانير : ٤،٨١٧،٠٠٠ دينار

والدينار يساوى ١٥ درهما وهو تقديره فى ذلك العصر ٠

مجمل الخراج بالدراهم ٣٩٠،٨٥٥،٠٠٠ درهم (٢)

---

(١) بلغ خراج مصر فى ايام المأمون على حكم الانصاف فى الجبابه اربعة ملايين ومائتين وسبعة وخمسين الف دينار المقريزى، الخطط حـ١/٨١ وقد فرض على كل فدان ديناران ، جرجي زيدان ، التمدن،حـ١/٢٣٨

(٢) مقدمة ابن خلدون،ص ١٦٢ ٠

ويورد قدامة قائمة خراجية لم يحدد زمنها ورجح بعض المؤرخين بأنها جباية الخراج لعهد المعتصم ،[(١)] ورجح آخرون بأنها تمثل الخراج في خلافة المأمون والمعتصم[(٢)] • الا أن من سياق عبارة قدامة نفهم أن القائمة لاتمثل سنة معينة ، بل متوسط خراج الاقاليم من عام ٢٠٤ هـ ٨١٩م حتى الربع الاول من القرن الثالث فهو يقول " لنبدأ بذكر ارتفاع السواد بحسب ماهو عليه في هذا[(٣)] الوقت وعلى[(٤)] عبرة سنة ٢٠٤ هـ ، وهي أول سنه يوجد حسابها في الدواوين بالحضره ..... "[(٥)] •

بدأ قدامة بحصر خراج السواد وقدر أثمانها على أساس ثمن الكرين المخلوطين من الحنطة والشعير =" ٦٠ دينار " والدينار = ١٥ درهما ، فبلغت أثمان الغلات بالاضافة الى صدقات البصرة = ١١٤ر٤٥٧ر٦٥٠ درهما[(٦)] وبلغ" خراج السواد بدون صدقات البصرة = ١٠٨ر٤٥٧ر٦٥٠ درهما ، الا انه ذكر أن خراج السواد أقل من ذلك عند ذكره القائمة بالتفصيل لانه اخذ متوسط أرتفاع الخراج واليك قائمة قدامة[(٧)] :-

---

(١) جرجي زيدان ، التمدن حـ١/٣٠٩ ، حسن ابراهيم تاريخ الاسلام ، حـ٢ /٢٨٥ عصر المأمون حـ١/٣٢٣•

(٢) الريس ، الخراج • ص ٤٩٤

(٣) " بحسب ما هو عليه في ذلك الوقت " قدامة الخراج تحقيق الزبيدي ص ١٦٢•

(٤) العبرة = هو ان يأخذ ارتفاع السنة التي هي اقل ريعا ، والسنة التي هي اكثر ريعا ويؤخذ نصفها ،الخوارزمي مفاتيح العلوم ص ٤٠

(٥) قدامة ، الخراج ؛ طبعة بريل سنه ١٨٨٩ ص ٢٣٦.

(٦) قدامة، الخراج ، ص ٢٣٩ ، بريل

(٧) قدامة ، بريل ص ٢٤٩ - ٢٥١ ولم ياخذ بتحقيق الزبيري لاضافته بعض خراج الاقاليم من كتاب خرداذيه •

قائمة قدامة :

الاقاليم	مقدار الجباية بالدرهم
السواد	١٣٠ر٢٠٠ر٠٠٠
الاهواز	٢٣ر٠٠٠ر٠٠٠
فارس	٢٤ر٠٠٠ر٠٠٠
كرمان	٦ر٠٠٠ر٠٠٠
مكران	١ر٠٠٠ر٠٠٠
اصبهان	١٠ر٥٠٠ر٠٠٠
سجستان	١ر٠٠٠ر٠٠٠
خراسان	٣٧ر٠٠٠ر٠٠٠
حلوان	٩٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠
ماه الكوفة	٥ر٠٠٠ر٠٠٠
ماه البصرة	٤ر٨٠٠ر٠٠٠
همذان	١ر٧٠٠ر٠٠٠
ماسيذان	١ر٢٠٠ر٠٠٠
مهرجان قذق	١ر١٠٠ر٠٠٠
الايغارين	٣ر٨٠٠ر٠٠٠
قم وقاشدن	٣ر٠٠٠ر٠٠٠
آذربيجان	٤ر٥٠٠ر٠٠٠
الري ودماوند	٢٠ر٠٨٠ر٠٠٠
قزوين وزنجان	١ر٨٢٨ر٠٠٠
قوس	١ر١٥٠ر٠٠٠
جرجان	٤ر٠٠٠ر٠٠٠
طبرستان	٤ر٢٨٠طر٠٠
تكرين والطيرهان والسن والبوازيج	٩٠٠ر٠٠٠
شهرزور والصامغان	٢ر٧٥٠ر٠٠٠

الاقاليم	مقدار الجباية بالدرهم
كورة الموصل	٦ر٣٠٠ر٠٠٠
قردى وبزيدى	٣ر٢٠٠ر٠٠٠
دبار ربيعة	٩ر٦٣٥ر٠٠٠
ارزن وميافارقين	٤ر٢٠٠ر٠٠٠
مقاطعة طرون	١٠٠ر٠٠٠
ارمينية	٤ر٠٠٠ر٠٠٠
آمد	٢ر٠٠٠ر٠٠٠
ديار معذ	٦ر٠٠٠ر٠٠٠
اعمال طريق الفرات	٢ر٩٠٠ر٠٠٠
قنسرين والعواصم	٣٦٠ر٠٠٠ دينار
جند حمص	٢١٨ر٠٠٠ دينار
جند دمشق	٢١٠ر٠٠٠ دينار
جند الاردن	١٠٩ر٠٠٠ دينار
جند فلسطين	٢٥٩ر٠٠٠ دينار
مصر والاسكندرية	٢ر٥٠٠ر٠٠٠ دينار
الحرمين	١٠٠ر٠٠٠ دينار
اليمن	٦٠٠ر٠٠٠ دينار
اليمامه والبحرين	٥١٠ر٠٠٠ دينار
عمان	٣٠٠ر٠٠٠ دينار
جزية بغداد	٢٠٠ر٠٠٠ درهم

(١) ملاحظة هناك اختلاف بين قائمة قدامة فى نسخة بريل وبين ما حققه الزبيدى

جملة ارتفاع الأقاليم حسب قائمة قدامة :-

٧٠٠ر٣٢٣ر٢٣١ر١ درهم

٠٠٠ر٥١٦٦ دينار

وبتحويل الدنانير الى دراهم =٥١٦٦٠٠٠×١٥ = ٠٠٠ر٤٩٠ر٧٧ نجد أن مجموع ارتفاع الاقاليم بالدراهم =٧٠٠ر٨١٣ر١٤٠٨ درهم

وهذا الخراج مبالغ فيه لايمثل متوسط خراج الاقاليم ، ويرجع الخطأ الى النساخين والخلط بين الارقام فى مقدار ارتفاع بعض الاقاليم ، مثال ذلك خراج حلوان فأن ابن خلدون والجهشيارى يتفقان على ان خراجه يبلغ أربعه ملايين وثمانمائة ألف درهم ، ويذكر قدامة فى تحقيق الزبيدى بسبعمائة مليون ، فى حين ذكره فى نسخة بريل بتسعمائه مليون ،ويذكر الدكتور الريس أنه سبعمائة ألف درهم ، وكذلك خراج دمشق فيتفق أبن خلدون والجهشيارى على أن الخراج ٤٢٠ ألف ،ويأتى ذكره عن قدامة فى طبقة بريل ١١٠ الف دينار والنسخة الاخرى مائه وخمسون الف دينار • ولسنا بصدد التدقيق فى صحة ارتفاع خراج الاقاليم ولكن من الواضح ضخامة دخل الدولة من الخراج •

وعبر ابن خرداذبه عن ارتفاع الخراج فى عهد الواثق بالله ، فقد كان معاصراً لخلافته و لخلافة المتوكل على الله ثم المعتمد ، وقد تولى مناصب رسمية .

ويستنتج " دى غويه " محقق كتاب المسالك فى مقدمته بأن الكتاب الف حوالى عام ٢٣٢ هـ أى فى آخر سنة من خلافة الواثق ، وقد صرح ابن خرداذبه بأنه تلقى معلوماته عن الفضل بن مروان وكان واليا للواثق على ديوان الخراج ، ثم اعفى عام ٢٣٣ هـ ٩٤٤ م ويؤكد آخر سنة تأليف الكتاب لوجود التشابه فى ارتفاع

الاقاليم مع قائمة قدامة [(١)]

افرد المؤلف لخراج السواد مبيننا مقدار الخراج من الحنطة والشعير وقيمتها بالدراهم [(٢)] فبلغ مجموع ارتفاع السواد ١٠٨،٦٧٩،٨٤٠ درهما [(٣)] .

اما باقي ارتفاع الاقاليم فقد دونها المؤلف اثناء حديثه عنه المسافات بين المدن فجمعها الباحث لتعبر عن الخراج في عهد الواثق وهي :-

---

(١) الريس ، الخراج ، ص ٤٩٩ .
(٢) خرداذبه ، المسالك ص ٨ - ١٤ .
(٣) الريس ، الخراج ،ص ٥٠٢ .

قائمة خرداذبـــه :

الاقاليم(١)	مقدار الجبايه بالدرهم
السواد	١٠٨ر٦٧٩ر٨٤٠
جوالي مدينه السلام	١٣٠ر٠٠٠
مستغلات بغداد	١ر٥٠٠ر٠٠٠
الاهواذ	٣٠ر٠٠٠ر٠٠٠
فارس	٣٣ر٠٠٠ر٠٠٠
شهر زور والصامغات وداراياد	٢ر٧٥٠ر٠٠٠
الدينوره (ماه الكوفه)	٣ر٨٠٠ر٠٠٠
اصبهان	٧ر٠٠٠ر٠٠٠
قم	٢ر٠٠٠ر٠٠٠
جوالي واسط (٢)	٣٠ر٠٠٠
صدقات البصره	٦ر٠٠٠
خراسان وقوابعه	٤٤ر٨٤٦ر٠٠٠
+اموال اخرى(٣)	٦٠٠ر٠٠٠
اذربيجان	٢ر٠٠٠ر٠٠٠
قـــزوين	١ر٢٠٠ر٠٠٠
ديار مضر (٤)	٥ر٦٠٠ر٠٠٠
الموصل	٤ر٠٠٠ر٠٠٠
ديار ربيعة	٧ر٧٠٠ر٠٠٠
السند	١ر٠٠٠ر٠٠٠
ارمينية	٤ر٠٠٠ر٠٠٠

الاقاليـــــم	مقدار الجبايه بالدنانير
قنسرين والعواصم	٤٠٠ر٠٠٠
حمص	٣٤٠ر٠٠٠
دمشق	٤٠٠ر٠٠٠
الاردن	٣٥٠ر٠٠٠
فلسطين	٥٠٠ر٠٠٠
مصر	٢ر١٨٠ر٠٠٠
اليمـــن	٦٠٠ر٠٠٠
المجموع	٤ر٧٧٠ر٠٠٠

وبتحويل الدنانير الى دراهم =

٤ر٧٧٠ر٠٠٠×١٥=٧١ر٥٥٠ر٠٠٠ درهم

مجموع الخراج بالدراهم =

٢٦٣ ٣٤١ ٨٤٠

٧١ ٥٥٠ ٠٠٠

٣٣٤ ٨٩١ ٨٤٠ درهم

(١) خرداذبه ، المسالك الصفحات ٢٠،٣٩،٤١،٤٢،٤٨،٥٧،٧٣،٧٥،٧٦،٧٧،٧٨،٧٩،٨٤،٩٤،١٢١،١٢٥ .

(٢) لم يذكر الريس جوالي واسط وصدقات البصرة ، انظر خرداذبه ص ٥٩ .

(٣) في سنه ٢٣٠ هـ توفي عبد الله بن طاهر امير خراسان والسواد والري وطبرستان ، وكرمان ومايتصل بها وكان خراج هذه الاعمال يوم وفاته ٤٨ مليون درهم ، ابن الاثير ٢٧١/٥ النويري حـ٢٦٤/٢٢ . ويذكر اليعقوبي بان خراج خراسان وتوابعه اربعون مليون درهم سوى الاخماس والهدايا ، اليعقوبي ، البلدان ص ٣٠٨ .

(٤) تضم ديار مضر : الرصافة والزيتون . كفر حجر والجزيرة وخراجها اربعه الاف دينار بسعر الصرف ١٥ درهم = دينار خرداذبه ، المسالك ص ٧٤ .

أما تركة الخليفة المعتصم فقد كانت ثمانية ملايين دينار ، وثمانية وثلاثين الف درهم وثمانين الف فرس ، وثمانين الف من الجمال والدواب ، وثمانين الف خيمة وثمانين الف مملوك (١) .

وخلف الواثق في بيت المال من العين خمسة ملايين دينار ، ومن الورق خمسة عشر مليون درهم (٢) عدا الفرش والامتعة (٣) .

وقتل المتوكل وحاصل ما في بيت المال مليون دينار وخمسون مليون درهم عدا الخدم والجوارى والغلمان (٤) .

يتضح مما سبق أن الخراج كان العمود الفقرى لايرادات بيت مال الدولة العباسية وقد دمجت ضرائب أخرى كالجزية والصدقات والمستغلات مع ضريبة الارض ، ولم يتضح تعرض ايرادات بيت المال لاى انقطاع مؤثر فبمجرد الانتهاء من الاضطربات كفتنة الامين والمأمون استطاع الحسن بن سهل جباية السواد وباقي الاقاليم ، واتبع خلفاء بني العباسي اخذ الخراج بأثر رجعي في حالة انقطاع كورة او اقليم خراجه لأى سبب من الاسباب،فالمنصور اتبع ذلك مع اهل الرى والرشيد اتبع ذلك مع اهل الموصل ، ولم يلغ العباسيون خراج اى اقليم او ضيعة لتحيف غلاتها وظل المزارع ملتزما بالخراج يؤديه في وقت معين .

لذا انتظمت الجباية وأن اختلف في مقداره من خليفة لآخر وترك كل خليفة في بيت المال مبالغ كبيرة استعان بها خلفه لادارة امور الدولة.

---

(١) النجوم الزاهرة،حـ٢/٢٥١ - القلقشندى - مآثر حـ٣ / ٣٦٥ - ابن الساعى ص ٥٩ ، العمرانى ، الانباء ، ص ١٠٩،ابن الزبير ، الذخائر . ص ٢١٣ .

(٢) ابن الزبير ،الذخائر،ص ٢١٨،الكبيسى ،اسواق بغداد ، ص ١٢٧ .

(٣) الخطيب ، تاريخ بغداد ، حـ١٤ /٢٠ .

(٤) ابن الزبير ، الذخائر ، ص ٢١٨ .

الفصل الثاني

الجزية

اولاً تعريف الجزية ومقدارها .

ثانياً الجزية في العصر العباسي الاول .

ثالثاً موقف الخلفاء العباسيين من اهل الذمة في الادارة

أولا : تعريف الجزية ومقدارها:

عرفت الجزية في الحضارات القديمة ، فاليونان فرضوها على سكان ساحل آسيا الصغرى مقابل حمايتهم من هجمات الفرس ، ولم يعثر الباحث على نص يبين مقدار الجزية ولا على من فرضت (١) ، وفرض الرومان الجزية على الأهالي الذين خضعوا لحكمهم ، واختلف في مقدارها ما بين ٩ -١٥ دينار في السنة (٢) وفرضت على الاحرار والعبيد الذكور من عمر الرابعة عشرة والاناث من سن الثانية عشرة الى الخامسة والستين من اعمارهم جميعاً (٣)

وفرضها البيزنطيون على جميع الاهالي بدون شفقة ، ولم يكن مقدارها ثابتا وكانت تجبى بطريقة المقاسمه ، لان الحكومة اعتادت ان تقدر نفقات كل سنة ، ثم تفرض على كل ولاية وأقليم مقداراً معيناً بحيث يجبى من جميعها ماتحتاج اليه من الأموال . (٤)

وكانت الجزية مورداً هاما عند الفرس ، وقد نظمت في عهد كسرى أنو شروان فحدد مقدارها حسب دخل الفرد فجعلت على اربع درجات =(١٢- ٨ - ٦ - ٤) = على جميع الذكور من سن العشرين الى الخمسين من العمر ، واستثنى من دفعها المزاربة ، والأساورة ، والفقراء ، والزمنى (٥)

---

(١) جرجي ، التمدن ١/٢١٩ ، بدوي ، النظام المالي ص ٢٣

(٢) ابراهيم فؤاد ، الموارد المالية ، ص ٢١٠ ، جرجي ، التمدن ، ج١/٢١٩ .

(٣) خطط الشام ، ج٥/٤٨ ، بدوي ، النظام المالي ، ص ٢٣ .

(٤) ناجي معروف ، موجز الحضارة ، ص ٤ .

(٥) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٧١ ، دانيل ، الجزية ، ص ٤٧ ، ناجي معروف ، ص ٤ .

وقد عرف ابن منظور الجزية بأنها اشتقاق من الجزاء ، مثل لحية ولحى وهي عبارة عن المال الذى يعقد الكتابى عليه الذمة فهى جزاء عن قتله (١) وعرفها الفيروز آبادى أنها خراج الارض ، ومايؤخذ من الذمى (٢) . ويذكر الماوردى الجزية بأنها " مشتق من الجزاء ، أما جزاء على كفرهم لأخذها منهم صغاراً ، واما جزاء على أماننا لهم لأخذها منهم رفقا " (٣) ويذكر قدامة بأن الجزية " هى الوظيفة المأخوذة من الكافر لإقامته بدار السلام " فى كل عام " (٤) وقد سميت بهذا الاسم " لانها جزت من القتل أى كفت عنه لما ، أداها الذى حقن بها دمه " (٥).

فالجزية اذن ما يؤديه الكتابى من المال نظير حمايته وأقامته فى الدولة الاسلامية وتستعمل لفظه " جوالى " أحيانا محل لفظة ، جزية " وتعنى كلمة الجوالى فى الاصل الجزية التى تدفعها جماعات من أهل الذمة نزحت عن أوطانها الأصلية، ثم اصبحت مرادفة لكلمة جزية (٦)

وكانت كلمة الخراج يعنى شيئاً واحداً من خلافة عمر بن الخطاب، وعدت الكلمتان رمزا للخضوع وفرق بينهما فى عهد عمر بن عبد العزيز فاصبح الخراج ايجارا للأرض والجزيه رمزاً للخضوع (٧)

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، حـ١٨/١٥٩ .

(٢) القاموس المحيط، حـ٤/٣١٢ .

(٣) الماوردى ، لاحكام السلطانية ، ص ١٤٢، نهاية الارب ، حـ٨/٢٣٥ .

(٤) ابن قدامة، المغنى ٨/٤٩٥ .

(٥) قدامة ، الخراج ، ص ٢٠٤ .

(٦) الخوارزمى، مفاتيح العلوم، ص ٤٠ ، الدورى، تاريخ العراق، ص ١٩٦

(٧) الدورى ، تاريخ صدر الاسلام، ص ١٧ ، راجع ماورد عن الكلمتين فى المقال المنشور بمجلة ARABICA العدد الأول السنه ١٩٥٤م لـ CLAUDE CAHEN بالصفحات ١٣٧ - ١٥٢ .

وتؤخذ الجزية من اليهود والنصارى والمجوس والصائبين ، وقد أخذ عثمان ابن عفان الجزية من البربر (١) ولم يأخذ الرسول (صلى الله علية وسلم) الجزية من العرب ، لان الجزية فرضت بعد عام تبوك ، وكان عباد الاصنام من العرب كلهم قد دخلوا فى الاسلام (٢)

وفرضت الجزية على الذكر البالغ صحيح الجسم والعقل بشرط أن يكون له المال الذى يدفع منه ما فرض عليه ، وأعفى النساء والاطفال والشيوخ العمى ، المقعدون إلا إذا كانوا أغنياء ، كذلك الفقراء والمساكين والأرقاء والضعفاء ، والرهبان اذا كانوا فى عزلة عن الناس ، اما اذا اختلطوا بغيرهم فيؤخذ منهم لانه لايؤمن شرهم وحظرهم (٣) .

لقد تعددت الآراء فى اسباب فرض الجزية . فقال البعض بأنها حماية لأرواحهم ، وقال آخر بأنها مقابل اقامتهم على أرض المسلمين ، ويذكر المؤرخون ان الجزية ضريبة عادلة ، وان الحياة فى كل مجتمع وفى كل عصر تقوم على اساس الحقوق والواجبات ، وقد تمتع أهل الذمة بكثير من الحقوق ، وعاشوا فى ظل التسامح الاسلامى فكان عليهم أن يقدموا مقابل هذه الحقوق العديدة بعض الواجبات فالمسلمون وجبت عليهم الزكاه والخدمة العسكرية ، مقابل تمتعهم بحقوقهم وأمانهم على انفسهم وأموالهم ، لذا كان على اهل الذمة أن يؤدوا ضريبة تقابل الزكاة ونظير تمتعهم بحقوق المواطنة ، فإن أسلم الذمى سقطت عنه الجزية ، ووجب عليه آداء الزكاة ان كان له مال (٤) ويرجع كتاب أهل الذمة

---

(١) الصولى ، ادب الكتاب ، ص ٢١٥ المقدسى ، احسن التقاسيم ، ص ٤١

(٢) ابن الجوزية ، احكام اهل الذمة،حا / ٩ .

(٣) ابو يوسف،ص ٢٣ ، ابو عبيد ، ص ٣٩ ،الرحبى،الرتاج،ح٩٩/٢ .

(٤) الخربوطلى، الاسلام واهل الذمة،ص ٦٧ ، خلاف ، السياسة الشرعية ، ص١٠٥ .

إلى ان دفع الجزية كان واجبا ربانيا وأن عيســـى بن مريم أمرهم بأن يطيعوا الملـوك والولاة ، وأن يدفعوا الجزية والخراج (١)

يذكر الماوردى أن الجزية والخراج يختلفان فى ثلاثة اوجه : - فالجزيـة ثابتة بنص القرآن الكريم قال تعالى " قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولاباليوم الآخر ولايحرمون ما حرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون " (٢) وان الخراج اجتهاد .

حدد أقل مقدار من الجزية بدينار - وفيه إختلاف - واكثرها قدر بالاجتهاد أما الخراج أقله واكثره يقدر بالاجتهاد ، والجزية تؤخذ مع بقاء الكفر وتسقـط بالإسلام ، والخراج يؤخذ مع الكفر والاسلام . (٣) ، ويضيف أبن الجوزية بأن الجزية اذا قدرت على الشخص لاتزيد بزيادة غناه (٤).

وتجتمع الجزية والخراج فى ثلاثة وجوه فالجزية والخراج يؤخذان من غير المسلمين وهما من جملة أموال الفئ ، ويجيبان بأوقات معينة كل سنة (٥).

لم تكن الجزية محددة فى بادئ الأمر فكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يقدرها على مقتضى التراضى ، فلما صالح أهل نجران تراضوا على جزية مقدارها ألفى حلـــة فى صفر ، والف حلة فى رجب ثمن كل حلة أوقية ، والاوقيـــــة

---

(١) رفائيل ، تاريخ نصارى العراق ، ص ٦١ .
(٢) سورة التوبة ، آية ، ٢٩ .
(٣) الماوردى ، الاحكام السلطانيه ، ص ١٤٢ ، وانظر ايضا ، ابو يعلى ، الاحكام السلطانية ،ص ١٥٣ .
(٤) ابن الجوزية ، احكام اهل الذمة ، حـ ١ / ١٠١ .
(٥) الماوردى ، الاحكام السلطانية ، ص ١٤٢ .

اربعون درهما[(١)] وصالح صاحب أيلة على جزية قدرها دينار على كل حالم في السنة فكان ارتفاعها ثلثمائة دينار في السنه وصالح أهل أذرح على مائة دينار في كل رجب[(٢)].

مازالت الجزية بلا تحديد الى آخر أيام ابى بكر ، فلما تولى عمر بن الخطاب وكثرت الفتوح كان لزاما عليه تحديدها فكتب الى عماله بأخذ الجزية من كل من جرت عليه الموسى من اهل الفضه ، عن كل رجل أربعين درهما ، وعلى أهل الذهب أربعة دنانير بالإضافة إلى مديين من الحنطة وثلاثة أقساط زبيب كل شهر[(٣)]

ثم أعاد الخليفة عمر بن الخطاب النظر في مقدار الجزية بعد أن ارتفعت اسعار المواد الغذائية ، وارهقت الناس فأسقط الحنطة والزبيب وابدلهما بالنقود[(٤)].

فجاء التعديل على أساس طاقة ويسر أهل الذمة فوضع على الغني : ثمانية واربعين درهما وعلى متوسط الحال أربعة وعشرين درهما وعلى الطبقة السفلى اثني عشر درهما وما يعادله على أهل الذهب[(٥)]

شكلت الجزية مورداً لبيت مال المسلمين ، فكانت ارتفاعها زمن عمر بن الخطاب كبيرا ففي العراق بلغ دافعوا الجزية مائة ألف رجل ، كان ارتفاع رؤسهم

---

(١) البلاذري ، فتوح ص ٧٠ .

(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٦٦الصولي ، ادب ، الكتاب ص ٢١٤ .

(٣) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٥٢ .

(٤) الصولي ، ادب الكتاب ، ص ٢١٥ ، ابراهيم فؤاد ، الموارد الماليه،ص٢١٥ . ترتون،اهل الذمه،ص ٢٤٢ .

(٥) المغني،حـ٨/٥٠١ ، ابن آدم،الخراج،ص ٧٠،قدامة ،الخراج،ص ٢٢٥،ويذكر الصولي بان سعر الصرف = الدينار = ١٢ درهما،ادب الكتاب،ص ٢١٥ ، واختلف الفقهاء في تقدير الجزيه انظر ، نهاية الارب،حـ٨/٢٣٧ الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي،ص ١٨٤.

مائة وثمانية وعشرين مليون درهم [١] وارتفاع جزية مصر في أول سنة على يد عمرو بن العاص عشرة ملايين دينار [٢]، وقد استعان عمرو بمال الجزية في انشاء الخدمات كحفر الخلجان واقامة الجسور ، ويذكر ابن عبد الحكم أن ارتفاع الجزية بلغ مائة وعشرين ألفا [٣] وكان ارتفاع الجزية بمصر في عهد عثمان اثني عشر مليون دينار [٤] وبلغت جزية الشام في خلافة عمر بن الخطاب خمسمائه ألف دينار [٥].

---

(١) ابن رسته، الاغلاق النفيسة ، ص ١٠٥ .

(٢) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٣٩ .

(٣) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٥١ .

(٤) اليعقوبي ، البلدان، ص ٣٣٩ .

(٥) الصولي ، ادب الكتاب، ص ٢١٦ .

ثانيا: الجزية فى العصر العباسى الأول :

لقد شكلت الجزية على أهل الذمة مورداً لبيت المال فى العصر الأموى واستمر هذا المورد فى خلافة بنى العباسى على نهج مارسة الخليفة عمر بن الخطاب عام ١٣ - ٢٣ هـ /٦٣٤-٦٤٣م، وكثيرا ما كان والى الخراج يتولى جباية الجزية ، وأحيانا يتولاها وال مستقل [١] وهذا من اسباب قلة الاشارات الى مقدار ارتفاع الجزية خلال الفترة العباسية الاولى . أما فارس فقد نصت المعاهدات على مقدار مسمى من المال يؤدى فى كل سنة ويشمل هذا الجزيه والخراج معا [٢]

وكانت بغداد قبل تمصيرها مركزاً للنصارى وتضم اعدادا كبيره منهم ، وخيردليل على كثافة عددهم ما ذكره الشابستى من اسماء الاديرى البغدادية فى القرن الرابع [٣] ولايمكن احصاء عدد أهل الذمة فى بغداد بالقياس الى ايرادات الجزية التى كان يدفعها أهل الذمه لاختلاف طبقاتهم ، ويذكر قدامة ان جزية أهل الذمة فى بغداد عام ٢٠٤ هـ ٨١٩ م ، بلغت مائتى ألف درهم [٤] ويضيف خرداذبة " وكانت الجوالى بمدينة السلام مائه الف وثلاثين ألف درهم" [٥] وجوالى واسط ثلاثين ألف درهم ، [٦] وأرتفاع جوالى برقة فى عهد هارون الرشيد كانت تجمع مع الاعشار " الصدقات فبلغت فى متوسطها نحو خمسة عشر الف دينار" [٧] ويذكر

---

(١) مسكويه ، تجارب الامم حـ٦/٤٤٨ .

(٢) دانيل ، الجزية والاسلام ، ص ١٨٤ .

(٣) الشابستى،الديارات،انظر الصفحات ٣،١٤،٢٤،٣٣،٤٦ .

(٤) قدامة ، الخراج،ص ١٨٤ .

(٥) خرداذبة ، المسالك ، ص ١٢٥ .

(٦) نفس المرجع السابق ، ص ٥٩ .

(٧) اليعقوبى ، البلدان ، ص ٣٤٤ .

المقدسي أن رسوم القبط كانت عالية [(١)] في حين يذكر ترتون ان الجزية لم تكـن موحدة بمصر ، وليس هناك اى بينة تستدل منها ان الرهبان كانوا يدفعونهـا على القدر المدفوع لم يكن واحداً اذ يتراوح بين ثلاثه دنانير ، وديناريـن ونصف واربعه دنانير ، ولتيسير دفع الضرائب اعتبر الرجل جزءا من شخص ، فكان كـل تسعة رجال يعتبر ١/٢ رجل • وفى عام ١٩٥ هـ دفع احد الخبازين نصف دينار [(٢)] وهذا يعني حسب قوله ان الجزيه قد خفضت على غير المقتدر من اهل الذمـة وازدادت هذه الضريبة نتيجة الفتنة بين الأمين والمأمون ، ويذكر البطريـق ديونيسبوس الذى زار مصر عام ٢٠٠ هـ بأن الاقباط ساكني مدينة تنيس يدفعـون خمسة دنانير عن كل رجل [(٣)] •

ولاريب ان هذه المقولة لا أساس لهامن الصحة ، ومن الممكن ان يكـون اهل تنيس ارادوا كسب عطف البطريق • ومن جهة اخرى أن خلفاء بنى العباس لم يرفعوا جزية أية مدينة ، بل هناك من خفضها عنهم ، ويمكن ماسمعـه البطريق كان نتيجة الاضطرابات في مصر من بعد الفتنة ، وهذا المبلغ كان مقابل مالم يدفع عن سنوات ماضيه •

فرض خلفاء بنى العباسى الجزية خارج حدود الخلافة لأنها كانت فـى موقف القوى ففى عام ١٥٥ هـ/٧٧١ م طلب ملك الروم الصلح مع الخليفـة

---

(١) المقدسي ، احسن التقاسيم ص ١٦٣

(٢) ترتون ، اهل الذمه فى الاسلام ، ص ٢٣١
ويذكر ان ٩٥ رجلا يدفعون ٢٣٠ ديناراً ، وخمسـة رجال يدفعون ٧ ١/٢ دينار وسبعة رجال يدفعون ١٧ دينار ، و١٥ رجلا يدفعون ٣٨ ١/٢ ديناراً وسبعة رجال يدفعون ٢٠ ١/٢ ديتار ، وخمسة رجال يدفعون ١٣ دينارا ، ••••••• المرجع السابق •

(٣) متز ، الحضارة الاسلامية ، حـ٩٧/١ ، الدورى ، النظم الاسلامية ، ص ٦٧ •

المنصور على ان يؤدى الجزية (١) وقاد الرشيد الصائفة عام ١٦٥ هـ /٧٨١م واستطاع هزيمة جند الروم حتى وصل زحفه على خليج القسطنطينية وعقد هدنة مع ملكتهم أغسطة امرأه ليون لمدة ثلاثة سنين على أن تدفع فدية قدرها تسعون أو سبعون الف دينار سنويا (٢) كما فرض عليهم الجزية عام ١٦٦ هـ ٧٨٢ م وبلغ مقدارها اربعة وستين الف دينار رومية ، والفين وخمسمائة دينار عربية ، وثلاثين ألف رطل مرعزى (٣).

ونقض نقفور الهدنة فخرج اليه الرشيد عام ١٩٠ هـ ٨٠٥ م حتى فتح هرقلة وخضع نقفور لطلبات الرشيد فدفع الجزية عن راسه أربعة دنانير وعن ابنه دينارين وعن الباقى على حسب قرابتهم فبلغت فى مجملها خمسين الف دينار واشترط عليه أن لايعمر هرقلة وأن يحمل نقفور فى كل سنة ثلاثمائة الف دينار (٤) وعزا المأمون الروم عام ٢١٦ هـ/٨٣١ م ، وفتح نيفا وعشرين حصنا عنوة وصلحا ودعا اهلها الى الاسلام وخيرهم بين الاسلام والجزية فأجاب خلق كبير من الروم الى الجزية (٥).

---

(١) الطبرى حـ٨/٤٦ ،ابن الاثير ،حـ٥/٣٨، تاريخ ابن خلدون، حـ٥/٤٣٣ .

(٢) الطبرى، حـ٨/١٥٢ ، العبرى ، المختصر ، ص ٢١٨ .

(٣) الطبرى حـ٨/١٥٤ ، ومماغنمه خمسة آلاف دابه بسروجها ولجمها فضة ، الثعالبى ثمار القلوب، ص ٨٨ .

(٤) العيون والحدائق ص ٣١٢ - ابن الاثير حـ٥/١٢٣ تاريخ ابن الخياط، ص ٤٩٤ مآثر الاناقة حـ١/١٦٦ القزوينى ، اخبار البلاد، ص ٥٦٧ ، وسبب نقضة سقوط الثلوج فأمن على نفسة من المسلمين، العسكرى ، الاوائل، ص ٢٦٤ .

(٥) طيغور ، بغداد ، ص ١٤٤، المسعودى ، مروج الذهب، حـ٤/٤٢

ثالثا: موقف الخلفاء العباسيين من اهل الذمة في الادارة :-

من العسير دراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية لأهل الذمه ، وقدنظمت الشريعة الاسلامية معاملة أهل الذمة لضمان أمنهم واستقرارهم ، ولكن لم يكن بإمكان غير المسلم أن يصبح عضوا كاملا في المجتمع الاسلامي نظريا في ظل الشروط التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب على أهل الذمة من أن يتميزوا عن المسلمين وهو ما عرف بالقوانين العمرية (١).

ورغم ان الفقهاء يرجعونها إلى الخليفة عمر بن الخطاب (٢) الا أن المؤرخين يعتبرونها مدسوسة على عمر وانها وضعت في وقت متأخر (٣) ومهما يكن فإن أهل الذمة تمتعوا بالحرية الدينية تماما فضلا من حسن المعاملة فقد كان التسامح شعار الاسلام ، الا أن هذه المعامله تفاوتت درجاتها باختلاف الخلفاء والولاة (٤) وكانت القيود المفروضة على أهل الذمة قد اخذ بها نظريا فلم تطبق عبر السنين ويرجع بعض المؤرخين أن تشدد بعض خلفاء بني العباسي على أهل الذمة ما كان إلا مناورة حتمتها ظروف الخلافة فكان التشدد سلاحا بيد الخليفة يرضي به الفقهاء ولم يكن لذلك أثر يذكر من الناحية العملية (٥).

---

(١) اشترط عمر بن الخطاب على أهل الذمة لبس الزنار ونهاهم عن التشبه بالمسلمين في ثيابهم وسروجهم ونعالهم ، وأمرهم أن يجعلوا في اوساطهم الزنارات وان يكون قلانسهم مضربة ، ومنع نساء أهل الذمة من ركوب الرحائل ومنعهم من استحداث بيعة او كنسية وبيع الخمر والخنزيرواظهار الصلبان في الامصار الاسلامية .

(٢) ابو يوسف ، الخراج ص ١٢٧ ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ص ١٥١

(٣) الخربوطلي، تاريخ العراق ص ٢٧٠ ترتون ، اهل الذمة في الاسلام ، ص ١٢٧

(٤) الخربوطلي، تاريخ العراق ص ٢٧٣

(٥) فاروق عمر ، العباسيون الاوائل حـ١٦٥/٢

ثم إن الدولة كانت فى حاجة إلى إدارة بارعة وكفاءات فى مجالات معينة وخاصة الادارة المالية • وكان أهل الذمة قد برعوا فى ذلك فهم أصحاب المال والصيرفه فما كان من الخلافة العباسية الا الاستعانة بهم •

فالخليفة ابو العباس السفاح حين قل مالديه من المال اقترض من تاجر يهودى مليون دينار [١] مما زاد حب أهل الذمه للمسلمين ، كما أن المسلمين غالوا فى ملاطفتهم ووثقوا بهم ، ومنح السفاح النصارى الحرية فى أحكامهم البيعية ، وخول لرؤسائهم النفوذ الواسع على ابناء قومهم وكذلك فعل المنصور بعد ان نزل ببغداد [٢] وخفض السفاح الجزية على اهل الكوفة وجعلها مائتى حلة قيمتها ثمانية الاف درهم [٣] •

واستعان المنصور بأهل الذمة فى الدواوين وجباية الضرائب والوظائف الاخرى وكان لعدم اخلاص بعضهم وظلمهم فى الجباية ما دفع جماعة من المسلمين الى الاحتجاج عند المنصور وطلبوا طردهم [٤] فأستجاب المنصور لهم ، وأمر حمادا التركى بإبعاد الكتاب من أهل الذمة بالكتابة لعمال الخراج وجعل عقوبة المخالف لأمره قطع يده [٥] فكسب المنصور رضا المسلمين عنه ، وصان المجتمع من الفتن لأن الفقهاء رفضوا تسلط الذمى على المسلم •

---

(١) غنيمة ، نزهة المشتاق فى تاريخ يهود العراق، ص ١٠٣ •

(٢) رفائيل ، تاريخ نصارى العراق ، ص٦٦ •

(٣) البلاذرى ، فتوح البلدان ص ٧٥، قدامة، الخراج، ص ٢٧٤، فاروق عمر العباسيون الاوائل، ج٢/١٧٠ •

(٤) ابن الجوزية، احكام اهل الذمة، ج١/٢١٤ •

(٥) الجهشيارى، ص ١٣٤ ، وكان المنصور قد عين يهوديا لجباية الخراج اسمه موسى ، ترتون ، أهل الذمة ص ١٩•

إلا أنه لم يتعرض لعامة أهل الذمة بسوء بل شاركهم مع المسلمين في الاقامة ببغداد وأقطع النصارى ارضا عرفت " بقطيعة النصارى " [١] وقرب أطباء النصارى الى بلاطه ومنهم جيورجيس الجندنيسابوري [٢]

ونظراً للعلاقة غير المستقره بين الخلافه العباسية والبيزنطيين أمر المنصور بفرض بعض القيود،.على اليهود والنصارى وخاصة أولئك المستوطنين قرب الثغور بعد ان هرب نصارى كثيرون الى داخل الحدود البيزنطية [٣]

وعلا نجم أهل الذمة في خلافة المهدي فكان رئيس منحميه نوفيل من توما النصراني [٤] بل وقويت شوكتهم على المسلمين فكان للمهدي على بعض ضياعه بالبصرة كاتب نصراني تظلم الناس منه واجتحوا علية عند المهدي ، وطالبوه باقصاء أهل الذمه ، فنزل المهدي عند رغبتهم ، وعزل عمال الاهواز وكور دجلة وفارس ، ومنع الاستعانة بعمال وكتاب أهل الذمة في أمور الدولة [٥]

ولشدة غيرة الخليفة المهدي على الاسلام حاول استمالة أهل الذمة للاسلام واضعاً مصلحة الدين فوق مصلحه بيت المال وقد نجح في استمالة جماعة من

---

(١) الامامه والسياسه ، حـ٢/٢٨٥ . فهمي سعد، العامه في بغداد، ص ٧٤ .
(٢) ماري سليمان ، اخبار بطارقه المشرق، ص ٦٨، ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول، ص ٢١٤.
(٣) فاروق عمر ، العباسيون، حـ٢/١٧١ .
(٤) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢١٩ .
(٥) ابن الجوزية ، احكام اهل الذمة، حـ١/٢١٥ - ٢١٦ .

بهدم الكنائس بالثغور ، وكتب الى السندى بن شاهك بمخالفة هيئة أهل الذمة هيئة المسلمين فى لباسهم وركوبهم ببغداد وغيرها من البلاد [(١)] وطبق هذا حتى على المقربين للرشيد من أهل الذمة [(٢)] كماهدمت الكنائس المستخدمة بمصر ، وحاول قوم من اهل الذمة صرف الوالى عن هذا بأن يبذلوا له خمسين الف دينار [(٣)]

اما زبيدة أم الأمين فكانت تميل الى النصارى ، وتستخدمهم،وقد اخرجت توقيع الرشيد بالموافقة على بناء ما هدم لهم من الاديره وتوسيعها ، وجعلت أعلام الشعانين وصلبانهم من الذهب والفضة ، وساعدت سرجيس مطران البصرة على بناء البيع بها ، وقد اتبع الأمين هذه السياسة [(٤)] ، حتى يكسب أهل الذمة إلى صفه فى حربة ضد المأمون ، أما اليهود لحق بهم الأذى اثناء الفتنة بين الأمين والمأمون [(٥)] .

ويعتبر عصر المأمون عصر انتعاش فكرى لأهل الذمة ، فكان يميل الى النصارى [(٦)] ويكرم رؤساءهم الذين نالوا الجاه والكرامة واللطف فى مجالسه [(٧)] وتدخل المأمون فى فض منازعاتهم فصالح اليهود حين تنازعوا على الرياسة ، وجعل من حق كل عشرة اشخاص أن ينصبوالهم رئيسا ، فاحتج النصارى لأن القرار لم يوافق مصلحة رؤسائهم [(٨)] وأدخل المامون أهل الذمة فى المجلس الاستشارى

---

(١) الطبرى،حـ٨/٢٢٤،ابن كثير ، البدايه والنهاية،حـ١/٢٠٦ ، ابن الجوزية احكام أهل الذمة ، حـ٢/٦٨٥ .

(٢) مارى ، اخبار بطاركة المشرق،ص ٧٣

(٣) ترتون ، اهل الذمة،ص ٤٧ .

(٤) غنيمة ، نزهة المشتاق،ص ١٠٧ .

(٥) اخبار بطاركة المشرق ، ص ٧٤ .

(٦) اخبار بطاركة المشرق،ص ٧٤ .

(٧) رفائيل ، تاريخ النصارى،ص ٧٠ .

إلى جانب فقهاء المسلمين ، وصان لهم حرية الاعتقاد والعبادة للجميـــع . وتعتبر خلافة المأمون عصر اصلاح للكنائس والمعابد اذ انه مسمح بإنشـــاء كنائس جديدة حتى بلغ عدد الكنائس التي شيدت في عهده "١١٠٠٠" كنيســة ومئات من هياكل اليهود ومعابد النار (١)

وأكرم المأمون العلماء والادباء وعقد مجالس المناظرة وظهـــرت روح المنافسة بين المسلمين وطوائف اهل الذمة ، وبين ايدينا ماكتبه عبد الله ابن اسماعيل الهاشمي الى عبد المسيح بن اسحاق الكندي يدعوه فيها الـــى الاسلام وبلهجة فيها الجفاء والشدة رد علية بدعوة للدخول في دين المسيح (٢) وخفض الضرائب على الكنيسة الكبرى في الرها ، فألغى ضريبة المستغـــلات عن الكنيسة وتوابعها ، واكتفى بخراج بساتينها وأرضيها المزروعة (٣) وأكـــرم الكرماء من أهل الذمة فقد اقطع مارية القبطية ضياعا مساحتها مائتان فـدان بغير خراج لمروءتها (٤) وأعفى النصارى من ضيافة المسلمين المفروضة عليهم (٥)

وسمح لاهل الذمة بالانحراط في الجيش ، وتولوا المناصب الاداريـــة وجباية الخراج ، إلا أن أهل الذمة استغلوا هذه السماحة فطعنوا في الديـــن الحنيف وكثرت سعاياتهم واختلاسهم وقد تظلم المسلمون منهم ولمس المأمون نفسه ذلك اثناء وجوده بمصر عام ٢١٧ هـ/٨٣٢م ، وحين رجع الى بغداد اثـــار

---

(١) رفائيل ، تاريخ النصارى ص ٧٠ ترتون ، اهل الذمة ص ٤٩ - ٥٠ .

(٢) انظر رسالة عبد الله بن سماعيل الهاشمي الى عبد المسيح بن اسحاق الكندي يدعوه بها الى الاسلام، ورد عبد المسيح الى الهاشمي يدعوه الى النصرانية طبعة لندن ١٨٨٠م

(٣) ترتون ، اهل الذمة، ص ٢٧١ .

(٤) المقريزي ، الخطط، حـ١/٨١، الايوبي تاريخ مصر، حـ١/١١٠ .

(٥) ترتون ، اهل الذمة ، ص ٢٦١ .

حفيظته الكسائي الفقيه فأمر بسجن وصرف ألفين وثمانمائة من أهل الذمة وقطعهم من ديوان الجيش والخراج (١).

وفي عصر المعتصم ساد التسامح الديني بين طوائف اهل الذمة ، فقرب الاطباء ، والعلماء ، وكان من اشد المقربين اليه طبيبه سلمونة ، زاره المعتصم في منزله حين مرض وامتنع عن الأكل حزنا عليه يوم وفاته ، وأمر بأحضار جنازته الى قصر الخلافة ، وان يصلى عليه بالشمع والبخور على حسب تقاليد النصارى (٢) ولكن النفوذ التركي اصبح مثاراً الفتن والدسائس ، ففرضوا على الذميين ضرائب فادحة لسد نفقاتهم واسرافهم ، ثم ازداد سلطانهم في عهد الواثق ، وتسلم أمراؤهم المناصب العالية (٣) فاحتال أهل الذمة على هذه المشاكل وأوحوا للمتوكل بأن المسلمين في عملهم بين مفرط وخائن ، وتسموا بأسماء المسلمين حتى يبعدوا الشك عنهم فأطمأن لهم المتوكل (٤) ، واعتمد عليهم في استخراج الأموال من العمال ، ودفع أبو سعيد الثغري بعد غزواته الى أبي الخير النصراني الجهبذ ليستخرج المال منه ، فأخذ يضربه فشق ذلك على المسلمين وقالوا أخذه بثأر النصرانية ، وبلغ الخبر الى المتوكل فأمر بإطلاقه (٥)

وكان لتحول المتوكل عن مقولة المعتزله أثر كبير لإنصاف المسلمين من أهل الذمة واحباط محاولاتهم للطعن في نزاهة المسلمين في اعمالهم ونظر المتوكل

---

(١) ابن الجوزية ، احكام اهل الذمة، ج١/٢١٨ - ٢١٩.
(٢) العبري ، تاريخ مختصر الدول، ص ١٤٣ .
(٣) رفائيل ، تاريخ نصارى العراق، ص ٧١ .
(٤) ابن الجوزية، احكام اهل الذمة، ج١/٢١٩ .
(٥) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ص ٩٥ .

بنفسه في بعض المظالم ورد ما اغتصبه سعيد النصراني عامله بدمشق من المسلمين (١)

واثناء تأديته فريضة الحج قبض على رجل يدعو عليه واستفسر عن سبب ذلك ،فشكا اليه استطالة كتاب اهل الذمة على المسلمين فأمرالمتوكل عام ٢٣٥هـ/٨٤٩ بإبعاد أهل الذمة من الوظائف ومنع المسلمين من خدمتهم ،كما أمر بتغيير هيئتهم عن هيئة المسلمين في لبسهم وركوبهم وأمر بهدم كنائسهم ..... (٢) فكان هذا القرار من اقسى القرارات التي اتخذت ضد أهل الذمة .

ويذكر ابن الجوزية بأن الامام احمد بن حنبل افتاه بهدم كنائس السواد (٣) وهذا مستبعد لأن الامام رفض كل مغويات المتوكل حتى رده الى منزله ببغداد فكان المتوكل شديداً على أهل الذمة حتى امر بأخذ العشر من منازلهم علاوة على الجزيه (٤) وأمر باجلائهم عن حمص حين ساعدوا الثوار اليمانيين على عاملة عام ٢٤١ هـ ٨٥٥ م (٥) ، ورغم هذه الشدة فقد راعى ظروفهم ومدى تحملهم للضريبة ، ففي عام ٢٤٦ هـ ٨٦٠ م ، شكا اليه أهل قرية بيت ماما من كورة نابلس وهم من السامرة يشكون ضعفهم وعجزهم عن اداء خمسة دنانير عن كل فرد فأمر المتوكل . بخفضها الى ثلاثه دنانير (٦) مما يدل على أن المتوكل

---

(١) ابن الجوزية ، احكام اهل الذمة،حـ١/٢٢١ .

(٢) الطبري حـ٩/١٧١ - ١٧٤ صبح الاعشى،حـ١٣/٣٦٦، القلقشندي،مآثر،حـ٣/٢٢٩ ابن الجوزية،احكام اهل الذمة،حـ١/٢٢١ - ٢٢٢ ،تجارب الامم،حـ٦/٥٤٥.

(٣) ابن الجوزيه،احكام،حـ١/٦٩١ .

(٤) تجارب الامم،حـ٦/٥٤٥، غنيمة ، نزهة المشتاق،ص ١١٣، الدوري ، النظم،ص ١٧٧ .

(٥) الايوبي ، تاريخ مصر،حـ١/٢٥٧ ، كرد علي ، خطط الشام،حـ١/١٩٤ .

(٦) البلاذري ، فتوح،ص ١٦٥ .

لم يقصد ايذاء الذميين تعصبا للاسلام ، ولكن لكي يحفظ كيان الدولة من الفتن والاضطرابات التي ترتبت على الاستعانة بأهل الذمة بشكل واسع ، فأخذ فـــي ابعادهم عن وظائف الدولة فأبعد القائم بحراسة مقياس النيل وكان نطرنيـــا وولى مكانه أبا الرداد (١)

(١) ترتون ، اهل الذمة ص ١٩.

الفصل الثالث

المكوس

أولاً تعريف المكوس ونصابه .

ثانياً الصفات الواجب توافرها في العشار .

ثالثاً العشور في العصر العباسي الأول .

رحمه صقور

اولاً: تعريف المكوس ونصابه :

المكس ضريبة تؤخذ من التجار في المراصد [(١)] ، وأصل المكس في اللغه الجباية ، قال ابن سيده في كتابة المحكم " المكس " الجباية ، مكسه بمكسه مكسا ، والمكس دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق في الجاهلية ، ويقال للعشار صاحب المكس ، والمكس وانتقاص الثمن في البياعه ، وقال الشاعر :-

افي كل اسواق العراق اتاوه وفي كل ما يباع امرؤ مكس درهم [(٢)]

فالمكس قديم لايدرك أول من فرضه ، فقد وردت الكلمة باللغة العبرية في التوراة [(٣)] وكان العرب في مكة يحبون المكوس على المتاجر المارة في الجاهلية ، ولابد انه كان هناك نظام مبسط لحفظ السجلات تحفظ بمقتضاها معاهدات التحالف والاتفاقيات التجارية [(٤)].

وينكر الفقهاء " المكوس " فقد اورد ابن الجوزيه أحاديث للرسول (صلى الله عليه وسلم) ينهى عن اخذ المكوس ومن قوله (صلى الله عليه وسلم) " لايدخل الجنة صاحب مكس " وقوله:" صاحب المكس في الناس " وقوله " ان صاحب المكس لايسأل عنه شئ يؤخذ فيرمى في النار " وقوله (صلى الله عليه وسلم) " من لقى صاحب عشور فليضرب عنقة " وقوله " اذا لقيتم عاشرا فاقتلوه " وقوله " ليس على المسلمين عشور ، انما العشور على اليهود والنصارى [(٥)] "

(١) الخوارزمي، مفاتيح العلوم،ص ٤٠ .
(٢) المقريزي، الخطط،حـ١٢١/٢ .
(٣) العزاوي ، تاريخ الضرائب،ص ١٢ .
(٤) حسيني ، الاداره العربيه ،ص ٢٩ .
(٥) ابن الجوزية ،احكام اهل الذمة،حـ١٠٥/١ - ابن سلام،الاموال،ص ٤٦٩ .

وفى قوله آخر قال:زياد بن جرير انا اول عاشر فى الاسلام ، ماكنا نعشر مسلما ولامعاهداً ، كنا نعشر نصارى بنى تغلب"وفى رواية اخرى" تجار الحرب كما كانوا يعشروننا اذا أتيناهم (١)

ورغم هذا النهى فان الصولى اشار بأن الرسول (صلى الله علية وسلم) قد شرع المكوس بعد غزوة تبوك وأنه (صلى الله علية وسلم) وضع الجزية على أهل ايلة ، وأدرج ووادى القرى على رقابهم،الرجل ديناراً ونحوه وفى تجارتهم نصف العشر فلما فعل ذلك لهم صارت لهم ذمه (٢) ٠

وهذا يعنى ان المكوس فرضت على غير المسلمين فى عهد الرسول ثم فرضت على المسلمين فيما بعد ٠ وهذا ما كتب به عمر بن الخطاب فى عهد الرسول (صلى الله علية وسلم) على أن يؤخذ من المسلم ربع العشر ، ومن الذمى نصف العشر ومن الحربى العشر ، وحين نصب عمر بن الخطاب العشار كان ذلك بمحضر من الصحابة فلم يعترض عليه احد ولم ينكره ، فكان إجماعا سكوتيا (٣) ٠

ورغم هذا الاجماع فقد استنكر بعض الصحابة المكوس واعتبرها من عمل الخليفة وليس من الشرع (٤)

---

(١) ابن الجوزيه،احكام أهل الذمه،١٥٢/١ ـ ابن سلام،الأموال،ص ٤٧١ . قدامه ٠ الخراج،ص ٢٤١ .

(٢) الصولى ،ادب الكتاب،ص ٢١٤ .

(٣) عبد الكريم زيدان ، احكام الذميين،ص ١٧٧ ، الزهرانى ، موارد بيت المال،ص ١١٥،الاجماع السكوتى يعنىعدم-اعتراض الصحابة على اجتهاد الخليفة ، والعلماء يختلفون فى حجيته ويعتبره الحنفية والحنابلة كالاجماع الصريح اما المالكية والشافعية لايعتبرونه اجماعا ٠

(٤) ابو يوسف،الخراج،ص ١٣٧ .

ومهما يكن فإن الخليفة أعاد هذه الضريبة نتيجة لظروف الأحـــوال الاقتصادية فاوجد مبدأ المعاملة بالمثل ، فقد كتب اليه أبو موسى الاشعـــرى عامل العراق بأن تجار المسلمين اذا دخلوا دار الجرب اخذوا منهم العشر فأمره الخليفة بأخذ مثل ذلك من تجار الحرب ، ومن تجار اهل الذمة نصـــف العشر ومن المسلمين ربع العشر (١) ونتيجه هذه السياسة طلب اهل منبج مـــن عمر السماح لهم بالتجارة فى أرض المسلمين على دفع عشر تجارتهم (٢) .

فرضت ضريبة العشور على ما يحمله تجار الحرب ١٠٪ من قيمتها، وعلى تجارة اهل الذمة ٥٪ ، وعلى تجارة المسلمين ٢٫٥٪ اثناء تنقلها من منطقة لأخرى بقصد الربح ، وقد أختلفت الأراء فى نصاب العشور .

ويظهر ان الخليفة عمر بن الخطاب لم يضع حداً ادنى للأموال التجارية التى يمكن اخذ الضريبة عليها (٣) فيرى البعض ان نصابها كنصاب الزكاة مائتى درهم فضة او عشرين مثقالاً من الذهب ، ويرى آخرون أن ليس لها نصاب وتحصل العشور على الكثير من التجارة والقليل اذا مر على العاشر (٤)

اما ابو يوسف والفقهاء قد يرون نصاب العشور فى الاموال التجاره ، مائتى درهم من الفضة او عشرين مثقالاً من الذهب فصاعداً اخذ العشر ، وان كان قيمتها اقل من ذلك لا يؤخذ منها ، وما اخذ عنه ضريبة ، لايؤخذ عليه مره اخرى (٥) .

---

(١) ابن الجوزية ، احكام اهل الذمة ، حـ١/١٥٦ ، ابن آدم ، الخراج ، ص ١٧٣ ، ابو يوسف ، خلاف السياسة الشرعية ، ص ٢٢٥ .

(٢) ابو يوسف ، الخراج ، ص ١٣٥ ، ابراهيم فؤاد ، الموارد المالية ، ص ٢٢٨ .

(٣) قدامة ، الخراج ، ص ٢٤٢ ، الدورى ، النظم ، ص ١٣٦ .

(٤) ابراهيم فؤاد ، الموارد المالية ، ص ٢٣٠ .

(٥) ابو يوسف ، ص ١٣٤ ، ابن سلام ، الاموال ، ص ٤٧٧ ، ابن آدم ، الخراج ، ص ٢٥ .

ويحق للخليفة تخفيض نسبة الضريبة ، فقد استثنى عمر بن الخطاب تجار اهل الحرب الذين يمونون المدينة بالمواد الغذائية فحفظها وجعل عشورهم ٥٪ بدلا من ١٠٪ لكى ترخص الاسعار (١) .

وليس هناك توقيت لجباية العشور ، فهذا يعتمد على مرور التجار على المراصد فيقدر العشار قيمة ما لديه من التجاره ويأخذ ما يستحق من الضريبة

(١) ابراهيم فؤاد ، الموارد المالية ، ص ٢٢٩ الزهرانى ، موارد بيت المال ص ١٢٢ .

برمغلوب

ثانيا: الصفاف الواجب توافرها في العشار:

لقد لخص القاضي ابو يوسف الشروط الواجب توافرها في العشار ويبين ما ينبغي ان يتوفرفيه من الصفات منها :-

أ - ان يكون حراً مسلما غير هاشمي ، قادراً على الحماية ، فلا يصح ان يكون عبداً لعدم الولاية ، ولا كافراً لانه لايلي على المسلم بالولاية ، ولا مسلما هاشميا لشبه الزكاة في العشور ، ولا عاجزاً عن الحماية لان الجباية هي للحمايه ٠

ب - ان يكون من اهل الصلاح والدين ، متجنبا الفسق في الظاهروالعلن٠

حـ - ان يلتزم العشار بنسبة الضريبة المقررة على كل فئة، فلايتجاوز ما قدر على المسلم والذمي والحربي ويأخذها بالعدل ٠

واقترح القاضي مراقبة جابي العشور ، وعزل من يتجاوز العدل ويرد للمظلوم حقه ، وتشجيع الملتزم بعملة ومكافأته (١)

(١) ابو يوسف ، الخراج ص ١٣٢ الرحبي ، الرتاج ، حـ٢ / ١٦١ - ١٦٢ ٠

ثالثا: العشور فى العصر العباسى الأول :

ان من المؤرخين من ذكر أن ضريبة العشور لم تكن ذات اهمية فى العصر العباسى الاول ، وغلتها لاتستحق الذكر اذ قورنت بضريبة الارض وأن أهميتها زادت فى العصر العباسى الثانى ، فبلغ ايرادها فى قائمة على بن عيسى عام ٣٠٦هـ/٩١٨م مبلغ ٢٢٫٣٧٥ دينار فى السنة (١)

ويرجع آخر السبب فى ذلك بأن خلفاء بنى العباسى الأوائل كانوا يميلون الى الغاء المكوس عند توليهم الخلافة (٢) ففى عهد السفاح لم تفرض المكوس (٣) وفرضت فى عهد المنصور وأضاف اليها خراج الحوانيت وعين خالد بن مهران الحذاء على القتب وداود العشور بالبصرة (٤)

وهناك أشارت لمدى اهتمام العباسيين بالعشور ، فحين ولى محمد بن ابى العباسى البصرة ، استعمل غيلان على بعض أعشار البصرة وحين ظهر منه خيانه عزله (٥) .

ونظراً لاعتماد العشور على مرور الأموال التجارية فإنها لم تكن ثابتة لذلك لم يعن المؤرخون كثيرا بها مما جعلنا لانعرف صورة واضحة عنها .

---

(١) الدورى، النظم الاسلامية ص١٨٠، ناجى معروف، موجز تاريخ الحضاره ص٦٣، زيدان، التمدن ج١ ص٣٤٢

(٢) الزهرانى ، موارد بيت المال، ص ١٢٨ .

(٣) الايوبى، تاريخ مصر ،ج١/١٥٣ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ج٧/٢٦٠. توفى خالد بن مهران عام ١٤١هـ

(٥) الاغانى، ج١٤/٥٢٤٠ .

فكان ايراد العشور من ميناء سراف على السفن فى العصر العباسى الأول بلغ ٢٥٢،٠٠٠دينارا سنويا[(١)] . وأن الدولة العباسية كانت تجبى عشور البصرة فبلغت سته ملايين درهم سنويا[(٢)] .

ويشير اليعقوبى إلى أعشار برقة فيذكر متوسطها مع المدفات والجوالى فى زمن الرشيد خمسة عشر ألف دينار[(٣)] . وأن الرشيد كان يحبى له من البصره عن أربعه الآف نهر فى كل يوم من كل نهر مثقال ذهب ، ودرهم نقره ،وقوصره تمر[(٤)] بعد أن نظم الرشيد المراصد على الحدود وأمر بتفتيش التجار المارين تفتيشاً دقيقاً[(٥)] .

ويصف المقدسى ثقل المكوس فى السواد والبصرة فيقول " أما الضرائب فثقيلة كثيره محدثة فى النهر والبر ، وفى البصرة تفتيش صعب وشوكات منكرة وكذلك بالبطائح تقوم الأمتعة وتفتش "[(٦)] .

ويذكر اليعقوبى أن خراج مكة ماهو الا من الاعشار والصدقات ، وكانت الميرة تحمل اليها من مصر عن طريق جدة[(٧)] ، ومنها كانت تؤخذ الضرائب والمكوس على كل حمل حنطة نصف دينار ، وكيل من فرد الزاملة ، وعلى سفط

---

(١) حسينى ، الادارة العربية ، ص ٣٩٩ .
(٢) صالح العلى ، التنظيمات ص ١٤٤ .
(٣) اليعقوبى ، البلدان ، ص ٣٤٤ .
(٤) ابن حوقل ، صوره الارض ، ص ٢١٣ . الزهرانى ، موارد ، ص ١٢٥
(٥) عصام عبد الرؤوف ، الدولة العباسية ، ص ١٠٥ .
(٦) المقدسى ، احسن التقاسيم ، ص ١٣٣ .
(٧) اليعقوبى ، البلدان ، ص ٣١٧ .

ثيـاب الشطوى ثلاث دنانير ، ومن سفط الديبقى ديناران ، وحمل الصوف ديناران ويعشر على كل حمل دينار ، وعلى سلة الزعفران دينار ، وكذلك على رؤس الرقيق وكذلك بالسرين على من اجتاز، وبكمران وبعد أن ، يقوم الامتعة بالزكاوية ثـم يؤخذ عشرها ......[١]

أما الضرائب بمصر فكانت ثقيلة وخاصة في تنيس ودمياط على الثيـاب الشطويه التى ينسجها الاقباط ، وفى الموانى حيث تفتش المراكب عند اقلاعها وبذكر المقدسى « رأيت بساحل تنيس ضرائبيا جالسا قيل قياله هذا الموضـع فى كل يوم الف دينار ، ومثلة عدة على ساحل البحر بالصعيد وساحل الاسكندرية »[٢]

وعكس ذلك فإن خراسان كانت ضرائبها هينه[٣] ، وظل النجرانيون حتـى بعد استقرارهم فى العراق ينتجون الحلل النجرانيه ، وظلوا يدفعون عنهـا الضرائب حتى زمن المأمون[٤] .

لم يقتصر جباية العشور على الاموال التجارية فى الموانى والمراصد وفـى الثغور بل فرضت على البضائع المنقولة بواسطة المراكب داخل بغداد نفسهـا والعراق نفسه اثناء حصار بغداد فى فتنة الأمين والمأمون ، ففى ١٩٧ هـ ٧١٢ م فرضت مكوس باهظة على السفن . فكان زهير بن المسيب يأخذ من كـل سفينة قادمة من البصرة وواسط مابين الف الى ثلاثة الآف درهم وأكثر[٥] فارتفعـت

(١) المقدسى ، احسن التقاسيم ، ص ١٠٤ .
(٢) المقدسى ، نفس المرجع ص ٢١٣ .
(٣) الاصطخرى ، المسالك ،ص ٩٦ ، احسن التقاسيم ،ص ٣٤٠ ،
(٤) صالح العلى ، التنظيمات ، ص ٢٥٢
(٥) تاريخ بغداد ، حـ٨/٤٦١ـ الطبرى ،حـ٨/٤٤٥ـ المسعودى ، مروج الذهب، ج٣/٤١١ .

الاسعار فكان سعر الخبز عند أنصار المأمون عشرين رطلا بدرهم ،وعند خصومه وصل سعر رطل الخبز بدرهم (١)

لم تذكر المصادر أن من خلفاء بني العباسي من الغى المكوس الا الواثق فقد اهتم بتنشيط التجارة وأمر ببناء ميناء على نهر الاسحاقي وعمل على تعميق المرسى تصلح لدخول السفن اليها (٢) . وأصدر فرمانا أسقط جباية العشور في البحر سنه ٢٣٢هـ/٨٤٦م (٣) هذا يشمل ايضا السفن القادمة من الصين (٤).

ووصف ابن الاثير بأن ارتفاع أعشار سفن البحر كان مالا عظيما (٥) ويصف فون كريمر هذا بأنه تشجيع للتجارة البحرية فيقول عنه (هذا يثبت ان رجال المال في تلك الأيام لم يكونوا جهلة كما يتصور المرء (٦)

ولاشك ان هذا القرار له اسباب جوهرية فأبن الاثير يذكر القرار بعد فيضان دجلة في نفس السنة (٧) كما حدث حريق قبل ذلك في الكرخ فكان هذا القرار لانعاش الاقتصاد ، وتسهيل الاستيراد للتجار كجانب من التعويض لهم .

وليس هناك اشارة على أن هذا القرار قد اتخذ صفة الاستمرارية ،لأن الحكومه كانت تقوم بإنشاء الطرق وصيانتها وحمايتها فكانت العشور نظير

(١) المسعودي، مروج الذهب، حـ٣/٤١٥ .

(٢) لسترنج ، بلدان الخلافه الشرقية، ص ٧٨ .

(٣) الطبري، حـ٩/١٥٠ .

(٤) تاريخ اليعقوبي، حـ٢/٤٨٣ .

(٥) ابن الاثير، حـ٥/٢٧٧ .

(٦) امير علي ، مختصر تاريخ العرب، ص ٣٦٤ .

(٧) ابن الاثير، حـ٥/٢٧٩ .

هذه الخدمات ، ولم يجد الباحث مدى استفاده التجار بهذا القرار فى حين يذكر القلقشندى العشور " انها ضريبة ذات بال كان يدخل منها الى بيت المال مبالغ وفيرة ، لم تعثر على تفاصيلها .... "(١)

وهذا يعنى بأن المكوس كانت مورداً من الموارد الهامه لبيت المال وإن أغفل المؤرخون حصر مقدار ارتفاعها الى بيت المال ، بلغ من البصره ٢٥٢ ألف دينار وفى رواية أخرى ستة ملايين درهم سنويا .

---

(١) القلقشندى حـ٣/٦٦٤ الزهرانى ، موارد بيت المال ، ص ١٢٧

الفصل الرابع

الضرائب النوعية والرسوم الاضافية

اولاً المصادرات
ثانياً أجور العرصات والمستغلات
ثالثاً ضريبة سك النقود
رابعاً الأموال الحشرية
خامساً ضريبة الأحداث
سادساً الرسوم الاضافية

فرضت فى العضر العباسى الأول ضرائب جديده ليس لها ذكر عند الفقهاء أستحدثت نتيجة استغلال بعض العمال لمناصبهم ، واستيلائهم على موارد الدوله وكثره نفقات الخليفة وقلة المال لدية لاسرافه وترفه ، وازدياد ثروة حاشيته وعماله ، فطمع فى آملاكهم ، وايضا كعائد للخدمات التى تقدمها الدولة للمواطنين الا ان هذه الضرائب لم تكن ثقيلة ، ولكن فى مجملها شكلت مورداً لبيت المال ومن هذه الضرائب :-

أولاً: المصادرات :

سنها الخليفة الثانى عمر بن الخطاب وهو جزاء عادل نتيجة لانشغال العمال عن مهماتهم ، لذا لم يتذمر أحد منهم لمقاسمته بما يفوق دخلهم السنوى ، اما فى العصر العباسى فإنها اصطبغت بصبغة سياسية وكذلك عقاباً لمن تجاوز من العمال فى أموال الدولة [(١)]

اتبع المنصور سياسة المصادرة فإذا عزل عاملا أخذ من ماله وحفظه فى بيت مال المظالم وكتب اسم صاحبه عليه [(٢)] وكثرت المصادرات فى عهد المنصور فقبيل ثورة النفس الزكية صادر العلويين جميعا وبيعت متعلقاتهم وأجاز أموالهم لأهل المدينة [(٣)] ، وصادر الحسن بن زيد بن الحسن والى المدينة كل ما يملكه وعزله [(٤)] ، وصادروزيره أبو ايوب الموريانى وعائلتيه بعد أن تبين غشه [(٥)] وصادر طبيبه عيسى بن شهلا ثا [(٦)] وفي عام ١٥٥ هـ / ٧٧١م

(١) فان فلوتن ، السيادة العربية ، ص ٣٠ .

(٢) الطبرى، حـ٨١/٨، ابن الاثير حـ٥/٤٨ ، التوحيدى، الامتاع والموانسة، حـ٢/٣٤

(٣) الازدى ، تاريخ الموصل، ص ١٩٣ ، العيون والحدائق، ص ٢٣٦ ، الشبيبى ، مؤرخ العراق، حـ١/٦٧ .

(٤) الخطيب ، تاريخ بغداد، حـ٧/٣٠٩ .

(٥) ابن طباطبا، الفخرى ، ص ١٥٨. نهاية الارب، حـ٢٢/٩٨، عبد السلام رستم ابو جعفر، ص ١١٦.

(٦) العبرى، المختصر ، ص ٢١٦ .

عزل المنصور العباسي ابن محمد وغرمه مالا[(١)] ويقول اليعقوبي عن هذه المصادرات "واخذ المنصور أموال الناس حتى ما ترك عند أحد فضلا • وكان مبلغ ما اخذ منهم ثمانمائة الف الف درهم "[(٢)]

الا ان المنصور أوصى المهدي برد هذه الأموال لأصحابها[(٣)] ومن المحتمل أن المنصور هدف من هذا كسب ود الأعيان والوقوف بجانب المهدي •

وصادر المهدي ثلاثمائة ألف دينار من والي مصر ابراهيم بن صالح ، عندما تراخى في قمع ثوره دحية بن مصعب[(٤)] • أما الرشيد فصادر البرامكة وقبض عقاراتهم وأموالهم فوجد في دار جعفر اربعة الاف دينار ، وزن كل دينار مائة دينار ودينار •[(٥)] وبلغت سائر اموالهم ثلاثين مليون وستمائة وسته وسبعين ألفا بالاضافة الى ضياعهم وغلاتهم ودورهم ورباعهم التي لاتوصف[(٦)] ويقدر السيوطي ماصودر من البرامكة ما قيمته خمسة عشر مليون دينار[(٧)] ، وندم الرشيد على نكبتهم وتمنى لو تركهم يعبثون بالأموال ولو خسر تصف مايملكه[(٨)] كما صادر الرشيد (ابن ماهان عام ١٩١ هـ / ٨٠٦ م فبلغ ما صودر من علي بن عيسى ثمانين مليون درهم حملت على الف وخمسمائة بعير[(٩)]

---

(١) ابن الاثير، حـ٥/٣٨ •
(٢) تاريخ اليعقوبي، حـ٢/٣٨٧، كرد علي ، خطط الشام، حـ٥/٦١ .
(٣) تاريخ اليعقوبي، حـ٢/٣٩٤ .
(٤) الكندي ، الولاة كتاب القضاة، ص ١٢٥ .
(٥) الجهشياري، الوزراء ، ص ٢٤١، الريس، الخراج، ص ٤٣٢ .
(٦) شذرات الذهب حـ١/٣١٥ ، ابن قتيبة الامامة، حـ٢/١٦٩ .
(٧) السيوطي ، تحفة المجالس، ص ١٠٠.
(٨) الاربلي، الذهب المسبوك، ص ١٤٨، العمراني، الانباء في تاريخ الخلفاء، ص ٨٦ .
(٩) الطبري، حـ٨/٢٢٤، شذرات الذهب، حـ١/٣٣٣، الشبيبي، مؤرخ العراق، حـ١/٥٦

اما الأمين فقد صادرممتلكات أخيه المأمون بعد هزيمة على بن عيسى وقدرت بخمسين مليون درهم [١] وعوض صاحب المصلى عن ضيعة له صادرها الرشيد [٢]

لم يتبع المأمون سياسة المصادرة وتجنب الأخذ بأقوال الوشاة الذين يحاولون الايقاع بالآخرين [٣] وعفى عن العمال الذين استولوا على أموال الدولة فقد عفى عن يحيى بن خاقان بعد ان طالبه بخمسة ملايين درهم [٤] ، ورد ما صادره من الفضل من الربيع وزير الأمين وقدرت قيمته ضيعة من ضياعه بثلاثمائة وستين ألف درهم [٥] .

لقد أضر تساهل المأمون مع عماله لبيت المال فيما بعد حتى اصبح أهم موارد الوزراء والولاه هو نهب جباية الدولة أونهب بيت مالها ، ومن الهدايا التي ينتظرونها من صغار عمالهم ، فالمعتصم كان شديداً في مراقبته حازماً معهم ، فادرك أن أبا حاتم صاحب بيت المال عام ٢٢٣ هـ/٨٣٧ م قد ظهر عليه الثراء فجأه فأمر بعزله ومصادرته ، [٦] وصادر وزيره الفصل من مروان عام ٢٢١هـ ٨٣٦ م بعد ان تبين أختلاسه من بيت المال ،لازدياد ثروته بمالا يتفق مع دخله [٧] ويذكر صاحب العيون أن ماصودره من اموال الفضل لايحصى حتى قيل ان المعتصم قال : " ماكنت أعلم أن في الدنيا من له مثل هذا المال " [٨] وقد اختلف المؤرخون في تقدير ما صودر منه فقيل عشرة ملايين دينار [٩] .

---

(١) تاريخ ابن خلدون ،حـ٥/٤٩٨ ، الجهشياري ،ص ٢٩٣ .

(٢) الآبي ، نثر الدر ،حـ٣/١٠٥

(٣) كرد علي ، الادارة الاسلامية ،ص ١٦٠ .

(٤) التنوخي ، الفرج بعد الشدة ،ص ١٢٤ .

(٥) تاريخ اليعقوبي ،حـ٢/٤٥٤ .

(٦) الصابي ، الهفوات النادره ، ص ٧٩ .

(٧) ابن الاثير ،حـ٥/٢٣٦ -

(٨) مجهول ، العيون ، الحدائق ،ص٣٨٣ .

(٩) شذرات الذهب حـ٢/٤٧ ، وقيل اربعين مليون درهم ، نشوار المحاضرة ،حـ٨/٤٨ وقيل مليون دينار وأثاث بقيمة مليون دينار ، ابن خلكان وفيات الاعيان حـ٤/٤٦ وقيل مليون وسبعمائه الف دينار ، تاريخ الموصل ص ٤٢٤ ، وقيل عشرة ملايين دينار ، النجوم الزاهره ،حـ٢/٢٣٣ .

كما صادر المعتصم من حاول العبث بأمن الدولة فصادر أموال العباس ابن الخليفة المأمون وبعض قادته بعد المحاوله الانقلابية الفاشلة عام ٢٢٣ هـ ٢٣٧ م.(١)

فاذا كانت المصادرات عقوبة العمال والوزراء لخيانتهم ، فقد شرع الواثق شريعة الغاب القوى ينهب الضعيف ، فكان أول خليفة صادر كتابه بغية الحصول على الأموال فأتهمهم بالخيانة وسوء التصرف والاسراف ففى عام ٢٢٩هـ/٨٤٣م سجن الكتاب وأنزل بهم العذاب وصادر ثمانين الف دينار من أحمد بن اسرائيل ، وأربعمائة الف دينار ومن سليمان بن وهب ، ومن الحسن بن وهب اربعة عشر الف دينار ، ومن ابراهيم بن رياح وكتابه مائة الف دينار ، ومن احمد بن الخطيب وكتابه مليون دينار ، ومن نجاح ستين الف دينار، ومن أبي الوزير مائه واربعين ألف دينار (٢) فهذه المصادره الجماعية لا يمكن ان تكوين كلها بحق ، . فما أن تولى المتوكل الخلافه حتى اصبحت المصادرات سمه من سمات عصره ، لامبرر لها الاحب الانتقام من خصومه والتطاحن بين متولى الدواوين والكتاب واحتياج المتوكل للمال .

---

(١) تاريخ اليعقوبى، حـ٢/٤٧٦ ، الازدى ، تاريخ الموصل، ص ٤٢٨، قام عجيف بن عنبسة بتحريض العباس بن الخليفة المأمون لقتل الخليفة المعتصم واوحى اليه بانه احق بالخلافة من بعد ابية فوافق العباس ، وجمع الانصار ، وبعد فتح عمورية كشف المعتصم المؤامرة فصادر العباس وفرق امواله على المرتزقة وقتله وقتل عجيف بن عنبسة المخطط للحركة بالقرب من نصيبين فى طريق عودته .

(٢) الطبرى، حـ٩/١٢٥. ابن الاثير، حـ٥/٢٦٩. تجارب الامم، حـ٦/٥٢٧. نهاية الارب ، حـ٢٢/٢٦٣ تاريخ ابن خلدون، حـ٥/٥٧٣ - ابن كثير، البداية والنهاية حـ١٠/٣٠١ .

فقد صادر عام ٢٣٣ هـ ٨٤٧ م ، محمد بن عبد الملك الزيات بأيعاز من ابن ابى دؤاد فلم يجد الامانة الف دينار [(١)] ، وغضب على عمر بن فرج وصادر جميع أملاكه ، ثم صولح على عشرة ملايين درهم [(٢)] ، وصادر ايتاخ عام ٢٣٥ هـ ٨٤٩ م مليون دينار [(٣)] ، وعزل يحى بن أكثم عن القضاء . صادر منه مائه ألــف درهم . [(٤)]

وصادر ابن ابى دؤاد وابنه ثم صولح على مليون دينار [(٥)] وصادر عمر بن الفرج الرخجى وأصحابه ثم صولح على أحد عشر مليون درهـــم [(٦)] ، ولم يسلـــم بختيسوع بن جبريل من طمع المتوكل ففى عام ٢٤٤ هـ / ٨٥٨ م صادر جميـــع املاكه وحمل ما يصلح للمتوكل وبيع الباقى [(٧)] وزين له نجاح بن مسلمه حيـــن عزم على بناء الجعفريه مصادره نحو عشرين من كبار الكتاب وأصحاب الأمـــوال ثم بعدها سخط على نجاح نفسه وآخرين وصادر منهم مبالغ جليلة [(٨)] .

وتغير المتوكل على وصيف فقبض ضياعه بأصبهان والجبل ، وأقطعهـــا للفتح بن خاقان فتآمر وصيف مع المنتصر فى قتل المتوكل وأعد لقتله جماعـــه من الموالى [(٩)]

---

(١) الخطيب،تاريخ بغداد ،حـ٢/٢٤٣، ابن خلكان ،حـ٥/١٠٠ ، الكاتب والمكافأة ص ٦١،وقيل تسعين الف دينار .الطبرى،حـ٩/١٦١.لأن ابن الزيات اودع امواله عند معارفه من عهد الواثق الاغانى،حـ١٠/٣٥٣٠ .

(٢) الطبرى حـ٩/١٦١ .

(٣) الطبرى،حـ٩/١٦٩.شذرات الذهب،حـ٢/٨٠ .

(٤) شذرات الذهب،حـ٢/٩١، ابن طولون،قضاة دمشق،ص ١٩ - النويرى نهاية الارب،حـ٢٢/٢٨٧ .

(٥) الخطيب،تاريخ بغداد ،حـ١/٢٩٨.شذرات الذهب،حـ٢/٩٣ .

(٦) الصابى الهفوات ، النادره،ص ١٥١ - ابن الاثير ،حـ٥/٢٨٠، المسعودى مروج الذهب،حـ٤/١٠٢.

(٧) العبرى،المختصر،ص ٢٤٩ ، القفطى ،أخبار العلماء،ص ٧٣ .

(٨) الطبرى،حـ٩/٢١٦ - ٢١٧.تاريخ اليعقوبى،حـ٢/٤٩٢ .

(٩) تاريخ ابن خلدون،حـ٥/٥٩٢ .

ثانياً : أجور العرصات والمستغلات :-

لقد فرضت فى الدولة الاسلامية ضرائب على الأراضى غير الزراعية مبينة حقها فى ملكية هذه الأراضى الواقعة تحت سيطرة الخلافة ، ومنها أجور على المنشآت التى أقامتها الدولة وهذه عرفت " بالعرصات " (١) وكذلك فرضت ضرائب على أراضى الدولة التى بنى عليها الناس الدور والأسواق والمصالح التجارية وقد عرفت هذه الضريبة باسم " مستغلات " (٢) .

لم يفرض رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذه الضرائب على المسلمين ، ويذكر البلاذرى أن النبى أراد أن يتخذ بالمدينة سوقاً ، فقال لهم " لا خراج عليكم " (٣) .

أما الخليفة عمر بن الخطاب فقد فرض أول ضريبة على السوق قدرت بعشر مايباع فيها ، وكان عامل السوق زمن الخليفة عثمان بن عفان يجنى العشور منها (٤) ، واهتمت الخلافة الأموية بالمستغلات فى واسط والبصرة ففى عام ١٢٩ هـ ٧٤٦ م كانت الحكومة تأخذ ضريبة الحوانيت من أرباب الصنائع ، وكان عامل السوق يقوم بجباية إيجارها (٥) . وكانت أراضى الأسواق وشوارع مدن فارس ملكاً للحكومة تأخذ عنها الأجر ، كما أخذت الضرائب على معامل صناعة ماء الورد ، أما الطواحين فكانت حكراً للسلطان (٦) .

---

(١) الدورى ، تاريخ العراق الاقتصادى ، ص ٢٠٤ ، السامرائى ، المؤسسات الادارية ، نشوار المحاضرة ، جـ ١٤٦/١ .
(٢) الاصطخرى ، ص ٩٦ ، الدورى ، تاريخ العراق ، ص ٢٠٤ .
(٣) البلاذرى ، فتوح ، ص ٢١ .
(٤) الدياربكرى ، تاريخ الخميس ، جـ ٢٦٧/٢ .
(٥) وكيع ، أخبار القضاة ، جـ ٣٥٧/١ - الشيخلى ، الأصناف ، ص ١٥١ .
(٦) الدورى ، النظم الاسلامية ، ص ١٧٩ .

وهذه الضريبة استمرت فى الخلافة العباسية ففرضت على الأسواق بصورة منظمة ، فقد بنى المنصور أسواق الكرخ من ماله الخاص (١) وتحولت أسواق المدينة اليها لتكون مركزاً تجارياً وصناعياً وفرضت على المجلات الغلة على قدر الذرع (٢) . وقد اختلف المؤرخون فيمن بدأ بفرضها ، فيرى البعض أن المنصور أول من فرضها (٣) ويؤكد آخرون بأن المهدى هو الذى وضع الغلة على الحوانيت فى عام ١٦٧ هـ ٧٨٣ م (٤) .

كانت ضريبة المستغلات تدفع سنوياً وفى نهاية كل سنة هلالية (٥) وهناك اشارة لمقدار ارتفاع المستغلات فى العصر العباسى الأول يذكرها ابن خرداذية فيقول: أن غلات الأسواق والأرحاء ودور الضرب ببغداد مليون وخمسمائة ألف درهم (٦) .

ويذكر اليعقوبى أن أجرة الأسواق ببغداد فى الجانبين مع رحا البطريق وما اتصل بها تغل فى كل سنة اثنى عشر مليون درهم (٧) ويذكر فى موقع آخر أن رحا البطريق كانت مائة حجر تغل فى كل سنة مائة مليون درهم ؟ (٨). بينما يقدرها الفقيه الهمذانى (ت ٢٨٩ هـ / ٩٠١ م) بمليون وخمسمائة ألف درهم (٩) وبلغت غلات سرمن رأى ومستغلاتها وأسواقها عشرة ملايين

---

(١) الخطيب ، تاريخ بغداد ، ج ٧٩/١ .

(٢) الطبرى ، ج ٦٥٣/٧ ، أما الذين بنوا على نفقتهم فألزمهم غلة أقل.ممن نزل فى بناء المنصور ، الطبرى،ج ٦٥٣/٧ ، البلاذرى ، فتوح البدان ، ص ٣٠٤ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤٤٨/٤ .

(٣) المصدر السابق ، جرجي،التمدن ، ج ٣٤٣/١ .

(٤) تاريخ بغداد ، ج ٨١/١ ، تاريخ اليعقوبى ، ج ٢٩٩/٢ ، ابن الجوزى ، مناقب بغداد ، ص ١٣ ، كما فرضت الغلة على أسواق مصر وعلى الدواب ، الكندى ، الولاة ، ص ١٢٥ ، الخطط ، ج ١٠٣/١ .

(٥) الخطط ، ج ١٠٣/١ . (٦) خرداذيه ، المسالك ، ص ١٢٥ .

(٧) اليعقوبى ، البلدان ، ص ٢٥٤ . (٨) نفس المرجع ، ص ٢٤٣ .

(٩) الشيخلى ، الأصناف ، ص ١٥١ ، وقد رجح البطريق ارتفاع غلته بخمسمائة ألف درهم ، الهمذانى ، بغداد ، ص ٥٤ .

درهم فى السنة [١] وكان للأمين مستغلات فى بادوريا [٢] ٠ لم يذكر ارتفاعهـــا وهذا يدل على أن خلفاء بني العباس اهتموا بتقديم الخدمات وبناء منشــــآت تجارية نظير أجر يقدمونه للدولة ٠

---

(١) الدورى ، النظم الاسلامية ، ص ١٧٩ ، زيدان ، التمدن ، ج ٣٤٣/١ ٠

(٢) فهمى سعد ، العامة في بغداد ، ص ٤٤ ٠

ثالثاً : ضريبة سك النقود :

لقد كانت طريقة سك النقود فى الدولة الاسلامية بسيطة ، وهى عبارة عن طابع من حديد تُنقش فيه الكلمات التى يراد ضربها على النقود مقلوبة ، ثم يقسمون الذهب أو الفضة أجزاء ، بوزن الدنانير أو الدراهم ويضعون الطابع فوق تلك القطعة . ويضربون عليها بمطرقة ثقيلة حتى تتأثر وتظهر الكتابة عليها [١] .

ومن المؤرخين من يرجع هذه الضريبة الى خلافة عمر بن الخطاب وذلك نظير نفقات السك [٢] ، وقد انتشرت دور الضرب فى العصر العباسى الأول وخاصة فى العراق والمشرق بعد سيطرتهم على ذهب السودان ، وكانت الدولة تشرف على دور السك لمنع التزوير ، ولضمان وصول حصتها من الانتاج التى تبلغ الخمس إذا كانت من الكنوز [٣] ويحق لكل من يشاء أن يأتى بالذهب أو الفضة الى دار الضرب ليسك له ، على أن يدفع أجرة بسيطة تبلغ ١٪ من قيمة مايُسك ، وذلك نظير ثمن الحطب وأتعاب السك [٤] .

وقد شكلت ضريبة السك مورداً من موارد بيت المال نظير ماتقدمه من خدمات ، وقد بلغت ايرادات الدولة العباسية من دور الضرب ببغداد وسرمن رأى وواسط والبصرة والكوفة ٦٠٣٧٠ دينار فى عام ٣٠٦ هـ ٩١٨ م [٥] . ويذكر خرداذبه غلة دور السك ضمن غلة المستغلات وقدرها بمليون وخمسمائة ألف درهم [٦] .

---

(١) جرجى ، التمدن ، جـ ١٣٩/١ ، الدورى ، تاريخ العراق الاقتصادى ، ص ٢٣٤ .

(٢) فان فلوتن ، السيادة العربية ، ص ٢٩ .

(٣) فهمى سعد ، العامة فى بغداد ، ص ٢٠٣ ، الزهرانى ، موارد بيت المال ص ١٩٩ .

(٤) ناجى معروف ، موجز تاريخ الحضارة ، ص ٨٠ - الدورى ، تاريخ العراق ، ص ٢٣٣ .

(٥) الدورى ، تاريخ العراق ، ص ٢٣٤ ، الكبيسى ، أسواق [illegible]

والمستغلات [١] . وترجع بعض المصادر سبب مصادرة الرشيد لهذه الأموال أن محمد بن سليمان كان يسعى ليتولى الخلافة فاعتبر الرشيد أمواله فيئاً رغم مطالبة أخ لمحمد بتركته [٢] وكان مصير تركه الشاعر سالم بن عمرو الملقب بالخاسر الى بيت المال لعدم وجود وارث له ، وكان مقرباً للبلاط العباسي ، وقدرت تركة الخاسر بستة وثلاثين ألف دينار كانت مودوعة عند أبي السراء فدفعها الرشيد للموصلي قبل أن يتسلمها صاحب المواريث [٣] ، وحمل يحيى ابن أكثم الى المأمون من أموال الحشرية ثلاثمائة ألف دينار [٤] ، وصادر المأمون عبد الملك بن صالح ولكنه بعد أن توفي رد ضياعه وأمواله على ورثته [٥].

ورغم قلة الاشارات لمقدار دخل بيت المال من الأموال الحشرية ، إلا أنها لم تكن ضريبة رسمية فقد اعتمدت لأول مرة في خلافة المعتمد عام ٢٥٦ هـ ٨٦٩ م ، وأصدر المعتضد منشوراً ألغى فيه ضريبة الارث وديوان المواريث [٦] عام ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م .

---

(١) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٣٤٨/٣ ، شذرات الذهب ، جـ ٢٨٢/١، وقيل أن تركته بلغت مليون دينار ، تاريخ ابن خلدون ، جـ ٤٦٢/٥ .

(٢) الطبري ، جـ ٢٣٧/٨ ـ ابن الأثير جـ ٨٧/٥ ـ تاريخ ابن خلدون ، جـ٤٦٢/٥ وقد اتهم محمد بن سليمان بتحريض الزط على الشغب في البصرة .

(٣) تاريخ بغداد ، جـ ١٣٨/٩ ، الأربلي ، الذهب المسبوك ، ص ١٤٤ ـ ١٤٥ عصر المأمون ، جـ ٣٥٣/٢ .

(٤) طيفور ، بغداد ، ص ١٢٤ .

(٥) الآبي ، نثر الدر ، جـ ٤٥١/١ ، عيون الأخبار ، ، جـ ١٠٥/١ .

(٦) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٦٨ ، الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٩٨.

خامساً : ضريبة الأحداث :

من موارد بيت المال غرامات تأخذها الشرطة من المخالفين للقواعـــد العامة فى الدولة ، الا أنها ضريبة غير مقننة [(١)] فقد اهتم الأمويون بالأحداث وأطلق على كل رئيس للشرطة فى الولايات باسم " صاحب الأحداث " وهو المسؤول عن ما يقع من الفتن والجرائم والسرقات والمنازعات وغيرها [(٢)] إلا أن المصادر لم تمدنا بمعلومات وافية عن مقدار هذه الغرامات وكيفية جبايتها ...

واستمرت الخلافة العباسية فى جباية هذه الضريبة ، ويشير ابن الخياط الى أن ابن دعلج تولى الأحداث حتى وفاة المنصور [(٣)] ولأهمية ضريبة الأحـــداث ضمت فى عهد المهدى الى عامل الخراج فيذكر " الجهشيارى " " وقلـــد المهدى عمارة من حمزة الخراج بالبصرة ، فكتب اليه يسأله أن يضم الأحـــداث الى الخراج ، ففعل ذلك ، وقلده الأحداث مضافة الى الخراج [(٤)] " ، إلا أن عمارة لم يستطع أن يوفق من جباية الخراج والأحداث ففى عام ١٥٩ هـ / ٧٧٥ م ولى الأحداث لسود بن عبد الله الباهلى ، أما فى الكوفة فقد كان على أحداثها اسحاق بن منصور [(٥)] ، وكان جعفر بن دينار على الأحداث بطريق مكة والمواسم عام ٢٣٩ هـ / ٨٥٣ م [(٦)] ولم تذكر المصادر مقدار ارتفاع هذه الضريبة ومدى أهميتها .

---

(١) الدورى ، العصر العباسى الأول ، ص ٢٧٨ ، والنظم الاسلامية ، ص ١٨٠ .
(٢) حسينى، الادارة العربية ، ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ .
(٣) تاريخ ابن الخياط ، ص ٤٥٧ .
(٤) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٤٩ .
(٥) تاريخ ابن خلدون ، جـ ٥/٤٤٠ ، ٤٤٢ .
(٦) المرجع السابق ، جـ ٥/٥٩٠ .

سادساً : الرسوم الاضافية :-

هى تلك التى فرضت مصاحبة مع ضريبة الخراج · فقد بدأت هذه الرسوم فى خلافة بنى أمية ، ولم تفرض فى عهد الخلفاء الراشدين وليس لها أساس فى الشريعة الاسلامية وقد ألغى عمر بن عبد العزيز هذه الرسوم ، وبعث برسالة الى عاملة على الكوفة يطالبه برفع هذه الرسوم (١) ، إلا أنها عادت بعد وفاته (٢) واستمر أكثر هذه الرسوم تجبى حتى خلافة الرشيد ، فاقترح القاضى أبو يوسف إلغائها وهى التى كان يدفعها أهل الخراج ، ومنها إطعام العمال ، وأجر الميزان والكيالين وأجور نقل غلة الخراج الى أماكن التخزين التابعة للدولة ، وثمن الدفاتر والسجلات التى تكتب فيها أمورهم ومصالحهم ، وأجور عمال البريد وحراس السجون ، وشراء نصيب الخلافة من التبن ، وقيمة فرق صرف الدرهم والدينار " رواج الدرهم " (٣) ·

وهذه الرسوم كانت غير ثابتة ويذكر ابن عساكر بأن عمال الخراج فرضوا على أهل الخراج بالشام على كل دينار نصف دانق ، ثم زادت فيما بعد ، ويعنى هذا أن الرسوم الاضافية فرضت بناءً على اجتهاد شخصى من بعض المسؤولين أو عمال الخراج ·

---

(١) ابن سلام ، الأموال ، ص ١٤٤ ، أبو يوسف ، الخراج ، ص ٨٦ ، الرتاج ، ج ٥٨٢/١ - ٥٨٥ ·

(٢) الخربوطلى ، تاريخ العراق ، ص ٣٩٠ ·

(٣) أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٠٩ · الرتاج ، ج ٢٠/٢ - ٢٣ ·

الباب الثالث

المصروفات

الفصل الأول

مخصصات الخلفاء وامراء الأسرة العباسية

اولاً مخصصات الخلفاء .

ثانياً مخصصات امراء الأسرة العباسية .

ثالثاً مخصصات بني هاشم .

تولت دواوين الخراج في كل اقليم جباية الضرائب المقررة ، بالاضافة الى صرف مرتبات الموظفين والجند منها ، ودفع نفقات الانشاء والتعمير قبل إرسال ارتفاع الاقليم الى بغداد ، وفى العاصمة كان للمصروفات ديوان عرف بديوان النفقات ومهمته النظر فى نفقات دار الخلافة وحاجاتها ونفقات الدواوين المركزية ، وكذلك المصالح العامة وكانت على اتصال بديوان بيت المال لاثبات المصروف فى شتى المجالات .

وكان على متولى ديوان النفقات أن يتحلى بصفات منها ،أن يكون متقناً للحساب فى الجمع والطرح والقسمة ، عالماً بالمكاييل والأوزان ، والأسعار ، والضرائب ، عارفاً لجميع أصناف الملابس والمطاعم ، والآلات والحيوانات وقيمتها ، وعارفاً للرسوم السلطانية والوظائف والعطاء والوفود ، والأصناف والصلات والرسل والهدايا ...(١) .

تولى الخليفة المنصور متابعة نفقات الدولة ، فكان مراقباً للعطايا والهبات والرواتب ولم يعط انساناً الا على قدر ما يستحق ، فاسترد ما أجازه المهدى لشاعر باعتباره أكثر مما يستحق وحاسب المشرفين على بناء بغداد حتى نعت بالدوانيقى(٢) .

لم تذكر المصادر تاريخ نشأة ديوان النفقات فى العصر العباسى ، ويذكر ابن الخياط أن أبان بن صدقة تولى بيوت الأموال فى عهد المنصور . وتولى أيوب بن أبى سمير بيوت الأموال والنفقات والخزائن فى عهد المهدى ، وكان على بن عيسى تولى بيوت الأموال فى عهد الهادى(٣) ، واستحدث المعتصم زماماً لديوان النفقات بعد خيانة وزيره الفضل بن مروان ، وجعل أحمد بن عمار الخراسانى زماماً عليه فى نفقاته الخاصة ، وجعل نصر بن منصور بن بسام عليه فى الخراج وجميع الأعمال(٤) وكان لزمام النفقات ديواناً الى جانب باقى الدواوين الأخرى فى جعفرية المتوكل(٥)

---

(١) الحسن بن عبد الله ، آثار الأول - ص ٧٢ - ٧٣ .
(٢) الثعالبى لطائف المعارف - ص ٤٤ .
(٣) تاريخ ابن الخياط - ص ٤٦٦ ، ٤٨٠ ، ٤٩٤ .
(٤) الطبرى ج ٩/٢٠ - ابن الأثير ج ٥/٢٣٧ .
(٥) اليعقوبى ، البلدان - ص ٣٦٧ . الدورى ، النظم الاسلامية ، ص ٢٠١ .

ومع بداية خلافة المتوكل عزل ابن العباس عن ديوان النفقات (١) وفى عام ٢٣٢ هـ ٨٤٦ م ، ولى ابراهيم بن محمد بن حتول ديوان النفقات (٢) وكان الحسن بن مخلد عام ٢٤٢ هـ ٨٥٦ م على ديوان النفقات بعد وفاة ابراهيم بن العباسى الصولى (٣) . فخلفاء بني العباس اهتموا بنفقات الدولة ولم يسجل ذلك المؤرخون وخاصة فيما يتعلق بالرواتب والمخصصات الا فى عبارات قليلة ، لذا رأى الباحث أن يستخلص ذلك من القصص والأخبار ..

أولاً : مخصصات الخلفاء :

ان مخصصات الخليفة ماهو الا اجتهاد عمر بن الخطاب ، حين وجد الخليفة أبا بكر الصديق قد اضطر للعمل بالتجارة ليوفر قوت عياله ، فاقترح أن يمنح الخليفة راتباً لكى يتفرغ لشؤون المسلمين ، ففرض للخليفة وأسرته ستة عشر درهماً فى اليوم (٤) وقيل:بل ترك له الخيار ليأخذ مايحتاج اليه فكان ما أنفقه فى سنتين من بيت المال ثمانية آلاف درهم ، الا أن الخليفة استنكر هذا التخصيص فردها من ماله الى بيت مال المسلمين (٥) . وخصص للخليفة عمر بن الخطاب حلة للشتاء وحلة للصيف ، وراحلة للحج ، ودابة لقضاء حوائجه وجهاده ، أما المال فلم يقدر مقداره فاذن له بأن يأخذ مايسد حاجته (٦) ولم يأخذ عثمان بن عفان ليسر حاله من بيت المال أية مخصصات (٧) واكتفى الامام على بن أبى طالب بعطائه الذى قُرِرّ له مع المسلمين (٨) .

---

(١) تاريخ ابن خلدون ، ج ٥ / ٥٨٩ .

(٢) نفس المصدر ، ج ٥ / ٥٨٩ .

(٣) تاريخ ابن خلدون ، ج ٥ / ٥٩٠ .

(٤) الطبرى ، ج ٣ / ٤٣٢ . ابن الأثير ج ٢ / ٤٣٤ ، وقيل درهمين فى اليوم،قدامة،المغنى ، ج ٧ / ٣٧ .

(٥) الطرطوسى ، سراج الملوك ، ص ١٣٠ . العسكرى،الأوائل ، ص ١٤٥ .

(٦) الطبرى ، ج ٣/٦١٦ ـ ، السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، ص ٥٥ ، سراج الملوك ، ص ١٣١ .

(٧) مروج الذهب ، ج ١ / ٥٤٤ .

(٨) ابن الأثير ، ج ٣ / ٤٠١ .

أما خلفاء بنى أمية فقد أطلقوا أيديهم فى بيوت الأموال ، ولم يتبعوا سنة الخلفاء الراشدين عدا الخليفة عمر بن عبد العزيز الذى قدّر لنفسه نفقة يومية بلغت درهمين من بيت المال [(١)] . ولكن بعد وفاته سيطر من خلفه على بيوت الأموال ولم يظهر من خصص نفقاته . أما مخصصات خلفاء بنى العباس فان الباحث لم يجد فيما أطلع عليه بأنهم تمسكوا بسنة الخلفاء الراشدين أو أنهم فرضوا لأنفسهم مخصصات محددة . بل إنهم ساروا على نهج بنى أمية فسيطروا على بيوت الأموال ، ويذكر القلقشندى بأن أول راتب معلوم رتبه معز الدولة للمستكفى عام ٣٣٤ هـ ٩٤٥ م فى كل يوم خمسة آلاف درهم لنفقاته يتسلمها كاتبه [(٢)] ثم خلع المستكفى وولى الخلافة للمطيع وخصص له المعز ألفى درهم فى كل يوم لنفقاته [(٣)] ومرجع هذا ضعف الخليفة وسيطرة الأعاجم على الخلافة . أما خلفاء بنى العباس الأوائل فكانوا هم أصحاب الكلمة العليا مالياً وسياسيا دون حسيب أو رقيب ، فالمنصور رغم ما اشتهر عنه من البخل فقد كان يغير شيبته بألف مثقال مسك فى كل شهر [(٤)] وينفق ألفى درهم من مال السراه فى السنة [(٥)] .

إلا أن هذا لايمثل مخصصات الخليفة فكانت الى جانب هذا نفقات أخرى للخليفة تؤخذ من بيت المال ، مما يشير بأنه لم تكن فى العصر العباسى الأول مخصصات محددة للخليفة ، بل كان بيت المال يلبى كل ما يأمر به الخليفة حتى وصف العصر العباسى الأول بالبذخ والاسراف فى البلاط ، نظير تحقيق رغباتهم فالمنصور دفع لعيسى بن موسى مقابل تنازله عن ولاية العهد عشرة

---

(١) ابن الأثير ، جـ ٥ / ٦٢ . السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، ص ٩٢ .
(٢) القلقشندى ، مآثر ، جـ ١ / ٣٠٠ - السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، ص ١٥٩ .
(٣) مسكويه ، جـ ٨٧/٢ وقيل مائة دينار - السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، ص ١٦٠ .
(٤) القلقشندى ، مآثر جـ ١٧٥/١ .
(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٥٣/١٠ - الخطيب ، تاريخ بغداد ، جـ ٥٩٣/٥ .

ملايين درهم ، وثلاثمائة ألف درهم لأولاده ، وسبعمائة ألف لنسائه ،وكسا عيسى وابنه بكسوة قيمتها مليون ومائتا ألف درهم (١) ودفع المهدى لعيسى ذاته ليخلع نفسه من ولاية العهد عشرة ملايين درهم وضياعاً بالزاب وكسكر (٢) . وكانت نفقاته أثناء الحج مثاراً لنقد الفقهاء فقد عاب سيفان الثورى على المهدى فقال " حج عمر بن الخطاب فأنفق فى حجته ستة عشر ديناراً ، وأنت حججت فأنفقت فى حجتك بيوت الأموال " (٣) .

ونذر الرشيد أن يحج راجلاً حافياً ، فضربت له السرادقات مظلة له فكان يخرج من سرادق الى آخر الى أن وصل مكة (٤) فلاشك أن هذا قد كلف بيت المال الكثير من الأموال ، اذا قورن بنفقات زبيدة زوجة الرشيد التى بلغت نفقاتها فى حجة استغرقت شهرين أربعة وخمسين مليون درهم (٥) .

وبالغ الخلفاء فى نفقات حفلاتهم وأعراسهم ، فالمهدى أمهر أسماء أخت الخيزران بمليون درهم ، ووهب لها مليوناً قبل أن يطلقها ويتزوج الخيزران (٦) وبلغت نفقات عرس الرشيد بزبيدة من بيت مال الخاصة خمسين مليون درهم سوى ما أنفقه الرشيد من ماله (٧) ، وأمر الأمين بعمل حراقات فى دجلة على خلقة الأسد والفيل والعقاب والحية والفرس ، فأنفق فى عمل إحداها

---

(١) الطبرى ، ج ٢٥/٨ ، العيون والحدائق ، ص ٢٦٠ ، وقيل أحد عشرة مليون ، ابن الأثير ، ج ٢٤/٥ ،الجهشيارى، ص ١٢٧ ، وقيل أقل من ذلك أنظر العمرانى ، الأنباء ، ص ٦٤ ، الذهبى ، تاريخ الاسلام ، ج ٣١/٦ .

(٢) الطبرى ، ج ١٢٢/٨ ـ ابن الأثير ، ج ٥ /٥٥ ، تاريخ اليعقوبى، ج٢٩٥/٢ . الذهبى ، تاريخ الاسلام ، ج ١٦٥/٦ .

(٣) الخطيب ، تاريخ بغداد ، ج ١٦٠/٩ ، الذهب المسبوك ، ص ٩٨ ، ابن خلكان ، ج ٣٨٧/٢ .

(٤) ابن دحية ، النبراس فى تاريخ بنى العباس ، ص ٤٢ .

(٥) الخطيب ، تاريخ بغداد ، ج ٤٣٣/١٤ ، ابن خلكان ، ج ٣١٤/٢ ، البداية والنهاية ، ج ٢٧١/١٠ ، وقيل ثمانية وخمسين مليون درهم ، ابن الساعي، أخبار الخلفاء ، ص ٣٦ .

(٦) الجاحظ ، المحاسن ، ص ١٥٧ ، سيدات البلاط العباسى ، ص ١٤ .

(٧) الديارات ، ص ١٥٦ ـ ١٥٧ ، ابن خلكان ج ٣١٥/٢ ، الشبيبى ، مؤرخ العراق ، ج ٩٨/٢ .

ثلاثة ملايين درهم (١) وأمهر المأمون پوران بنت الحسن بن سهل مليون دينار (٢) وقدرت نفقة عرس المأمون بپوران مابين خمسة وثلاثين مليون الى سبعة وثلاثين مليون (٣) ويمثل لنا المتوكل مدى صلاحيات الخليفة في بيت المال فيما أنفقه في حفلة ختان ابنه المعتز حيث بلغت نفقاته أكثر من ثمانين مليون درهم (٤) .

أما النفقات العامة للخليفة في العصر العباسي الأول فان ابن الزبير حفظ لنا قائمة لنفقات دار الخلافة في عصر المتوكل توضح مدى احتياج الخليفة للمال سنوياً (٥) :

---

(١) الطبرى ، جـ ٥٠٩/٨ ـ عصر المأمون ، جـ ٢٠١/١ حتى ، تاريخ العرب ، جـ ٣٧٧/٢ .

(٢) العمرانى ، الأنباء ، ص ١٠١ ، وقيل مائة ألف دينار ، وخمسة ملايين درهم ، الديارات ، ص ١٥٨ .

(٣) طيفور ، بغداد ، ص ١١٥ . البداية والنهاية ، جـ ٢٦٥/١٠ ، الديارات ، ص ١٥٨ . وقيل خمسين مليون درهم ، الطبرى جـ ٦٠٨/٨ .

(٤) ابن الزبير ، الذخائر ، ص ١١٩ ، الثعالبى ، ثمار القلوب ، ص ١٣١ ، وقيل ستة وثمانين مليون ، الديارات ، ص ١٥٦ .

(٥) ابن الزبير ، الذخائر ، ص ٢١٨ ـ ٢٢٠

جهة النفقة	المبلـــــغ
نفقات الخاصة	مليون ومائة ألف دينار ، وستة وعشرون مليون ومائة ألف درهم
نفقة شجاع أمه	ستمائة ألف دينار .
نفقات المطابخ	مائتان ألف دينار .
البناء والمرمة	ثلاثمائة ألف دينار .
أرزاق الحشم	عشرة ملايين درهم .
نفقات ذوات الخاصة	خمسة ملايين درهم .
الكسوة	ثلاثمائة ألف دينار .
الطيب	مائة ألف دينار .
تجديد آلات الخزائن وصياغة الذهب والفضة	مائة ألف دينار .
الخيش والشمع	مليون ومائتان ألف درهم .
الثلج	مليون درهم .
الفرش	مائة ألف دينار .
خزائن الشراب	مليون درهم .
أرزاق الندماء	خمسمائة ألف درهم .
أرزاق الكلابزيين والباز دارية والفهادين	خمسمائة ألف درهم .
نفقات الحراقات وماأشبهها	خمسة ملايين درهم .
مايبتاع من الرقيق	مائة ألف دينار .
مايبتاع من الجوهر	ثلاثمائة ألف دينار .
أرزاق الفراشين	ثمانمائة ألف دينار .
أرزاق الصفاعنة والمضحكين	خمسمائة ألف درهم .

مجموع نفقات دار الخلافة بلغت

٠٠٠ر٣٠٠ر٤٦ درهم

٠٠٠ر٠٠٠ر٣١ دينار

فاذا أخذنا سعر صرف الدينار = ٢٢ درهما فيكون مجموع النفقات

٠٠٠ر٣٠٠ر٧٢٨ درهم

توضح القائمة رجوة نفقات دار الخلافة على النحو التالى :-

(١) أعلى نسبة خصصت للخاصة والحشم بلغت ٠٠٠ر٣٠٠ر٦٥ درهم ٠

(٢) شكلت نفقات أم الخليفة نسبة عالية ٠٠٠ر٢٠٠ر١٣ درهم سنوياً وهذا يعنى أنه لم يكن لها مخصصات محددة ، فهل هذا عرف سار عليه بنو العباس ، وأن اعتراض الهادى على والدته بعدم التدخل فى أمور الدولة كان يعنى عدم التصرف بأمور بيت المال وسحب هذه الصلاحية منها ؟!

(٣) وضعت ميزانية لرفاهية الخليفة فقدرت لكل فئة مبلغ نصف مليون تنفق على متطلبات السهرات وأرزاقهم فبلغت ٠٠٠ر٥٠٠ر١ درهم ٠

(٤) إن دار الخلافة كانت تعج بالخدم عدا العبيد فبلغت رواتبهم ٠٠٠ر٢٠٠ر١٣ درهم فى السنة ٠

(٥) مشتريات القصر من الكسوة والفرش والطيب والجوهر والعبيد سنوياً ٠٠٠ر٨٠٠ر١٩ درهم ، ومن الطعام والشراب والانارة ٠٠٠ر٢٠٠ر٧ درهم ، والصيانة ٠٠٠ر٨٠٠ر٨ درهم والمواصلات البرية والبحرية الى خمسة ملايين درهم سنوياً ٠

ثانياً : مخصصات الأسرة العباسية :-

سارت الخلافة العباسية على نهج الخلافة الأموية فكانت بيوت الأموال تحت تصرف الخليفة يغدق الرزق على من شاء ، ويحرم المغضوب عليهم ، ونهج بنو العباس منذ قيام أمرهم على جعل أفراد الأسرة من أكثر المسلمين جاهاً ومالاً ، فاستصفوا لأنفسهم ولأهل بيتهم ماملكت بنو أمية فشكلوا طبقة متميزة عن المسلمين ثروة وضياعاً .

فاقطع أبو العباس السفاح " بالس " مع قراها لعمه سليمان بن علي ، وكانت تخص مسلمة بن عبد الملك ، ثم صارت لابنه محمد ، ولما توفي صادرها الرشيد وجعلها لابنه المأمون ثم انتقلت من بعد المأمون لأبنائه (١) كما أقطع داود بن علي الأراضي التي أصلحها مسلمة في البطائح وضياعاً كثيرة ألجأها الناس اليه (٢) وآلت ضيعة بالبلقاء تدعى بقيس كانت لمعاوية وولده الى المهدي (٣) وآلت رصافة هشام بن عبد الملك بضياعها الهن والمرى، لأم جعفر زبيدة (٤) وغيرها من الأراضي والضياع لبني العباس وأتباعهم في العراق وفارس بالاقطاع والالجاء ، وأوقف الخلفاء الضياع لأبنائهم ، كالمعتصم الذي أوقف ضياع اليمامة على أبنائه (٥) .

وشكل ارتفاع هذه الضياع ثروة عظيمة جعلتهم في غنى عن أخذ أية مخصصات من بيت المال ، فبلغت غلة الخيزران في كل سنة مائتي مليون ألف درهم ، وبعد وفاتها اتسع الرشيد بغلتها وأقطع الناس من ضياعها (٦)

---

(١) البلاذري ، فتوح ص ١٥٧ - ١٥٨ .
وراجع في هذا الصدد ماورد عن الاقطاع في :
F. LOKKECAARD, ISLAMIC TAXATION, P., 15-16.

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣١٢ .

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٣٥ .

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٨٨ .

(٥) الطبري ، ج ٩٨/١٠ ، الدوري ، النظم الاسلامية ، ص ١٧٤ .

(٦) الذهب المسبوك ، ص ١١٧ - ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١٦٤/١٠ - ابن الزبير ، الذخائر ، ص ٢٣٥ .

وخلفت العباسة بنت المهدى ضياعاً بلغت غلتها أربعة ملايين دينار سنوياً (١) وبلغت تركة شجاع أم المتوكل خمسة ملايين دينار ، وجواهر قيمتها مليون دينار وأوان وفرشاً قيمتها مليون دينار ، وأربع عشرة ضيعة غلتها أربعمائة ألف دينار فى السنة (٢) الى جانب هذا فقد كان لبنى العباس رواتب وعطاء ومعونات كبيرة ، إلا أن المصادر أهملت فى توضيحها بشكل جلى ، فقد أعطى المنصور عشرة من أعمامه مليون درهم معونة لهم من بيت المال (٣) وساوى عيسى بن موسى بهم فأعطاه مليون درهم (٤) وفرق على جماعة من أهل بيته فى يوم واحد عشرة آلاف درهم (٥) إلا أن عطاء المنصور لم يكن ثابتاً بل اعتمد على هوى الخليفة إن شاء وصل وإن شاء قطع .

ومقدراً مايقدمه الشخص من خدمات للدولة ، فقد وهب المنصور لمحمد ابن سليمان عشرين ألف درهم ، ووهب لأخيه جعفر وكان أسن من محمد عشرة آلاف درهم ، فاستفسر جعفر عن هذا التفضيل ، فأجابه المنصور : " إنا لا نلتفت الى ناحية إلا وجدنا أثر محمد فيها شيئاً ، وفى هداياه بقية ، وأنت لم تفعل من هذا شيئاً (٦) .

وحين بلغه كثرة عدد موالى صالح بن على قطع عطاءه ، وعزله عن ولاية قنسرين والعواصم (٧) أما من تقرب اليه فكان يحظى بالكثير فسليمان بن على

---

(١) ابن الزبير ، الذخائر ، ص ٢٣٥ .
(٢) ابن الساعى ، أخبار الخلفاء ، ص ٦٤ - الذخائر ، ص ٢٣٥ ، سيدات البلاط العباسى ، ص ٦٠ .
(٣) المسعودى ، مروج الذهب ، جـ ٣١٨/٣ - ابن الأثير ، جـ ٤٨/٥ - الطبرى ، جـ ٨٥/٨ ، وقيل بل اعطى لاربعة من أعمامه ، الذهبى ، تاريخ الاسلام ، جـ ٢١٥/٦ ، ابن الساعى ، أخبار الخلفاء ، ص ١١ . ويرجع جرجى زيدان بأن هذه المعونة كانت تدفع لهم فى كل سنة ، التمدن ، جـ ٣٩١/١ .
(٤) الثعالبى ، لطائف المعارف ، ص ٢٢ .
(٥) الطبرى ، جـ ٨٤/٨ ، ابن الأثير ، جـ ٤٨/٥ .
(٦) الطبرى ، جـ ٧٧/٨ .
(٧) تاريخ اليعقوبى ، جـ ٣٨٣/٢ .

كان مقرباً للمنصور ، لذا بلغت صلته له فى كل موسم خمسة ملايين درهـــم ، وولاه البصرة ،[١] ولم يذكر أحد ما خصه للمهدى من المال إلا أن المنصور كـان يواجه طلبات المهدى للمال بشيء من الرفض والحيل لكى لايلبى مطلبه[٢] ٠

وأحدث المهدى حين تولى الخلافة انقلاباً مالياً انعكس أثره على المجتمع فرد المظالم وأخرج ذخائر المنصور وفرق مافى خزانته ، وبر أهله وأقربـــاءه وخصص لكل واحد من أهل بيته راتباً قدره خمسمائة درهم فى كل شهر ، ولكـل رجل ستة آلاف درهم فى السنة ، وأجرى لهم فى الأقسام ، لكل رجل عشرة آلاف درهم وزاد بعضهم[٣] ، وحرص المهدى على وصول عطاء أهل بيته دون تأخيـر ففى عام ١٦٣ هـ ٧٧٩ م أخرج الصلات لأهل بيته الذين كانوا معه فى عسكـره بالبردان[٤] وخصص من غلته نهر الصلة عطاء لأهل بيته[٥] ٠

ووصل الهادى الرشيد فأمر له بمليون دينار ونصف الخراج ، وعـرض عليه مافى الخزائن يأخذ منه مايشاء[٦] ووهب لأخيه ابراهيم مليون درهـم وكان عمره آنذاك سبع سنوات[٧] ٠

---

(١) شذرات الذهب ، ج ٢١٠/١ - الذهبى ، تاريخ الاسلام ، ج ٧٤/٦ ٠
(٢) الطبرى ، ج ٧٢/٨ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢٦/١٠ ٠
(٣) الخطيب ، تاريخ بغداد ، ج ٣٩٣/٥ ، وقيل أجرى لهم أرزاقاً بحسـب كفايتهم من بيت المال لكل واحد خمسمائة فى الشهر غير الأعطيـات ، البداية والنهاية ، ج ١٥٣/١٠ ، وذكر غيره فى كل سنة ستة آلاف درهم ، الذهب المسبوك ، ص ٩١ ٠
(٤) الطبرى ، ج ١٤٤/٨ ٠
(٥) الطبرى ، ج ١٦٧/٨ ٠
(٦) ابن الأثير ، ج ٧٨/٥ ٠
(٧) ابن الزبير ، الذخائر ، ص ١١٢ ٠

ويرجح بعض المؤرخين استمرار ماخصصه المهدى لآل بيته رجالاً ونساء ولم يقطعه الرشيد ، بل ويحتمل أن يكون الرشيد قد زاد عليها [(١)] فقد عُرِفَ الرشيد بالكرم على خطاياه ، فقد فرق بقايا خراج الموصل وكان مالاً عظيماً على بعض حظاياه ، فاستعظم الناس ذلك [(٢)] . إلا أنه فرق في عطاء أبنائه ، فقد أمر للأمين بمائتى ألف ، وأمر للمأمون بمائة ألف دينار [(٣)] في حين وصل أخاه ابراهيم بثلاثين ألف دينار من مال دمشق [(٤)] وأطلق لعمه العباس بن محمد بن علي والى إمارة الجزيرة خمسة ملايين درهم [(٥)] .

وأكرم الأمين عمه إبراهيم بن المهدى فأمر له بثلاثمائة ألف درهم ، فاستكثر ابراهيم ما وهبه الأمين وقال له : يا أمير المؤمنين قد أجزيتني الى هذه الغاية مليون درهم ، ولما أراد الانصراف قال الأمين أوقروا زورق عمي دنانير فانصرف ابراهيم بمال جليل [(٦)] .

وفي أثناء الفتنة قلت مخصصات العباسيين فبعد مقتل الأمين أجمع أفراد الأسرة على خلع المأمون وتنصيب ابراهيم بن المهدى خليفة على أن يخصص لكل عباسي عشرة دنانير كل سنة ، إلا أنهم اختلفوا في تعجيل هذه المخصصات أو تأخيرها [(٧)] .

---

(١) جرجي زيدان ، ج ١٩٢/١ - عصام عبد الرؤوف ، الدولة العباسية ، ص ١٠٦.
(٢) الأغاني ، ج ١٢٨١/٢ - شيخو ، الأنوار الزاهية ، ص ٣١٨ .
(٣) الطبري ، ج ٢٨٦/٨ - العمراني ، الأنباء ، ص ٩٥ ، الأربلي ، الذهب المسبوك ، ص ١٤٣ .
(٤) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٢٧٣/٢ .
(٥) الخطيب ، تاريخ بغداد ، ج ١٢٥/١٢ ، البداية والنهاية ، ج ١٨٨/١٠ .
(٦) الأغاني ، ج ٣٦٠٢/١٠ - ابن الساعي ، أخبار الخلفاء ، ص ٣٥ .
(٧) الطبري ، ج ٥٥٥/٨ .

ويعنى هذا أن مخصصات بنى العباس لم تكن مستمرة ولم تشمل كل بنى العباس ، فلذلك رضوا بعشرة دنانير سنوياً ٠

ويشير التنوخي الى عدم استقرار مخصصات العباسيين ، فبعد رجوع المأمون الى بغداد استتر ابراهيم بن المهدى ، وحين ألقى القبض عليه استفسر المأمون عن سبب خلافه وتوليته الخلافة فبرر ابراهيم ماقام به بأنه صنّف فى قوم أرزاقهم لاتزيد على الثلاثين درهماً فى الشهر ، وغيرها من المبررات (١) فعفا عنه المأمون ورد أمواله اليه وأكرمه ونادمه ورتبه فى مشايخ بنى هشام (٢) ٠

وأحصى المأمون عام ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م بنى العباس ، فبلغ عددهم ثلاثين ألفاً بين ذكر وأنثى (٣) ، ولم توضح المصادر الهدف من هذا الاحصاء ٠ ومن المعروف أن المرتبات قد زادت فى عصره ، وليس بين أيدينا مايفيد أن هذه الزيادة قد شملت أيضاً مخصصات بنى العباس ، إلا أنه كان كريماً مع بنى هاشم جميعاً ٠

وخصص لزبيدة أم الأمين ألف دينار جدد ، ومليون درهم فى كل سنة (٤) وحظى العباسيون عموماً والعلويون بالسخاء فى عطائهم ، فأمر لمحمد بن صالح بن المنصور بمليون درهم مكافأة ، ولمحمد الرضى بمليون درهم (٥) ٠

---

(١) التنوخى ، الفرج بعد الشدة ، ص ٢٥٥ ٠
(٢) الثعالبى ، ثمار القلوب ، ص ١٢١ ٠
(٣) القلقشندى ، مآثر ، ج ٢١٢/١ ، تاريخ الموصل ، ص ٣٣٩ ، مقدمة ابن خلدون ، ص ١٥٦ ٠
(٤) الاغانى ، ج ٧٩٩٧/٢٣ _ طيفور ، بغداد ، ص ١٦٠ ، نهاية الارب ج ١٨٨/٢٢ ٠
(٥) تاريخ اليعقوبى ، ج ٤٥٤/٢ ٠

وكان المعتصم كسلفه فقد وقع للواثق ما ارتفاعه مليون درهم [١] ومنح ابراهيم بن المهدى عشرة آلاف دينار ، وكان ابراهيم قد منحه أثناء خلافته المؤقتة عشرة آلاف درهم [٢] .

ويوضح الطبرى جانباً من مخصصات المتوكل الشهرية فى خلافة الواثق ، فقد ذهب لعمر بن فرج ليختم له صكه حتى يتسلم أرزاقه ، ولكن عمر رفض فأخذ أبو الوزير الصك ودفع اليه عشرين ألفاً ريثما يبحث فى أمره ، وبعد شهر سأله إعانته فبعث اليه بعشرة آلاف درهم [٣] وهذه أول اشارة لزيادة مخصصات أمراء العباسيين من بعد خلافة المهدى الذى خصص رزق الرجل بخمسمائة درهم فى الشهر عدا العطاء إلا أن هذه المخصصات لم تكن ثابتة ففى خلافة المعتضد بالله وصلت مخصصات أولاد المتوكل على الله رجالاً ونساء من جملة ألف دينار فى الشهر ، ثلاثة وثلاثين دينار وثلث دينار ، وجارى سائر أولاد الخلفاء من جملة خمسمائة دينار فى الشهر ، ستة عشر ديناراً وثلثى دينار [٤] .

---

(١) التنوخى ، نشوار المحاضرة ، ج ١٨/٨ .
(٢) العمرانى ، الأنباء ، ص ١٠٧ .
(٣) الطبرى ، ج ١٥٦/٩ - ١٥٧ - ابن الأثير ، ج ٢٨٠/٥ .
(٤) الصابى ، الوزراء ، ص ٢٥ .

ثالثاً : مخصصات بني هاشم :-

حظى بنو هاشم مكانة عالية لدى بعض خلفاء بنى أمية فخصصت لهـــم أعطيات سنوية : فمعاوية كان يجيز الحسن والحسيـــن ، وعبد الله بن عباس بمليـــون درهم فى كل عام ، وأجاز يزيد عبد الله بن جعفر بأربعة ملايين درهـــــم ، وهدف من وراء ذلك التقرب من أهل المدينة والاقلال من شأن ابن الزبيـــر (١) وأعطى عمر بن عبد العزيز من أموال الخمس لبنى هاشم (٢) .

وقبيل قيام الخلافة العباسية كان ابراهيم بن محمد الامام يقدم الدعـــم المالي لبني هاشم فبعث الى عبد الله بن الحسن بخمسمائة دينار ، والي جعفر ابن محمد بألف والي غيرهما من العلويين (٣) ولم ينقطع هذا الدعم بقيـــام الخلافة العباسية فقد أعطي أبو العباس السفاح عبد الله بن الحسن مليـــون درهم . وكان عبد الله يعتبر هذه الأموال جزءاً من حقوقه (٤) واستغل المنصور مخصصات العلويين فى اجتذاب النفس الزكية (٥) وذكر من ساند الثورة أثنـاء تسلمه لعطائه (٦) وبقضائه على النفس الزكية قطع مخصصات أهل المدينة إلا أن أهل الكوفة ساندوا الإمام جعفر الصادق مالياً مما أغضب المنصور (٧) فضاقـت

---

(١) الثعالبى ، لطائف المعارف ، ص ٢٢ - كرد علي ، الادارة الاسلامية ص ٨٢ .

(٢) الحسينى ، الادارة العربية ، ص ٣٤٧ - كرد علي ، الادارة الاسلامية ص ١٠١ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٣٢٩/٤ - مجهول ، أخبار الدولة العباســية ، ص ٣٨٣ ، تاريخ الموصل ، ص ١٢٢ .

(٤) العيون والحدائق ، ص ٢٣٢ - ابن دقماق ، الجوهر الثمين ، جـ ١١٤/١ ، الذهب المسبوك ، ص ٥٥ ، الحسينى ، غاية الاختصار ، ص ٢٨ ، الذهبى تاريخ الاسلام ، جـ ٨٧/٦ .

(٥) ابن الأثير ، جـ ٣٧٢/٤ .

(٦) تاريخ اليعقوبى ، جـ ٣٧٤/٢ .

(٧) الأربلى ، الذهب المسبوك ، ص ٧٨ ، الشبيبى ، مؤرخ العــــراق ، جـ ١٠٢/١ .

بالعلويين الحال وناشدوا المنصور أن يعيد عطاءهم فأطلق لهم في آخر الأمر من خراج أهل البصرة [١] .

ويظهر من رواية الأصفهاني أن عطاء المنصور لبني هاشم كان كبيراً فقد فرض على كل هاشمي أن يعطي لأبي دلامة أربعة وعشرين ديناراً في السنة فكان يأخذها منهم [٢] .

أما المهدي فقد لجأ الي سلاحين يتقي بهما مطامع العلويين ، وقد أغدق عليهم الأموال ، واستدعى بعض زعمائهم ليقيموا ببغداد وسهل لهم وسائل الحياة وكلف والي المدينة بمراقبتهم مع الاحسان اليهم [٣] وأطلق لموسى الكاظم ثلاثة آلاف دينار وسمح له بالعودة الى المدينة [٤] .

واختلف عطاء المهدي لبني هاشم ، ففي عام ١٦٤ هـ ٧٨٠ م قسم المهدي عطاء أهل المدينة فبدأ بمشيخة بني هاشم ، فنال أكثرهم خمسة وستين ديناراً وأقلهم أربعين ديناراً [٥] وقرب اليه الحسن بن ابراهيم ووصله عام ١٦٠ هـ ٧٧٦ م ، وأقطعه [٦] .

وتابع الهادي إكرام العلويين فأعطى الحسين بن علي صاحب فخ أربعين ألف دينار [٧] . لكن سرعان ماتغير الهادي عليهم عام ١٦٩ هـ / ٧٨٥ م حين

---

(١) التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ص ٧٠ .
(٢) الأغاني ، جـ ٣٧٢٠/١٠ .
(٣) الخربوطلي ، المهدي العباسي ، ص ١٣٩ .
(٤) تاريخ ابن الوردي ، جـ ٣١٠/١ .
(٥) الخطيب ، تاريخ بغداد ، جـ ١٩٤/١٣ .
(٦) تاريخ ابن خلدون ، جـ ٤٤٤/٥ .
(٧) ابن طباطبا ، الفخري ، ص ١٧٢ .

ولى خاله الغطريف بن عطاء خراسان وكانت هادئة فظهرت منه أمور غير مقبولة فأضطربت البلاد وتحركت جماعة من الطالبين ، وناصرهم ملوك النواحي ، فألح الهادى في طلب الطالبين وقطع ماكان المهدى يجريه عليهم من الأرزاق والأعطية (١) .

وأعطى الرشيد الأمان للطالبين ، وأخرج لبنى هشام الخمس ، ورتب لهم مخصصات مالية فأعطى الذكر والأنثى منهم خمسمائة ، وساوى بين صليبهم ومواليهم وتخوف من موسى بن جعفر بعد أن أخذ الناس يحملون اليه خُمس أموالهم (٢) . ولكنه استمر فى إكرام العلويين وأطلق ليحيى بن عبد الله مائة ألف دينار بعد أن سجنه عدة أيام ، وقيل إن جملة ماوصله من الرشيد أربعمائة ألف دينار من بيت المال (٣) وتابع المأمون سياسة الرشيد فقرب العلويين ، وزوج محمد الجواد ابنته أم الفضل وخصص له صلة سنوية قدرها خمسون ألف دينار (٤) .

وأمر لعلى بن موسى الرضا بمليون درهم (٥) وصله جزيلة وعشر دواب لعبد الله بن الحسين عبد الله كما أمر بخمسمائة ألف درهم ، فاستاء من ذلك عبد الله بن محمد الأمين والقاسم بن الرشيد (٦) وظل المأمون يصل العلويين كما أوصى المعتصم أن يصل اليهم مخصصاتهم فى كل سنة (٧).

---

(١) تاريخ اليعقوبى ، ج ٤٠٤/٢ .

(٢) البدء والتاريخ ج ١٠١/٦ - نهاية الارب ج ١٦٣/٢٢ - ابن طباطبا الفخرى ص ٧٢ .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٦٨/١٠ .

(٤) تاريخ الخميس ج ٣٣٩/٢ ، وقيل مليون درهم كل سنة ، النجوم الزاهرة ، ج ٢٣١/٢ ،شذرات الذهب ج ٤٨/٢ .

(٥) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ج ٢٧١/٣ .

(٦) الآبى ، نثر الدر،ج ٣٨٨/١ .

(٧) ابن الساعى ، أخبار الخلفاء ، ص ٥٧ .

لم يأخذ المعتصم بوصية أخية فقطع الرواتب والأعطيات التى تُعطى من بيت المال لبنى هاشم [(١)] ، وعوض الواثق العلويين فأحسن اليهم ولم يترك أحداً من العلويين فقيراً [(٢)] ، وأعطى بنى هاشم أموالاً عظيمة على يد ابن أبى دؤاد وكان يزيد فى عطائهم باسم الخليفة ، وقد أدرك الواثق ذلك ووصله بمائة ألف درهم فُرِقت جميعها فى بنى هاشم [(٣)] أما المتوكل فقد عادى العلويين وقطع عنهم صلاتهم وعطاءهم فظهر عليهم الفقر ، ولما أدرك المتوكل سوء حاله على الزكي وكثرة ديونه ، أمر له بأربعة آلاف دينار [(٤)] .

---

(١) فليب حتى ، تاريخ العرب، ج ٣٧٨/٢ .

(٢) الخطيب ، تاريخ بغداد، ج ١٩/١٤ .

(٣) الخطيب ، تاريخ بغداد، ج ١٤٦/٤ .

(٤) القلقشندى ، مآثر الأناقة ، ج ٢٣٢/١ - ابن الساعى ، أخبار الخلفاء ، ص ٦١ .

الفصل الثاني

مخصصات الوزراء وكبار الموظفين

اولاً مخصصات الوزراء .

ثانياً مخصصات الولاة والعمال .

أولاً : مخصصات الوزراء :

لم تستقر قواعد الوزارة وقوانينها إلا في خلافة العباسيين ، فسمي الوزير وزيراً ، وكان قبل ذلك يسمى كاتباً أو مشيراً ، وأول من تقلد الوزارة في عهد السفاح أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال ، وكان من أغنياء أهل الكوفة وقد أنفق من ماله على رجال الدعوة (١) .

أما مخصصات الوزارة فانها تختلف باختلاف الأشخاص والعصور ، ولم تقتصر الرواتب على الوزراء فقط ، بل كان الخليفة يفرض رواتب لاخوانهم وأولادهم وحواشيهم ، ويقدر القلقشندي راتب الوزير في كل شهر بخمسة آلاف دينار ، وراتب من يليه من ولد أو أخ من ثلثمائة دينار الى مائتي دينار ، ثم حواشيه (٢) . كما منح الوزراء خاصة وكبار الموظفين إقطاعيات ليتسلموا ايرادها بدلاً عن مخصصاتهم الشهرية ، وتكون مدتها موافقة لمدة بقاء الموظف في منصبه (٣) .

ولم تذكر المصادر التي أطلعت عليها نصاً صريحاً لمخصصات الوزراء في العصر العباسي الأول إلا أن منصب الوزارة الى جانب مكانتها الاجتماعية الرفيعة كان لها مورد مالي كبير ، فأهدى هؤلاء الوزراء للخلفاء الهدايا التي قدرت بالملايين ، وكان مظهر الولائم ينم عن غنى فاحش ضاها ولائم الملوك ، لسيطرتهم على موارد بيت المال ، لذا سعى أبو عبيد الله يعقوب بن داود في

---

(١) ابن طباطبا ، الفخري ، ص ١٣٦ - ابن خلكان ، ج ١٩٥/٢ - ١٩٦ - الثعالبي تحفة الوزراء ، ص ١١٥ .

(٢) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥٢١/٣ .

(٣) ناجي معروف ، موجز تاريخ الحضارة ، ص ٦٧ .

خلافة المهدى الى الفوز بمنصب الوزارة وعرض أن يمنح الربيع بن يونس ، مائة ألف دينار إن استطاع أن يقنع المهدى بأن يوليه الوزارة ، ونجح الربيع في اقناع المهدى الذى فوض ليعقوب الأمور كلها ، فأصبح هو الآمر الناهى حتى هجاه بشار :

بني أمية هبوا طال نومكم   إن الخليفة يعقوب بن داود (١)

وقد نكبه المهدى،وقيل:بسبب ميله للعلويين وسجنه وظل سجيناً حتى أطلقه الرشيد (٢) .

لقد تولى الوزارة العديد من الشخصيات البارزة فى العصر العباسى الأول وظهرت عليهم معالم الثراء نتيجة مايهبه الخليفة ومايستغله من منصبه فقد تولى الوزارة من بعد الخلال أبو الجهم ، وقيل:إن المنصور سمه عندما تولى الخلافة ، ويذكر الصولى أن السفاح استوزر بعد الخلال خالد بن برمك دون أن يسمى وزيراً (٣) وولى المنصور أبا أيوب سليمان بن أبى سليمان المورياني الخوزى فاستغل وظيفته ، وألجأ الناس ضياعهم اليه مقابل مائة ألف درهم فى السنة ، وقد أدرك المنصور خيانته فصادر أمواله وقتله (٤) .

واستوزر المنصور أبا الفضل بن الربيع بن يونس وأقطعه قطيعة كبيرة عرفت بقطيعة الربيع (٥) وظلت ملكية هذه القطيعة لولد الربيع وأن ساكني

---

(١) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١٦٦ .
(٢) الخطيب ، تاريخ بغداد ج ٨٨/١ ، الثعالبى ، تحفة الوزراء ، ص ١١٥ .
(٣) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١٣٩ ، ابن خلكان ج ٢٢٠/٦ .
(٤) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١٥٨ ، ابن خلكان ج ٤١٤/٢ ، الجهشيارى الوزراء ، ص ١١٨ ، الثعالبى ، الوزراء ، ص ٩٧ .
(٥) ابن خلكان ج ٢٩٩/٢ .

القطيعة من التجار اغتصبوها [١] ويعنى هذا أن القطيعة كانت هبة له حتى بعد تنحيته من الوزارة .

وولى المهدى الوزارة عبيد الله بن معاوية بن يسار ثم يعقوب بن داود ، وخلفهما الفيض بن أبى صالح وكان سخياً واسع الحال . وذكر البرمكى أن الفيض كان يعلم الناس الكرم ويتباهى بعزه وجاهه ، وقد بعث بمائة تخت فى كل تخت قميص وسراويل ومبطقة وطيلسان وعمامة أو شاشيه [٢] .

واستوزر الهادى الربيع بن يونس وابراهيم بن ذكوان الحرانى الذى لم يوافق الخليفة الرأى فى خلع الرشيد المهدى للبرمكى عشرين ألف دينار لكى يقنع وزيره فى أمر الخلع ولكن لم يتحقق له ذلك [٣] .

وإستوزر الرشيد يحيى بن خالد البرمكى ، وقد نكبه ونكب البرامكة جميعهم ، وتذكر المصادر أن سبب نكبتهم احتجازهم الأموال عن الخليفة ، أو مماطلتهم فى صرف جوائز الرشيد لسماره فأخذ الرشيد يدقق فى نفقات ودخل الدولة فوجد أنهم فرطوا فيها فنكبهم جميعاً [٤] .

ولم تمدنا المصادر بمخصصات البرامكة ولكن ماقدمه الرشيد لهم كان كثيراً ، وتوضح وثيقة وجدت بديوان النفقات ماكان يحمل لجعفر بن يحيى بأمر من الرشيد تذكر " حملو بأمر أمير المؤمنين الى الأمير أبى الفضل جعفر بن

---

(١) الخطيب ، تاريخ بغداد ، ص ٨٨ .
(٢) برانق ، الوزراء العباسيون ، ص ٢٣٨ .
(٣) الفخرى ، ص ١٧٤ ، الجهشيارى ، ص ١٧٩ .
(٤) سمط النجوم جـ ٢٨١/٣ ، ابن الأثير جـ ٢٦٩/٥ .

يحيى البرمكي أدامه الله من الذهب كذا ، ومن الفضة كذا ، ومن الفرش كذا ، ومن الكسوة والطيب وأصناف النعيم كذا ، ومن الجوهر كذا ، ومن النقود ثلاثين ألف ألف " (١) وكان الرشيد سخياً عليهم فخلع على جعفر مائة بدرة دنانير ومائة بدرة دراهم (٢) وهدية قدرت ببضعة عشرة آلاف دينار (٣) وخلعة قيمتها أربع مائة ألف دينار (٤) وأنفق جعفر على بناء قصره عشرين مليون درهم ، فخشى البعض نقمة الرشيد عليه فأجابهم أن الرشيد قد وصله بأكثر من ضعف هذا المبلغ (٥) .

بلغ البرامكة من الثراء درجة تساوى درجة الملوك فى العطاء والهبات وخصوا رواتب لحاشيتهم ، فعلى سبيل المثال :-

أجرى يحيى بن خالد ألف درهم سنوياً لسفيان بن عينية (٦) ووصل آل برمك سالم الخاسر بعشرين ألف دينار (٧) ورتب جعفر للرقاشي الشاعر ألف دينار فى السنة (٨) ووصل من البرامكة لجبريل بن بختيشوع سبعين مليون درهم (٩) عدا جوائز الشعراء العابرة (١٠) .

---

(١) تاريخ البيهقى ، ص ٢٠٧ .
(٢) ابن دحية ، النبراس ، ص ٣٨ .
(٣) الأربلى ، الذهب المسبوك ، ص ١٤٨ - ابن خلكان ج ٤٨٣/١ .
(٤) العمرانى ، الأنباء ، ص ٨٤ .
(٥) الطبرى ، ج ٢٩١/٨ .
(٦) الذهب المسبوك ، ص ١٦٣ ، ابن خلكان ج ٢٢٨/٦ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج ٢٠٥/١٠ .
(٧) الأغانى،ج ٧٥٧٢/٢٢ .
(٨) الذهب المسبوك ، ص ١٤٨ . الخطيب ، تاريخ بغداد،ج ١٥٨/٧ .
(٩) التنوخى ، نشوار المحاضرة ، ج ٢٤٥/٨ و ٢٤٨ .
(١٠) تاريخ بغداد،ج ٣٣٥/١٢ - المسعودى ، مروج الذهب،ج ٣٩٠/٣ ، تاريخ بغداد،ج ١٢٩/١٤ . إبن خلكان ج ٢٢٣/٦ .

ويذكر ابن الزبير أن محمد بن يحيى بن خالد دعا الرشيد الى منزله وكان مبخلاً فأنفق عليه ستة عشر مليون درهم ، وسحق له أربعة آلاف مثقال مسك ونثره ليطيب منزله للزائر الكريم (١) .

نقل الرشيد الوزارة الى الفضل بن الربيع ، وحين أراد بناء منزل له وهبه الرشيد خمسة وثلاثين مليون درهم معونة له (٢) واستمر في الوزارة حتى مقتل الأمين فصادر المأمون ممتلكاته وأعطى مسكنه للقاسم بن الرشيد كما صادر ضياعه (٣) .

وتقلد الوزارة في خلافة المأمون الفضل بن سهل السرخسي ، وعقد له على المشرق من جبل همذان الى جبل سفينان والتبت طولاً ، ومن بحر فارس والهند الى بحر الديلم وجرجان عرضاً وجعل عمالته ثلاثة ملايين درهم في السنة (٤) وجعل عطاءه خراج السيب وأعطاه بذلك وثيقة قال فيها : " وقد أقطعتك السيب بأرض العراق ، على حيازة تميم مولى أمير المؤمنين عطاء لك ولعقبك ، لما أنت عليه من النزاهة عن أموال رعيتي (٥) .

ونظير هذه المخصصات اتبع الفضل سيرة البرامكة في المنح والعطاء فقد قصده مسلم بن الوليد فأمر له بثلاثين ألف درهم (٦) .

---

(١) ابن الزبير ، الذخائر ، ص ٩٧ .
(٢) الجهشياري ، ص ٢٨٩ .
(٣) الخطيب ، تاريخ بغداد، ج ٣٤٤/١٤ ، الجهشياري ، ص ٣٠٣ .
(٤) نهاية الارب، ج ١٧٦/٢٢ - النجوم الزاهرة، ج ١٥١/٢ - الطبري ج٨/٤٢٤ .
(٥) الجهشياري ، ص ٣٠٦ .
(٦) ابن طباطبا ، الفخري ، ص ٢٠٢ .

وبعد مقتل الفضل كتب المأمون لأخيه الحسن يعزيه ويعلمه أنه استوزره وأجراه مجراه فكثر عطاءه ، وكان عالي الهمة كثير العطاء للشعراء وغيرهم [(١)] كما حظي بهدايا المأمون فوهب له عقداً قيمته مليون ومائة وستة عشر ألف درهم [(٢)] وأمر له بخراج فارس وكور الأهواز لمدة سنة بعد زواجه من ابنته پوران [(٣)] وكانت ضياعه تغل في كل سنة ثلاثة عشر مليون درهم [(٤)] ومما يوضح سعة ثراء الحسن ما أنفقه أثناء زواج ابنته ، فقد وهب أموالاً كثيرة للحاضرين [(٥)] .

خلف الحسن في الوزارة أحمد ابن خالد الأحول وبعد وفاته استوزر أحمد ابن يوسف بن القاسم فكان واسع الثراء فقد أهدى المأمون في النوروز هدية قيمتها مليون درهم [(٦)] .

وقد تولى عمرو بن مسعد بن صول الكاتب الوزارة للمأمون توفي عام ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م فرفع الى المأمون أنه خلف ثمانين مليون درهم فكان رد المأمون قوله : " هذا قليل لمن اتصل بنا وطالت خدمته لنا ، فبارك الله لولده فيما خلف وأحسن لهم النظر فيما ترك " [(٧)] .

---

(١) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ١٢١/٢ .

(٢) أبو طالب الأنصاري ، نخبة الدهر ، ص ٨٦ .

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣٠/٤ .

(٤) ابن الزبير ، الذخائر ، ص ٢٢٦ .

(٥) الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص ٢٢ ، ابن طباطبا ، ص ٢٠٣ - ابن خلكان ، ج ١٢٠/٢ .

(٦) ياقوت ، معجم الأدباء ، ج ١٦٦/٥ - ابن طباطبا ،الفخري ، ص ٢٠٦ - ٢٠٨ .

(٧) ابن خلكان ، ج ٤٧٦/٣ ، ابن دحية ، النبراس ، ص ٤٩ ، ابن الزبير ، الذخائر ، ص ٢٢٥ ، وقيل ترك ثمانين مليون دينار ، النجوم الزاهرة ، ج ٢٢٧/٢ .

وصادر المعتصم وزيره الفضل بن مروان بلغ ما صادره مليون درهم ، وقدر ممتلكات أخرى له بمليون دينار [١] وخلفه في الوزارة أحمد بن عمار بن شادى وكان رجلاً ميسوراً كان يخرج مائة دينار صدقة كل يوم وقدم استقالته من الوزارة فحوله المعتصم للنظر في الدواوين [٢] .

ثم استوزر عبد الملك الزيات وكان رجلاً ميسوراً وقد ظل في الوزارة حتى عهد المتوكل الذى صادر أمواله وقتله [٣] ثم استكتب رجلاً من كتابه يدعى أبو بالوزير من غير أن يسميه وزيراً وبعد فترة يسيرة نكبه ، وصادر منه مائتى ألف دينار [٤] . واستوزر أبا جعفر محمد بن الفضل الجرجائي فكثرت السعايات فيه فعزله المتوكل ولم يعين خلفاً له ، وقرب عبيد الله بن خاقان لكتابته وأجرى له راتباً شهرياً قدره عشرة آلاف درهم ، ثم أمر له المتوكل برزق الوزراء وخوطب الوزارة وخلع عليه [٥] ويعنى هذا بأن راتب الوزير ، هو أعلى راتب يتقاضاه موظف في الدولة بعد الخليفة ، إلا أن مخصصات الوزير لم تكن ثابتة ، فقد أصبح راتب عبيد الله بن سليمان وزير المعتضد ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م اثنى عشر ألف دينار في السنة ، ثم قطع هذا الراتب واستبدله باقطاع ايراده مائتا ألف دينار ، وكانت مخصصات العباس بن الحسن وزير المكتفى ٢٩٦ هـ/٩٠٨م - مائة وعشرين ألف دينار [٦] وكانت مخصصات أبي الحسن بن الفران ٢٩٦ هـ - ٩٠٨ م - مما أقطعه الخليفة خمسين ألف دينار ، بالإضافة الى راتب شهرى

---

(١) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ٢١٢ ، ابن خلكان ج ٤٧/٤ .

(٢) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ٢١٣ .

(٣) تاريخ بغداد، ج ٣٤٣/٢ .

(٤) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ٢١٦ .

(٥) نشوار المحاضرة، ج ١٥/٨ .

(٦) الدورى ، تاريخ العراق الاقتصادى ، ص ٢٥٠ .

تغير مفهوم رواتب العمال فى عهد بنى أمية فكان راتب العامل يحدده مدى محافظته على الأمن وخدمة الدولة ، وكان زياد بن أبيه أول من بسط الأرزاق على عماله ، فعين للوالى ألف درهم فى الشهر ، وأجرى لنفسه خمسة وعشرين ألف درهم فى الشهر (١) وكان راتب والى العراق عبد الله القسرى عشرين مليون درهم فى السنة (٢) واشتكى عامل خراسان أمية بن عبد الملك بأن خراج خراسان لايفى بنفقات مطبخه (٣) وكان راتب الحجاج بن يوسف الثقفى خمسمائة ألف درهم فى السنة (٤) وعمر بن هبيرة والى العراق ستمائة ألف فى السنة (٥) ، أما عمال النواصى فكان رزق الواحد منهم فى أيام الأمويين ألف درهم فى الشهر (٦) .

على الرغم من أن النصوص لم تسعفنا كثيراً فى هذا المجال لاعطاء صورة واضحة عن عهد كل خليفة وكل إقليم ومايتقاضاه الوالى من أرزاق ومخصصات مالية أخرى ، إلا أن العباسيين اتخذوا من أهمية الاقليم أساساً لتقدير هذه الرواتب الى جانب رضى الخليفة عن الوالى فتباينت مقدار رواتب عمال الأقاليم الكبيرة عن عمال النواحى واستقرت هذه الرواتب فى عهد الرشيد بحيث لايتجاوزها الخليفة أو وزيره وارتفعت فى عهد المأمون على يد الفضل بن سهل .

أما السفاح فقد ولى خاله زياد بن عبيد الله الحارثى مكة والمدينة ، وجعل له راتباً قدره ألفان وخمسمائة دينار فى الشهر (٧) أما رواتب العمال

---

(١) تاريخ اليعقوبى جـ ٢٣٤/٢ - عصر المأمون جـ ٢٦/١ - الشالجى ، الرواتب ص ٢٦٥ .
(٢) السيادة العربية ، ص ٣٢ .
(٣) عصر المأمون جـ ٢٧/١ .
(٤) الشالجى ، الرواتب فى الاسلام ، ص ٢٦٥ .
(٥) نفس المرجع ، ص ٢٦٧ .
(٦) تاريخ اليعقوبى ، جـ ٢٣٤/٢ .
(٧) الأزدى ، تاريخ الموصل ، ص ١٤٣ .

في خلافة المنصور فلم يجد الباحث شيئاً عنها ويذكر الذهبي بأن معين بن زايدة والي أذريبجان قد وهب لقوم من أهل الكوفة أربعة آلاف دينار لكل منهم ، حين وجد هيئتهم رثة [1] ومن هذا يمكن القول بأن رواتب عمال المنصور كانت عالية .

وفي خلافة الرشيد عمل البرامكة على تحديد راتب والي كل إقليم بقدر معين لايتجاوزه الخليفة ، حتى لايقع الخلاف بين الولاة بعد عزلهم بأن يطالب الوالي بأكثر مما كان عليه سلفه ، وللخليفة حرية تحديد صرف مقدار المعونة للوالي ، وكان راتب والي اليمن ألف دينار في الشهر ورغب الرشيد أن يولي عبد الله بن مصعب اليمن براتب ألفي دينار شهرياً ، فاعترض يحيى بن خالد على ذلك مبرراً بأن هذا الراتب لن يرضى أحد بأقل منه فيما بعد ، واقترح اعادة راتب الوالي على ماكان عليه وأجازته بألف أخرى ، فوافق الرشيد ، وجعل راتبه ألف دينار شهرياً ، وزاد عليه ولاية عك التي كانت تحت أمر والي مكة وأجازه بعشرين ألف دينار ، وإعانة للسفر قدرها أربعون ألف درهم [2] .

وقدر راتب والي المدينة بألف دينار في السنة [3] وكان يعطى من مال الصدقة وحين ولي الرشيد عبد الله بن مصعب بعد الحاج واشترط عليه بأن يكون راتبه ورزق المرتزقة من مال الخراج فوافق الرشيد [4] .

---

(١) الذهبي ، تاريخ الاسلام جـ ٢٩٨/٦ .
(٢) الخطيب ، تاريخ بغداد جـ ١٧٦/١٠ .
(٣) الشالجي ، الرواتب في الاسلام ، ص ٣٦٦ .
(٤) الخطيب ، تاريخ بغداد جـ ١٧٥/١٠ .

أما النواحي فقد كان راتب العامل فيها مائتي درهم في الشهر ، وكثيراً ماضم عدة نواح الى إقليم يتولاه والي واحد يأخذ راتباً عن كل إقليم ، فكانت شهر زور وأعمالها مضمومة الى الموصل حتى أواخر عهد الرشيد ، وضم شهرزور والصامغان ودراياذ الى رجل واحد فبلغ راتبه ستمائة درهم في الشهر ، وكان رزق عامل كور من كورة الموصل مائتي درهم (١) .

ويذكر الطبري في حوادث عام ١٧٦ هـ / ٧٩٢ م وخروج يحيى بن عبد الله بالديلم فولى الفضل بن يحيى علي بن الحجاج الخزاعي جرجان وأمر له بخمسمائة ألف درهم (٢) وهذه المخصصات يمكن القول بأنها استثنائية لظروف الاضطرابات .

وكان راتب والي دمشق ثلاثين ألف دينار في السنة ، فقد ولى الرشيد ابراهيم بن محمد المهدي دمشق براتب قدره ثلاثون ألف دينار في السنة وأمر له بأربعين ألف دينار معونة فمكث والياً لدمشق سنتين ، فكان ماحصل عليه من ولايته مائة ألف دينار حسب رواية ابراهيم (٣) وهذا يعني أن المعونة كانت تعطى للوالي مرة واحدة خلال ولايته للاقليم .

وولى الأمين عام ١٩٥ هـ / ٨١٠ م علي بن عيسى بن ماهان على كور الجبل كلها : نهاوند وهمذان وقم وأصفهان حربها وخراجها ، وأمر له بمائتي ألف دينار ،ولولده بخمسين ألف دينار (٤)

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٤٢ .
(٢) الطبري،ج ٢٤٢/٨ .
(٣) ابن عساكر ، تاريخ دمشق،ج ٢٦٦/٢ - ٢٦٨ .
(٤) تاريخ الطبري،ج ٣٩٠/٨ .

وبعد محاصرة الأمين اعترف والى مكة والمدينة داود بن عيسى بن موسى بخلافة المأمون وخلع الأمين فأجازه المأمون ولم يعزله وأضاف اليه ولاية عك وقدم له خمسمائة ألف درهم معونة (١) .

ولعل أكبر رزق فرض لعامل في دولة بني العباس ، كان للفضل بن سهل فان المأمون لما بويع بالخلافة فى عام ١٩٦ هـ ٨١١م عقد للفضل بن سهل على المشرق وسماه " ذا الرياستين " وجعل عمالته ثلاثة ملايين درهم (٢) لأن خراسان من أهم الأقاليم وأكثرها عرضة للاضطرابات ، وكان ارتفاعها كبيراً فكان القادة يسعون للفوز بهذه الولاية لكبر مخصصات واليها ، فقد أغرى طاهر بن الحسين أحمد بن أبى خالد كاتب المأمون بثلاثة ملايين درهم ليقنع الخليفة بأن يوليه على خراسان ، فاحتال الكاتب على غسان بن عباد والى خراسان حتى قدم استقالته من الولاية ، فأشار الكاتب على المأمون بتولية طاهر بن الحسين ، واستطاع إقناعه رغم تخوفه منه ، فعقد المأمون لطاهر ولاية خراسان وقد شملت من بغداد الى أقصى عمل المشرق ، ومن حلوان الى خراسان ، فعسكر طاهر من يومه خارج بغداد فى أول عام ٢٠٦هـ ٨٢١ م ، وقد اختلف المؤرخون فيما حمل اليه فى كل يوم أقام فيه فقيل مائة ألف درهم ، فأقام شهراً فحمل اليه عشرة ملايين درهم ، وهي ماتحمل الى صاحب خراسان (٣) وقيل حمل اليه كل يوم عشرة ملايين درهم (٤) وتتفق المصادر بأنه أقام شهراً حمل اليه عشرة ملايين درهم ، وهذه مخصصات والى خراسان فى خلافة المأمون (٥) .

---

(١) ابن الأثير، جـ ١٥٥/٥ .

(٢) الطبرى،جـ ٤٢٤/٨ .

(٣) طيفور ، بغداد ، ص ٢٤ ، الطبرى،جـ ٥٧٩/٨ .

(٤) تاريخ ابن خلدون،جـ ٥٣٤/٥ .

(٥) النجوم الزاهرة ، جـ ١٧٨/٢ ، ابن الأثير ، جـ ١٩٧/٥ ، نهاية الارب جـ ٢٢٩/٢٢ .

وقام المأمون برفع مخصصات عماله على الأقاليم فقد أعطى عام ٢١١ هـ ٨٢٦ م عبد الله بن طاهر عند توليته مصر خراج مصر لمدة سنة (١) في حين كان راتب ولاة مصر لايتعدّى ثلاثة آلاف دينار في الشهر (٢) وفي عام ٢١٣ هـ ٨٢٨ م ولى المأمون الشام ومصر لأبي اسحاق المعتصم ، وولى العباس ابنه الجزيرة والثغور والعواصم ، وأمر لكل واحد منهما بخمسمائة ألف دينار ، ولعبد الله بن طاهر بمثلهما بعد أن عزله من مصر (٣) وولاه الجبل ، ومحاربة بابك وأمر له بثلثمائة ألف دينار (٤) وكان المأمون قد دفع لمحمد بن الحسن لما ولى الجبل بثلاثمائة ألف درهم تسلمها قبل خروجه (٥) .

وعندما توفي عبد الله بن طاهر والي خراسان عزم الواثق تعيين اسحاق ابن ابراهيم ونظراً لكبر مخصصات ولاتها اقترح ابن أبي دؤاد أن يوفر على بيت المال هذه النفقات التي قدرها بخمسة ملايين درهم معونة للوالي الجديد ونفقة خمسة آلاف جندي ، وأن يكتب لطاهر بن عبد الله بالتعزية عن أبيه وبتجديد الولاية له وتكفلة هذا طومار بدرهمين فقبل ذلك الواثق (٦) .

أما رواتب عمال النواحي فقد كانت قليلة لقلة أهمية هذه المناطق ويذكر الطبري أن أرزاق الكتاب والعمال كانت ثلثمائة درهم فارتفعت في وزارة الفضل بن سهل (٧) .

---

(١) عصر المأمون، ج ٢٩٥/٣ .
(٢) الأيوبي ، تاريخ مصر، ج ١٦٤/١ .
(٣) الطبري ج ٦٢٠/٨ ، البيهقي ، المحاسن ص١٩٣ ، نهاية الارب، ج٢٣٠/٢٢ . النجوم الزاهرة، ج ١٨١/٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية، ج ٢٦٧/١٠ .
(٤) الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص ١٤١ .
(٥) طيفور ، بغداد ، ص ١٢٧ .
(٦) الشابستي ، الديارات ، ص ١٤١ .
(٧) الطبري، ج ٦٥/٨ .

الفصل الثالث

العطاء والرواتب والارزاق

أولا : العطـــــاء

كان العطاء من أهم أبواب الصرف في الدولة العربية الاسلامية ، وقد ساوى الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بين الناس فى العطاء دون تفضيل ، واجتهد عمر بن الخطاب برأى آخر فميز فى العطاء على حسب القرابة من الرسول عليه الصلاة والسلام والاسبقية فى دخول الاسلام. فكان أدنى العطاء في عهد عمر هو مائتى درهم ، وهو الحد الادنى لتكاليف المعيشة آنذاك[(١)] يدفع مع بداية السنة القمرية هذا ماجرى عليه فى خلافة عمر بن الخطاب وسار عليه الخلفاء من بعده ، وقد أشكل عليهم تنفيذ العطاء فى موعده ، لاعتماد مواردية المال على ضريبتى الخراج والجزية ، وسبب تأخيرهما مشاكل كبيرة للخلفاء وولاة الأمويين وخاصة المتأخرين منهم[(٢)] وقد اختلفت وجهات النظر فى مغزى العطاء بأنها إعانات للمعيشة أو انه راتب لايستحقه الا المحارب عند طلبه[(٣)].

ولأهمية العطاء نظر الخلفاء اليه بنظرة سياسية لتأييد خلافتهم على المسلمين وعند قيام الخلافة العباسية أعلن السفاح فى خطبته زيادة عطاء اهل الكوفة مائة درهم[(٤)].

وقد اختلف العطاء من شخص لآخر وفرض على أساس قبلى ورضا الخليفة عن مستحقيه فقد بلغ عطاء السفاح لأناس من البصرة كان نصيب احدهم الف درهم[(٥)] واستغل العباسيون العطاء للقضاء على جماعة من بنى امية فى مستهل قيام الدولة[(٦)].

---

(١) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٤٥٣ - ٤٥٤ ، صالح العلى ، التنظيمات الاجتماعية ص ١٣٢.

(٢) تنظيمات الجيش العربى ، ص ٩٣.

(٣) حسينى ، الادارة العربية ، ص ١٦٧ فلوتن ، السيادة العربية ص ١٦.

(٤) الطبرى، ج٧/٤٢٦ - ابن الأثير، ج ٣٢٥/٤ - نهاية الارب، ج ٤١/٢٢.

(٥) ابن قتيبه ، المعارف، ص ٤٨١.

(٦) تاريخ اليعقوبى، ج٣٥٥/٢ - ابن قتيبه، عيون الاخبار، ج٢٠٧/١.

وبعد استقرار اركان الخلافة العباسية لم يعبأ المنصور باخراج عطاء الناس بل تصدى لطالبيه ، وذكر ان العطاء لايكون الا مرة واحدة فى العمر ، لذا تحايل عليه بعض المغربين لأخذ حقهم [(١)] ، فانتقده الفقهاء لاحتجازه المال عن المسلمين ولتجنبه العدل فى عطائهم [(٢)] مما دفع المنصور لاعادة النظر فى قراره وخاصة فيما يتعلق بأهل الحرمين ففى عام ١٤٠ هـ ٧٥٧ م وضع لأهل المدينة العطاء فأسنى لهم فى الرزق وفرق فيهم الجوائز [(٣)] وكان قطع العطاء من اسهل الامور فى خلافة المنصور فقد كلف المنصور المهدى فى احدى السنين بتوزيع العطاء فبدأ ببنى هاشم فما ان تم ذلك بدأ عطاء سائر قريش حتى رفعت اليه رقعة فيها هجاء لبنى عدى وبنى تيم ، فقطع العطاء وانصرف الناس ولم يعطهم شيئا [(٤)] .

وبتحرك النفس الزكية فى المدينة أمر المنصور واليه بان لايسلم العطاء الا لصاحبه المستحق له حتى يعرف الممتنع الذى يعنى انه مناصر محمد النفس الزكية ، وبعد القضاء على هذه الثورة قطع عطاء اهل المدينة ، فاصابهم الجهد والغلاء [(٥)] .

وهناك اشارات على اختلاف عطاء المنصور لبعض الشخصيات فكان عطاء الاوزاعى من ديوان الساحل ، وقد توفى ولم يخلف الا ستة دنانير فضلت من عطائه [(٦)] وكان عطاء شبيب بن شيبة مائتى دينار فى كل عام يقبضها من عامله فى أى بلد كان [(٧)] . وكان عطاء أبو زرعة الفقيه المصرى ستين ديناراً فى السنة [(٨)] .

---

(١) الخطيب، تاريخ بغداد، ج ١٠/٥٨ - العقد الفريد، ج١/١٧٥-١٧٦ - القالى ، الأمالى ج٣/٢٢٨ .
(٢) تاريخ بغداد، ج٢/٢٩٩ - الطرطوسى، سراج الملوك، ص ٧٧ ، العقد الفريد ، ج١/٤٢ .
(٣) الاخبار الطوال، ص ٣٨٣ .
(٤) الأغانى، ج ٧/٢٦٨٣ - ٢٦٨٤ .
(٥) العقد الفريد، ج٥/٣٠٤ . الأغانى، ج٣/١١٤٤ .
(٦) الذهبى، تاريخ الاسلام، ج٦/٢٣٦ .
(٧) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ج ٢/١٤٢ .
(٨) الذهبى ، تاريخ الاسلام ، ج ٦/١٧٦ .

وكسر المهدى ، الحظر الذى فرضه المنصور على اهل الحرمين ففى عام ١٦٠هـ ٧٧٦ م فرق منهم ثلاثين مليون درهم ، وخمسمائة ألف دينار ، ومائة ألف ثـوب فرخصت الاسعار بعد غلائها[(١)] ، وعمل على استمالة أهل الحرمين بالإحسان والتكريم ورد إليهم الوظائف التى أبعدهم أبوه عنها[(٢)] واستطاع بعض العمال من حجب العطاء عن أهله فاستولى عبد الصمد بن على على مائة الف درهم كان المهدى قد أمره ان يفرقها فى اهل مكة[(٣)] . وبمناسبة نزول المهدى بعيساباذ عام ١٦٤هـ ٧٨٠م فرق فى أبناء الأنصار المهاجرين ثلاثة ملايين درهم[(٤)] .

لم يكن العطاء متوارثا فى العصر العباسى ولكن ديوان العطاء يضم اشخاصا لم يسبق أن فرض لهم العطاء ، وقد حدد لكل قبيلة عطاء يختلف عن عطاء الاخرى فقد أمر المهدى المغيره بن حبيب ان يضم الف شخص من أهل المدينة الى ديوان العطاء ، فكان من بين الذين أراد لمغيره ان يفرض لهم أبو عبد الله بن سالم فخيره المغيره هل يفرض له او لابنه فاختار الإبن لكبر سنه ، إلا أن المغيرة فرض له فى خمسين دينارا ، وهو مايفرض لآل الزبير ، وفى خلافة الرشيد اراد صاحب الديوان أن يرده الى عطاء بنى هذيل ، وكان عطاؤهم خمسة عشر ديناراً ، ولكنه عدل عن ذلك ، فكان نصيبه عندما خرجت الأعطيات الثلاثة فى عهد الرشيد مائة وخمسين ديناراً[(٥)] وذلك فى عام ١٨٠ هـ ٧٩٦م ، حين أعطى أهل المدينة ثلاثة أعطيات وأعطى أهل مكة عطائين[(٦)] ، وتشير المصادر بان الرشيد اعتنى بتوصيل عطاء الحرمين خاصة فقد قسم عام ١٧٠ هـ ٧٨٦م بالحرمين عطاء كبيرا[(٧)] وكذلك عام ١٧٤ هـ ٧٩٠م[(٨)] .

---

(١) الطبرى،جـ٨/١٣٣ ، النجوم الزاهرة،جـ٢/٣٦ ، الاغانى،جـ٣/١١٤٤ .
(٢) الخربوطلى،المهدى العباسى،ص ٦٢.
(٣) الآبى،نثر الدر ،جـ١/٤٥٦.
(٤) الاربلى،الذهب المسبوك،ص ٩٩ .
(٥) الاغانى،جـ٢٢/٧٦٣٥ .
(٦) الاخبار الطوال، ص ٣٩٠ .
(٧) ابن الاثير،جـ٥/٨٣ .
(٨) الطبرى،جـ٨/٢٣٩ . ابن الاثير،جـ٥/٨٨ .

وأعطى أهل المدينة ثلاث أعطيات عام ١٨٦هـ ٨٠٢م كان مجمل مقدار العطاء مليونا وخمسين الف دينار[(١)] وبلغ ما أطلقه الرشيد على يد بكار بن عبد الله والي المدينة مليونا ومائتي الف دينار[(٢)] كما فرض العطاء لخمسمائة من وجوه موالي المدينة ، وفرض لبعضهم في شرف العطاء ، منهم على بن مسكين ، وابن عثمان ، ومخراق مولى بن تيم[(٣)] وفي آخر حجة له عام ١٨٨هـ ٨٠٣م أعطى أهل المدينة نصف العطاء[(٤)] .

واكراما للفقهاء وأهل العلم جعل الرشيد عطاء المؤذنين ألف دينار في السنة ، وجعل عطاء من جمع القرآن وأقبل على طلب العلم وعمر مجالس العلم ، ومقاعد الادب في الالفين من العطاء ، ومن جمع القرآن ودرس الحديث وتفقه في العلم واستجر فيه ، في أربعة الآف دينار من العطاء بشرط امتحانهم في ذلك[(٥)] .

واستمر المأمون على نهج الرشيد في تكريم الفقهاء والمحدثين ، فبعث بخمسين ألف درهم لمحمد بن عبد الله الأنصاري ليفرقها بين فقهاء البصرة[(٦)] وفرض مثله للمحدثين ببغداد وفرض منها للامام احمد بن حنبل الذى رفض الأخذ منها شيئا[(٧)] .

وكثير ببابه طلاب الصلة فاطلق المأمون مليون درهم لتفرق عليهم بقدر استحقاقهم[(٨)] ومنح وزيره احمد بن ابى خالد صلاحيات منح العطاء فكان يجري

---

(١) الطبرى، جـ٨/٣٦٤ - ابن الأثير، جـ٥/١١٢.
(٢) البداية والنهاية، جـ١٠/٢٢٧ .
(٣) الطبرى، جـ٨/٣٦٤ - شرف العطاء أعلى مقدار في العطاء.
(٤) الطبرى، جـ٨/٣١٣.
(٥) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، جـ٢/١٥٧ .
(٦) الخطيب تاريخ بغداد ، جـ٥/٤٠٩ .
(٧) ابن عساكر ، تاريخ دمشق، جـ٢/٤١ .
(٨) طيفور ، بغداد، ص ١٢٥ - ياقوت، معجم الادباء، جـ٥/١٦٩.

ثلاثين الفا على رجال من اهل العسكر دون ان يكون لهم ذكر في ديوانه[(١)].

ونظر المعتصم لاصحاب العطاء نظرة تختلف عن سلفه المأمون ، فأدرك بأن العطاء لابد أن يكون مقابل خدمة للدولة ، وحين وجد كثرة ثورات أهل مصر أمر بقطع عطاءهم من الديوان كما قطع ايضا عطاء العرب من ديوان الجند لاعتماده على الاتراك[(٢)] ولم يذكر أنه تعرض لعطاء أهل الحرمين.

أما الواثق فكان كثير العطاء ، كثير الاحسان لأهل الحرمين والعلويين ، ففرق أموالا لاتحصى حتى انقطع السائل فيها[(٣)].

لم ينقطع فرض العطاء حتى نهاية العصر العباسي الأول ، إلا أنه لم يورث بعد موت صاحبه ، وخصص لكل قبيلة قدرا محدودا سنوياً من العطاء رغم أن الخلافة العباسية لم تقم على اساس قبلي ، بل اعتمدت في قيامها على مجتمع حضري.

ويصف المقريزي كيفية تدوين الناس في ديوان الجيش والعطاء أيام الخليفة عمر بن الخطاب فيقول: " وكان الناس أعشارا ، فكانت العرفاء ثلاثة الاف عريف كل عريف على عشرة ورزق الخيل على أعرافها ، فما زالوا كذلك حتى اختطت الكوفة والبصرة ، فتغير النظام وجعل مائة عريف ، على كل مائة ألف درهم عريف.. وكان العطاء يدفع الى أمراء الاسباع وأصحاب الرايات ... فيدفعونها الى العرفاء والنقباء والامناء فيدفعونه إلى أهله في دورهم ، ومات عمر رضي الله عنه والأمر على ذلك وقد عزم قبل موته على أن يجعل العطاء أربعة الآف ، ألف يخلفها الرجل في أهله وألف يتزودها معه في سفره وألف يتجهز بها ، وألف يترفق بها "[(٤)].

(١) طيفور ، بغداد، ص ١٢٧ .

(٢) المقريزي ، الخطط، جا/٩٤ - ناجي معروف ، موجز تاريخ الحضاره، ص ٣٢١ .

(٣) ابن الاثير، جه/٢٧٧ - القلقشندي، مآثر، جا/٢٢٥ - تاريخ اليعقوبي، ج٢/٤٨٣ الطرطوس ، سراج الملوك، ص ١٢٩

(٤) المقريزي ، الخطط ، جا/٩٣.

ثانيا : الرواتب والارزاق :

- رواتب الأطبـــاء :

في بداية العصر العباسي كان الأطباء يقومون بعملهم بشكل حر غير مرتبطين بأجر محدود ، وكانوا يأخذون أجورهم بعد الكشف أو بعد شفاء العليل ، ولاحتياج البلاط للأطباء فقد أكرمهم العباسيون وفرضوا لهم رواتب عالية بالاضافة الــــى الهدايا والعطاء والإعانات السنوية.

فحين مرض المنصور استدعى جورجيوس بن جبرائيل الطبيب الذى أشـــرف على علاجه ، وبعد شفائه ، أمر له المنصور بثلاثة جوار روميات مع ثلاثـــة الآف دينار ، وحين رغب فى العودة إلى بلده دفع اليه المنصور عشرة الآف دينار[١].

أما المهدى فقد غضب على طبيبه أبى قريش وصرفه مع زملائه ، وأحضـــر عبد يشوع ليعالجه ، ودفع إليه عشرة آلاف درهم قيمة الدواء[٢]. ولم يتضح مقدار ماخصص للطبيب ويظهر ان الرشيد هو أول من بدأ بتحديد رواتب الأطباء ، فقـــد أجرى على ماسويه الكحـــال ألفي درهم فى الشهر ، ومعونة سنوية قدرها عشرون ألف درهم ، وصار نظيراً لجبرائيل ودونه فى الرزق ، فقد كان راتب جبرائيل عشرة الآف درهم فى الشهر ومعونة مائة ألف درهم فى السنة ، عدا الصلات واقطاعات دائمة[٣].

كانت مهنة الطب رابحة فى العصر العباسي فقد حظى جبريل بن بختيشـــوع من الرشيد وكبار الموظفين بالمكانة العالية والعطاء الجزيل ، وكانت رسوم الجراحة

---

(١) ابن ابى اصيبعه ، طبقات الأطباء، ص ١٨٥ .
(٢) طبقات الاطباء ، ص ١٨٦ ، القفطى، اخبار العلماء، ص ٢٨١ .
(٣) طبقات الأطباء ، ص ٢٤٣ .

لايقدر عليها العامة ، فقد كان رسم الفصد خمسمائة دينار وكان لايفصد بيـــده ، وانما يصطحب معه من يفصد من تلاميذه[(١)] وقد لزم جبريل الرشيد ملازمة تامـــة وكان ينظر فيما يقدم له من طعام ليتأكد من ملاحيته ، ومنع الرشيد من تنـــاول وجبة فيها سمك فأمر له الرشيد بخمسة الآف دينار جائزة له[(٢)].

ويورد ابن ابى أصيبعة مخصصات جبريل السنوية من بيت مال العامـــــة ، والخاصة بعد خدمة ثلاث وعشرين سنة فى بلاط بنى العباسى[(٣)].

مخصصات جبريل بن بختيشوع الشهرية والسنة ومجموعة خلال خدمته للدولة العباسية

البيـــان	ماوصله فى فترة الخدمة	مايصله فى السنة	مايصله فى الشهر
راتبه من بيت مال الخاصه	٢٫٧٦٠٫٠٠٠	١٢٠٫٠٠٠	١٠٫٠٠٠
النزل	١٫٣٨٠٫٠٠٠	٦٠٫٠٠٠	٥٫٠٠٠
راتب سنوى من بيت مال الخاصه	١٫١٥٠٫٠٠٠	٥٠٫٠٠٠	
قيمة ثبات متنوعة	١٫١٥٠٫٠٠٠	٥٠٫٠٠٠	
قيمة هدية عيد صوم النصارى	١٫١٥٠٫٠٠٠	٥٠٫٠٠٠	
قيمة هدية يوم الشعانين من الثياب	٢٣٠٫٠٠٠	١٠٫٠٠٠	
قيمة هدية عيدالفطر نقدا	١٫١٥٠٫٠٠٠	٥٠٫٠٠٠	
هدية عيد الفطرمن الثياب	٢٣٠٫٠٠٠	١٠٫٠٠٠	
قيمة فصد الرشيد مرتين فى السنة	١٫٣٠٠٫٠٠٠	١٠٠٫٠٠٠	
قيمة الدواء٠٠	١٫٣٠٠٫٠٠٠	١٠٠٫٠٠٠	
المجموع	١٣٫٨٠٠٫٠٠٠	٦٠٠٫٠٠٠	١٥٫٠٠٠

وقد منحه البرا مكة خلال ثلاث عشر سنة مليونين واربعمائة الف درهم وتفصيل ذلك:ـ

---

(١) نشوار المحاضرة ، جـ٢٤٨/٨ .

(٢) المسعودى ، جـ ٣٥٦/٣ ، طبقات الأطباء ، ص ١٨٨ ، الكاتب المكافأة ، ص ١٢٤ .

(٣) طبقات الاطباء،ص ١٩٨ ـ ٢٠٠ ،
وانظر أيضا القفطى،أخبار العلماء،ص ٩٩.

مايصله في السنة	ما وصله في مدة معاصرتهم	البيـــــــان
٦٠٠ر٠٠٠	٧ر٨٠٠ر٠٠٠	من يحيى بن خالد
١ر٢٠٠ر٠٠٠	١٥ر٦٠٠ر٠٠٠	جعفر بن يحيى
٦٠٠ر٠٠٠	٧ر٨٠٠ر٠٠٠	الفضل بن يحيى
٢ر٤٠٠ر٠٠٠	٣١ر٢٠٠ر٠٠٠	المجموع

ماوصل جبريل من حاشية الرشيد من المال والمتاع ماقيمته نقداً خلال فتـــرة خدمته في البلاط مدة ثلاث وعشرين سنة = تسعة ملايين ومائتا الف درهم وتفصيل مايصله في السنة كالآتي :-

مايصله في السنة	صاحـب الصلـــــــة
٥٠ر٠٠٠	عيسى بن جعفـــــــــر
٥٠ر٠٠٠	زبيده ام جعفر
٥٠ر٠٠٠	ابن العباسة اخت الرشيد
٣٠ر٠٠٠	ابراهيم ابن عثمان
٥٠ر٠٠٠	الفضل بن الربيع
٧٠ر٠٠٠	فاطمة ام محمد ومنها ايضا
١٠٠ر٠٠٠	قيمة كسوه وطيب ودواب
٤٠٠ر٠٠٠	المجمـــوع

وكان دخله من ضياعه بجندى سابور والسوس والبصرة والسواد في كل عام ثمانمائـــة ألف درهم ، ومجموعها في ثلاث وعشرين سنة ١٨ر٤٠٠ر٠٠٠ درهم. ونظير هـــذا الدخل العالي كان جبريل بن بختيشوع ينفق في السنة مليونين ومائتى الف درهـم، فانفق بذلك خلال خدمته مائة واثنين وثلاثين مليون ومائتى الف درهم..

أما ابنه بختيشوع فكان راتبه أعلى من راتب والده جبريل ، فقد أجـــرى المأمون عليه اثنى عشر ألف درهم سنويا ، وقد سجنه المأمون وصادر كل أملاكـــه ثم أطلق سراحه ووصله بمال يفوق ما أخذه منه [(١)] ، ولم يخصص لأحد من الأطبـــاء مثل هذا الراتب ، وقد أجرى المأمون على جبرائيل الكحال الف درهم فى الشهـــر ، وغضب عليه وعزله وخفض راتبه إلى مائة وخمسين درهما شهريا [(٢)] .

(١) ترتون ، أهل الذمة ، ص ١٨٢ - غير الهبات الدائمة وماليديه من الاقطاعيات.

(٢) طبقات الأطباء ، ص ٢٤٢ ، القفطى ، اخبار العلماء ،ص ١٠٦ ، العبرى ، المختصر ،ص ٢٤٠ ، ابن جلجل ، طبقات الأطباء والحكماء ،ص ٦٤.

- رواتب الكتاب

كان الكتاب في صدر الاسلام يقومون بعملهم حسبة لله ، إلا من إضطر إلى رزق ، وقدر عمر بن الخطاب لزياد بن أبيه درهمين في اليوم حين ولي قسمة الغنائم بالبصرة عام ١٤٠ هـ ٧٥٧م [(١)] ويذكر الطبري ان أرزاق الكتاب والعمال في أيام بني أمية وبني العباسي بلغت ثلاثمائة درهم في الشهر [(٢)] ويرجح الباحث بان هذا المبلغ ماهو الا متوسط رواتب الكتاب ، ومن المؤرخين من يذكر بأن راتب رؤساء الكتاب بلغ ثلاثمائة درهم ، أما صغارهم فكانوا على الثلاثين درهما في الشهر [(٣)].

وفي الواقع ان رواتب الكتاب لم تكن ثابتة ، فاختلفت باختلاف الأشخاص والمكان وان زياد بن أبيه رفع رواتب الموظفين ، وجعل راتب رؤساء الكتاب ألف درهم في الشهر [(٤)].

ومن المؤرخين من يذكر ان الرواتب ظلت على ماهي عليه في زمن الخلافة العباسية فكان رؤساء الكتاب يتقاضون ثلثمائة درهم في الشهر ، وكان راتب كاتب ديوان القضاء وكاتب ديوان الجند مائتي درهم [(٥)].

وكان يوسف بن صبيح كاتبا في ديوان المنصور فخصص له راتبا يوميا قدره عشرة دراهم ، ثم رفع راتبه فاصبح عشرين درهما في اليوم [(٦)] وكان لسوار قاضي البصرة كاتبان ، راتب احدهما اربعون درهما ، والآخر عشرون درهما ، فكتب الى المنصور

---

(١) الشالجي ، الرواتب في الاسلام ، ص ٢٧٢ .
(٢) الطبري، جـ٨/٩٦ ، الثعالبي، لطائف المعارف، ص ٢٣ .
(٣) صالح العلي ، التنظيمات الاجتماعية، ص ١٤٤ - ١٤٥ .
(٤) تاريخ اليعقوبي، جـ٢/٢٣٤ .
(٥) عصام عبد الرؤوف ، الدولة العباسية، ص ١٠٦ .
(٦) الجهشياري، ص ١٣٢ ، ياقوت، معجم الادباء، جـ٥/١٧٣ - ١٧٤ .

طالبا منه مساواة الأخير بالأول ، ولكن كان رد المنصور غريبا ، حيث أمره بانقاص الأول عشرة دراهم وتحويلها للثاني ليتساوى الاثنان على الثلاثين درهما[١] .

ورفع أحد الكتاب ويدعى زياد بن عبيد الله الحارثي للمنصور رسالة يطلب منه رفع عطائه ورزقه ولكن المنصور رفض طلبه[٢] ويبدو التفاوت في رواتب الكتاب في خلافة المنصور ، ولم يصل احدهم الى الثراء كما وصل اليه الوزراء ، فعمار بن حمزة احد الكتاب البلغاء قد انقطع عن العمل لمرضه ، فاضطر الى بيع فرشه وكسوته، وحين علم المهدي ما ألت إليه حالته أمر له بخمسمائة الف درهم ووعده خيرا[٣] .

وتميز العاطلون من الكتاب في عهد الرشيد وجرى العرف في زمنه على أن يلبس العاطلون من الكتاب دراعة وقلنسوة كأكسية النصارى ، وخفاً أحمر[٤] إلا أن سوء حالة الكتاب في عهد الرشيد دفعهم الى سرقة بيت المال[٥] .

ليس بين أيدينا مايشير إلى حالة الكتاب والزيادة التي طرأت على روايتهم ، ويذكر الجهشياري بأن أول من سن زيادة الارزاق الفضل بن سهل وزير المأمون[٦] وقد شملت هذه الزيادة الكتاب ، وقد اكرمهم المأمون ورفع من شأنهم ، فرفع أحد الكتاب الى مراتب الخاصة وأمر له بمائة ألف درهم معونة[٧] وكان على بن صالح المصلى على ديوان الرسائل في زمن الأمين ، وفي عهد المأمون بلغت جائزته ثلثمائة ألف درهم في العام[٨] وبلغت رواتب كبار الكتاب ألفي درهم في الشهر

---

(١) الآبى، نثر الدر، ج٨٦/٣ - الجهشياري، ص١١٣ - حسيني، الادارة العربية، ص ٣٣٥.
(٢) الخطيب، تاريخ بغداد، ج ٥٦/١٠ ، الآبى، نثر الدر، ج٨٦/٣
(٣) الخطيب ، تاريخ بغداد، ج٢٨/١٢.
(٤) التنوخي ، نشوار المحاضرة، ج٤٣/٨.
(٥) الخطيب ، تاريخ بغداد، ج٨٩/١.
(٦) الطبرى ، ج ٦٥/٨ - الجهشياري، الوزراء، ص ١٢٦.
(٧) البيهقي ، المحاسن المساوى، ص ٤٣٧ - الجاحظ ، المحاسن، ص ٨.
(٨) الصابى ، الهفوات النادرة، ص ٢٨٧ - الشالجى ، الرواتب، ص ٢٧٣.

فتقاضى الحسن بن وهب الفى درهم فى الشهر عن كتابته الكتب الصادرة من الخليفة[١] ، وبلغ راتب أحد العاملين معه من الكتاب ألف درهم فى الشهر[٢] وبلغ أعلى راتب للكتاب فى عهد المتوكل حين عين ابن خاقان لكتابته والعرض عليه فجعل راتبه الشهرى عشرة الآف درهم[٣] .

أما ناسخو الكتب فكان أجرهم بحسب الاتفاق ، فكانوا ينسخون كل خمسة أوراق بدرهم ، واتفق معهم ، واتفق معهم الفراء فى عهد المأمون على ان ينسخوا كل عشرة أوراق بدرهم[٤] .

---

(١) الصابى ، الهفوات النادرة ، ص ٢٥٨.

(٢) الاغانى ، ج ٩٢٤٢/٢٧ .

(٣) التنوخى ، نشوار المحاضرة،ج١٥/٨

(٤) ابن خلكان ،ج ١٧٨/٦ .

ولكن رواتب القضاة ارتفعت من بعده وبلغ راتب القاضي في عهد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية عشرة دنانير في الشهر ، كما ثبت من براءة وجدت في ديوان مروان كانت قد صدرت الى خازن بيت المال لاعطاء عبد الرحمن بن سالم القاضي رزقه لشهري ربيع الأول والناس عام ١٣١ هـ ٧٤٨ م.[(١)]

كانت أرزاق القضاة ضئيلة اذا قورنت بمخصصات العمال ، ومقارنة لراتب القاضي في خلافة بني أمية ، فقد تولى ابو خُزيمة قضاء مصر وأجرى عليه المنصور عشرة دنانير كل شهر[(٢)] وتولى عبد الله قضاء مصر نظير ثلاثين دينارا في كل شهر وهو أول قاضي اجري عليه ذلك بمصر[(٣)].

واستقرت رواتب القضاة في عهد المنصور على المائتين في الشهر، فكان رزق سوار بن عبد الله قاضي البصرة مائتي درهم في الشهر[(٤)] وتولى خليفته في القضاء عبيد الله بن الحسن نفس المبلغ ، ولما تولى المهدي ضاعف راتبه.[(٥)] وكان رزق ابي ليلى قاضي الكوفة في المرة الاولى مائة درهم في الشهر[(٦)] وفي الثانية أجرى عليه مائتي درهم[(٧)].

وفي خلافة المهدي رفض المنذر بن عبد الله ، أن يتولى القضاء رغم اغرائه بمائة الف درهم من بيت المال[(٨)] وأرغم المهدي عثمان بن طلحة على تولى القضاء

---

(١) الكندي،الولاة وكتاب القضاة،ص ٣٥٤.

(٢) وكيع ، اخبار القضاة،ج٣/٢٣٣ ، ابن عبد الحكم ، فتوح مصر،ص ٢٤٣ .

(٣) الكندي ، الولاة،ص ٣٦٨ ، ابن عبد الحكم ، فتوح مصر،ص ٢٤٤ ، اخبار القضاة ، ج٣/٢٣٥ ، ابن خلكان ج٣/٣٩.

(٤) وكيع ، اخبار القضاة،ج٢/٨٦ .

(٥) نفس المصدر، ج٢/١٠٨ .

(٦) اخبار القضاة،ج٣/١٢٩ .

(٧) اخبار القضاة،ج٣/١٣٠ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٦/١٢٤ .

(٨) ابن الاثير،ج٥/٩٠ ، البداية والنهاية ، ج ١٠/١٦٦ .

بالمدينة فتولاه عشرة أشهر ثم ترك القضاء ورفض أخذ رزقه [(١)] فقد كره العديد من العلماء تولي القضاء ، وكره أكثر الفقهاء للقاضي أخذ الرزق من الدولة مع الحاجة والكفاية لأن تركه تعطيل لأمور المسلمين [(٢)] لذا تولى القضاء من هو كاره لـه ، فشريك القاضي حين ضايقه الجهبذ في أخذ راتبه ، قال له الجهبذ " انك لم تبع بزا ، قال له شريك بلى والله لقد بعث اكثر من البز لقد بعت ديني " [(٣)].

لم يرفع المهدى رواتب القضاه في مصر فتولى المفضل بن فضالة القضاء براتب ثلاثين دينارا في الشهر [(٤)] ورفع راتب قاضي واسط ، فقد تولى القضاء أبو شيبة في زمن المنصور برزق مائة وخمسين درهما في الشهر ، وثلاثين درهما لكتابه وأعوانه ، ثم ولاه المهدى ورفع راتبه الى ثلثمائة درهم وبعد فترة أخرى جعله أربعمائة وثمانين [(٥)].

وفي عهد الرشيد تولى القضاء أبو يوسف ولقب بقاضي القضاة ، ولم يعين قاضيا إلا باقتراحه ، وكان قد اقترح على الرشيد ان يحسن رواتب القضاة ، ولم يظهر أن الرشيد عمل باقتراحه فكان حفص بن غياث قاضي بغداد يتقاضى مائتي درهم ، وقد مرض خمسة عشر يوما فأعطى ابنه مائة درهم ليردها الى بيت المال [(٦)].

ويذكر ابن سعد بان الرشيد أجاز قاضي المدينة هشام بن عبد الله المخزومي بأربعة الاف دينار [(٧)] وفي فتنة الأمين والمأمون ارتفع راتب قاضي مصر على يد واليه

---

(١) الخطيب ، تاريخ بغداد ،ج١١/٣٧٧ .

(٢) ابن قدامة ، المغنى،ج٧/٣٧ ، ابن آدم ، أدب القضاء،ج١/١٤٨.

(٣) المسعودى ، مروج الذهب،ج٣/٣٢٠

(٤) الكندى ، الولاة،ص ٣٧٧.

(٥) وكيع ، اخبار القضاة،ج٣/٣١٠ .

(٦) تاريخ بغداد،ج٨/١٩٠.ابن خلكان.ج٢/١٩٨ ، ولي حفص قضاء بغداد ، ثم عزل وولي قضاء الكوفة ،توفي سنة ١٩٦هـ.

(٧) ابن سعد ، الطبقات الكبرى،ج٥/٤٢٣

المطلب بن عبد الله في ربيع الآخر عام ١٩٨ هـ ٨١٣م ، الى مائة وثمانية وستين دينارا في الشهر[١] ، وهذا اكبر راتب استلمه قاض.

وفي خلافة المأمون ارتفعت الرواتب بشكل عام ، وظهرت هذه الزيادة على رواتب القضاة فكان راتب قاضي أيلة ألف درهم في الشهر ، وولي آخر قضاء دمشق بنفس الراتب[٢] ومات الواقدي وهو على القضاء وكان المأمون قد وصله بستمائة ألف درهم[٣] ورغم كراهية بعض الفقهاء تولي القضاء إلا أن قاضي مكة أعتبر توليته مصدرا للرزق فقد رفض ترك وظيفته عند ماعزله المأمون وظل في القضاء[٤].

أما بمصر فقد ظل راتب القاضي مرتفعا وإن اختلفت الروايات ، فقيل إن طاهر ابن الحسين ولي عيسى بن المكندر القضاء براتب سبعة دنانير في كل يوم ، وعلى هذا جرت العادة[٥] وقيل:ان راتبه كان اربعة آلاف درهم في الشهر ، وأجاره بآلف دينار[٦].

وفي رواية أخرى بأن طاهر أجرى على عيسى بن المكندر ماكان يأخذه من سبقه وقدره مائة وثلاثة وستون دينارا في كل شهر ، وأجازه بألف دينار[٧]. وولي عبدالله ابن طاهر أبا عبيد القاسم بن عبد السلام قضاء مدينة طرسوس ورتب له في كل شهر خمسمائة درهم ، وأجراها على ذريته من بعده[٨].

ويتضح مما ذكره الصابي إن رواتب القضاة ظلت مرتفعة ، ففي خلافة المعتضد كان راتب القاضي اسحاق بن ابراهيم وخليفته مع أولادهما ، وعشرة من الفقهاء خمسمائة دينار في الشهر.

---

(١) الكندي ، الولاة،ص ٤٢١.
(١) البيهقي ، المحاسن والمساوى،ص ١٥١ .
(٣) الخطيب ، تاريخ بغداد،ج٣/٢٠ .
(٤) وكيع ، اخبار القضاة،ج٣/٢٧٢ .
(٥) الكندي ، الولاة ، ص ٤٣٥ .
(٦) وكيع،اخبار القضاة،ج٣/٢٤٠ ، ابن عبد الحكم ، فتوح مصر،ص٢٤٦ . الكندي ، الولاة،ص٤٣٥ ، فليب حتى ، تاريخ العرب،ج٢/٤٠٣ ، ومن المعروف بأن راتب قاضي مصر بالدنانير وليس بالدراهم.
(٧) الكندي ، الولاة ، ص ٤٣٥ ، عصر المأمون،ج١/٣١٠ ،جرجي، التمدن،ج١/٢٣٩ .
(٨) ابن كثير ، البداية والنهاية،ج١٠/٢٩١ ، وفي شذرات الذهب،ج٢/٥٥ ، أجرى عليه عشرة الاف درهم ، توفي القاضي عام ٢٢٤هـ .

عطاء وأرزاق الشعراء والندماء :-

لقد اعتمد الشعراء في كسب عيشهم على التقرب من الأمراء وحاشيتهم من الأعيان ومدحهم بالقصائد ابتغاء المنح والعطاء ، وقد اعتاد الشعراء الدخول على الأمير أو السلطان مرة في كل عام (١) .

لم يقرب الخليفة عمر بن الخطاب الشعراء ، ولكنه أجرى عليهم من العطاء مايكفيهم (٢) أما بنو أمية فقربوا الشعراء وفرض معاوية لهم الأعطية وكذلك فعل خلفاء بني أمية عدا عمر بن عبد العزيز الذي سار على نهج الراشدين في المنع (٣) .

لم تتغير نظرة العباسيين للشعراء والندماء ، فقربوهم فكانت لهم المكانة المرموقة وكان أبو العباس السفاح لاينصرف عنه أحد من ندمائه ولا مطربيه إلا وصله من المال أو الكسوة (٤) وحين أنشده‌شديف شعراً طاعناً في بني أمية أجازه بألف دينار (٥) .

أما المنصور فقد ضيق نطاق العطاء للشعراء ، وانتقد جوائز السفاح بعد موته (٦) ولم يثب أحداً من ندمائه وغيرهم درهماً إلا سجله عليه ليذكره بعد سنين (٧)

---

(١) الأربلي ، الذهب المسبوك ، ص ١٢٨ .
(٢) كردعلي ، الادارة الاسلامية ، ص ٥٣ .
(٣) الأغاني ، ج ٣٣٧٧/٩ .
(٤) شذرات الذهب ، ج ١٩٦/١ .
(٥) شذرات الذهب ، ج ١٨٧/١ .
(٦) عصر المأمون ، ج ٣٠٣/٢ .
(٧) الجاحظ ، التاج ، ص ٤١ ، عبد السلام رستم ، أبو جعفر ، ص ١٤٣ .

وحاول الحد من ظاهرة الاسترزاق بالشعر ، فجعل للشعراء عطاءً واحداً في العمر وأخر دخولهم عليه شهوراً حتى نفذت نفقاتهم ، ولم يجزهم بعطاء سخي وحين دخل عليه الشعراء وأنشده ابراهيم بن هرمة أمر له المنصور بعشرة آلاف درهم ، وقبل أن ينصرف قال له المنصور : احتفظ بها فليس لك عندنا غيرها ، وأجاز باقي الشعراء على ألفين درهم (١) .

وحدد قيمة للقصائد ، واسترجع ما أجازه المهدي للشاعر المؤمل وترك له أربعة آلاف درهم من جملة عشرين ألفاً (٢) ولم يقرب من أنشد في بني أمية وحين مدحه الأبرشي بن الوليد وكان من أصحاب هشام بن عبد الملك أجازه درهماً واحداً (٣) .

ولم يظهر سخاءه على الشعراء إلا في المصالح السياسية فحين أراد أن ينصب ابنه ولياً للعهد استعان بأبي نخيلة الراجز بعد أن منع من الدخول عليه ثلاثة أشهر ، فأجازه بمائة ألف درهم (٤) .

---

(١) الخطيب ، تاريخ بغداد ، ج ١٢٩/٦ ، القالي ، الأمالي ، ج ٤١/٣ ، العقد الفريد ج ٢٢٤/١ . ويذكر الذهبي بأن المنصور أجازه خمسة آلاف درهم ، تاريخ الاسلام ج ٣٥/٦ . وفي الأغاني بأن الحسن بن زيد اقترح على المنصور أن يجري عليه مايكفيه ويكفي عياله فوافق، الأغاني ، ج ٢١٩٠/٦ .

(٢) تاريخ بغداد ، ج ١٧٨/١٣ - الطبري، ج ٧٣/٨ ، الذهب المسبوك ، ص ٦٢ ، الأغاني، ج ٧٩٧٥/٢٦ .

(٣) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٣٢٠/٢ .

(٤) الصابي ، الهفوات النادرة ، ص ٨٦ - ٨٨ ، وقيل عشرة آلاف درهم ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق، ج ٢٢٣/٢ .

ثم تغير وضع الشعراء في زمن المهدي فرد على المؤهل جائزته ، وقال الجاحظ فيه : " كان المهدي كثير العطايا واوقرها قل من خضره إلا أغناه " (١) ولم يضع حداً لعطائهم فأمر لابن الخياط حين مدحه بخمسين ألف دينار (٢) وأمر لمروان بن سليمان بخمسين ألف درهم ولأولاده بثلاثين ألف درهم (٣) .

أما الهادي فكان شكس الأخلاق ، وكان يأمر للمغني بالمال الكثير ويقول : " لا يعطين بعدها شيئاً ، فيعطيه بعد أيام مثل تلك العطية " وأمر لابراهيم الموصلي بسبعمائة ألف (٤) وأجرى عليه راتباً عشرة آلاف درهم في الشهر ، عدا الهبات فكان أول من سن الرواتب للشعراء من بيت المال (٥) وأمر لسالم الخاسر بمائة ألف درهم (٦) .

وكانت خلافة الرشيد العصر الذهبي للشعراء والندماء فجعل المغنين على ثلاث مراتب ، وعلى قدر مراتبهم تخرج الجوائز والصلات ، وجرى العرف بينهم على أنه إذا أعطى الرشيد صلة للطبقة العليا كان لأصحاب الطبقتين منه نصيب ، وإن وصل الدنيا فليس للطبقة العليا نصيب (٧) .

---

(١) الجاحظ ، التاج ، ص ٤٢ ، ابن دقماق ، الجوهر الثمين ، ج ٢٢/١ .
(٢) الذهب المسبوك ، ص ٩٢ ، العصامي ، سمط النجوم ، ج ٢٦٨/٣ .
(٣) تاريخ بغداد ، ج ١٤٣/١٣ ، القالي ، الأمالي ، ج ٢٦٩/١ .
(٤) الجاحظ ، التاج ، ص ٤٢ - ٤٤ ، تاريخ بغداد ، ج ٢٥/١٣ .
(٥) ناجي معروف ، موجز تاريخ الحضارة ، ص ١٣٩ .
(٦) البيهقي ، المحاسن ، ص ١٩٢ - العمراني ، الأنباء ، ص ٧٤ .
(٧) الجاحظ ، التاج ، ص ٤٥ ، ٤٦ - السيوطي ، تحفة المجالس ، ص ١١٢ ، عصر المأمون ، ج ١٧٩/١ .

وأجرى الرشيد رواتب للشعراء ، فكان راتب أبى العتاهية خمسين ألف درهم فى السنة عدا الهبات [١] والرقاشى ألفى دينار [٢] وعشرة آلاف كل شهر للموصلى [٣] وقد بلغ ما وصله من الرشيد مائتى ألف دينار [٤] .

وأسرف الأمين فى عطاء الشعراء ، وأمر لابن أيوب الشاعر بمائتى ألف درهم [٥] وبلغ جملة ما منحه لعمه ابراهيم عشرين مليون درهم [٦] وبالغ فى شراء الخصيان وطلب أصحاب الملاهى وأجرى عليهم الأرزاق [٧] .

وظلت رواتب الشعراء عالية فى خلافة المأمون فكان يصل أبا العتاهية بعشرين ألف درهم فى السنة [٨] وتأخر رزق ابراهيم الموصلى فكتب الى المأمون بذلك فأمر باخراج ما فاته من الرزق وبجائزة قدرها ثلاثمائة ألف درهم [٩] وأبعد الشعراء الذين شاركوا فى ذمه فى مجلس الأمين إلا أنه لم يقطع أرزاقهم [١٠] .

ووصل المعتصم الشعراء حتى أقطع الموصل للشاعر حبيب بن اوس [١١] لذا كان الفضل بن مروان يحجب عطاء المعتصم للمغنين وغيرهم [١٢] .

---

(١) الأغانى،ج ١٢٧٧/٤ ، شيخو ، الأنوار الزاهية ، ص ٨ ، عبد الرحمن بن عبد الله ، المنهج المسلوك ، ص ٤٦ .
(٢) البداية والنهاية،ج ١٩١/١٠ - ابن شاكر ، فوات،ج ١٢٦/٢ - عصر المأمون ، ج ٣٦٠/٢ .
(٣) الخطيب ، تاريخ بغداد،ج ١٣٨/٩ ، الذهب المسبوك ، ص ١٤٥ .
(٤) الأغانى ، ج ١٨٣٦/٥ .
(٥) تاريخ بغداد،ج ٣٣٤/٣ و ج ٤١٢/٩ .
(٦) العقد الفريد ، ج ٤٢/٧ .
(٧) ابن الأثير ج ١٧٠/٥ ، الجاحظ ، التاج ، ص ٥١ ، العصامى ، سمط النجوم ج٣٠٦/٣ .
(٨) الأغانى ج ١٢٦٧/٤ .
(٩) البيهقى ، المحاسن والمساوىء ، ص ٤٤٣ .
(١٠) ابن الأثير ج ١٦٩/٥ .
(١١) ابن دحية ، النبراس ، ص ٦٤ .
(١٢) الطبرى ، ج ١٩/٩ .

وظلت رواتب الشعراء تتدفق فى زمن الواثق ، فبرغم ضعف اسحـــــاق الموصلى وانعزاله عن الواثق فقد كلف الأخير والى بغداد بايصال راتبه اليــــه ولم ينقصه شيئاً بالاضافة الى الهدايا فى الأعياد ، وصلات الأعيان التى بلغـــت خمسين ألف درهم (١) وبلغ جملة ماوصل الموصلى أربعة وعشرين مليون درهـــم سوى ا رزاقةالجارية وهى عشرة آلاف درهم شهرياً ، عدا غلات ضياعه (٢) .

ويتضح مما ذكره ابن الزبير من نفقات قصر المتوكل بأن رواتب الشعـراء والمغنين كانت كبيرة ، فكان رزق الندماء والمضحكين مليون درهـــم فـــى السنة (٣) .

---

(١) العمرانى ، الأنباء فى تاريخ الخلفاء ، ص ١١٢ - ١١٣ .
(٢) الأغانى ، جـ ١٨٠٧/٥ .
(٣) ابن الزبير ، الذخائر ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ .

رواتب الفقهاء :

لقد حث الاسلام على العلم ، واحترام العلماء ، واعتنى عمر بن عبد العزيز بتفقيه الناس فأرسل يزيد بن أبي مالك الدمشقي والحارث الأشعري ليفقهان البدو وأجرى عليهما رزقاً ، وأحسن الى الفقهاء بالجوائز ، وكتب الى عامله بحمص بأن ينظر الى الذين نصبوا أنفسهم في المساجد للفقه ، ويعطى كل رجل منهم مائة دينار من بيت المال [(١)] .

اتبع الرشيد ما سنه عمر بن عبد العزيز فأمر لكل واحد من قراء الكوفة بألفي درهم [(٢)] ووصل الامام مالك بالمدينة بخمسمائة دينار [(٣)] .

أما المأمون فقد أجرى للفقهاء رواتب ، وحين أظهر القول بخلق القرآن قطع راتب الفقهاء الذين رفضوا مقولة المعتزلة ، ومن بين من قطع راتبه عفان بن مسلم الأنصاري وكان راتبه خمسمائة درهم في الشهر [(٤)] ، وأجرى المتوكل راتباً للامام أحمد بن حنبل وولده في كل شهر أربعة آلاف درهم ، إلا أن الإمام رفض ذلك [(٥)] .

---

(١) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٢٨٨/٥ - ناجي معروف ، موجز تاريخ الحضارة ، ص ١٤٤ .

(٢) ابن أياس ، بدائع الزهور ، جـ ١٣٨/١ .

(٣) ابن خلكان ، جـ ٢٦١/٢ .

(٤) شذرات ، الذهب ، جـ ٤٧/٢ .

(٥) الدميري ، حياة الحيوان ، جـ ١١٢/١ .

يرجع قلة الاشارات الى رواتب الفقهاء الى رفض الفقهاء أخذ المال من خلفاء بني أميه وبني العباس .

PATTON, AHMED IBN HANBAL AND THE MIHNA P. 148.

رواتب المعلمين :-

لقد كان التعليم مصدر رزق للعديد من الأدباء سواء من الدولة أو من المدارس الخاصة فقد كان راتب المعلم ، يعتمد على الطبقة التى يدرسها ففى عهد المنصور كان رزق معلم عامة الناس يتراوح بين دينار الى ثلاثة دنانير (١) أما مؤدب أبناء الخلفاء فقد حظى بالتكريم والعطاء الجزيل ، فكان الكسائى يؤدب الرشيد ثم تولى تعليم الأمين ، فأمر له الرشيد فى مرة بجاريه وعشرة آلاف درهم ، وخادم ، وراحلة بسرجها ولجامها (٢) ، وتولى الأصمعى تأديب الأمين فكان راتبه عشرة آلاف درهم فى الشهر (٣) وظل راتب مؤدب أبناء الخلفاء مربوطاً على عشرة آلاف درهم فى الشهر حتى خلافة المتوكل (٤) .

أما معلم أبناء الأعيان فلم يصل راتبه راتب أبناء الخلفاء ، فقد احتاج ابن طاهر إلى رجل يعلم ولده فجاء بيعقوب بن السكيت فأجرى عليه رزقاً قدره خمسمائة درهم ثم رفعه إلى ألف درهم فى الشهر (٥) .

وتدنت رواتب المعلمين فى بلاط العباسيين فيما بعد فقد كان عبد الله ابن محمد المعروف بابن أبى الدنيا المتوفى عام ٢٨١ هـ يؤدب غير واحد من أولاد الخلفاء وكان يؤدب عدداً من أبناء الخلفاء وكان أجره خمسة عشر ديناراً فى الشهر (٦) .

---

(١) الأربلى ، الذهب المسبوك ، ص ٨١ .
(٢) تاريخ بغداد ، ج ٤١٢/١١ ، ابن خلكان ، ج ٢٩٥/٣ .
(٣) التنوخى ، الفرج بعد الشدة ، ص ٢٢٢ .
(٤) تاريخ بغداد ، ج ٤٦٩/٨ ، عصر المأمون ، ج ٤٢٨/١ .
(٥) تاريخ بغداد ، ج ٢٧٣/١٤ .
(٦) تاريخ بغداد ، ج ٩٠/١٠ .

رواتب الجند :-

لم يفرض الرسول صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر الصديق رواتب محددة للجند ، فكان نصيبه يأخذ من أربعة أخماس الغنيمة على أن يقسم بينهم بالسوية فيأخذ الأعزب سهماً والمتزوج سهمين ، ونظم عمر بن الخطاب الجند وسجل أسماءهم فى الديوان ، وخصص لهم رواتب مابين ثلثمائة الى خمسمائة درهم (١) ونال القادة مابين سبعة آلاف الى عشرة آلاف درهم فى السنة (٢) وخصص غلات الكوفة للجند حيث كان ينزلها عشرة آلاف مقاتل (٣) .

أما خلافة بنى أمية فان رواتب الجند كانت قليلة وأقر بعض الأمويين أن سبب زوال ملكهم اختلاف الجند عليهم لقلة عطائهم (٤) وقد وصل أعلى راتب للجندى ثلاثمائة درهم فى السنة (٥) وكان راتب كبير حرس ، عمر بن عبد العزيز عشرين ديناراً فى الشهر (٦) فكان هناك تفاوت كبير بين الجند والقادة .

فلما آلت الخلافة الى بنى العباس خطب أبو سلمة الخلال فى الكوفة ، معلناً زيادة رواتب الجند إلى ثمانين درهماً فى الشهر ، ورواتب الخواص وكبراء القواد والنقباء وغيرهم مابين ألف إلى الألفين درهم ، وخص من دونهم مابين مائة إلى ألف وكان هذا أول ماقبض من ديوان بنى العباس (٧) .

---

(١) الريس ، الخراج ،ص ١٩٤ . كرد على ، الاداره الاسلامية ، ص ٢٥ .
(٢) الحسينى ، الادارة العربية ، ص ١١٩ .
(٣) اليعقوبى ، البلدان ، ص ٣١١ .
(٤) الماوردى ، التحفة الملوكية ، ص ٨٧ .
(٥) مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص ٣٧٦ .
(٦) الذهبى ، تاريخ الاسلام ، ج ٥/٢٩٠ .
(٧) مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص ٣٧٧ .

وبعد مقتل مروان بن محمد منح السفاح كل من شهد الزاب خمسمائة دينار [(١)] ولاشك أن هذه الطفرة في رواتب الجند كانت ضرورية لتدعيم أركان الخلافة لأنهم يخوضون معارك قتالية .

ولما استتب الأمر وتولى المنصور عزم على خفض رواتب الجند ، وصرع أمام قادته بأنه سوف يتبع سياسة أجع كلبك يتبعك ، إلا أن الطوس أجابه : " أخشى أن يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك " [(٢)] لم يعبأ المنصور بهذا الرد فأدخل تعديلاً على رواتب الجند ويوضح ابن المقفع بأن رزق الجند كان لايكفي مايحتاجون اليه لغلاء السعر ، واقترح أن يجعل بعض أرزاقهم طعاماً .. [(٣)]

فكان راتب الجند في حرس المنصور عشرين درهماً في الشهر [(٤)] ولم يطبق هذه السياسة مع المرابطين في الثغور لاحتياج هذه المناطق للمقاتلة بل وضع لهم الحوافز ، فكان رزق الجندي المرابط في ثغر ملطية ومرغش يزيد على - عشرة دنانير في العطاء ، ومعونة مائة دينار سوى المكافآت والاقطاع [(٥)] .

إلا أن المنصور لم يعمم هذه الحوافز في جميع الثغور فشغب جند ثغر أرمينيه ونهبوا مافي بيت المال [(٦)] .

---

(١) ابن الأثير ، ج ٣٢٨/٤ ، الأزدي ، تاريخ الموصل ، ص ١٣٤ ، وقيل أن الزيادة في رواتب الجند وقعت بعد موقعة الزاب ، وكانت رواتبهم أثناء الثورة من ثلاثة الى سبعة دراهم ، حسيني ، الادارة العربية ، ص ٤٠٩ .

(٢) الطرطوسي ، سراج الملوك ، ص ١٢٣ .

(٣) الخربوطلي ، رسالة الصحابة ، كرد علي ، الادارة الاسلامية ، ص ١٣٠ .

(٤) الذهب المسبوك ، ص ٨٢ . ابن خلكان ، ج ٢٤٦/٥ .

(٥) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٩٦ ، قدامة ، الخراج ، ص ٣١٩ .

(٦) ابن الأثير ، ج ٤٨/٥ ، الآبي ، نثر الدر ، ج ٨٤/٣ ، ويذكر أن هذه الواقعة حدثت في عهد المهدي .

وكان من حق الوالي تحديد رواتب العسكريين في ولايته فكان صاحب الشرطة بمصر عام ١٤١ هـ يتقاضى مائتين وحين غضب عليه جعل راتبه مائه وعشرين (١) أما أبو مسلم فكان تحت أمرته عشرة آلاف جندي أثناء ولايته خراسان ، وخصص لهم رواتب عالية يتسلمونها في غرة كل شهر ، ومكافآت كبيرة ، وقيل إنه أنفق عليهم ماجمعه من حران فأثار مخاوف المنصور (٢) وسعى الى قتله واشترى سكوت قائده بمائة ألف (٣) وزاد المنصور ماينفقه على الجيش وأظهر السخاء لهم عند وقوع الاضطرابات فحين خلع عامل خراسان عام ١٤١ هـ ندب اليه المهدي وسيطر عليه من غير مشقة ، فعز عليه أن تبطل تلك النفقات التي أنفقت على المهدي فكتب اليه أن يغزو طبرستان (٤) .

وأغدق المهدي على الفرسان في حالة الاضطراب فحين خرج عبد السلام اليشكري عام ١٦٢ هـ ٧٧٨ م ندب اليه ألف فارس وأعطى كلاً منهم ألف درهم معونة لاخماد ثورة اليشكري (٥) وكون لنفسه حرساً خاصاً من الأنصار وأجرى عليهم أرزاقاً سوى أعطياتهم وأقطعهم قطيعة عرفت بهم (٦) .

أصبحت أرزاق الجند أولى المشاكل التي اعترضت الدولة بعد وفاة المهدي عام ١٦٩ هـ ٧٨٥ م بما سبذان حاول الرشيد أن يستر خبر وفاة

---

(١) الكندي ، الولاة وكتاب القضاة ، ص ١٠٩ .
(٢) ابن قتيبه ، الامامه والسياسة ، جـ ١٣٢/٢ ، العصامي ، سمط النجوم ، جـ ٢٢٠/٣ .
(٣) ابن الأثير ، جـ ٣٥٥/٤ .
(٤) النويري ، نهاية الارب ، جـ ٨٤/٢٢ .
(٥) الطبري ، جـ ١٤٢/٨ ، نهاية الارب ، جـ ١١٤/٢٢ ، الخربوطلي ، المهدي ، ص ١٣٢ .
(٦) الطبري ، جـ ١٣٣/٨ - الخربوطلي ، المهدي ، ص ٦٣ .

الخليفة ، وفرق على الجند مائتين دون أن يعلموا بوفاة المهدى ، فلما وصلوا بغداد وعلموا بالخبر طالبوا بأرزاقهم وقاموا بأعمال التخريب ، ولم يهدأوا إلا بعد أن صرف لهم أرزاق سنتين وقيل ثمانية أشهر (١) .

وحظى القادة فى خلافة الهادى بالمكانة العالية فى العطاء ، وزينوا له خلع الرشيد نفاقاً ورغبة فى العطاء (٢) وبعد القضاء على ثورة الحسين بن على أحضر القادة رأسه أمام الهادى فحرمهم جوائزهم لأنه أدرك نفاقهم ورغبتهم فى زيادة عطائهم (٣) .

وتباينت أرزاق الجند والقادة فى عهد الرشيد ، فقد أقطع قادته بدلاً عن أرزاقهم فأقطع صاحب حرسه فكانت غلته ثلثمائة ألف درهم ، وغلة حاجبه ألف درهم (٤) .

ويذكر التنوخى أن غلة صاحب حرس الرشيد بلغت مليون درهم ، وغلة صاحب شرطته خمسمائة ألف درهم (٥) فى حين بلغ راتب صاحب شرطة للمدينة ثلاثين ديناراً فى الشهر (٦) وحارس قبر الحسين بن على ثلاثين درهماً فى الشهر (٧) .

---

(١) الطبرى ، جـ ١٨٧/٨ - ١٨٨ - العيون والحدائق ، ص ٢٨٣ - ابن الأثير ، جـ ٧٤/٥ .

(٢) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٧٤ .

(٣) نهاية الارب ، جـ ٧٠/٢٥ .

(٤) طبقات الأطباء ، ص ١٩٤ .

(٥) التنوخى ، الفرج بعد الشدة ، ص ٣٢٦ .

(٦) الشالجى ، الرواتب فى الاسلام ، ص ٢٦٦ .

(٧) الطبرى ، جـ ٣٥٥/٨ .

أما الجند فجعل خراج نهر القاطول لأرزاق الجند ، ومنح المرابطين في الثغور علاوة على أرزاقهم وأقطعهم أرضاً قاموا بتعميرها وزراعتها (١) أما الجند غير المرابطين فكانوا مصدراً للازعاج اذا تأخر عطاءهم فثار الجند عام ١٧٣ هـ ٧٨٩ م بمصر على صاحب الخراج ودافعوه حتى دفع اليهم أعطياتهم (٢) وظلت أرزاقهم عشرين درهماً للمشاة وأربعين للفارس حتى بداية خلافة الأمين الذي فرق في جند بغداد رزق أربعة وعشرين شهراً (٣) وباشتغال الفتنة بين الأخوين ارتفعت أرزاق الجند فقد عقد الأمين لعلى بن عيسى على كور الجبل وحرب المأمون ، وأمر له بمائتى ألف دينار ولابنه خمسين ألف دينار ، وأمر للجند بمال عظيم ، إلا أن رواتبهم لم تكن متساوية (٤) وبعد هزيمة ابن ماهان اتفق قواد الأمين على المطالبة بأرزاقهم وجوائزهم ، وحرضوا الجند على ذلك ، فأمر الأمين لهم براتب أربعة أشهر ورفع من كانت أرزاقه دون الثمانين من الجند الى الثمانين ، وأمر للقواد والخواص بالصلات والجوائز (٥) وطالب الجند الأمين أن يرد عليهم خمس الغنائم فاستجاب لهم فأصاب الرجل منهم ستة دنانير (٦) .

أما المأمون فمن بداية الخلاف أعطى الجند رزق سنة (٧) ولما شغبوا عليه مطالبين بأرزاقهم قبيل مجيء خبر هزيمة ابن ماهان استعان المأمون بما غنمه عسكره وسدبه مطالبهم (٨) وقدرت تكاليف نفقات جند المأمون

---

(١) الدورى ، النظم الاسلامية ، ص ١٦٠ ، حسن ابراهيم ، النظم الاسلامية ، ص ١٨٦ .

(٢) الكندى ، الولاة وكتاب القضاة ، ص ١٣٣ .

(٣) الطبرى ، جـ ٣٦٥/٨ ، ابن الأثير ، جـ ١٣٤/٥ .

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٢٢٦/١٠ ، العيون والحدائق ، ص ٢٦٩ - ابن شاكر ، فوات ، جـ ٢٦٩/٢ .

(٥) الطبرى ، جـ ٤١٢/٨ .

(٦) نفس المصدر ، جـ ٥٢٤/٨ .

(٧) الطبرى ، جـ ٣٧٠/٨ .

(٨) التنوخى ، الفرج ، ص ٢٠٦ .

بأربعين مليون درهم ، وكان راتب متولى نفقات الجند عشرة آلاف درهم في الشهر ، وراتب كاتبه ثلاثة آلاف درهم ، ودفع له ثمن القراطيس ألف درهم ، وخمسمائة درهم بدلاً لتنقلاته (١) وكانت أرزاق جند المأمون تبلغ ثمانين درهماً ، وكسب الحسن بن سهل تأييد ابن أبي خالد قائد البغداديين وأعطاه الأمان ، وضم جنده على الثمانين ، وضاعف أرزاق قواده وأبناء القواد والخواص ووعدهم برزق ستة أشهر (٢) .

وبمقتل الأمين انخفضت رواتب جند أهل بغداد فدفع للمقاتلين الراجل عشرين درهماً ، وللفارس أربعين (٣) وبتنصيب ابراهيم بن المهدى الخلافة بلغ رزق الجندى ثلاثين درهماً في حده الأقصى (٤) ورغم انخفاض أرزاق الجند لم يستطع الخليفة المؤقت دفعها ، فوعدهم برزق ستة أشهر وأعطى بعضهم مائتي درهم وكتب لآخرين صكوكاً يقبضون بمقتضاها غلة من الكوفة (٥) .

ونظراً للغلاء الذى أصاب بغداد ، وانخفاض رواتب الجند ، اتفق قادة ابراهيم بن المهدى على خلعه وتسليم بغداد لقادة المأمون نظير خمسين درهماً للجندى فوافق حميد بن عبد الحميد على ذلك فى أواخر عام ٢٠٣هـ ٨١٨م (٦) .

---

(١) التنوخى ، الفرج ، ص ٢٠٤ .

(٢) الطبرى ، ج ٤٤٣/٨ ، ٥٥٣ ، عصر المأمون ، ج ٣٠٩/١ .

(٣) الطبرى ، ج ٥٥٠/٨ ، تجارب الأمم ، ج ٤٣٣/٦ ، وأنظر ، دريد ، الأجور والرواتب ، ص ٢٣٦ .

(٤) فهمى سعد ، العامة فى بغداد ، ص ٢٠٠ .

(٥) الطبرى ، ج ٥٥٧/٨ ، البداية والنهاية ، ج ٢٩٠/١٠ ، تاريخ بغداد ، ج ١٤٤/٦ .

(٦) الطبرى ، ج ٥٧١/٨ ، ابن الأثير ، ج ١٩٤/٥ .

وبعد إخماد نيران الفتنة وعودة المأمون إلى بغداد انخفضت أرزاق الجند ، فجعل للراجل عشرين درهماً في الشهر ، وللفارس أربعين درهماً بالاضافة الى مخصصاتهم (١) وظلت أرزاق المرابطين أعلى حيث بلغ رزق الفارس مائة درهم والراجل أربعين درهماً (٢) وتوفى المأمون بطرسوس ودفن فيها وكلف مائة رجل يحرسون مدفنه وأجرى المعتصم تسعين درهماً على كل منهم في الشهر (٣) .

واعتنى المعتصم بالقوة العسكرية في خلافته وأسرف في شراء الأتراك ، فكان يشترى الواحد منهم بمائة ألف ومائتى ألف (٤) ورفع مخصصاتهم في المهمات فحين ندب الأفشين للقاء بابك جعل صلته في كل يوم يخرج فيه للقتال عشرة آلاف درهم ، واليوم الذى لايخرج فيه نصف المبلغ سوى الأرزاق والانزال والمعونات ومايصل اليه ازاء عمله كوالٍ على الجبل وكان المعتصم قد أجازه عند خروجه بمليون درهم (٥) .

نظر خلفاء بنى العباس للجند كسلعة تزاد أرزاقهم عند زيادة الطلب عليهم في إخماد ثورة وتنخفض في وقت السلم ، فبدأوا بثمانين درهماً لقتال جند بنى أمية وحين استقر الوضع للمأمون جعلها عشرين للراجل وضاعفها للفارس ، أما القادة وذوى الرتب فظلت مخصصاتهم مرتفعة ، وكذلك كان الوضع في الثغور حيث المخاطر فخصموا لهم الأرزاق والعطاء وأقطعوهم الأراضى وتساهلوا معهم في الضريبة المقررة على أراضيهم ومساكنهم .

---

(١) فليب حتى ، تاريخ العرب ، ج ٤٠٤/٢ ـ الكبيسي ، أسواق بغداد ، ص ١٣٦ .

(٢) الطبرى ، ج ٦٣١/٨ ، تجارب الأمم ، ج ٤٦٤/٦ ، الازدى ، تاريخ الموصل ، ص ٤١٢ .

(٣) ابن الأثير ، ج ٢٢٧/٥ ، الطبرى ، ج ٦٥٠/٨ ، شذرات ، الذهب ج٢/٤٣ .

(٤) البدء والتاريخ ، ج ١١٢/٦ .

(٥) ابن الأثير ، ج ٢٤٦/٥ ـ البدء والتاريخ ، ج ١١٧/٦ .
نعمان ثابت ، الجندية في الدولة العباسية ، ص ١٠٤ .

ثالثاً : أجور أصحاب المهن . ومستوى المعيشة :

لقد اختلفت أجور الصناع وأصحاب المهن ، فكان الأستاذ من الصناع العاملين فى بناء بغداد يتقاضى أجراً يومياً من قيراط إلى خمس حبات ، وأجر المساعد حبتين الى ثلاث حبات ، وعمل رئيس البنائين يوماً وبعض اليوم فى بناء طاق وطلب آجره خمسة دراهم ، إلا أن المنصور ساومه وأعطاه أربعة دراهم (١) وكان عامل البناء بالطين فى عهد الرشيد لايقل أجره عن درهم ودانق (٢) .

أما الحجام فكان أجره أربعة دوانق ، وقال دينار الحجام: " حجمت أبا جعفر المنصور فى خلافته فأعطانى أربعة دوانق فضة " (٣) وكان أجر الخادم فى قصر المنصور عشرين درهماً فى الشهر (٤) .

وكان المشرف على مطبخ هرثمة بن أعين يتقاضى خمسة عشر درهماً شهرياً ، ثم زاده الى العشرين ، وحين وفر عليه فى دعوة ألف درهم ، زاده

---

(١) تاريخ بغداد ، ج ٧٠/١ ، البيهقى ، المحاسن ، ص ٢٥٣ .
الدانق = ثمانى حبات ، ابراهيم سليمان ، الأوزان ، ص ٢٢ ، والقيراط = ٣ حبات و = $\frac{١}{١٤}$ من الدرهم ، فالتر ، المكاييل والأوزان ، ص ٤٤ ، وقيل الدانق عموماً وحدة وزن ونقد = $\frac{١}{٦}$ ، فالتر ، المكاييل ، ص ٢٩ ، على باشا ، الميزان فى الاقيسه ، ج ٤٧/١ .

(٢) البداية والنهاية ، ج ١٨٤/١٠ - نهاية الارب ، ج ١٦٠/٢٢ ، الذهب المسبوك ، ص ١٣٧ .

(٣) التوحيدى ، البصائر والذخائر ، ص ٢٥٣ .

(٤) فهمى سعد ، العامة فى بغداد ، ص ١٩٦ .

أربعة دراهم وسمح له بتناول الطعام مما يطبخ [(١)] .

وكان بلاط المتوكل يعج بالفراشين كانت أرزاقهم ثمانمائة ألف دينار في السنة [(٢)] وكان نصيب الحلاق قبيل حفلة ابنه ثمانين ألف دينار سوى الهدايا [(٣)] .

وكان أجر صانع السفن دينارين في الشهر ، وأجر طالي السفن بالقار ديناراً ونصف دينار شهرياً ، وأجر النجار ثلثي دينار ، أما النشار فأجره أحد عشر ديناراً سنوياً ، والنجار ثلاثة وعشرين ديناراً سنوياً [(٤)] .

ودخل مزارع الرز في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري حوالي مائة دينار شهرياً [(٥)] وكان أحد العبيد يعمل في الخياطة يدفع لسيدة درهمين يومياً كضريبة ويتقاضى درهمين أجر خياطة القميص ، ودرهماً أجر خياطة السراويل ، واكتفى عبد بدرهمين أجرة خياطة رداء بعد أن تناول الطعام وبعض الشراب عند صاحب الرداء ، مما يجعلنا نقدر أجره اليومي بثلاثة دراهم ، وكان من يعمل في الوشي في عهد المهدي يتقاضى مائة درهم في الشهر [(٦)] .

---

(١) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج ٤٥/٨ ، وأنظر أيضاً : ماورد في هذا الصدد بالمقال الذي نشره E.Ashtor بمجلة "الدراسات الشرقية" Rivista degli Studi Orientali الصادرة في روما بالعدد ٣٦ لسنة ١٩٦١ بالصفحات ١٩ - ٦٩ تحت عنوان :

Essoi sur les Prix et les sulaires dans l'empire Califien, P. 48.

(٢) ابن الزبير ، الذخائر ، ص ٢٢٠ .

(٣) الشابستي ، الديارات ، ص ١٥٦ .

(٤) ترتون ، أهل الذمة ، ص ٢٣٣ .

(٥) الكبيسي ، أسواق بغداد ، ص 114 .

(٦) الخطيب ، تاريخ بغداد ، ج ٢٨٨/٩ - فهمي سعد ، العامة في بغداد ، ص ١٩٥ .

رطلاً بدرهم ، وثلاث دجاجات بدرهم ، والفراخ ستة بدرهم ، وأجـــبود جـــدى بدرهمين [(١)] وتفاوتت الأسعار فكان سعر المواد الغذائية للعامة أقل منهـــا لبلاط الخليفة وكان وكيل المتوكل يشترى الجدى بدرهم ، وعشر فرخات بدرهـــم ، فى حين يباع الجدى للعامة بأربعة دوانيق ونحوها [(٢)] ويؤكد المسعودى أن هـــذه الأسعار رخيصة وفى متناول الجميع [(٣)] .

ويقابل هذا الاعتدال فى الأسعار غلاء شديد على فترات متباعدة نتيجـــة ظروف طبيعية وسياسية ، واحتكار التجار بعض المواد الغذائية التى كثيــــراً ماكانت تؤدى الى ارتفاع الأسعار ، ففى زمن الرشيد ارتفعت الأسعار "وحصــــل للناس غلاء سعر وضيق حال حتى اشتد الكرب على الناس اشتداداً عظيماً " [(٤)] .

وعم الغلاء خلال الفتنة بين الأمين والمأمون ومحاصرة بغداد ، وبلغـــت أشدها عام ٢٠٢ هـ ٧١٧ م وبيعة الرضا بولاية العهد ولبس الحظيرة فاشتـــــد ذلك على بنى هاشم وعلى أهل بغداد فارتفعت الأسعار [(٥)] نتيجة لاضطرابـــات وشغب الشطار ، وكذلك ارتفعت الأسعار عام ٢٠٧ هـ ٨٢٢ م ببغداد والكوفـــة والبصرة فأصبح قفيز الحنطة بالهارونى أربعين درهماً الى الخمسين بالقفيـــز الملجم [(٦)] وبلغ شح الطعام الى درجة أن التجار كانوا لايجترئون على اظهاره خوفاً من نهبه ، انما كان التاجر يخبئه فى كمه ويبيعه سراً ، وربما كـــاله

---

(١) التنوخى ، نسوار المحاضرة ، جـ ١٠/٢ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ٢٢/٢ .
(٣) المسعودى ، مروج الذهب ، جـ ١٢٢/٤ .
(٤) المستطرف ، جـ ٩١/١ ، بيروت ، ويمكن أن نرجع هذا الغلاء الـــى فيضانات بغداد عام ١٨٠ هـ .
(٥) الأزدى ، تاريخ الموصل ، ص ٣٤٢ .
(٦) الطبرى ، جـ ٥٩٦/٨ ، ابن الأثير ، جـ ٢٠٥/٥ ، طيفور ، بغداد ، ص ٧٥ .

ليلاً ، واشتد الغلاء بالموصل حتى بلغ الكرمن الحنطة ثلاثة آلاف وثلثمائة وثلاث وثلاثين وثلثي درهم ، وبيعت ثلاثة أكرار بعشرة آلاف درهم (١) .

واجه المأمون هذا الغلاء ووضع حداً لتعدى التجار في المكاييل فأمر بقفيز يسع ثمانية مكاييل سرد مرسل ، وصبر فى وسطه عموداً وسمى الملجم ، وأمـــر التجار أن يعبروا مكاكيكهم عليها (٢) .

أما معدل نفقات العائلة فى العصر العباسي الأول فهناك اشارات متفرقـة لمدى احتياج الأسرة ، ففى عهد الرشيد كانت الأسرة الفقيرة تحتاج الى ثلثمائـة درهم سنوياً ، واحتاجت عائلة متوسطة الحال الى ستمائة درهم فى كل سنة (٣) وفى عهد المأمون كانت العائلة فى حاجة الى خمسة عشر ديناراً للطعـــــام والحاجات الضرورية فقط (٤) ويرجح الباحث أن يكون هذا الرقم أثناء الأزمـــة وغلاء الأسعار ، لأن هذا أضعاف رزق الجندى أو الفارس ، وأن خلفاء بنـــى العباس راعوا بين دخل الموظفين وبين سعر الطعام .

ومما سبق نجد أن موظفى الدولة كانوا أحسن حالاً من طبقات الصنـــاع وكان أقل راتب قد خصص للجندى فكان هذا يكفى لسد جميع متطلباته بيســر ، وخصصت الدولة عشرة دراهم شهرياً للمعوقين وهذا الحد الأدنى لمتطلبـــات الحياة الضرورية .

---

(١) الأزدى ، تاريخ الموصل ، ص ٣٦٢ ، ٣٦٣ .
الكر = ستون قفيزاً أو أربعون أردباً هنتس ، المكاييل ، ص ٦٦ .

(٢) طيفور ، بغداد ، ص ١٩ .

(٣) التنوخى ، نشوار المحاضرة ، ج ٢٨٥/٥ ، وكيع ، أخبار القضـــاة ، ج ٢٤٦/٣ .

(٤) فهمى سعد ، العامة في بغداد ، ص ١٩٧ .

الفصل الرابع

نفقات الانشاء والتعمير

اولاً بناء العواصم

بغداد وسر من رأى

ثانياً نفقات الخدمات العامة

ونقصد بذلك ما كان ينفق على بناء المدن والعواصم أو المساجد وحفر الآبار خدمة للحجيج وما أشبه ذلك مما يخدم المجتمع فى العصر العباسى الأول :-

أولا : بناء العواصم :

نظراً لتحزب الأمصار فقدواجه أبو العباس السفاح مشكلة تحديد مقر الحكم وبما أن أكثر أنصار العباسيين كانوا فى العراق وفارس ، فقد نزل أبو العباس السفاح فى بادىء الأمر الكوفة ، وحاول اصطناع أهلها برفع عطائهم مائة درهم ، الا أنه لم يطمئن اليهم لميولهم العلوية فانتقل الى الحيرة ونزل الأنبار عام ١٣٤هـ - ٧٥١م - واتخذ بها مقراً أطلق عليه الهاشمية .

ونظراً للنفقات الباهظة على الجيش فانه لم يستطع سداد قيمة الأراضى التى اشتراها وأقطعها على أهل بيته وقواده وحين طالب أصحاب الأراضى بأموالهم اضطر للاقامة خارج المدينة حتى استوفى ما عليه من الأموال فعاد ليسكن قصره بالهاشمية (١)

وحين أفضى الأمر الى المنصور شرع بعد مدة فى تشييد مقر آخر له أطلق عليه الهاشمية أيضا ، وكانت تقع فى رواية على الجانب الغربى للفرات ، وفى رواية أخرى كانت قبالة مدينة ابن هبيرة بجوار الكوفة (٢)

---

(١) تاريخ اليعقوبى،حـ٢/ ٣٥٨ .
تقع هاشمية السفاح بجوار الانبار على الضفة الشرقية للفرات عند تفرع نهر عيسى عن الفرات ، لسترانج ، بغداد ،ص ١٣ .

(٢) البلاذرى،فتوح البلدان،ص ٢٩٥ ، اليعقوبى،البلدان،ص ٢٣٧ ، لسترانج ، بغداد،ص ١٣ ، رمزيه،بناء بغداد،ص ٣٠ .

لم يعثر الباحث فيما اطلع على تكاليف بناء الهاشميتين، إلا أن المنصور عزم على الابتعاد عن أهل الكوفة وبناء عاصمة لها مواصفات خاصة أمينة واقتصادية خاصة بعد أن ثار عليه جماعة من الراوندية فكان لا يأمن على نفسه بعد أن أفسد أهل الكوفه جنده عليه (١)

أ - بناء بغداد :

لم يكن اختيار المكان مهمة سهلة على المنصور فقد راعى فى اختياره عدة شروط بحيث يتلافى عيوب المدن السابقة من حيث الموقع الاستراتيجي، والدفاعي والاقتصادى ، وقد اختلفت الآراء فى سبب اختيار المنصور لمكان بغداد ، فقيل أن المنصور كان يخرج بنفسه ويعاين المناطق لاختيار المنطقة المناسبة ، فوصل الى الموصل ولم يعثر على موضع مناسب (٢) ولعل السبب الرئيسى فى عدم التوصل لاختيار المكان اهتمامه بجودة تربة هذه المناطق وتركيزه على مبدأ الاكتفاء الذاتى لعاصمته ويذكر الخطيب أن المنصور كان يعاين تربة كل منطقة ليتعرف على جودتها للزراعة حتى لا ترتفع فيها الأسعار (٣)

ووجه المهدى لغزو الصقالبة عام ١٤٠ ، وخرج لتوديعه حتى وصل موقع بغداد فأدرك أهمية موقعها العسكرى والاقتصادى لاتصالها بمدن كبيرة عن طريق دجلة والفرات ، وسهولة رسوالسفن على ضفاف الجزيرة (٤)

(١) ابن الاثير، حـ٥/١٤ ، ياقوت، معجم البلدان، حـ١/٤٥٧ ، سمط النجوم، حـ٣/٣٥٦ .
(٢) ابن طباطبا ، الفخرى، ص ١٤٤ ، لسترانج ، بغداد، ص ١٦ .
(٣) الخطيب، تاريخ بغداد، حـ١/ ٦٦ ، وانظر الهمذانى، بغداد ص ٣٠ .
(٤) اليعقوبى ، البلدان ، ص ٢٣٧ ، الحسينى ، عمران بغداد، ص ٢٥ .

ومع اقتناعه بهذا الموقع الاستراتيجي الا أنه استفسر عن مناخها في شتائها وصيفها وعن كمية أمطارها وآفاتها وهوائها ، وأمر رجالا بالاقامة في المنطقة لكتابة تقرير شامل عن أحوال الطقس في السنة ، ثم استشار أهل الرأي من سكان المنطقة فوضحوا له مميزات منطقة بغداد ، وأشاروا عليه أن ينزل أربع طساسيج في الجانب الشرقي بوق وكلواذي ، وفي الغرب قطربل وبادوريا فيكون بين نخل وقرب ماء ، فان أجذب طسوج أو تأخرت عمارته كان الآخر فرج . وبينوا له مدى أهمية الموقع للتبادل التجاري ، واتصال الفرات بقوافل مصر والشام واتصال دجلة بالصين والروم والموصل ، وصعوبة وصول عدوه إليه (١)

وترجع رواية أخرى سبب بناء بغداد إلى أن راهبا صادف المنصور وأخبره بأن الذي سوف يبني في هذا الموضع رجل يدعى مقلاصا ، وكان المنصور في صغره يدعى بهذا اللقب (٢)

وهذه الرواية مردودة لأن المنصور سعى لموقع له مواصفات ثابتة في ذهنه وقد سبق هذا عدة محاولات لبناء حاضرة له ويذكر الاسحاقي أن المنصور بنى أربع مدن لا يخربن أبداً الأولى المنصورة وهي مدينة مربعة ، ميل في ميل وبها خلق كثير وليس فيها الا النخل والقصب ، وهي حارة جداً ، والثانية ثغر المصيصة ، والثالثة بأرض الحمدين ، والرابعة بغداد (٣)

---

(١) المقدسي أحسن التقاسيم،ص١١٩- ٢٢٠ ، العصامي ، سمط النجوم،حـ٣/٢٥٦ ابن طاطبا ،الفخري ، ص١٤٥ ، ياقوت،معجم البلدان،حـ١/ ٤٥٨ .

(٢) تاريخ بغداد،حـ١/٦٦ ابن الجوزي مناقب بغدادص ٨ ، ابن طباطبا ،الفخري ص ١٤٤ ، يعقوب ليستر ، خطط بغداد،ص ٢٢٨ .

(٣) تاريخ الاسحاقي،ص ٨٤ .

والى جانب هدف المنصور العسكرى والاقتصادى،هدف أيضا من بناء بغداد الى اقامة تحالف جديد بين قبائل وقوميات مختلفة لكى يتخلص من التحزب الذى لاقاه قبل قيام الخلافة العباسية وبعدها ، فيخرج بذلك مجتمع يتميز بالاستقرار والخضوع للسلطة العباسية .

وهناك من يرجع اختيار موقع بغداد الى أبى العباس الذى رسم خططها وان المنصور نفذ ما رسمه السفاح [١] ويستبعد الباحث ذلك لأن المنصور بنى الهاشمية الثانية فان كان هذا المشروع قد طرحه السفاح لحظى بتنفيذه المنصور فور توليه الخلافة .

خطوات بناء بغداد :

كان المنصور مستعداً لاقامة حاضرته ، فعمل على اختيار الموقع وامتلاك هذه الأراضى ، ورسم مخططا هندسيا فريداً من الفن المعمارى لم تعرفه العرب من قبل ، واستعد لنفقات البناء وأرزاق المهندسين والعمال ، فاشترى أراضى المنطقة ، وكانت عبارة عن مزارع يمتلكها حوالى ستين شخصا من البغداديين، استلم جميعهم مالهم من المال عدا شخصا واحداً لم يستلم ثمن أرضه من المنصور [٢]

ثم وضع المنصور الخطوط الرئيسية لعاصمته وكلف المهندسين بوضع تصميم لمدينته مستوحين شكلها مما أملاه عليهم وليطمئن على التنفيذ أمر

(١) المقدسى ، أحسن التقاسيم،ص ١١٩ .
(٢) الطبرى،جـ٧/٦١٩ ، تاريخ بغداد،جـ١/٢٢ ، وقيل لم يكن ببغداد الا الدير العتيق.العيون والحدائق،ص ٢٣٥ .

بأن تخط المدينة بالرماد ليعاين الموقع ، ثم تجول بين الخطوط في جميع مواقعها السكنية والعسكرية ثم أمر بوضع حب القطن على تلك الخطوط واشغل النيران فيها ليشاهدها ليلا من بعد وهو على مرتفع ، فأعجب بهندستها وأمر بحفر أساس البناء (١) وقد اشترك عدة مهندسين في وضع هندستها وهم عبد الله بن محرز ، والحجاج بن يوسف ، وعمران بن الوضاح وشهاب بن كثير تحت اشراف نوبنحت وابراهيم بن محمد الفزاري ، والطبري المنجمين (٢)

أدرك المنصور أنه مقبل على أمر عظيم ، وقد اشتهر بالعزم وسداد الرأي ، لذا أعد لكل أمر عدته ، فبعث في طلب المهندسين وعمال البناء من الشام والموصل والجبل والكوفة وواسط ، واشترط عليهم الخبرة في المقام الأول .

وبذكر المؤرخون " أن المنصور لما عزم على بنائها أحضر المهندسين وأهل المعرفة بالبناء ، والعلم بالزرع والمساحة وقسمة الأرض ، وأحضر الفعلة والصناع من النجارين والحفارين والحدادين وغيرهم وكتب الى كل بلد في حمل من فيه ممن يفهم شيئا من أمر البناء ولم يبتدىء في البناء حتى تكامل بحضرته من أهل المهن والصناعات ألوف كثيرة (٣)

ويذكر اليعقوبي بأنهم بلغوا مائة ألف من أصناف المهن والصناعات ثم خطها وجعلها مدورة مقسمة أربعة أقسام متساوية ، وعين المنصور على

(١) الطبري حـ٧/ ٦١٨

(٢) اليعقوبي ، البلدان صـ ٢٤١

(٣) الخطيب، تاريخ بغداد ،حـ١/ ٦٧ ، تاريخ ابن خلدون، حـ٥/ ٤١٨ ، الهمداني ، بغداد ، صـ ٣٢ .

كل قسم ثلاثة موظفين يشرفون على البناء اشرافا ماليا وهندسيا ، فولي من باب الكوفه الى باب البصره وما اتصل بذلك كله المسيب بن زهير والربيع مولاه وعمران بن الوضاح المهندس ، ومن باب الكوفة الى باب الشام سليمان بن مجالد ووضاحا مولاه ، وعبد الله ابن محرز المهندس ، ومن باب الشام الى باب خراسان حرب بن عبد الله وغزوان مولاه والحجاج بن يوسف المهندس ومن باب خراسان الى باب البصرة هشام بن عمرو وعمارة بن حمزة وشهاب ابن كثير المهندس (١)

وحفرت الآبار لضرب كميات كبيرة من اللبن ، وطبخ الآجر (٢) ثم أخذت قناة من نهر الدجيل الأخذ من دجلة ، وقناة من نهر كرخايا الآخر من الفرات وجرهما الى بغداد فى عقود وثيقة من أسفلها محكمة بالصاروج والآجر فى اعلاها وكانت كل قناة منها تدخل المدينة وتنفذ فى الشوارع والدروب والارباض ، فكانت تجرى صيفا وشتاء ولا ينقطع ماؤها (٣)

البدء فى بناء بغداد :

لقد اختلف المؤرخون فى تاريخ الشروع فى بناء بغداد ، فإذا أخذنا بأن المنصور قد عاين الموقع عام ١٤٠هـ - ٧٥٧م - فعلى حسب آراء المؤرخين فانه يكون متباطئا فى تنفيذ مشروعه فجاء اختلاف المؤرخين واضحا فى تحديد السنة التى شرع فيها المنصور فى بناء حاضره ملكه ، فيذكر الطبرى عدة

---

(١) اليعقوبى ، البلدان، ص٢٤١ -٢٤٢ - الطبرى، حـ٧/ ٦٥٢ الهمدانى ، بغداد ص ٤١ .

(٢) اليعقوبى ، البلدان، ص ٢٣٨ ، الهمدانى ، بغداد ، ص ٣٢

(٣) تاريخ بغداد ، حـ١/٧٩ ، اليعقوبى ، البلدان، ص ٢٥٠ ، ياقوت معجم البلدان، حـ١/ ٤٦٠ .

روايات فيرى فى رواية أن المنصور بدأ بالبناء عام ١٤٤هـ - ٧٦١م - بينما تجمع الروايات الأخرى على أن البناء قد بدأ فى عام ١٤٥هـ - ٧٦٢م -[١]

أما البلاذرى فيذكر أن المنصور بدأ البناء عام ١٤٥هـ - فلما بلغه خروج محمد النفس الزكيه عاد الى الكوفه ، وانتقل الى بغداد عام ١٤٦هـ[٢]

أما الخطيب فيذكر أن المنصور قد بدأ البناء عام ١٤٥هـ - ثم ليعود ويناقض هذه الرواية ويقول : ان المنصور شرع فى بناء بغداد الا أنه ترك البناء ورجع الى الكوفه فى الخامس من جمادى الأولى عام ١٤٤هـ ، ثم يورد عدة روايات يذكر فيها عام اتمام بناء بغداد فيقول عام ١٤٦هـ ، وفى عام ١٤٩ هـ - ٧٦٦م - تم بناء سور وخندق المدينة[٣] ، ويذكر الهمدانى أن أول ابتداء البناء عام ١٤٥هـ[٤] .

ويذكر اليعقوبى أن المنصور لم يبدأ البناء الا بعد أن تكامل له البناءون ، ثم اختطها فى شهر ربيع الأول عام ١٤١هـ - ٧٥٨م[٥] أما الدينورى فيرجع بدء البناء الى عام ١٣٩هـ - ٧٥٦م .[٦]

أما المؤرخون المحدثون فقد استندوا فى كتاباتهم على هذه المصادر فذكروا أن بدء البناء كان عام ١٤٥هـ[٧] ويرجع آخر بأن البناء بدأ عام ١٤٤ ،

---

(١) الطبرى،ج٧/٦٥٣ وانظر ايضا: ابن الساعى ، أخبار الخلفاء ص١١- تاريخ اليعقوبى ج٢/٣٧٣ .

(٢) البلاذرى ، فتوح البلدان،ص ٣٠٣

(٣) الخطيب ، تاريخ بغداد،ج١/٦٦ - ٦٧ .

(٤) الهمذانى ، بغداد،ص ٣٢ .

(٥) اليعقوبى ، البلدان،ص ٢٣٨ .

(٦) الدينورى ، الاخبار الطوال،ص ٣٨٣

وأوائل عام ١٤٥هـ [1] وتوفيقا بين الآراء حدد أحد المؤرخين بأن البناء استغرق أربع سنوات [2]

ويقف الباحث حائرا أما م هذه الآراء لأن بناء عاصمة دولة تحارب أقوى الامبراطوريات لا يمكن أن يتم في عام وعدة شهور ويكون الخليفة فخورا ، بعاصمته أمام بطريق أو رسول بيزنطة أثناء زيارته له ، ومن جانب آخر فان المراسلات بين المنصور والنفس الزكية انتقد الأخير مابناه المنصور وشنع على بنائه القبة الخضراء [3] ويعني هذا أن البناء كان على وشك الانتهاء عند خروج النفس الزكيه ، وبعد القضاء على هذه الثورة الزم المنصور الامام اباحنيفة بالعمل في البناء فكان يعد لبن السور الخارجي الذي يلي الخندق [4]

والباحث يميل الى أن المنصور اختار موقع بغداد عام ١٤٠هـ - وبدأ استعداده للبناء فأختطها في ربيع الأول عام ١٤١هـ - ٧٥٨م - ، وهذا أقرب لواقع البناء وحجم المدينة .

وقام المنصور بتدشين البناء ووضع الحجر الأساسي في حفل شهده رجالات الدولة ، من الأمراء والوزراء والعلماء والقواد والأعيان ، قدموا جميعا ليشهدوا وضع الحجر الأساسي للعاصمة الجديدة ، ووضع المنصور أول لبنة

---

(١) رمزيه ، بناء بغداد ، ص ٩٢

(٢) فليب حتي، تاريخ العرب، حـ٢/ ٣٦٤

(٣) الخطيب ، تاريخ بغداد " يصف فيه القبة " حـ١/ ٧٣

(٤) الهمداني ، بغداد ، ص ٣٣

بيده وقال: بسم الله والحمد لله ، والأرض يورثها من يشاء من عبـــاده ، والعاقبة للمتقين - ثم قال : ابنوا على بركة الله .[(١)]

نفقات بناء بغـداد :

اشتهر المنصور بالحرص والدقة في شؤون المال ، ومحاسبة ولاته وعماله ومتابعة شؤون دولته بنفسه ، وأعد المنصور قدراً كبيراً من المال للانفـــاق على بناء حاضرته ، وحين أدرك ضخامة نفقاته لجأ الى هدم إيوان كســـرى ليستعين بأنقاضه في البناء إلا أن تكلفة الهدم فاقت ما كان ينفق على بنـــاء الجديد ، فعدل عن الهدم[(٢)] ولكي يخفف من نفقاته استعان بباب من واســـط ووضعه على باب البصرة وجيء بباب من الشام فوضعه على باب خراسان وجلـــب باب من الكوفة ووضع على باب الكوفة ، وعمل هو بابا ونصبه على باب الشام[(٣)]

لقد شيدت مدينة بغداد على مساحة مائة وثلاثين جريبا ، واحتلـــت خنادقها وأسوارها ثلاثين جريباً[(٤)] وعمل في بنائها نحو مائة ألف عامـــل وقد تفاوتت أرزاقهم فكان الاستاذ رزقه اليومي قيراط فضة ، والروز كاري[(٥)] من حبتين[(٦)] إلى ثلاث حبات[(٧)] وقيل ان رزق الاستاذ من الضياع من قيراط الى خمس حبات والروز كاري من حبتين الى ثلاث حباب يوميا[(٨)] وكان رزق رئيـــس

---

(١) رمزية، بناء بغداد ،ص ٩٣ .

(٢) مجهول ، العيون والحدائق ، ص ٢٥٦ ، الهمداني ، بغداد،ص ٣٧

(٣) الطبري ، حـ٧/٦٥١ ، الخطيب ، تاريخ بغداد،حـ١/ ١٧٥

(٤) تاريخ بغداد ،حـ١/ ٦٩ ، ابن الجوزي ، مناقب بغداد،ص ٩

(٥) الروزكاري : يعني العامل اليومي .

(٦) ابن الاثير،حـ٥/٢١ - العيون والحدائق،ص ٢٥٧ ، نهاية الارب،حـ٢٢/ ٩٢ .

(٧) ابن كثير، البداية والنهاية،حـ١٠/٩٨ ، الطبري،حـ٧/ ٦٥٥ .

(٨) ابن الجوزي ، مناقب بغداد ،ص ٩ ، تاريخ بغداد ،حـ ١/ ٧٠ .

البنائين خمسة دراهم (١)

وقد اختلف المؤرخون في تحديد المبالغ التى أنفقها المنصور فى بناء مدينة ، بجامعها وقصر الذهب والأبواب والأسواق الى أن فرغ من بنائهافقيل أربعة ملايين وثمانمائة وثلاثة وثمانين درهما (٢) وقيل أربعة ملايين وثمانمائة وثلاثة وثلاثين درهما (٣) وقيل:أربعة ملايين وثمانمائة وثلاثة وثلاثين ألف درهم (٤) وقيل:ثمانية عشر مليون درهم (٥) وقيل مائة مليون درهم (٦) وقيل:ثمانية عشر مليون دينار (٧) وقيل:أربعة ملايين دينار (٨) .

يرجع الاختلاف فى تقدير نفقات بناء بغداد الى بعد فترة التأريخ وأغلاط النساخين واختلاف سعر الصرف ، وعدم وجود وثائق منظمة تثبت هذه النفقات ، ومع ذلك فان المؤرخين يعتبرون أن هذه النفقات كانت قليلة لضخامة المشروع ، ومنهم من يرجع العلة إلى إشراف المنصور نفسه على البناء ومحاسبته للمشرفين عليه والعمال (٩) ، ويرجع آخرون إلى رخص الأسعار وقلة وجود

(١) سمط النجوم،حـ٣/٢٥٩ الطبرى،حـ٧/ ٦٥٥ .

(٢) احسن التقاسيم،ص ١٢١ ، تاريخ بغداد،حـ١/٦٩ ، مناقب بغداد،ص ٩ البدايةوالنهاية،جـ١٠/ ٩٨

(٣) نهاية الارب،حـ٢٢ /٩٢ ، سمط النجوم،حـ٣/ ٢٥٧ ، ابن الاثير، حـ ٢١/٥ وقدرت بالفلوس = مائة الف فلس وثلاثة وعشرون الف فلس ، الطبرى حـ٦٥٥/٧ الهمداني،بغداد،ص ٤٠ .

(٤) تاريخ ابن خلدون،حـ٤٢٠/٥ ، ياقوت معجم البلدان،حـ١/ ٤٥٩ .

(٥) ابن الجوزى ، مناقب بغداد،ص ٩ .

(٦) النجوم الزاهرة ، حـ١/ ٣٤١ .

(٧) ياقوت ، معجم البلدان،جـ١/ ٣٤١ - الذهب المسبوك،ص ٧٤

(٨) ابن الساعى ، اخبار الخلفاء،ص ١١ .

(٩) الريس ، الخراج،ص ٣٩٦ ، وانظر الطبرى،حـ٧/ ٦٥٥ ، البداية والنهاية ، حـ١٠/٩٨ ، ابن طباطبا،ص ١٤٥ .

المال لدى الناس[١] وهذا يعنى أن المنصور قد أحتكر الأموال لديه مما جعل العمال يقبلون أى عرض يعرض عليهم .

وفى عام ١٥١هـ - ٧٦٨م - بنى المنصور رضافة المهدى ، وأحاطها بسور وخندق وعمل بها ميدانا وبستانا وأجرى فيها المياه[٢] فتنافس الناس فى للإقامة فيها لكثرة عطاء المهدي ومحبتهم له[٣] كما نقل المنصور عام ١٥٧هـ - ٧٧٣م الأسواق الى الكرخ[٤] ولم تذكر المصادر نفقات بناء الرصافة والكرخ ولا القصور والجسور التى شيدت فيها والذى قيل: أن المنصور بنى الكرخ من ماله[٥] الا أنه حرص بعد بناء بغداد على تخفيف نفقات البناء فأخرج سبعة آلاف سجين وبعثهم لبناء ثغر كمخ[٦] .

ومما لاشك فيه أن نفقات البناء كانت مرتفعة ، وتذكر المصادر جانبا من نفقات مبانى خلفاء وأمراء بنى العباس ، فكانت منازل الأمين بالخيزانية قد أنفق على بنائها عشرون مليون[٧] وبلغت نفقات بناء قصر المأمون على

---

(١) العيون والحدائق، ص ٢٥٧ .
(٢) مناقب بغداد، ص ١٢ ، ١٣ ، الحسينى ، عمران بغداد، ص ٤٣ ، الطبرى حـ ٨/ ١٣٧
(٣) اليعقوبى ، البلدان، ص ٢٥١ .
(٤) الخطيب، تاريخ بغداد، حـ١/ ٨٠ ، ابن الاثير، حـ٥/ ٢١ ، مناقب بغداد، ص١٣ بناء بغداد، ص ١٥٩ .
(٥) الذهبى ، تاريخ الاسلام، حـ٦/ ١٦٢ ، تاريخ بغداد، حـ١/ ٨٠
(٦) تاريخ اليعقوبى، حـ٢/ ٣٧٢ ، كمخ من ثغور ارمينيه .
(٧) ابن الاثير، حـ ٥ / ١٦٠ .

شاطئ دجلة ثلاثة ملايين [1]

نفقات بناء سرمن رأى :

استحدث المعتصم عاصمة جديدة بعد أن أصبح جنده مثار نقد أهـــل بغداد ، فاشترى أرض سرمن رأى بمائة ألف دينار ، وبدأ البناء عام ٢٢١هـ - ٨٣٦م - [2] بعد أن أحضر المهندسين الذين اختاروا أصلح المواضع لبناء القصور(٣) ولم توضح المصادر نفقات بناء الحاضرة الجديدة في زمن المعتصم ، عدا نفقات بناء جامعها واختلف المؤرخون فى تقديرها ففى رواية انفق على بنائها خمسمائة الف دينار ، وجعل وجوه جدرانه من المرايا [4] وقيل:بلغت النفقة عليه ثلاثـــا وثمانين الف ومائتين واثنى عشر ديناراً [5]

واذا عد المعتصم مؤسسا لمدينة سامراء ، فان المتوكل قد جملهاووسـع معالم العمران فيها بما أنشأه من القصور ، حتى عرف بشغفه ببناء القصـــور وانفق عليها أضعاف ما أنفق على بناء بغداد ، ومن هذه القصور قصر الجعفرية الذى أنفق على بنائه مليون دينار [6] وبلغت نفقات توصيل المياه اليه مليونـــا وخمسمائة دينار [7]

---

(١) طيفور ، بغداد ،ص ٤٤ ، عيون الاخبار ،حـ١/ ٣١٤

(٢) ياقوت ،معجم البلدان،حـ٣/ ١٧٤ ، وقيل مائة الف درهم - تاريخ الموصل ص ٤١٦ ، الطبرى ،حـ٩/ ١٧ ، وقيل اربعة آلاف دينار اليعقوبى ، البلدان ص ٢٥٨ .

(٣) اليعقوبى ، البلدان ،ص ٢٥٨ ، آدمز ، اطراف بغداد ،ص ٢٩٠

(٤) القزوينى ، آثار البلاد ،ص ٣٨٥ ، الذهب المسبوك ،ص ٢٢٢ ، ناجى معروف ، موجز ص ١٢١ .

(٥) شذرات الذهب ،حـ٢/ ٨٧ .

(٦) تاريخ ابن خلدون ،حـ٥/ ٥٩٠ ، ياقوت ،معجم البلدان ،حـ١٧٥/٣ - الديارات ص ٣٦٧ .

(٧) اليعقوبى ، البلدان ،ص ٢٦٦ .

وأنفق على بناء قصر العروس ثلاثين مليون درهم وقصر المختار خمسة ملايين درهم وقصر الغريب عشرة ملايين درهم ، وقصر الشيدان عشرة ملايين درهم ، وقصر البرج عشرة ملايين درهم ، وقصر الصبيح خمسة ملايين درهم ، والمليح خمسة ملايين درهم ، وقصر بستان الايتاخية عشرة ملايين درهم ، والتل علوه وسفله خمسة ملايين درهم ، وقصر الجوسق خمسمائة ألف درهم ، وبلغت نفقات بناء المسجد الجامع عشرة ملايين درهم ، وقصر بركوان للمعتز عشرين مليون درهم ، والقلائد خمسين ألف دينار ، وجعل فيها أبنية بمائة ألف دينار ، والغرد مليون درهم ، وقصر الماحوزة - المتوكلية - خمسين مليون درهم وقصر البهو خمسة وعشرين مليون درهم ، وقصر اللؤلؤة خمسة ملايين درهم (١) وقد اختلف مجموع نفقات القصور عند المؤرخين .

ويذكر ياقوت مجمل نفقات بناء القصور بمائتين وتسعين مليون درهم (٢) ويذكر الشابشي أنها تقدر بمائتين وأربعة وسبعين مليون درهم ، ومن العين مائة مليون دينار ، فيكون قيمة الورق عينا بصرف الوقت مع ما فيه من العين ثلاثة عشر مليون دينار ، وخمسمائة ألف وخمسةوعشرين ألف دينار (٣)

ثانيا: نفقات الخدمات العامة :

اعتنى خلفاء بني العباس باقامة المنشآت التي تخدم الجمهور وخاصة فيما يتعلق بأداء مناسك الحج فأقام السفاح استراحات لراحة الحجاج من

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج٣/١٧٥ ، ويذكر اليعقوبي بأن نفقات البرج مليون وسبعمائة الف دينار - تاريخ اليعقوبي، ج٢/٤٩١ ، الديارات/ص ١٦١ و ٣٦٤ و ٣٧١ .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان، ج٣/ ١٧٥

(٣) الشابستي ، الديارات، ص ١٥٩ - ١٦٠

القادسية إلى مكة المكرمة ، وأقام الشواهد الحجرية على امتداد الطريق لارشاد الحجاج [١]

واشترى المنصور المنازل التي تلي المسجد الحرام ووسعها الى ضعف ما كانت عليه وبنى مسجد الخيف [٢] وبنى لأهل البصرة عام ١٤٢هـ قبلتهم وقد تولى بناءه مسلمة بن سعيد [٣]

ووسع المهدي المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وحمل من مصر الى المسجد أربعمائة وثمانين أسطوانة ، وجعل للمسجد ثلاثة وعشرين بابا ، بناه بالذهب والفسيفساء وجعل سلاسل قناديله ذهبا ، كما أمر بتوسيع الجامع بالموصل [٤] وبنى الاستراحات في طريق الحجاج ، ووسع ما بناه السفاح من القادسية الى مكة ، وأقام البرك وحفر الآبار لخدمة الحجاج [٥] وبعث الأمين بعشرين ألف مثقال لتزين ذهب باب الكعبة [٦] وكانت قلة المياه بمكة وفي الطريق اليها مشكلة المسلمين الرئيسية حتى أمرت زبيدة بتوصيل المياه الى مكة عبر الجبال المحيطة بها وأنفقت في هذا المشروع مليونا وسبعمائة ألف مثقال ذهبا [٧]

---

(١) حسيني ، الادارة العربية، ص ٣٧٢ .

(٢) النبراس ، ص ٢٤ - تاريخ اليعقوبي، ح٢/ ٣٦٩ .

(٣) الطبري، ح٧/ ٥١٣ .

(٤) ابن الاثير، ح٥ / ٦٩ - النبراس، ص ٣٢ - ٣٣ .

(٥) الطبري، ح٨/ ١٣٦ - ابن الاثير، ح٥ / ٦٠ .

(٦) تاريخ اليعقوبي، ح ٢ / ٤٣٤ .

(٧) تاريخ الاسحاقي، ص ١٠٤ .

- وظلت مشكلة قلة المياه فى الطريق إلى مكة قائمة حتى خلافة الواثـــق فقد أرسل عمر بن فرج عندما عزم على أداء الفريضة لإصلاح الطريق فرجع وأخبره بقلة المياه ، وقد أصاب الحجاج عام ٢٣٢هـ - ٨٤٦م - عطش شديد حتى بلغـت الشربة عدة دنانير فمات الكثير منهم (١)

وقد اعتنى بنو العباس بحفر الآبار وتكفل بيت المال بهذه النفقـــات فكانت نفقات آبار الرملة على بيت المال من زمن السفاح وقد استمر خلفـــاء بنى العباس فى دفع هذه النفقات ، فلما استخلف المعتصم عمل لها سجـــلات خاصة ورتبها (٢)

ووجه خلفاء بنى العباس اهتماما لتسهيل الخدمات وانشاء المستشفيات ودور العجزة وملاجئ الأيتام والعميان ، فأقام المنصور مستشفى وملجأ كبيـراً للعميان ووسع فيها الرشيد ، وأسس المأمون مجمعا طبياً كبيراً فى بغداد (٣)

ومما سبق يتضح أن بيت المال تكفل بنفقات بناء الحواضر والقصور وهذه النفقات كانت قليلة فى زمن المنصور نظراً لرخص الأيدى العاملة ومواد البنـاء وارتفعت نفقات البناء بصورة مستمرة فى زمن المأمون بزيادة أرزاق الموظفيـــن حتى بلغت نفقات البناء فى زمن المتوكل أرقاما رهيبة ، اذ أن قصـــراً من قصوره فى سامراء تكلف بناؤه نفقة تربوعلى نفقة بناء بغداد كلها .

---

(١) ابن الاثير، جـ٥ / ٢٧٤ ، ٢٧٩ .
(٢) ابن الفقيه ، البلدان ص ١٠٢ .
(٣) الحسينى ، عمران بغداد، ص ١٥٤ - ١٥٥ .

الباب الرابع

ادارة دواوين المالية والجباية

الفصل الأول

الجهاز الاداري للدواوين

اولاً ١- الجهاز الاداري لبيت المال .

ب- بيت المال الخاصه .

ثانياً الجهاز الاداري لديوان الخراج

ثالثاً الجهاز الاداري لديوان النفقات

رابعاً الجهاز الاداري لديوان الزمام

أولا : الجهاز الادارى لبيت المال :

كان لكل اقليم من اقاليم الخلافة العباسية بيت مال خاص به ، يستمد ميزانيته من ديوان الخراج ، ويتولى نفقات الاقليم من رواتب الموظفين والجنود، وما يحتاج اليه من العمارة • والخدمات العامة ، اما ديوان بيت المال في العاصمة فانه يستقبل ايرادات ديوان الخراج من جميع النواحي ، وكانت هذه الإيرادات في صور متعددة مثل الغلالة والمنسوجات والنقد من دنانير ودراهم ، ويتولى الديوان الإشراف على ما كان يرد إليه واثباته في سجلات ، فقد أفرد لكل صنف من اصناف الواردات خزائن أو دواوين فرعية خاصة لحفظها وضبطها وقد قسم بعض المؤرخين ديوان بيت المال إلى ثلاثة دواوين رئيسية وهي :-(1)

١ - ديوان الخزانة :

وكانت وظيفة هذا الديوان الإشراف على واردات بيت المال من الأموال النقدية والأقمشة •

٢ - ديوان الاهراء :

وكان هذا الديوان يشرف على ما يرد الى بيت المال من الغلال •

٣ - ديوان خزانة السلاح :

وكانت مهمته الإشراف على ما كان يرد الى بيت المال من السلاح والذخائر وما يستنفد منها •

فاذا كان هذا التقسيم من أجل تنظيم إيرادات الدولة على أن يتولى كل

(1) السامرائى ، المؤسسات الادارية ، ص ٢٤٤ •

جهاز ما يخصه ، أما الغرض الرئيسي من وجود بيت المال فهو ضبط إيرادات الدولة ونفقاتها ومحاسبة القائمين على أمور هذه الأموال .

وقد ذكر قدامة بن جعفر - المتوفى عام ٣٧٧ هـ - ٩٤٨ م ، في كتابه الخراج وصناعته الكتابه ان الغرض من إنشاء ديوان بيت المال " انما هو محاسبة صاحب بيت المال على ما يرد من الأموال ، ويخرج من ذلك في وجوه النفاقات والاطلاقات (١) ، واذا كان مايرفع من الختمات (٢) مشتملا على ما يرفع الي دواوين الخراج والضياع من الحمول (٣) وسائر الورود ، وما يرفع الى ديوان النفقات مما يطلق في وجوه النفقات ، وكان المتولى لها جامعا للنظر في الأمرين ، ومحاسبا على الاصول والنفقات ...... " (٤) بمعنى ان صاحب بيت المال يحاسب الدواوين الأخرى على إجمالي ما يقومون بانفاقه .

وسائل الرقابه الماليه لبيت المال :

ولكي يؤدي هذا الديوان الغرض المنشأ من أجله ، كان لابد أن توضع له من النظم ما يكفل بانتظام تسجيل الايرادات والمصروفات وفق نظام دقيق لمراقبة أموال الدولة ، لذا يجب أن تكون بالديوان جميع أوامر الصرف الصادرة من صاحب الديوان لتقيد به قبل ارسالها للديوان المختص بالصرف ، وكذلك أوامر تحصيل الإيرادات لتقيد به قبل نفاذها ، وفي ذلك يقول قدامة بن جعفر " ...... ومما يحتاج إلى تقوية هذا الديوان به لصبح أعماله وينتظم أحواله ويستقيم ما يخرج منه أن يخرج كتب الحمول من جميع النواحي قبل اخراجها

(١) الاطلاقات : أوامر صرف الأموال و الأرزاق ، الخوارزمي مفاتيح العلوم ص٣٨

(٢) الختمات : والختمة كتاب يرفعه الجهبذ في كل شهر بالاستخراج والجمل والنفقات والحاصل كأنه بختم الشهرية . الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ص٣٧.

(٣) الحمول : الأموال التي تحمل الى بيت المال ، الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ص ٤١ .

(٤) قدامة ، الخراج ، ص ٣٦ .

إلى دواوينها إليه لتثبت فيه ، وكذلك سائر الكتب النافذه إلى صاحب بيت المال من جميع الدواوين مما يؤمر بالمطالبة من الأموال " (١)

وكان لصاحب ديوان بيت المال علامة يضعها على هذه المستندات بعد قيدها بالسجلات ، وكان المسئولون يتأكدون من وجود هذه العلامة قبل قيامهم بتنفيذ أوامر الصرف ليطمئنوا على أنها قيدت بديوان بيت المال ، وفي ذلك يقول قدامة " ...... يكون لصاحب هذا الديوان علامه على الكتب والمكاك (٢) والاطلاقات يتفقدها الوزير وخلفاؤه ، ويراعونها ويطالبون بها اذا لم يجدوها ، لئلا يتخطى أصحابها والمدبرون هذا الديوان ، فيختل أمره ولا يتكامل فيه ..... " (٣)

أما الصرف فانه لايتم إلا مقابل مستندات معتمدة من ذوى الشأن وتحفظ فى الديوان كمستندات تثبت صحة الصرف (٤) .

ويذكر النويرى اسلوب مراقبة ضبط الإيرادات بقوله أن متولى بيت المال كان لديه سجلات يدون بها تفاصيل الايرادات التى ترد من مختلف الجهات ،

---

(١) قدامه ، الخراج ، ص ٣٦ .

(٢) الصك : عمل يعمل لكل طمع يجمع فيه أسامي المستحقين وغدتهم ومبلغ مالهم ، ويوقع السلطان فى آخره باطلاق الرزق لهم ، مفاتيح العلوم،ص ٣٨.

(٣) قدامة ،الخراج ، ص ٣٦ .
كان لصاحب ديوان المال علامة " ختم " يؤشر بها على الكتب والمكاك والاطلاقات يتفقدها الوزير أو من ينوب عنه ، ويراعونها ويطالبون بها كشرط لقبولهم تلك الكتب وقد كان تحفظهم هذا ضروريا لئلا يحصل تلاعب من الناحية المالية أولا ، ولكى يتأكدوا من أنها قد جرى تأشيرها فى ديوان بيت المال من أجل ضبط الحسابات فيه .
السامرائى ، المؤسسات الادارية،ص ٢٤٥ .

(٤) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٦ / ١٩٧ .

ويتم مراجعة ما يصل من هذه الإيرادات من مختلف الجهات على الرسائل الواردة بصحبتها فإذا صح ذلك وإلا أخطر الجهه المرسله بما هناك من نقصان ، ويتم تدوين ذلك كله في دفاتر " اليوميه " (١) .

أما طريقه ضبط المصروفات فيقول النويري " وطرق مباشرة بيت المال في ضبط المصروف أن يبسط جريدة على ما يصل إليه من الاستدعاءات والوصولات من الجهات ، وأسماء أرباب الاستحقاقات ، وما هو مقرر لكل منهم في كل شهر بمقتضى توقيعاتهم أو ماشهدت به الاستثمارات القديمة المخلدة في بيت المال ، ويشطب قبالة كل اسم ما صرف له بمقتضى عادته إما نقداً من بيت المال أو حوالة تفرع على جهة تكون مقررا له في توقيعه ، و يوصل إلى تلك الجهة ما فرعه عليها ، وكذلك إذا أحال استحقاقا من غير ثمن مبيع أو غيره على جهة عادتها تحمل إلى بيت المال سوغ ذلك المال في بيت المال ، وأوصله إلى تلك الجهة والتسويغ في بيت المال هو نظير المجرى ، وإذا وصل اليه استدعاء من جهة من الجهات أو وصول وصفه في جريدته ، وخصمه بما يقبضه لربه ، ويشهد عليه مما يقبضه ، ويورد جميع ذلك في تعليق المياومة " (٢)

---

(١) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٨ / ٢١٧ .
فيقول : " إن مباشر بيت المال وهو القائم بأمر حسابات المال يحتاج في ضبط الايرادات إلى أن يقيم لكل عمل من الأعمال ، جهة من الجهات اوراقا مترجمة باسم العمل أو الجهة ، ووجوه أموالها ، فإذا وصل اليه المال وضع الرسالة الواصله قريبه من ذلك العمل ، ثم شطبها بما يصح عنده من الواصل إليه ، وذلك بعد وصفه في تعليق المياومه ، فإذا صح الواصل صحبه الرساله كتب لمباشر ذلك العمل رجعه بصحته ، وإن نقص ضمن رجعته من جمله كذا ، واستثنى بالعجز والرد ، وبرز بما صح ، وأعاد الرد على مباشر ذلك العمل وأثبت في بيت المال ماصح فيه ..."

(٢) النويري نهاية الارب ج ٨ / ٢١٨، ٢١٩ وانظر القلقشندي ، صبح الاعشى ج ٤ / ٣١ .

ومما سبق نجد أن ديوان بيت المال يقوم بضبط ما تم صرفه بواسطة سجلات تفصيلية بأسماء أرباب الاستحقاقات وأصحاب المرتبات والأجور مبينا اسم المستحق ومقداره من واقع مستندات طارئة على الديوان أو مرتبات أو استحقاقات قديمة وسجل ما يصرف من تقريره اليومى من الأموال .

أما الغلال التى ترسل من الأقاليم فهناك مراقبة دقيقة وضبط ويقول:النويرى " فمبنى أمره أيضا على ضبط ما يصل اليه ، وما يصرف من حاصله ، ويحتاج فى مبدأ مباشرة الى تحرير ما انساق من حواصل الغلال بأصنافها ، وإن امكنه تمييز ذلك بينه .... (1) أى على مباشرة أهراء الغلال ضبط ما يصل إليه ، وما يصرف من حاصله يبسط جريده ينظم فيها اسماء النواحى التى تصل منها الغلال فإذا جاءته رسالة من جهة من تلك الجهات وضعها تحت اسم الجهة وقيد ما وصل ، فإذا كانت الكميات الواصلة مطابقة للرسالة كتب لتلك الجهة بصحتها وان نقص طالب بالنقص ، ويراعى صرف ما وصل إليه من الغلال المبلولة أولا ولا يخلطها بغيرها ، كما يراعى فى صرف التقاوى أن تكون من أطيب الغلال وأفضلها . وحسابات مخازن الغلال فى بيت المال تقوم على ضبط الكميات الواردة المنصرفة لكل صنف من الأصناف ويمسك أمين المخازن جريدة يبين فيها أسماء النواحى المختلفة التى تصل منها الغلال إلى المخازن وعند ورود الكمية تأتى مصحوبة برسالة من الجهة التى أرسلتها ، ويقوم أمين المخازن بمراجعة كميتها أو اوزانها فإن كانت الكمية الواردة صحيحة متفقة مع الرسالة كتب بذلك إلى الجهة المرسلة ، وتضبط الكميات المنصرفة وتخصم من الكميات الواردة وكان يعتمد فى الصرف على سجلاته فى الوارد والصادر أولا بأول حتى لا تتلف بعض الغلال من طول فترة التخزين .

(1) النويرى نهاية الارب،ج ٨ / ٢١٩ / ٢٠٠ وانظر الكفراوى الرقابة المالية،ص ٢١٩ .

ويتضح مما سبق أن مخازن الأهراء يتولاها أمين المخزن ويضبطها في سجلات يدون فيها الوارد والصادر ، ثم يرفع تقريراً لبيت المال يوضح فيه المنصرف والباقي في عهدته .

هذه هي الدوائر الاساسية التي كانت تشرف على سير العمل في ديوان بيت المال المركزي في العاصمة ، ويلاحظ عدم وجود تداخل بين اختصاصاتها ليعرقل سير العمل .

والى جانب بيت المال المركزي ، وجد بيت المال الخاص ، ورغم قلة المعلومات عن جهازه في العصر العباسي الأول ، بالامكان الافتراض بأنه كان على شاكلة جهاز بيت المال العام ، ويتولاه صاحب رتبة وزير ، كما تدلنا وقائع متعددة سابقة وقد تسند ادارته إلى نفس الوزير المتولي لبيت المال ، كما نستنتج من قيام متوليه يحيى البرمكي في عهد الرشيد من أخذ ثمن جارية رغب بها الرشيد من بيت مال الخاصة .

ومن المرجح أيضا ان دخل هذا البيت اقل بكثير مقارنة مع دخل بيت المال العام،مما يستدعي ان يكون جهازه اكثر بساطة وموظفوه قليلي العدد. وقد شمل الجهاز الاداري لديوان بيت المال عدة وظائف هي : -

١ - الناظر :

وهو الرئيس الاعلى للديوان وينظر في الاموال وينفذ تصريفاتها ويرفع اليه حسابها لينظر فيه ، ويتأمله فيمضي ما يمضي ، ويرد ما يرد ، وهو يشارك الوزير في التصرف ، ويقول:ابن مماتي شخص يستظهر به على متولي الديوان وليس لأحد مستخدميه ان ينفرد عنه بشيء من علم المنظور فيه ،

ويكتب على جميع ما نظم ورفع ، ويحافظ على ما خرج وقطع له نسخة من الحساب .... وله تنفيذ الأحوال وعليه ضبط أصول وخصوم الأموال .(١)

وصاحب هذه الوظيفه " يرأس الكل ، وله الولاية ، والعزل ، وإليه عرض الأرزاق في أوقات معروفة على الخليفة والوزير ، واليه طلب الأموال واستخراجها والمحاسبة عليها ، ولايعترض فيما يقصده أحد من الدولة "(٢)

٢ - المشارف :

وعمله يشبه عمل الناظر ولكنه يزيد عليه بأن يكون الحاصل من المستخرج فى عهدته وتحت حوطته بعد أن يكون مختوما عليه (٣) هذا ان وجد هذا المنصب .

٣ - صاحب بيت المال " متولى بيت المال "

وهو ثانى رتبة فى بيت المال ، ومهمته الإشراف على ما يدخل الديوان من الأموال ، ويسجلها فى سجلات خاصة بها ، ويراقب ما يخرج منها لأوجه الصرف والنفقات المختلفة ، كما يجب أن تمر به جميع الكتب التى يثبت فيها المال قبل تثبيتها فى دواوينها المختلفة ، ولصاحب بيت المال علامة معينة - " ختم " يضعها على جميع الكتب والمكوك ويقوم الوزير بتفقد ذلك كله (٤)

---

(١) القلقشندى ، صبح الاعشى، ج ٥ / ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ابن مماتى ، قوانين الدواوين، ص ٢٩٧ - ٣٠٦ .

(٢) القلقشندى ، صبح الأعشى ج ٣ / ٤٩٣ .

(٣) قوانين الدواوين، ٢٩٨ ، صبح الأعشى، ج ٥ / ٤٦٥ .

(٤) متز ، الحضارة العربية ، ج ١ / ١٤٨ ، خولة الدجيلى ، بيت المال ، ص٦٤ .

ويذكر ابن مماتي ان توليته تتم بإحدى ثلاث طرق اما ان يكون قد ولي بالامانه، او ببذل اوبضمان ، وبمرور الزمن اطلق على هذه الوظيفة اسم " صاحب الديوان (١) .

٤ - مباشر بيت المال : -

وظيفته ضبط امور الدخل والخرج ، وذلك بتنظيم سجل خاص لكل عمل من الاعمال يوضح فيه اسم العمل أو الجهة ووجوه الأموال .(٢)

٥ - المستوفي :

وهو الذى يضبط الديوان وينبه على مافيه مصلحته من استخراج أمواله ، فهو الذى يطالب المستخدمين بما يجب عليهم رفعه من الحساب فى أوقاته ، وينبه مسئولي الديوان على ما يجب استخراجه من المال فى أوقاته ، كما أن عليه مقابلة السجلات ببعضها واستيفاء حساباتها (٣) .

٦ - المعين :

وهو بمثابه مساعد للمستوفي ، يساعده فى أعماله ، ويساعد أحد المباشرين (٤).

٧ - الناسخ :

وعمله نسخ التوقيعات والكتب الصادرة والواردة ،ويجب عليه أن يكون

(١) ابن مماتي ، قوانين الدواوين ،ص ٢٩٨ ، والقلقشندى ، صبح الأعشى ج ٥ /٤٤٦ .

(٢) النويرى ، نهاية الارب ، ج ٨ / ٢١٧ ، خوله ، بيت المال،ص ٦٤ .

(٣) ابن مماتي قوانين الدواوين ص ٣٠١ ، القلقشندى صبح الأعشى ، ج ٥ / ٤٦٦ .

(٤) قوانين الدواوين ص ٣٠١ - ٣٠٢ ، صبح الأعشى ، ج ٥ / ٤٦٦ .

حذرا فيما يستنسخه ، والا حوسب على إهماله .(١)

٩ - العامـــل .

ومهمته رفع الحسابات الى الجهات المسؤولة وتثبيتها ، والتأكد مـــن صحتها وأول ما أطلقت هـــذه التسمية على الأمير المتولى للعمل ، ثـــم نقلت التسمية إليه وخصت به دون غيره(٢)

١٠ - الكاتب . وعمله شبيه بعمل العامل تماما(٣)

١١ - الشاهد : ومهمته ضبط كل شيء مما هو شاهد فيه .(٤)

١٢ - النائب والأمين :

وكلاهما كاتب مستخدم فى الديوان ، ولا يلزمه رفع الحسابات وإن كـــان من الجائز مطالبته بها(٥)

١٣ - الحايز : وهو كاتب يكتب على الأجران فيكون ضابط لما يحمل مـــن المحاصيل ومن لوازمه أن يختم على الاجران كل ليلة ويمنع المزارعين من التصرف فيها ضمانا لحق الدولة(٦)

(١) قوانين الدواوين،ص ٣٠٢ .
(٢) قوانين الدواوين،ص ٣٠٢ . صبح الأعشى٥ / ٤٦٦ .
(٣) قوانين الدواوين،ص ٣٠٣ .
(٤) ابن مماتى،قوانين الدواوين،٣٠٤ ، صبح الأعشى٥ / ٤٦٦ .
(٥) قوانين الدواوين،ص ٣٠٤ .
(٦) قوانين الداوين،ص ٣٠٥ .

١٤ ـ الخازن :

وهو متولى قبض الغلات وخزنها واخراجها ، ويلزمه تقديم الحساب عن ذلك ، ويطالب بما لعله يعجز منها (١)

١٥ ـ الجهبذ :

وهو كاتب مهمته " استخراج المال وقبضه ، وكتابة الايصالات به وعليه عمل المخازيم ، والروزنمجات ، والختمات ، وتواليها ، ويطالب بما يقبضه ويخرج ما يرفعه من الحساب اللازم له " (٢)

وقد لعب الجهابذة دورا رئيسيا في تنظيم الحسابات الواردة والصادرة، لبيت المال فى العصر العباسى الأول ، ففى وزارة أبى أيوب فى عهد المنصور استعان الخليفة بأحد الجهابذة النصارى للاشراف على الشؤون المالية ، فظهر عليه الثراء وكان المنصور مراقبا له ، وحين استجوبه أدرك بأنه أختلس ثلاثين ألف درهم من عمله (٣) ويفهم من قصة يرويها التنوخى أنه كان للجهابذة فى زمن الرشيد دائرة خاصة لعلها شعبة من بيت المال ، إذ يقول عن شخص إنه " ابن داية إنه جهبذة وصاحب بيت ماله ، ثم يصف محل عمل الجهبذ " دخلت الدار فرأيت ... فى صدره شابا بين يديه كتاب وجهابذة وحساب يستوفيه عليهم ، وفى صفاف الدار ومجالها جهابذة من أيديهم الأموال والتخون والشواهين يقبضون ...." (٤)

---

(١) قوانين الدواوين ص ٣٠٦ .

(٢) الروزنامج : كتاب اليوم لأنه يكتب فيه ما يجرى كل يوم من الخراج او نفقة عند ذلك الخوارزمى ، مفاتيح العلوم ص ٣٧ .قوانين الدواوين ص ٣٠٤

(٣) الجهشيارى الوزراء، ص ١١٤

(٤) الدورى ، تاريخ العراق الاقتصادى ، ص ١٦٢ .

وفى زمن المأمون نجد الإشارة إلى ديوان الجهبذه ، ويظهر انه شعبه من بيت المال ، ومهمته تدقيق حسابات بيت المال وتدقيق نوعيه موارده ، (١)
كما كان للمتوكل جهبذ نصرانى يحاسب المكلفين بالجباية والغنائم فكان يتشدد على المسلمين فى استخراج الاموال منهم ٠

ومما سبق ندرك مدى الضبط الذى روعى فى ديوان بيت المال ، ولاشك أن هذا نتيجة خبرة متوارثة لتصل الى هذه الدقة ، فقد أصبح لديوان بيت المال فى العصور العباسية المتأخرة جهاز إدارى متكامل يشرف عليه ويدير شؤونه ويسجل الأموال الواردة اليه والخارجة منه فى أوجه النفقات المختلفة عدد من الموظفين يسأل كل منهم عن أمر من الأمور المتعلقة بوظيفتة وعلى رأسهم هؤلاء جميعا الوزير الذى من حقه النظر فى شئون بيت المال ٠

---

(١) الدوروى،النظم الاسلاميه،ص٢٠٠ - ٢٠١ ٠

ب - بيت المال الخاص :

أول من فصل موارد الدولة الى شعبتين هو معاوية بن ابى سفيان وذلك حين اصطفى الصوافى عن ممتلكات بيت المال العام ، وجعلها ملكا له ، وهذه الصوافى فى اصلها كانت لكسرى وآله ، فكان معاوية يقطع منها ويصل من يشاء (1)

وحين قامت دولة بنى العباس استحوذوا على هذه الممتلكات وآلت ملكيتها اليهم فأطلق عليه - الضياع السلطانية - وأضافوا اليها ما استحدث من أملاك وضياع وجعلوا هذا كله بايدى مزارعين ومتقبلين نظير ارتفاع معين أتفقوا عليه ، وأفردوا لجبايتها جهازا خاصا يشرف على هذه الاملاك عرف بديوان الضياع مهمته جباية هذه الأملاك التى اختصت بالخليفة (2) وكانت تعزل عن بيت مال المركزى لتحفظ فى بيت مال الخليفة الذى عرف " بيت مال الخاصة " .

لم يأتى ذكر بيت المال الخاص فى عهد الخلفاء الراشدين ، ولا دولة بنى اميه ، وكانت أولى الإشارات إلى ذلك فى عهد الخليفة العباسى المنصور ، وهذا يعنى ان المنصور هو الذى أوجده ، ففى آخر حجة له - عام ١٤٨ هـ - قال قبل خروجه للمهدى : " إنى سائر عنك وارانى غير راجع فاقضى عنى ثلاث مائة ألف درهم من بيت المال بل من مالك فان الذى يصل اليك من الامر أعظم منها ... " (3) اما روايه الطبرى فتقول " ولست استحلها من بيت مال المسلمين فاضمنها عنى وما يفضى إليك من الأمر أعظم منها .... " (4)

(1) تاريخ اليعقوبى ج٢ / ٢١٨ ، الصولى ، ادب الكتاب ، ص ٢١٩ .
(2) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١١٦ ، وكان ديوان الضياع ينظر فى اداره ضياع الخليفة ، وضياع اسرته وهى ضياع واسعة منتشرة ومختلفة فى انحاء الامبراطورية ، الجهشيارى ، ص ١٦٦ ، الدورى ، النظم الاسلامية ص ٢٠٠
(3) العمرانى ، الانباء فى تاريخ الخلفاء ، ص ٦٧ .
(4) الطبرى ، ج ٨ / ١٠٤ .

وهناك اشارة أخرى الى فصل بيت مال المسلمين عن مال الخليفة في عهد المهدي فيذكر المسعودي " أنه فرق في عشرة ايام من طلب ماله عشرة ملايين درهم " (١) ويذكر الطبري بان المهدي رد عام ١٦٨ هـ - ٧٨٤ م ديوانه وديوان أهل بيته من دمشق إلى بغداد (٢)

ويبدو أن تسمية " بيت مال الخاصة " لم تستعمل بشكل صريح إلا في خلافة الهادي ويذكر الجهشياري أن اسحاق الموصلي غنى للهادي حتى اطربه فخيره الخليفة في طلب جائزته ، فطلب ما لايعقل فرفض الخليفة ثم أمر ابراهيم بن ذكوان باخذ الموصلي الى بيت مال الخاصة ليأخذ ما شاء منها فأخذ الموصلي خمسين الف دينار (٣)

كما أمر الهادي لنديمه المفضل عيسى بن دأب بثلاثين ألف دينار من بيت مال الخاصة أيضا (٤) وقد تكرر ذكر بيت مال الخاصة عبر العصر العباسي الأول ، فقد لجأ الرشيد عندما تزوج من زبيدة إلى بيت مال الخاصة و "بلغت النفقة في هذا العرس من بيت مال الخاصة ، سوى ما انفقه من ماله ، خمسين الف الف درهم " (٥)

---

(١) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ / ٣٢٢ .

(٢) الطبري ج ٨ / ١٦٧ ويرجح الباحث ان يكون الديوان تابع لبيت مال الخاصة ، الازدي - تاريخ الموصل ، ص ٢٥٣ .

(٣) الجهشياري ، الوزراء ، ص ١٧٦ .

(٤) عيسى بن دأب : من اكثر اهل الحجاز ادبا واعذبهم الفاظا ، وكان قد حظي عند الهادي حظوة لم تكن لأحد قبله ، وقد رفض الحاجب وصاحب الديوان والتوقيع دفعه المبلغ اليه ، فاضطر الهادي ان يدفع اليه المبلغ من بيت مال الخاصة ، ابن الاثير ، الكامل ، ج٥ / ٨١ .

(٥) الشابستي الديارات ، ص ٥٧ ، بينما يذكر ابن الزبير انها بلغت ٥٠ مليون دينار ، الذخائر ، ص ٩٢ .

وكان للطبيب جبرائيل بن بختيشوع راتب من بيت مال الخاصة طوال خدمته ثلاثة وعشرين سنة بالإضافة إلى مخصصاته ، وراتب آخر من بيت مال العامة، وقد عاصر عدداً من خلفاء بني العباس من بعد الرشيد (١) .

وكان بيت مال الخاصة مصدر عون لحاشية الخليفة ، ففي عهد الخليفة المتوكل اقترض موسى بن عبدالملك من بيت مال الخاصة ، مالا وضمن رده للخليفة ، ثم أعاده لبيت مال الخاصة على دفعتين (٢) كما كان عليه صرف رواتب لحاشية الخليفة كما ذكره ابن الزبير في زمن المتوكل .

ومن هنا يتضح لنا ان بيت مال الخاصة كان معروفا ولو على نطاق ضيق منذ أوائل العصر العباسى ، واذا ورد ذكره لأول مرة فى عهد الخليفة الهادى ، فهذا لايعنى ان هذا التاريخ يعتبر بدايه ظهوره ، لأن الهادى تسلم زمام الحكم وأمور الدولة مهيأه بفعل الإدارة الحازمة والمنظمة للمنصور والمهدى .

أما عن ادارة بيت مال الخاصه فلم يجد الباحث عنها توضيحا، إلا أن زيادة نفوذ الترك فى القرن الثالث وسيطرتهم فى كثير من الأحيان على بيت المال ، جعل الخلفاء يفضلون الخزينة الخاصة ويسعون لتنمية مواردها لفائدتهم فصرنا نرى بعد منتصف القرن الثالث الهجرى خزينتين مستقلتين بيت مال يساهم الوزير فى الإشراف عليه وفي وضع الميزانية ، وبيت مال الخليفة والخزينة الخاصة وهى تحت تصرف الخليفة وحده (٣)

---

(١) سبق ذكر فى الباب الثالث انظر طبقات الاطباء ، ص ١٩٨

(٢) التنوخى ، الفرج بعد الشده،ص ٨٩ .

(٣) ناجى معروف ، موجز تاريخ الحضاره ، ص ٦٥ .

كان الغرض من انشاء بيت مال الخاصة " حفظ الأموال الخاصة وتنظيمها وتسهيل الإشراف عليها ، والغاية الأساسية من انشاء بيت مال الخاصة ، هي المحافظة على أموال الخليفة ، ولهذا كان من المفروض ان تبقى منفصلة عن المالية العامة ،واذا ما استخدمت فتستخدم في حالات الطوارىء فقط [١] وكان الوزراء يتذمرون من الإسراف ولا ينفذون أمر الخليفة - كما سبق ذكره - بأخذ المال من بيت المال العام فيأمربأخذه من بيت مال الخاص .

ثانيا : الجهاز الادارى لديوان الخراج :

لقد اتبع العباسيون سياسة ادارية موفقة حين ابتعدوا عن مركزية الادارة ، وخولوا الولاة الصلاحيات الواسعة فكادوا يكونون كالخلفاء يأمرون وينهون ويتولون الجباية والنفقة فى مصالح الإقليم وهذه الادارة كانت شبيهة للادارة المركزية في بغداد وبشكل مصغر .

ويعتبر ديوان الخراج من أهم هذه الدواوين فى الدولة ، لأنه يشرف على الشؤون المالية ، فهو عماد الموارد وبالتالى عماد السلطان ، وأحد قوائم الملك وأركانه [٢] .

أدرك خلفاء بنى العباس أهمية هذا الديوان فعملوا على تنظيمه ، لأن اكبر مهامه هى جباية الخراج والنظر فى مشاكله [٣] لأنه المصدر الرئيسي لموارد بيت المال ، وكذلك جباية سائر الضرائب الأخرى كالجزية ، والمكوس وغيرها .

---

(١) خولة الدجيلى ، بيت المال ، ص ١٨٣ .

(٢) ابن خلدون المقدمة،ص ١٨٣ .

(٣) السامرائى ، فى الاقتصاد الزراعى،ص ٣٦٣،ترتيب الدول ، ص ٨٣ .

وبما أن أراضي الدوله الاسلاميه قد شملت أنواعا مختلفة من الملكية أرض عشر ، وأرض خراج ، وأرض مشاع ٠٠٠٠٠٠٠ دون أن تكون هناك خطوط واضحه تميز بينها ، كما كان يوجد كثير من التنوع فى شروط الملكية فى كل نوع ، إذ كانت شروط استغلال الأراضي تعتمد عادة على اشخاص اصحابها ومراكزهم (١) .

وكانت هذه الاراضي مسجلة فى ديوان الخراج المركزي فى العاصمة ، كما كانت مسجلة بسجل فى ديوان الخراج المحلى فى كل إقليم ، اذ كان فى كل اقليم من أقاليم الدولة ديوان خراج خاص به ، يقوم مقام بيت المال والنفقات وإن متولى الخراج فى إقليم كان يستوفى من أموال الخراج التى بعهدته أعطيات الجند والنفقات الراتبة ثم يرسل الباقى إلى بيت المال المركزى فى عاصمة الخلافة ، التى بدورها كانت تحفظ بسجلات تقدير الضرائب فى الأقاليم (٢)

ويبدو أن الوزير كان على عاتقه أمر افتتاح بالخراج ٠ ومتابعة كتاب الخراج باعداد السجلات وضمان سير الديوان ، ويتضح مدى أهمية هذا الديوان من قول ابن الفرات " من صلح أن يتقلد ديوان الخراج صلح للوزارة " (٣)

كان يسجل فى ديوان الخراج حدود كل بلد ونواحيه ، وكذلك أحكام الضياع اذا اختلفت فى كل ناحية ، كما يسجل فى الديوان حال البلد هل فتح عنوة أو صلحا ، وما استقر عليه حكم أرضه من عشر أو خراج ، وإن كانت بعض الأراضي عشرا وبعضها خراجا فصل ذلك ، ودون خراج الأراضي الخراجيه

---

(١) الدروى ، تاريخ العراق الاقتصادى ،ص ٢٤ ـ ٢٥ ٠

(٢) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٢٤ ، الدورى ، النظم الاسلامية، ٢٠٣ ٠

(٣) الصابى ، الوزراء ، ص ٢٧٧ ، ٢٤١ ، رسوم دار الخلافة ،ص ٢٨ ، تجارب الأمم،ج ١ / ٢٩ ٠ نشوار المحاضرة٨ / ١٦ ـ ١٨ ٠

فقط ، كما كان يسجل مقدار الخراج على كل أرض لاسيما إذا كـــان الخراج مختلفا باختلاف الزرع ، فإن كان وظيفه الخراج مقاسمة على الزرع لزم ذكر نسبة المقاسمة (١)

ويسجل فى هذا الديوان أسماء أهل الذمة فى كل بلد وما استقر عليـــه عقد الجزية ووجب مراجعتها فى كل عام ليسجل من بلغ ، ويسقط من مات أو اسلم لمعرفة ما يستحق عليهم (٢)

كما يسجل فى الديوان الأمصار وما استقرت عليه عهود الصلح من أهـل الذمة ، وبعبارة أخرى يسجل فى الديوان شروط الصلح ومقدار ماعليهم ولهم (٣).

ويسجل أيضا أراضى الصوافى - قبل ان ينفرد لها ديوان خاص - وحدود هذه الأراضى وأسماء أصحابها والمبالغ المستحقة عليها (٤) ويثبت فى سجلات الديوان الأراضى المقطعة وأسماء من أقطعت لهم (٥)

وصفوة القول أن ديوان الخراج ينظر فى الخراج تقديره وجبايتـــه ، ومشاكله وفى ضبط الدخل ، وأشار ابن خلدون الى مدى أهمية هذا الديـــوان بقوله : " أعلم أن هذه الوظيفه من الوظائف الضروريه للملك ، وهى القيام على أعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة فى الدخل والخرج .... " (٦)

(١) الماوردى ، الاحكام،ص ٢٠٧ ، ابو يعلى،الاحكام ،،ص ٢٤٤ ، مفاتيـــح العلوم ، ص ٣٩ .
(٢) خرداذبة ، المسالك ، ص ١١١ ، الماوردى ، الاحكام ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .
(٣) ابو يعلى ، الاحكام ص ١٦٠ .
(٤) ابو يعلى ، الاحكام ، ص ١٦٠ ، حسينى الادارة ، العربية ، ص ٣٠٤ .
(٥) ابو يعلى ، الاحكام ، ص ٢٣٢ ، الخوارزمى، مفاتيح العلوم ، ص ٤٠.
(٦) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٩٢ .

وتبدو جسامة مسؤليات هذا الديوان من المجالس التى كان يتألف منها فقد كان ديوان الخراج فى بغداد يتألف من عدة مجالس ، إلاأن مصادرنا العربية لم توردها مفصلة ، بل ذكرت إشارات بسيطة عنها ، ومن هذه المجالس الاداريه (١) :

١ - مجلس الأنشاء والتحرير .

٢ - مجلس النسخ .

٣ - مجلس الاسكدار .

٤ - مجلس الحساب .

٥ - مجلس الجهبذة .

٦ - مجلس الجيش .

٧ - مجلس التفصيل .

٨ - مجلس الاصل .

١ - مجلس الانشاء والتحرير (٢) :

يقوم بانشاء وتحرير الكتب التى تصدر عن ديوان الخراج ، وعلى الكاتب ان يكون متمكنا من اختيار اللفظ الذى يؤدى تمام المعنى المضمون وبدقة .

٢ - مجلس النسخ (٣) :

يقوم بنسخ تلك الكتب على عدة نسخ مطابقة للأصل ، ويحتفظ بنسخة منها فى الديوان ، ويرسل النسخ الأخرى إلى الجهة التى وجه الكتاب اليها ، كما يرسل بقية النسخ الى الدواوين ذات العلاقة .

---

(١) السامرائى ، المؤسسات الادارية ، ص ١٩٦ .
القسم الاول من كتاب قدامه بن جعفر " الخراج وصناعة الكتابة " والذى يشمل ديوان الخراج ضائع ولم يعثر لحد، عليه الى اليوم .

(٢) قدامة ، الخراج ، ص ٢١ ، الخوارزمى مفاتيح العلوم ،ص ٥٠ .
التحرير : هو نقل الكتاب من سواد النسخة الى بياض نقى والتثبت من نسخها باعتناء .

(٣) الناسخ : كاتب يستخدم برسم التوقيعات والمكاتبات الصادرة والواردة

الخزانة ، "(١) وعليه إعداد خلاصة شهرية بالواردات والمصروفات ، والمتبقى من الأموال ورفعها الى بيت المال ، ويساعد الجهبذ فى عمله كاتب خاص ، وعليه ايضا أن يقدم قائمة خاصة بالدخل اليومى ، ثم تقابل قوائمه بقوائم كاتبه كما تقابل البراءات التى يصدرها بسجل الوارد ، وعلى الجهبذ أن يعمل حسابا شهريا يطلق عليه " الختمة " وحسابا سنويا يسمى " الختمة الجامعة " والخلاصة فإن أهم واجبات مجلس الجهبذة التأكد من وصول الواردات بكاملها الى الديوان ، وكان يتسلم بدل خدماته هذه أجوراً من الضرائب المجباة تدعى " حق الجهبذة " ويحدد مقدارها حين يعين الجهبذ (٢).

وهناك إشارة الى كيفية سير عمل الجهبذ ، وما يتخذه من السجلات كالتالى :

١ - سجل خاص بالبراءات ، وهى الحجج التى يقدمها الجهبذ لدافعى الضرائب يؤيد فيها صحه دفع وتسلم ما هو مدون فيها من حيث كمية المال المدفوع واسم الشخص واليوم والسنة وشهادة الشهود .

ب - التأريخ : لما كان تسلم المبالغ الضريبيه لا يتم دفعة واحدة ، بل بشكل دفعات ويكون الجهبذ مسؤولا عن الجبايات المقرره للسنه التى تصب فيها والسنة التى قبلها اصبح لزاما عليه أن يمسك سجلات تسمى التأريخ ، يدون فيها اسماء جميع الاشخاص المتعاملين معه من دافعى الضرائب ، والأرضى التى بعهدتهم ، وكمية الأموال المدفوعة إليه نقداً ويثبت تحت كل اسم من دفعات القبض يكون مصفوفا ليسهل عقده بحساب هذا التأريخ تفصيلات خاصة لكل أرض مشمولة ليتيسر أمر الرجوع اليها عند الدفع والتدقيق.

---

(١) السامرائى ، المؤسسات الادارية،ص ١٩٧ ، قدامة،الخراج،ص ٣٥ ، الجهشيارى ، الوزراء،ص٢٢ .

(٢) الدورى ، تاريخ العراق الاقتصادى،ص ١٦١ مفاتيح العلوم،ص ٣٧ .

جـ - العريضة : وهو سجل يمسكه الجهبذ لايراد البيانات الخاصة بالأصل والاستخراج وقد اشار الخوارزمي [(١)] الى كيفية تنظيمه والتنسيق الجارى بين أبوابه الثلاثة ،فالأول للأصل وهي كمية الأموال الواجب تحصيلها ، والثانى للاستخراج يبين فيها كمية الأموال المدفوعة إلى الجهبذ فعلا.

والباب الثالث خصص للفارق بينهما أى المبالغ المتبقية من أصل مقدار الضريبة المستحقة التى يدفعها أصحاب الأراضي ، وتتضمن تفصيلات العريضة عرضا لكل الأراضي المشمولة بالضريبة وفي كل منطقة ، في كل سطر منها للأرض ما يدون ازاءها بيانات الأصل والاستخراج والباقي إلى ان ينتهى من ايراد جميع هذه الأراضي ، ثم يثبت تحت كل باب فيها مجمل هذه المبالغ .

د - المهمة الأخيره للجهبذ فى هذا الديوان هو ايصال الأموال التى بقيت فى حوزته الى بيت المال فى العاصمة ، وهنا يتعهد الجهبذ بأن لايستقطع منها اية نفقات أو اجور سواء تلك التى تتعلق بنقله مثل اجره الدواب أو المبالغ المصروفة على البدر التى توضع فيها الأموال ونفقات الطريق لكل من الرسول والكاتب المكلفين بحمل الأموال إلى بيت المال المركزى ، وكانت هذه الإيرادات تصل أحيانا إلى بيت المال بواسطة وثائق مالية يتم تنظيمها وارسالها وفق ترتيبات خاصة أعدت لهذا الغرض .[(٢)]

---

(١) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم،ص ٣٧ .

(٢) أمل عبدالحسين عباس السعدي ، الصيرفة والجهبذة في العراق منذ القرن الثانى الى نهاية القرن الرابع الهجرى ، رسالة دكتوراه مقدمة الى كلية الآداب / جامعه بغداد ١٩٨٥ . غير منشوره .

٦ - مجلس الجيـــش :

ويقوم بالإشراف على رواتب الجند ومخصصاتهم الشهرية وعمل قائمـــة بالحسبات النهائية عن طريق إعداد جرائد تهيأ لهذا الغرض ، وكان هـــذا المجلس على اتصال وثيق بمجلس الجارى فى ديوان النفقات من جهة ، وبديـوان الجيش من جهة أخرى من أجل تنسيق العمل بينها لضمان توفير الأموال اللازمة للجيش (١)

٧ - مجلس التفصيـــل :

وكانت مهمته " النظر فى الجرائد المحمولة ، وتصفح أسماء ومنـــازل الأرزاق ، وما يحتاج إليه عمال الخراج ، وتدقيق فيما يرد وما يصدر إليهم "(٢) ويشبه قدامة بن جعفر عمل هذا المجلس فى ديوان الخراج بعمل مجلس المقابلة فى ديوان الجيش .(٣)

٨ - مجلس الأصل :

يتولى مسئولية الإشراف على سير الأعمال فى المجالس الأخرى من الديـــوان والتنسيق بينها ، كما كان يحتفظ بسجلات الأراضى الخراجية وارتفاع خراجها (٤)

ومن الملاحظ أن هذه المجالس مترابطة لخدمة سير العمل فى ديـــوان الخراج دون أن يتعارض مجلس مع مجلس آخر ، كما أن ديوان الخراج علـــى اتصال وثيق بباقى الدواوين فى الدولة بطريقة أو بأخرى فديوان البريد : لـــه

(١) قدامة، الخراج ، ٢١ - ٢٢ .

(٢) قدامة، الخراج ص ٣٣ ، السامرائى، المؤسسات، ص ١٩٨ .

(٣) قدامة، الخراج، ص ٢٣ ، مفاتيح العلوم، ص ٣٨ ، ٤٣ .

(٤) السامرائى، المؤسسات، ص ١٩٨ .

اتباع فى مختلف البلاد يكتبون للخليفة ما يلاحظوه من تغير اسعار المواد الغذائية ، وما يقضى به القضاة وما يقوم به الوالى ، وما يرد لبيت المال من مال ، فكان الجباة تحت ملاحظة أصحاب البريد .

ويتضح هذا جليا ففى عام ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م طلب من صاحب البريد أن يعرف حال عمال الخراج والضياع فيما يجرى عليه أمرهم ، وتتبعهم تتبعا شافيا للوقوف على مدى الاختلال فى عملهم وما يجرى على الرعية من أحكامهم (١) وكان بيت المال يقوم كحلقة الوصل بين ديوان الخراج وديوان الجند ، فهو مسئول عن استلام الواردات ودفع النفقات وتقوم الأعمال على أساس النقود فقط ، فلم تكن له اية علاقة بما كان يرد المصر من الحبوب (٢) ويشرف على مايرد الى بيت المال من الأموال وما يخرج منه للنفقات ويجب ان يمر به الكتب التى ترسل فيها الاموال قبل انتهائها إلى دواوينها للتثبت منها ، وكذلك الكتب المرسله إلى صاحب بيت المال من الدواوين المختلفة حين تطلب ارسال بعض الأموال اليها ، ولصاحب هذا الديوان ختم خاص يختم به الحسابات (٣) .

وكانت الصدقات تجبى من الأموال المرصدة للنماء ويبدو أن الصدقات كانت تابعه لديوان الخراج ، وكانت أموالها لاتعزل عنه ، وقد خصت بموظف يقوم بجبايتها وكان عمال الصدقة يتولون زكاة الأموال الظاهرة كالمواشى والمنتوجات الزراعية ويترك إلى الافراد إخراج زكاة بقيه الأموال كالذهب والفضة (٤) .

---

(١) الدورى ، النظم الاسلامية،ص ٢٠٧ ، حسن ابراهيم ، النظم الاسلاميةص٢١٢

(٢) صالح العلى ، التنظيمات الاجتماعية،ص ١٥١ .

(٣) ناجى معروف ، موجز تاريخ الحضاره ، ص ٣٥ .

(٤) فهمى سعد ، العامة فى بغداد،ص ٤٦ .

وكان يعمل في ديوان الخراج عدد كبير من الكتاب الذين يباشرون أمور السجلات وموظفون يقومون بجباية الخراج من نواحي الأقاليم وكان المساحون يتولون مسح الأرض ، وتحديد الجزء المزروع منها ويقدرون كمية المحصول الناتج منها وكان عامل الخراج يتبع الخليفة مباشرة [١] وقد انتظمت في خلافة المهدي أوقات عمل الكتاب في الدواوين وحددت أجازاتهم فأمر بجعل يوم الخميس عطلة للكتاب ، يستريحون فيه - وينظرون في أمورهم الخاصة ولايحضرون الى الدواوين بالاضافة إلى يوم الجمعة التي كانت عطلة دينية ، واستمر هذا الوضع حتى خلافة المعتصم فكتب الفضل بن مر وان إليه بإلغاء عطلة الخميس فألغاها [٢]

(١) عصام عبدالرؤوف ، الدولة العباسية ، ص ١١٥ .
(٢) الجهشياري ، الوزراء ، ص ١٦٦ .

ثالثا : الجهاز الادارى لديوان النفقات :

كان أكبر مهام هذا الديوان القيام بنفقات دار الخلافة وحاجاتهـــا ، ونفقات الدواوين المركزية ، وكذلك المصالح العامة ببغداد ، حيث ان ديـــوان الخراج فى الولايات كان يقوم مقام ديوان النفقات فيها بالإضافة إلى جبايـــة الضريبه (١) ولأهمية هذا الديوان اطلق عليه ديوان الأمانة والحاشية (٢)

ونظرا لتنوع الأعمال التى كانت على عاتق ديوان النفقات التى كانـــت تحت اشراف متولى الديوان الذى يجيد الحساب ومجراه عالما بالوزن والأسعار ، عارفا للرسوم السلطانية وكان يطلق على صاحب الديوان المستوفى ، ويأتى بعـــد الوزير فى المقام لأن أمور الدواوين ومطالبها ترجع إليه ، فقد قسم الديوان إلى عدة مجالس تخصص كل منها بعمل معين فيها : -

أولا - مجلس الجارى :

ويتولى هذا المجلس صرف ارزاق ومرتبات المرتزقة من الجنود علـــى حسب مراتبهم ، وذلك بعد تصنيفهم حسب الأعمال الموكلة إليهم ، وتثبيـــت أوقات استحقاق تلك الأرزاق ، ويعتمد فى ذلك على سجلات - جرائد - خاصـــة تهيأ لهذا الغرض . (٣)

ومن دراسة الوثيقة التى حفظها لنا الصابى عن ضمان جرى ابرامه فـــى بداية حكم المعتضد (٤) يمكن القول بأن دفع العطاء فى هذا المجلس كان يجرى

---

(١) السامرائى ، المؤسسات الادارية ، ص ٢٣٠ .

(٢) الحسن بن عبدالله ، ترتيب الدول ، ص ٧٢ .

(٣) قدامة المزاج ، ص ٣٧ .

(٤) الصابى - الوزراء ، ص ١٥ - ٢٧ .

على فترات متفاوته ، تبعا لأصناف المرتزقة ، ومن تلك الوثيقة يمكن احصاء ثمانية نماذج لفترات دفع الرواتب وهى كما يلى :

ا - صنف كان يستلم كل - ٣٠ - يوما : ومن هؤلاء اصحاب النوبة في دار الخلافة والمراسلون والقراء ، وأصحاب الأخبار ، والمؤذنون ، والمنجمون ....(١)

ب - صنف كان يستلم كل - ٣٥ - يوما ، وكان منهم اصحاب الصيد من البازياريين والفهادين والكلابين ، والصفارين ، والصيادين والسباعين ، واصحاب الحراب ، واصحاب الشباك ، ومن معهم من ألاعوان والحمالين (٢)

جـ - صنف كان يستلم كل - ٤٥ - يوما وكان من هؤلاء الخدم ، والجلساء ، وأكابر الملهين ويطلق قدامة بن جعفر على هذا الصنف " شهور الحشم " (٣)

د - صنف كان يستلم كل - ٥٠ - يوما ، وكان من هؤلاء " الغلمان الخاصة " والحشم والمستخدمين فى الشراب ، والصناع والطباخون والفراشون والخزان (٤)

هـ - صنف كان يستلم كل - ٦٠ - يوما : ومنهم حاجب الخليفة وخلفاء

---

(١) الصابى ، الوزراء ، ص ١٥ .

(٢) الصابى ، الوزراء ، ص ٢٤ وبلغت ارزاقهم فى عهد المتوكل خمسمائة الف درهم ، ابن الزبير ، الذخائر ، ٣١٩ .

(٣) قدامة ، الخراج ، ص ٣٣ ، الصابى ، الوزراء ، ص ٢٣ بلغ لارزاق هؤلاء فى عهد المتوكل خمسمائة ألف درهم ، وارزاق الحشم عشرة ملايين درهم ، ابن الزبير ٢١٩ - ٢٢٠ .

(٤) الصابى ، الوزراء ، ص ١٦ وبلغ ارزاق الفراشين فى عهد المتوكل ثمانمائه الف دينار - ابن الزبير ، الذخائر ، ص ٢٢٠

الحجاب ، وقد أمر المعتضد بان ينقل الغلمان الخاصة إلى هذا الصنف[(١)]

و - صنف كان يستلم كل - ٧٠ يوما - وقد اقتصر ذلك على جماعة من الحرس عرفوا بالمختارين[(٢)] .

ز - صنف كان يستلم كل - ٩٠ يوما - ومنهم الحرس ويطلق عليم " عساكر الخاصة "[(٣)]

ر - صنف كان يستلم كل - ١٢٠ - يوما وهؤلاء أقل العسكريين كفاءة

وتضاف إلى هذه الأصناف أصناف أخرى غير هؤلاء لم يكونوا يستلمون رواتبهم من خزانة الدولة لأن ارزاقهم كانت مفروضة على الجهات التى كانوا يوجهون اليها[(٤)]

ثانيا : مجلس الأنزال :[(٥)]

وكان هذا المجلس يشرف على محاسبة المتعهدين من التجار الذين يمولون دار الخلافة بالمواد الغذائية ، كالخبز واللحم والحلوى ، والفاكهة والشراب ، والحطب والزيت وغير ذلك من أصناف الإقامات كل على حسب مكانته من الرفعة والانحطاط[(٦)] ، كما كان المجلس يشرف على نفقات خزائن الكسوة[(٧)]

(١) الصابى ، الوزراء ، ص ١٧ .
(٢) الصابى ، الوزراء ، ص ١٩ .
(٣) الصابى ، الوزراء ، ص ١٨ .
(٤) السامرائى ، المؤسسات الادارية ، ص ٢٣٢ .
(٥) الأنزال جمع نزل ، وهو مايهيء للضيف من طعام .
(٦) قدامة ، الخراج ، ص ٣٣ .
(٧) بلغ نفقات الكسوة فى دار الخلافة بعهد المتوكل ثلاثمائة الف دينار فى السنة،ابن الزبير ، الذخائر والتحف،ص ٢١٩ .

والخلع والسلاح ،وما كان يرم من الجواشن [(١)] والدروع ، وما يتخذ من النشاب والأعلام ، والسروج ، وما كان يجد منها ، وما كان يتخذ من الفراش [(٢)] والحصر والستائر والسرادقات،كما كان يتولى صرف أرزاق السقائين فى القصر والخزائن والمطابخ ، والمخابز وصرف أرزاقهم ، ومن كان يعمل فى الاصطبلات والبوابين في دار الخلافة [(٣)] ويتولى كذلك صرف أرزاق الفراشين وخزائن الشموع وأرزاق الجلساء والملهين والأطباء وسائر المقربين من الخليفة [(٤)] .

ثالثا : مجلس الكراع :

ومهمة هذا المجلس شراء المواشى من الخيل والأبل والبغال والبراذين والحمير والطيور ، كما يتولى أمر علوفه هذه الحيوانات وعلاجها ، وصيانة آلاتها ، ودفع أجور الساسة والمكارية والبياطرة ، وحاسبة الفلاحين عما كان يرد منهم من غلاف الضياع السلطانية وغيرها من الأثمان [(٥)]

رابعا : مجلس البناء والمرمة :

تبرز أهمية هذا المجلس بين حين وآخر على حسب سياسة الخليفة العمرانية والحاجة اليها ، ومهمه هذا المجلس الإشراف على المبانى التابعة للدولة ، فكان يبنى ما أمر به الخليفة أو الوزير ، كما كان يقوم بترميم المبانى التى يتطلب وضعها ذلك ، وعلى إدارة المجلس محاسبة المهندسين

(١) الجوشن : درع يلبس مثل الزرد على الظهر والفرق بينه وبين الزرد ان الزرد يكون من حلقة واحده فقط والجوشن يكون من حلقات يتداخل فيها صفائح رقيقة ، ازدشير ، الألفاظ الفارسية المعربة،ص ٤٩ .

(٢) بلغ نفقات الفرش فى خلافة المتوكل مئه الف دينار فى السنة ابن الزبير ، الذخائر ، ص ٢١٩.

(٣) الصابى ، الوزراء ، ص ٢١ ، السامرائى،المؤسسات،٢٣٣ .

(٤) ابن الزبير الذخائر ص ٢١٨ - ٢٠٠ .

(٥) قدامة ، الخراج ، ص ٣٤ الصابى ، الوزراء ، ص ٢٣ السامرائى،ص ٢٣٤ .

والمشرفين على البناء ومتعهدي نقل مواد البناء من حصى وآجر ونوره والاسفيذاج[(١)] وكذلك أصحاب الحرف العاملين من نجارين وبنائين ومزوقين ، ومختلف الصناع ، والتدقيق في كلفة هذه المواد ، وضمانا لمصلحة المجلس ان يكون متولي هذا المجلس على دراية بالامور الهندسية وملما بالأمور الحسابية واسعار مواد البناء[(٢)] .

خامسا : مجلس الحوادث :

ومهمته النظر في النفقات الطارئة والمستعجلة من الأمور الصادرة عن الخليفة أو الوزير ، وذلك كصرف الهبات والجوائز والصلات للشعراء والحاشية وما شابه ذلك من الأمور ، وكثيرا ما كان الوزير يماطل في صرف ما يطلب من ديوان النفقات أو بيت المال المركزي فيستعين الخليفة ببيت مال الخاصة[(٣)] .

سادسا : مجلس الانشاء والتحرير :

ومهمه هذا المجلس تحرير الكتب التي كانت تصدر عن الديوان بحسب المعلومات أو الحسابات التي كان يطلبها المجلس من الصرف والاستلام من بيت المال والدواوين الأخرى ، وينبغي للكاتب أن يكون متمكنا من اللغة ليؤدي المعنى المقصود بدقة[(٤)]

سابعا : مجلس النسخ :

ومهمه هذا المجلس استنساخ عده صور مطابقة للكتاب الصادر من مجلس

---

(١) الاسفيذاج : رماد الرصاص وكربونات الرصاص وهي المادة الرئيسية في صناعة الصبغ .

(٢) قدامة ، الخراج،ص ٣٤ - ٣٥ ، السامرائي،المؤسسات الادارية، ٢٣٦ .
بلغ نفقات البناء و المرمة في عهد المتوكل ثلاثمائه ألف دينار في السنه - ابن الزبير ، الذخائر ،ص ٢١٩.

(٣) قدامة،الخراج،ص ٣٥.

(٤) قدامة - الخراج،ص ٣٥ .

عنــوان الرســــالــه

بيت المــال فى بغـداد خـلال العصر العباسى الاول

١٣٢ هـ ــ ٢٣٢ هـ

=====

اسم المشـــرف	وظيفتـــــــه	توقيعــــــــــه
على حسنى الخربوطلى	استاذ التاريخ الاسلامى	

يعتمـــــــد ؛

رئيــس مجـلــس القســـــم

ا ٠د ٠ صلاح العقـــاد

الإنشاء والمجالس الأخرى ، والاحتفاظ باحداها ، وارسال أصل الكتب إلى صاحب العلاقة ، وارسال صور منها إلى الجهات ذات العلاقة من الإدارة [1]

ثامنا : مجلس بيت المال :

ومهمة هذا المجلس تنظيم حسابات ديوان الخراج ، وينظر في الختمات التي ترفع من الجهبذ في كل شهر بالصادر والوارد من نفقات الديوان والصكوك التي حولت للجهات الأخرى ، ومقابلة النفقات بالصكوك وأوامر الصرف بمجاميع النفقات المصروفة من ديوان النفقات والواردة من ديوان بيت المال [2]

---

(١) قدامه، الخراج ، ص ٣٥ ، آدم متز، الحضارة العربية ج١ / ١٤٩

(٢) السامرائي، المؤسسات الادارية، ص ٢٣٨ .

رابعا : الجهاز الاداري لديوان الزمام :

ان هذا الديوان على اتصال وثيق بكل دواوين الدولة وخاصة ما يتعلــــق بايرادات الدولة ، وان أغفلت المصادر الجهاز الاداري لهذا الديوان رغــــم أهميته في ضبط الدواوين جميعها وعلى رأسها ما اختص بالناحية المالية .

لم يكن هذا الديوان معروفا في عهد بني امية ، وانما أنشئ في أول الأمر في عهد المهدي على يد " عمر بن بزيع " وقد أدخل تعديل لهذا الديــوان بمرور الزمن ليلائم ضبط الادارة المالية في العصر العباسي الأول . فيذكــــر المؤرخون : " أنه عام ١٦٢ هـ / ٧٧٨ م وضع المهدي دواوين الازمة وولى عليها عمر بن بزيع . فعين هذا النعمان بن عثمان ابا حازم زمام خراج العراق[(١)]

وهذا يعني ان المهدي ولى على كل ديوان رجلا ليضبط اعماله ، ويشيــر هذا التنظيم إلى توسع أعمال الدواوين الأصلية وتعقدها[(٢)] وغالبا ما كان يرأس هذا الديوان موظف من موظفي الدولة ذوي الخبرة بالناحية المالية[(٣)]

لم يكن هذا الديوان قد استحدث لمراقبة الدواوين في العاصمة ، بــل استحدث ديوان مشابه له أطلق عليه ديوان الزمام ، وجعل اختصاصه مراجعـــة الحسابات في الولايات خارج بغداد ، ومن مهامه ايضا تحسين الادارة ، لذا خضع

---

(١) الطبري ، ج ٨ / ١٤٢ ، ابن الاثير الكامل ، ج ٥ / ٦٢ ، الجهشياري الوزراء، ص ١٤٦، النويري، نهاية الارب، ج ٢٢ / ١١٤ ، النجوم الزاهرة، ج ٢ / ٤٢ .
دواوين الازمة " بالجمع في جميع المصادر ، ومعنى ذلك أن يكون لكـل ديوان زمام وهو رجل يضبطه ، ويشرف على ضبط الحسابات الماليه الخاصه بالديوان .

(٢) الدوري ، والنظم الاسلامية ، ص ١١٩ .

(٣) حسني ، الادارة العربية ، ص ٣٣١ .

له جميع العمال المختصين بمراجعه الحسابات في الولايات (١) .

ولمزيد من الضبط أحدث المهدى تعديلا على دواوين الأزمة، وتقدم بذلك أخرى نحو المراقبة المركزية وذلك بإنشائه ديوانا يشرف على دواوين الأزمة وينظم أعمالها ، وذلك في عام ١٦٨ هـ ٧٨٤ م وهو ديوان " زمام الأزمة " وقلده لعلى بن يقطين (٢)

وقد ظل على كل ديوان مشرف مسئول ففي عهد المتوكل كان ابراهيم بن العباس بن صول يتولى زمام ديوان النفقات عام ٢٣٣ هـ ٨٤٧ م بعد عزل أبي الوزير وصدور الامر بمحاسبته (٣) .

ونستخلص مما سبق أن ديوان الأزمه كان يقوم برقابة ماليه فعالة متخصصة على جميع دواوين الدولة في ضبط الحسابات وتعين ما عليها من الواجبات تجاه الموظفين واستيفاء ما للدولة من حقوق .

---

(١) حسنى ، الادارة العربية ، ص ٣٠٢ ، الدوري ، النظم الاسلامية ص ٢٠٠
الجهشياري ، الوزراء ص ١٦٨ .
F. LOKKECAARD. ISLAMIC TAXATION, P. 149

(٢) الطبري ، جـ ٨ / ١٦٧ الجهشياري ، الوزراء ص ١٦٦

(٣) الطبري ، جـ ٩ / ١٦٢ .

ومما سبق نرى ان دراسة الجهاز الادارى للدواوين المالية من أشـــــــق الدراسات فبعض الدواوين لم يعمر طويلا فالمنصور استحدث " ديوان المظالم ". والمهـــدى استحدث ديوان الاكراء والضياع وديوان النظر الذى ينظر فى شكوى الرعية مـــن الولاة لحمايتهم من جورهم ، وبعض هذه الدواوين لم يكن لها ذكر بعد وفاة المهـــدى

وصفوة القول فان العباسيين اقاموا جهازا اداريا محكما وشاملا لجميـــع النواحى عن طريق انشاء دواوين مختصـــــة ، وقد عدد قدامة المتوفى عـــام ٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م احد عشر ديوانا منها، لكن الوصول إلى الدقة الكاملة فـــى دراسة هذه الدواوين متعذر للصعوبات الجمة والكثيرة التى تواجه الباحث منها

أ - لم يضع الكتاب فى هذا الموضوع خطا واضحا بين الإدارات المركزيـــــة والاقليمية .

ب - ليس من اليسير الحصول على تفاصيل خاصة بالوقت الذى ظهرت فيه تلك الدواوين الا القليل منها .

ج - انه من الصعب ان لم يكن من المستحيل تماما ذكر تقرير تام دقيق عـن الادارة فى فترة معينة ، لان الخلفاء ادخلوا العديد من التغيرات حسب نزواتهم وحسب مقتضى المصلحة العامة أحيانا .

د - كانت بعض الادارات فى الديوان العام تسمى احيانا ديوانا ، وكأنـــــه قائم بذاته . ومجلسا فى حين آخر وكأنه فرع من الديوان .

نستخلص مما سبق ان الغرض من انشاء بيت المال هو حصر ايرادات الدولة ومحاسبة القائمين على الجباية من واقع السجلات الخراجية ، ومراقبة دخل الدولة ونفقاتها في جميع الأوجه من واقع أذونات الصرف والدفع ، ويقيد ذلك في سجلات خاصة بعد أن يعتمدها صاحب الديوان بختم خاص به ، وتسير هذه الأمور وفق نظام دقيق عبر مجالس الديوان كل فيما يختص به ، وترفع تقارير يومية عن سير العمل في الديوان كما يرفع تقرير شهري وآخر في نهاية كل سنة ، نوضح موارد بيت المال نقدا ، وكذلك أوجه الصرف سواء كانت للدواوين المركزية في العاصمة او مرتبات ، ومخصصات الموظفين في الدولة ، أما موارد بيت المال من الغلال والسلاح والمتاع فقد خصصت لها مجالس تتسلمها وفق مستندات تثبت مقدارها وصنفها وجهة ارسالها وتولى هذه المجالس التدقيق في هذه الواردات وتسجيلها في سجلات خاصة بها ، وصرفها بمقتضى مستندات وفق نظام دقيق ومنظم ومقيد في سجلات الصادر ويرفع تقريرا الى بيت المال يوضح فيه المنصرف والباقي في هذه المخازن .

اما بيت مال الخاصة فيتولى الإشراف على أملاك الخليفة - الضياع السلطانية - وهذه الايرادات تعزل عن بيت مال المسلمين ، وتعتبر من ممتلكات الخليفة فكان متولي هذا الديوان سواء الوزير أوغيره لا يماطله في صرف ما يأمر به الخليفة .

أما مهمة ديوان الخراج فكانت جباية جميع الضرائب المفروضة في الدولة ، وفق سجلات منظمة لكل إقليم أو قرية باسماء الأشخاص ومقدار ما

عليهم من الضريبة ، ويضم ديوان الخراج طاقما كبيرا من الموظفين ، موزعين على عدة مجالس ينظر كل منهم فيما يخصه عند جباية الخراج فى الاقليم وصرف البراءات لدافعى الضريبة ، وعليهم سد نفقات الاقليم الموكلين بجبايتها وارسال الباقى الى بيت مال الحضرة مصحوبا بالمستندات والتقارير عن سير العمل .

ويتكون ديوان النفقات من عدة مجالس مهمتها الاساسية النظر فى نفقات دار الخلافة من مأكل ومشرب وتكاليف رفاهية الخليفة وتنفيذ المشروعات العمرانية وصرف ارزاق العاملين بدار الخلافه وحاشية الخليفة وتوابعه ، وعليهم رفع تقارير شهرية وسنوية لبيان هذه النفقات وأوجه صرفها . وكانت مهمة ديوان الزمام كالجهاز الرقابى على جميع الدواوين لضبط الامور المالية فيها .

الفصل الثاني

النظم والقواعد الادارية التي وضعها قاضي القضاة أبو يوسف في كتاب الخراج لبيت المال

اولاً موارد بيت المال .

ثانياً الطريقة المثلى لجبايه الضرائب .

ثالثاً واجبات بيت المال .

لعل من أشهر تلامذة الامام أبى حنيفة فى العلاقة مع الخلفاء العباسيين أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم ، وقد شغل منصب القضاء ستة عشر سنه حيث عين فى منصب قاضى القضاة عام ١٦٦هـ - ٧٨٢م[١] وظل فى منصبه الى أن توفاه الله فى ظهر الخميس لخمس من شهر ربيع الأول عام ١٨٢هـ - ٧٩٨م[٢].

كان أبو يوسف من العلماء البارزين فى التأليف ، ومن مؤلفاته التى أوردها ابن النديم - كتاب الآثار ، وكتاب الصلاة والزكاة والصيام ، وكتاب الفرائض ، وكتاب البيوع والحدود والوكالة ، والوصايا ، والصيد والذبائح ، وكتاب اختلاف علماء الأمصار وكتاب الرد على مالك بن أنس[٣] ويعتبر كتاب الخراج أول كتاب منظم ألف فى الفقه - أو على الأقل أقدم كتاب وصل الينا ، وهو عبارة عن مجموعة من الاجابات لأسئلة من الخليفة هارون الرشيد وألفه بناء على طلب الخليفة ليكون كتابا جامعا " يعمل به فى جباية الخراج والعشور والصدقات والجوالى وغير ذلك مما يجب عليه النظر فيه والعمل به ".

(١) ابن خلكان،وفيات الاعيان،جـ٦/ ٣٨٨

(٢) الخطيب،تاريخ بغداد،جـ١٤/ ٢٦١

(٣) ابن النديم : الفهرست،ص ٢٨٦ - الكوثرى : سيرة ابى يوسف،ص ٣٢

تناول الكتاب نقاطا رئيسية ثلاثا :-

أولا : موارد بيت المال وتنقسم الى أربعة أقسام ٠

أ- الغنائم

ب- الغى الخراج ٠ ويشمل خراج الارض والجزية والعشور

ج- الصدقات

د - موارد ثانوية

ثانيا : بيان الطريقة المثلى لجباية تلك الأموال

ثالثا : بيان الواجبات التى يقوم بها بيت المال ٠

أولا : موارد بيت المـــال

وضح القاضي موارد بيت المال المنصوص عليه شرعا وماسنه الخلفـــاء الراشدون والمتغيرات التى طرأت على الدولة الاسلامية من بعد الفتح الاسلامـى والتعامل مع الشعوب الأخرى ويقسم موارد بيت المال الى ثلاثة موارد رئيسية هى :-

أ- الغنائم :

الغنيمة [(١)] هى أول موارد المسلمين منذ قيام دولة الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة ، وهى ما يؤخذ من أموال ومتاع وسلاح وكراع وغيرهـــا بقوة الغزاة على وجه يكون اعلاء كلمة الله تعالى [(٢)] ويتم تقسيم الغنائم خـــارج حدود العدو ، ويحق للمقاتلين الاستعانة بالغنائم فى طعامهم وغيره قبل توزيعها وقد اتفق على أن يكون نصيب الفارس سهمين والراجل سهما واحدا ، ويكـــون نصيب بيت المال الخمس بقوله تعالى:" واعلموا أنما غنمتم من شئ فان للــه خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتـــم باللـــه ..." [(٣)]

ب- الفئ والخراج : [(٤)]

ويضم ما ناله المسلمون من الأراضى الزراعية التى فرضت عليها الوظيفـة وكذلك جزية رؤوس أهل الذمة ، ثم العشور ، لان المسلمين فرضوا سلطانهم على هذه الأراضى ، وقد تركت الأراضى المفتوحة من عهد عمر بن الخطاب بيـــد أصحابها فتولوا فلاحتها وحرثها وزرعها وغرسها ، مقابل ضريبة معلومة الا أن

(١) الغنيمة : اسم لكلما صار للمسلمين من أموال أهل الشرك ، الرحبى، الرتاج حـ١/ ١٨٩ .

(٢) ابو يوسف ، الخراج ص ١٨ ، الرحبى ، الرتاج ، حـ١/١٤٣

(٣) سورة الانفال آية ٤١ .

(٤) الفيء : ماقيل بعد ان تضع الحرب اوزارها وتصير الدار دار الاسلام، الرحبى، الرتاج ، حـ١/ ١٨٩ .

ما سيطر عليها المسلمون وتركت فى أيدى أهلها لزراعتها أوأن قسمت بين الذين غنموها (١) ولا يحل تحويل الأراضى الخراجية الى عشرية ولا عشرية الى خراجية ، ولو كان القائم عليهاشخص واحد (٢)

وفرض العشر على العسل اذاكان فى أرض العشر ، والغى خراج العسل اذاكان فى الأراضى الخراجية (٣) والغى القاضى ضريبة الحطب والحشيش والتبن والسعف أما قصب السكر فعليه العشر فى الأراضى العشرية ، والخراج فى الأراضى الخراجية وكذلك قصب الذرة لأن فيه منفعة (٤) ومثله على اللوز والجوز والبندق والفستق وماشابه ذلك لأنه يكال (٥)

أما ما يستخرج من البحر كالعنبر وغيره فان الضريبة عليه الخمس لبيت المال (٦) ولم يعين أبو يوسف مقدار الضريبة فيما تخرجه الأرض من المعادن كالنفط والزئبق لعدم ورود نص فى ذلك ، ولاسنة متبعة (٧) وفى موضع آخر يقرر عليه الخمس (٨)

ومن موارد بيت المال الهامة الجزية وهى مفروضة على أهل الذمة فى السواد وغيرهم فى سائر البلدان التى تحت سلطة دار السلام من اليهود والنصارى والمجوس والصابئيين والسامرة ، وتجب على الرجال منهم دون النساء والصبيان على الموسر ثمانية وأربعون درها ، وعلى متوسط الحال أربعة وعشرون ، وعلى

(١) ابو يوسف، ص ٦٩
(٢) ابو يوسف، ص ٨٦
(٣) ابو يوسف، ص ٥٥ ، ٧٠
(٤) ابو يوسف، ص ٧١
(٥) ابو يوسف، ص ٧١
(٦) ابو يوسف، ص ٧٠
(٧) ابو يوسف، ص ٧١
(٨) ابو يوسف، ص ٢١

المحتاج الحارث العامل بيده اثناعشر درهما تؤخذ منهم فى كل سنة ، ويمكن أن يحل المتاعأن قدموه بدل من الجزية بعد أن يقيم ثمة ، ولا يؤخذ بدل الجزية ميتة ولا خنزير ولا خمر ، ولا تؤخذ الجزية من المسكين الذى يتصدق عليه ، ولا من أعمى لا حرفة له ولا عمل ، ولا المقعد الا اذا كان صاحب مال ، ولا من الرهبان فى الديارات ان كانوا مساكين يتصدق عليهم وتؤخذ من أغنيائهم ، وتسقط الجزية باسلام الذمى ولوقبيل أنهاء الحول يوم أو أكثر (١)

ومن موارد بيت المال العشور المفروضه على الأموال المتنقلة بغرض التجارة وتشمل سكان دار السلام والواردين اليها من دار الحرب ، ويؤخذ من المسلمين ربع العشر ومن أهل الذمة نصف العشر ومن أهل الحرب العشر اذا مر على العاشر حاملا مالا يبلغ قيمته مائتى درهم فأكثر فان كان أقل من ذلك فلا شيء عليه ، وان تكرر مروره عدة مرات بأقل من هذا النصاب ، كما لا يؤخذ من هذه الأموال الا مرة واحدة فى السنة الا الحربى فان عاد الى وطنه ورجع ثانية أخذ منه العشر .

ولا يأخذ العاشر من المال الخاص الذى لغير غرض التجاره ، ويكتفى العاشر من المسلم أن يحلف على ذلك أما الذمى والحربى فيأخذ منهم ، ولا يقبل ايمانهم ، كما يقوّم نصف العشر والعشر على ما يحمله الذمى والحربى من الخمر والخنازير على أن يقيمه أحد من أهل الذمة (٢)

---

(١) ابو يوسف ص ١٢٢

(٢) ابـو يوسف ص ١٣٣ - ١٣٤

ج - الصـدقات :

وقد ركز القاضي على أن الصدقات مورد من موارد بيت المال على الأموال الظاهرة ، على أن يتولى المسلم اخراج زكاة أمواله بأرادته ومعرفته ..

والصدقة واجبة على المسلم اذا حال عليه الحول ، ففي كل أربعين شـاة شاة إلى مائة وعشرين فاذا زادت فشاتان إلى مائتين فاذا زادت فثلاث شياه ، الى ثلاثمائة فاذا زادت ففي كل مائة شاة شاة ، وفي كل خمس من الأبل شاة ، وفي عشر شاتان ، وفي خمس عشره ثلاث شياه ، وفي العشرين أربع شياه وفي خمسة وعشرين بنت مخاض الى خمس وثلاثين ، فان زادت ففيها ابنه لبون إلى خمس واربعين ، فان زادت ففيها حقة إلى ستين ، فان زادت ففيها جذعة إلى خمسه وسبعين ، فان زادت ففيها ابنتالبون الى تسعين ، فان زادت ففيها حقتان إلى عشرين ومائة فان زادت على مائة وعشرين ففي كل خمسين حقة وفي كل أربعين بنت لبون ...(١)

د - موارد ثانوية لبيت المال :

وهي مواد غير ثابتة لبيت المال وتأتي نتيجة المخالفات ومصـادرات الولاة في الأقاليم لمن تجاوز حدود القانون ، أو وفاة من لا وريث له ، وجلاء بعض أهل الذمة وترك ما يملكون مما يتيح للولاة التصرف فيه بشكل مخالـف للشرع ، ومنها :

ما يصادره الولاة من اللصوص من الذهب والفضة والمتاع والسلاح ، وكـذلك ما يصادره الوالي من الخنافين الذين يخنقون الأطفال والمتخلفين ليسرقـوا

---

(١) ابو يوسف،ص ٧٦ .

مالهم وما عندهم من الكسوه ، وكذلك ما يصادر من المبنجين الذين يضعـــون البنج فى طعام أو حلوى ويسرقون ضحاياهم ، وكذلك ما يصير إلى القضاة فـــى المدن والأمصار من متاع الغرباء الذين ماتوا وليس لذلكطالب ولا وارث (١) وكذلك العبيد والاماء الهاربين من أسيادهم وهم كثرة فى السجون ، ولم يأت طالب لهم ويحق لبيت المال بيعهم بعد مضى ستةأشهر من حجزهم (٢)

وكذلك أراضى الجوالى المزروعة بالنخيل والشجر ولم يطالب بأحقيته أحد من صاحب أو وريث فانهابيد الولاة يستغلونها لمالحهم وبيت المال أحـــق فى ذلك (٣)

وأخيرا ما يصادره الولاة من الجواسيس الذين يعبرون حدود الدولـــة الاسلامية فيعتبر ما يحمله فيئا وترفع هذه الأموال لبيت مال المسلميـــن ، وكذلك لو ان البحر قذف بمركب لأهل الشرك تجاه سواحل المسلمين يكـــون فيئا لهم الا اذاكان من به رسولا من قبل ملكهم وافداً على دار الاســـلام ، وأثبت ذلك (٤)

(١) ابو يوسف،ص ١٨٣ - ١٨٤
(٢) ابو يوسف،ص ١٨٤
(٣) ابو يوسف،ص ١٨٥
(٤) ابو يوسف ، الخراج،ص ١٨٧ - ١٩٠

ثانيا : الطريقة المثلى لجباية الضرائب :

يختلف أسلوب معالجة جباية الضرائب بين شخص وآخر وبين الذى يعمل فى جباية الضرائب والمتخصص فى الادارة ، وبين نظرة الفقيه ، فابو يوسف فقيه ، ينظر لهذه المسائل بنظره المثل الأعلى المتمثله فى الشخص المتحلى بالنزاهة والصدق والإيمان وترك الأمور الادارية شيئا ما ، وتمسك بما يمليه عليه الشرع الحنيف فى جباية الضرائب ، لذا فهو يبدأ بأول موارد بيت المال.

الغنائم فبعد حصر الغنائم - رغم أنها لم تكن ذات أهمية فى العصر العباسى الأول - خارج حدود العدو ، ويكون نصيب المقاتلين أربعه أخماس ونصيب بيت المال الخمس يذهب ثلاثة أسهم منها كما فرض الشرع - لليتامى والمساكين وابن السبيل - ويكون نصيب بيت المال السهمين - لله وللرسول ولذى القربى - ينفق لشراء السلاح واعداد الجيوش منها باعتبار السهمين عائدين على الخليفة [١].

أما جباية الصدقة فليس لصاحبها أن يتخير الغنم فيأخذ من خيارها ، ولا يأخذ من ضعافها ، ولكن عليه أن يأخذ الوسط من ذلك ، وأن يذهب صاحب الصدقة إلى موقع وجود الصدقة فلا تجلب اليه [٢] وأن يفصل جباية الصدقة عن جباية الخراج ، وان يخصص الخليفة - الوزير - رجلا يتصف بالعفاف والأمانة لجباية الصدقة ، ويتولى هذا الاشراف على جباية الصدقة فى جميع الامصار ، وعليه أن يعين عمالا يرتضيهم ويسأل عن تصرفاتهم ومعاملاتهم وأمانتهم فان كانت مرضية أمرهم يجمعوا اليه صدقات البلدان ، فاذا جمعت

---

(١) ابو يوسف ص ٢١

(٢) ابو يوسف ٧٨

اليه قسمت بمعرفة - الخليفة " بيت المال " على مستحقيها ، والعلة فى عدم تولى عمال الخراج جباية الصدقة لأنهم يأخذون مالا يحل فيظلمون المسلمين وكذلك أن مال الصدقة يصرف لمن ذكرهم الله - عز وجل - فى كتابه وتجمع أموال الصدقة مع أموال العشور لأنهما بمثابة الصدقة ، أما أموال الخراج فهى فىء لجميع المسلمين(١)

أما جباية الخراج فإن نسبة الضريبة على الأراضى ليست ثابتة شرعا ، والغرض من تغيرها مراعاة مصلحة بيت المال والمزارعين معا بحيث لا يحل الاجحاف على طرف منهما ، وذلك بمراعاة ما تتحمله الأرض(٢) وينبغى على الخليفة أو الوزير أن يأمر عمال الخراج الالتزام بعدم أخذ ضرائب اضافية كأجور النقل ، ولا ثمن الصحف وغيرهما .. واقترح لجباية السواد إلغاء خراج الوظيفة والأخذ بالمقاسمة على أن يقاسم ارتفاع الحنطة والشعير من أهل السواد جميعا على خمسين للسيح ، وعلى خمس ونصف للدوالي أما المزارع من النخل والكروم والرطاب فعلى الثلث ، وعلى غلال الصيف الربع ، فلا يخمن العامل الخراج ، ويأخذ ما شاء منه ، وعلى العامل بيع المحصول في البيادر إن قدر له ذلك للتجار ، ويكون المقاسمات بعد ذلك فى أثمان الغلال بين أهل الخراج وعمال السلطان ، أو أن يقوم ذلك المحصول بقيمة عادلة بحيث لا يقع الضرر على أهل الخراج ولا بيت المال ، ثم يؤخذ منهم الثمن بقدر رغبة أهل الخراج فى البيع على خمس المحصول أكثر أو أقل مما هم يرضون به(٣)

ونهى القاضى عن التقبيل لأن المتقبل غالبا ما يتجاوز نصيب الدولة ويفرض على الأرض أكثر مما يطاق فيضر بالمزارعين ويهجرون أراضيهم فينكسر

(١) ابو يوسف ص ٨ .
(٢) ابو يوسف ص٨٦ .
(٣)ابو يوسف ، الخراج ص ٥٠

الخراج • أما إذا رضى أهل طسوج أو بلد أن يضمن خراجهم رجل منهم معروف موسر فعلى الخليفة أن يتأكد من كفاءة الضمين وأن يشهد عليه الشهود ويبعث معه من قبله شخصا يراقبه فى عمله - على أن يكون رزقه من بيت المال - ويمنعه من ظلم أهل الخراج أو الزيادة عليهم •

أما الطريقة المثلى فى جباية الخراج فهى أن يبعد المتقبلين والولاة من جباية الخراج ويعين على الجباية جماعة متخصصة فيها من أهل الصلاح والدين والأمانة فقهاء علماء بأمر الخراج - ويذكر صفات جابى الخراج - على أن تكون جبايته للخراج كما يرسم له فى السجلات الخراجية من توظيف أو مقاسمة فلا يبتدع فيما بين يديه مثلا أن يأخذ من أرض خراجها موظف خراج مقاسمة أو أو عكسه ، ويرافق الوالى على جباية الخراج جماعة من الجند الموصوفين بحسن السيره مع الرعيه ، وأن يكون رزقهم من ديوان الجند ، لامن ديوان الخراج ، والغرض من هؤلاء الجند مراقبة الوالى وحاشيته حتى لا يقع منهم ظلم على المزارع بالعسف والتعدى ، وأن يرافقوا الوالى إلى كل قرية ، وأن يبعث مندوبا عنه للجبايه أن يكون تحت رقابة هؤلاء الجند حتى يجنبوا ضعفاء المزارعين عسفهم ، وفى حالة المقاسمة تجمع المحاصيل فى البيادر ، ويؤخذ نصيب بيت المال كيلا لا تخمينا ، ويعجل الوالى فى ارسال نصيب الدولة ولا يترك هذه الغلال فى البيادر فينقص منها ، ثم يطالب أهل الخراج بما نقص بعد الكيل الأول ، كما لا يكلف أهل الخراج رزق عامل ، لأن رزقه من بيت المال ، ولا أجر الكيال ، والمكيال ، ولا يكلفون باطعام العامل ولا الجند ولا أجره نقل غلة الخراج الى السلطان ، ولا يؤخذ منهم ثمن الصحف - دفاتر الخراج - ولا ثمن القراطيس وهو الورق الذى يكتب فيه أمورهم ومصالحهم ولا أجور البريد ، ولا يؤخذ منهم ما قد يسمونه رواجا لدراهم يؤدونها فانها ليست واجبة(١)

(١) أبو يوسف/١٠٥ - ١٠٩ •

أما جباية الجزية فان على ديوان الجباية أحصاء أهل الذمة لمعرفة من تستحق عليه الضريبة فيقول : " وينبغي مع هذا أن نختم رقابهم في وقت جباية جزية رؤوسهم حتى يفرغ من عرضهم ، ثم نكسر الخواتم ..." ويساعد هذا الاحصاء ويسهل أمره تغيير زي أهل الذمة عن زي المسلمين (١)

وتكون جباية الجزية في الأمصار - مثل مدينة السلام ، والكوفة والبصرة وما أشبهها - أن يولى الخليفة - الوزير - رجلا متخصصا في الجباية من أهل الصلاح ممن يوثق بدينه وأمانته ويبعث معه أعوانا يجمعون إليه أهل الاديان من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والسامرة ، فيأخذ منهم على طبقاتهم ، فيأخذ ثمانية وأربعين درهما على الموسر مثل الصيرفي والبزاز وصاحب الضيعة والتاجر والمعالج الطبيب وكل من كان منهم بيده صناعة وتجاره يحترف بها فيأخذ من أهل كل صناعة وتجارة على قدر صناعتهم وتجارتهم على قدر احتمال كسبهم ويأخذ أربعة وعشرين درهما وعلى متوسط الحال بقدر ما تحتمل صناعته وتجارته ، ويأخذ أثنى عشر درهما على العامل بيده مثل الخياط والصباغ والإسكاف وما شابه ذلك ، فإذا اجتمعت جزية هؤلاء الى أيدي الولاة عليها حملوها إلى بيت المال لتصرف في مصارفها (٢)

أما في السواد - أهل القرى - فان جباية الجزية تكون على عاتق ولاة الخراج وعليهم أن يبعثوا رجالا من جهتهم يثقون بدينهم وأمانتهم فيأمرون الوالي عليها بجمع من كان فيها من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والسامرة ، فاذا جمعوهم إليهم أخذوا منهم الجزية على طبقاتهم الثلاثة ،

(١) ابو يوسف ، ص ١١٧ .

(٢) ابو يوسف ، ص ١٢٣ .

وانذارهم بالعقوبة إن خالفوا أو تعدوا ما وجب أخذه ، فاذا جمعوا الجزية من أهل القرى حملت إلى عمال الخراج وجمعت مع أموال الخراج التى جمعت من القرية ، لأنها فيء للمسلمين ، ويقوم العامل بارسالها الى بيت مال المسلمين فى بغداد (١)

وعلى جباة الجزية أن يلتزموا ببعض القواعد أثناء جباية الجزية كالرفق بأهل الذمة ، والتفقد لهم حتى لا يظلموا ولا يؤذوا ولا يكلفوا فى الجزية فوق طاقتهم ولا يؤخذ شيء من أموالهم الا بحق (٢) لأن الإجحاف فى جباية الجزية وتكلفتهم فوق طاقتهم يؤدي الى بيع ما يملكون بأرخص الأسعار فيكسد ما فى أيديهم كمايلحق الضرر ما بأيدى التجار من السلع المماثلة (٣)

وقال ابو يوسف فى جباية العشور التى تؤخذ فى الطرق من الأموال فعلى الخليفة - الوزير - أن يوليها عمالا من أهل الصلاح والدين احترازا عن تولية الفساق وغير المسلمين ، ويؤمر هؤلاء أن لا يعتدوا على الناس فيما يعاملونهم ولا يظلموهم ولا يأخذوا منهم أكثر مما يجب حسب النصاب المفروض على المسلم والذمى ، والحربى ، وعلى الدولة تفقدهم بعد مباشرتهم العمل ، وما يعاملون بهمن يمر بهم من أصحاب الأموال فان تجاوز أحدهم عزل وعوقب على تجاوزه وأنصف المظلوم ورد اليه حقه وأن صحت حسن سيرة هؤلاء العمال ، وامتثلوا ما أمروا به ، ونهجوا ما رسم لهم وتجنبوا ظلم المسلم والمعاهد أحسن اليهم وأثيبوا على حسن سيرتهم ، فالعشار يقوم بتقويم كل متاع بما يوازى النصاب نقداً ثم يجمع ما لدى العابر ويتسلم نصيب الدولة فيأخذ من المسلم ربع

(١) ابو يوسف ١٢٤

(٢) ابو يوسف ١٢٥

(٣) ابو يوسف ١٣٢

العشر والذمي نصف العشر ، وأهل الحرب العشر (١) وعلى العاشر أن يكتب وثيقة مؤرخة بزمان الأخذ وبما يثبت أنهم دفعوا ما عليهم لئلا يؤخذ منهم بعد ذلك عن نفس العين لمدة عام (٢).

وهناك موارد ثانوية لبيت المال وقد أولى أبو يوسف هذه الموارد اهتماما بحيث نظم طريقة حصرها وصرفها لكى لا يستغلها ولاة الأقاليم لحسابهم الخاص ومنها :-

أ- ما يصادره الولاة فى الأمصار والأقاليم من اللصوص من السلاح والذهب والفضة ومتاع وغير ذلك أن يعين ولاة الأقاليم رجلا من أهل الأمانة والصلاح يقوم بحفظه فى مأمن من الضياع ، وعليه أن يثبت ما صودر من اللصوص فى سجلات بكل تفاصيله ، فان جاء رجل فادعى شيئا من المتاع أو المال الذى صودر ، فعليه البينة فان لم تكن له بينة وكان رجلا أمينا ، عليه أن يحلفه ويدفعه اليه ، وبدون قيمته المتاع ، واسم الشخص فى سجله ، لعل آخر يأتى ويدعى بأن له ذلك .

وكذلك الحكم فيما أصيب مع الخنافين الذين يخنقون الأطفال والسذج لكى يظفروا بمالهم وكسوتهم ، وكذلك على المبنجين الذين يضعون البنج فى طعام أو حلوى لكى يستولوا على متاعهم وأموالهم ، فان طال الزمان ولم يأت له طالب بيع المتاع وجمع ثمنه ودفع إلى بيت المال (٣)

ب- ما صار إلى القضاة فى المدن والأمصار من متاع الغرباء الذين ماتوا وليس لهم مطالب ولا وارث - الأموال الحشرية - فعلى عمال البريد أن يرفعوا

---

(١) ابو يوسف ، الخراج ، ص ١٣٢

(٢) ابو يوسف ، الخراج ص ١٣٧

تقاريرهم لهذه الأمور الى الخليفة الذى عليه أن يخصص رجلا أمينا في دينه بأن يثبت ذلك بسجلات فان لم يأت مطالب له بعد زمن حولت هذه الأموال لبيت المال .

جـ - ما يرفع إلى الولاة في كل بلد من العبيد والأماء الهاربين من ساداتهم - وقد كثر هؤلاء فى سجون كل مصر ومدينة - وليس لهم طالب - فعلى الخليفة أن يعين رجلا ثقة يرتضى بدينه وأمانته ويكلفه بيع هؤلاء العبيد والأمنا ، فى سجون مدينة السلام ويكلف قضاة الأمصار أن يسجل أسماء الهاربين من العبيد من أسيادهم فى سجلاتهم فيكتب اسم العبد وصفاته وجنسه، والشهر الذى هرب فيه والسنة والشهر الذى أخذ فيه ، واسم مولاه ، ومن أى بلد وأين يسكن ومن أى قبيلة ، ويرسل الى أسيادهم يخطرهم بأمره فان أتى عليه فى الحبس ستة أشهر ولم يأت له طالب أخرجه المتولى لأمر هؤلاء فبيع فى مزاد علنى ، ويسجل ثمن كل عبد وأمه فى سجله ، فاذا جمع أثمانهم بعثها الى بيت المال فى الحضرة ، فان جاء صاحب عبد أو أمة ، وهو فى الحبس قبل بيعه وأثبت ملكيته من واقع السجلات وأقر السجين بذلك دفع العبد اليه ، وإن أثبت ملكيته بعد البيع دفع اليه الثمن .

د - ما يرفعه عمال البريد من تقارير عن قضاة الأقاليم الذين احتجزوا أراضى الجوالى ومنها مزارع فيها نخل وشجر وتغل الكثير فى كل سنة ، ويستأثر به الوالى وأعوانه ووكلاؤه نظير مبالغ كبيرة لأدارتها دون أن يطالب بها أحد ، من مالك أو وارث فعلى الخليفة أن يأمر الوالى بمحاسبة القاضى ، على مايجرى على يده وأيدى وكلائه مما أخذوه من

حواصل الجوالى ، واستخراج هذه الأموال منه وعزله [1].

واخراج تلك الأراضى من أيدى القضاة وتعين رجل أمين عدل يتولى أمرها عملا وجبايه ويحمل غلاتها كانت أو نقودا الى بيت مال المسلمين الى أن يأتى مالك أو وارث ويثبت ملكيته ، والا فان هذه الأموال - الحشرية - ترجع لبيت المال [2].

واجبات بيت المال :

كان بيت المال بمثابة البنك المركزى للدولة ، من حيث كونه دائرة خاصة للرقابة المالية ، فقد كانت الأموال ترد إليه من شتى الأنحاء فتحفظ فيه وتصرف منه فى شئون الدوله المختلفة ، ويبدو أن استخدام " بيت مال المسلمين " كان يعطى دلالة على أنها هى ملك للجماعة الاسلامية ، وليس لفرد معين أن يتحكم فيها ، إلا أن هذا المفهوم قد تغير بعد الخلافة الراشدة فى الواقع وأصبح بيت المال يتحكم فيه الخليفة القائم على سلطة المسلمين ، إلا أن نظرة الفقهاء ظلت تجاه بيت المال على أساس أنه ملك للجماعة ولخدمة المجتمع الاسلامى ، وانما توزع الأموال بمقتضى ما نص عليه الشرع ، فالغنائم توزع كما نص فى القرآن الكريم بقوله تعالى:" واعلموا أنما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله ..." وكذلك الفئ والصدقة حسب ما ذكره الله تعالى [3] بالاضافة الى حقوق المسلمين

(١) أراضى الجوالى هذه تسمى أيضا "اراضى العفو " لأنها معفاة من الضريبة ، وذلك حسبما ورد فى : F.Lokkegoard, Islamic Taxation,P. 80
نقلا عن الماوردى فى كتابه "الأحكام السلطانية "

(٢) ابو يوسف ص ١٨٤ - ١٨٥ .

(٣) ابو يوسف ، الخراج ص ١٨ ، ص ٢٣ ، ص ٨١

من بيتالمال فقد خصص للذين ساهموا فى دفع هذه الضرائب الواردة لبيت المال .

فأهل الجزية تشملهم الصدقة من بيت مال المسلمين ، وهذه سنة سنهـا الرسول صلـى الله عليه وسلم والتزم بها الخلفاء وساروا بسيرته ، فقد روى أن عمر بن الخطاب فرض الصدقة ليهودى ضرير ، وأرسل إلـى خازن بيت المال فقال : " أنظر هذا وضرباءه ، فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم"(١) كما يقدم بيت المال معونة مالية سواء من مال الفيء أو من مال الصدقة أو من غير الصدقة للمحتاج من أهل السجون ، ويتولى هذه المعونة رجل من أهـل الصلاح يثبت أسماء من في السجن ، ويدفع اليهم شهريا عشرة دراهم لكـل محتاج وكسوة فى الشتاء وكسوة للصيف للرجل وكذلك للمرأة ، ويرد مخصصـان من أخلى سبيله الى بيت المال(٢)

ومن واجبات بيت المال صرف مرتبات الموظفين الذين يعملون فى خدمة الدولة من القضاة والولاة وغيرهم من بيت المال ومن أموال جباية الأرض ان كانت عشرية أو خراجية ومن أموال الجزية التى تؤخذ من أهل الذمة ، فيجرى علـى كل والى مدينة وقاضيها بقدر كفايته من غير أفراط ولا تفريط ، ولا يكـون أرزاقهم من مال الصدقة لأنه لأصناف معينين بالنص ، فلا يصرف إلى غيرهـم ، الا والى الصدقة فانه يجرى عليه منها لدخوله في الأصناف نصا .

والخليفة أو المسئول عن بيت المال مفوض لزيادة أرزاق الولاة والقضاة إن أحسن فى عمله لجعله ذلك حافزاً له وللأخرين بأن يقوم بعمله بأحسن وجه . وكذلك فانه مفوض بانقاص رواتب من يهملون فى أداء أعمالهم من الموظفين(٣) .

(١) ابو يوسف ، الخراج ص ١٢٦

(٢) ابو يوسف ، الخراج ص ١٥٠

(٣) ابو يوسف ، الخراج ص ١٨٦ - ١٨٧

كما أن على بيت المال صرف - أموال الفيء - الذى هو بمثابة الوقف رواتب وأرزاق للجند والمرتزقة واعداد الجيوش للجهاد ، وشحن الثغور ، وعليه صرف العطاء - وهو ما يعطى للأمراء فى أوقات معينة - لمن سجل فى الديوان(١) ومرتبات عمال لبريد(٢).

ويلتزم بيت المال بتقديم المعونات المادية والأطعمة والملابس للمحتاجين سواء من مال الصدقة أو غيره كاهل السجون ، يدفع لكل محتاج منهم عشرة دراهم فى الشهر ، والرجل كسوة فى الشتاء قميص وكساء ، وفى الصيف قميص وازار ، ويجرى على النساء مثل ذلك وكسوتهن فى الشتاء قميص ومقنعة وكساء ، وفى الصيف قميص وازار ومقنعة(٣) كما يلتزم بيت المال بدفع التعويضات للمتضررين من أصحاب المزارع اذا وقع عليهم الضرر بمرور جيش المسلمين عبر الأرض الزراعية ، ولأن صاحب الأرض ملتزم بدفع ضريبة أرضه(٤)

ولانتظام موارد بيت المال وحل مشاكل أهل الخراج وتسهيل تقديم المعونات ودعم المشروعات الانمائية وتجنب اختلاس الولاة والقضاة فعلى الخليفة أن يختار عمال البريد من أهل الثقة والعدل من أهل كل بلد لكى يكتبوا تقاريرهم عن واقع الحال ولا يستر عن الحضرة شيئا .فان الولاة استمالوا عمال البريد فستروا أخبارهم وظلمهم لتلقيهم الرشوه(٥) ، فان بعض الجباة قد تجاوزوا ما رسم لهم فوهبوا خراج بعض الأراضى لأصحابها فلم تدخل الى خزانة بيت المال ، فلا يحق له ذلك الا اذا كان العامل متقبلا للخراج(٦)

(١)ابو يوسف ، الخراج ٢٧
(٢) ابو يوسف ص ١٨٦
(٣) ابويوسف ص ١٥٠
(٤) ابو يوسف ، الخراج ١١٩
(٥) ابو يوسف ، الخراج ص ١٨٦
(٦)ابو يوسف الخراج ص ٨٦

فعلى بيت المال دعم المشروعات الانمائية فاحياء الأراضي يكون بأذن من الخليفة لمنع الخلاف بين الأهالي فان كان في أرض العشر فعليه العشر ، وان كان في أرض خراجية يثبت ذلك بيت المال وان لم تعمر خلال ثلاث سنين ألغى ذلك الامتياز من صاحبه (١)

كما على بيت المال تأجير الأراضي البيضاء التي لا نخل فيها ولا شجر (٢) ويكون نصيب بيت المال من غلتها النصف أو الثلث أو ما اتفق عليه ، وكذلك أراضي السواد - ذات النخل والشجر (٣) ويكون نصيب المال الثلث والربع ، أو يكون نصيب بيت المال على حسب الاتفاق من مال معلوم (٤) .

ومن واجبات بيت المال - الخليفة - تنظيم الري بين المزارعين بحيث لا يحل الضرر على الآخرين ~~بتنفيسهم~~ لحرمانهم من مياه الارواء أو اغراق أراضيهم مما يتلف الزرع ، أو يمنع الناس من الشرب ، كما أن على بيت المال أو الخليفة نفقات تنظيف الأنهار والترع - الأمر الذي يخدم عامه المسلمين إن احتاج المزارع إليها وعليه أن يصلح مسناته اذا وقع الخوف من أن يقع به بثق ، ويضر بالمسلمين ، أما اذا كانت هذه الترع لجماعة من المسلمين فعليهم نفقات تنظيفه وحمايته (٥) أما اذا احتاج أهل السواد كرى أنهارهم العظام التي تأخذ من النهرين كريت لهم وكانت نفقة تنظيفه واصلاحه من بيت المال ، ومن أهل الخراج على قدر نسبة الخراج على الأراضي المستفيدة من مياهها .

---

(١) ابو يوسف، الخراج، ص ٦٥

(٢) وتسمى هذه الاجاره : المزارعه ، والمخابرة ، والمحاقله ، ويسميها أهل العراق : القراح ، انظر الرحبي، جا/٥٩٦ .

(٣) وتسمى هذه الاجاره : المساقاه ، والمعامله ، والمزارعة ، الرحبي، جا/٥٩٦

(٤) ابو يوسف، الخراج ص ٨٨ - ٩٠ .

(٥) ابو يوسف، الخراج ص ٩٧ .

أما البثوق والمسنيات [١] والبريدات [٢] فان النفقة على هذا كله من بيت المال ولا يحمل على أهل الخراج ، ويولى من بيت المال رجل أمين يعمل على اصلاح هذه الأمور ويعاونه أعوان ويشرف عليه بصفة دورية [٣]

وكذلك من واجبات بيت المال النظر فى طلبات أهل المناطق لحفر أنهاراً قديمه اندثرت في مناطقهم وكانت تروى أراضى شاسعة فان ترتب على ذلك صالح عام وزيادة دخل بيت المال بعد دراستها كانت النفقة فى حفرها على بيت المال • [٤]

ونستخلص مما سبق أن قاضى القضاة وضح للرشيد موارد بيت المال التقليدية التى كانت تجبى فى عهد الخلافه الراشده والأموية ، وأضاف اليها بعض الموارد الثانويه التى غفلت الدوله من جبايتها وأصبح عائدها من نصيب الولاه فى الأقاليم بدلا من بيت المال •

ويبين الطرق المثلى فى الجباية مركزاً على الجانب الخلقى للعمال من حسن السيرة والسلوك وابتغاء وجه الله فى العمل ، واقترح بأن يفرد الخليفة لكل ضريبة عاملا خاصا لكى لا تتداخل الأعمال وتهمل الجباية ، الا أنه لم يتدخل من قريب أو بعيد فى عمل الجهاز الادارى لهذه الادارة باعتباره منظما بما فيه الكفاية ، إلا أنه رسم الخط الرئيسى للجهاز الادارى للموارد الثانوية لبيت المال

(١) المسنيات : وهى ما يبنى على جانب النهر لمنع الماء • الرحبى، حـ٢/٢٦
(٢) البريدات : مفاتيح الماء ، وهى كلمة فارسية
(٣) ابو يوسف، الخراج، ص ١١٠ - ١١١
(٤) ابو يوسف، الخراج، ص ١٠٩

وبين واجبات بيت المال نحو المحتاجين من مال الصدقة ، وحقوق دافعي الضريبة على بيت المال من المساعدات المالية وتولى نفقات حفر القنـــــوات الرئيسية وصيانتها لكى تجنب المدينة والمزروعات كوارث الفيضـان ٠

الفصل الثالث

الادارة ووسائل جباية الضرائب

اولاً   وسائل جباية الخراج وادارته .

ثانياً   وسائل جباية الجزية وادارتها .

ثالثاً   وسائل جباية المكوس وادارتها .

أولا : وسائل جباية الخراج وادارته :

ظل نظام تقويم الانتاج مرتبطا بموعد الجباية التى اختلفت بدت بدورها حسب نوع الخراج "فالضريبة بموجب نظام المساحة كانت تجبى عند انتهاء السنة الهلالية ، وهى السنة القمرية التى توافق جباية الجزية عند انتهاء السنة ، اما خراج المقاسمة فانه ارتبط بالسنة الشمسية لأن استيفاؤها كان يتم في اعقاب حصاد المحصول (١) وهذا النظام كان متبعا منذ ايام الساسانيين ، الا ان خلفاء المسلمين لم يتبعوا نظام الكبس للسنة الشمسية عبر السنين ، ففى الخلافة العباسية دخل عليهم الخلل فى دوره السنين فجاء النوروز موعد الجباية قبل نضوج المحصول بشهرين فى خلافة الرشيد ، فطالب المزارعون يحيى بن البرمكى تأجيل الخراج ولكن حاشية الرشيد اتهمته بالتعصب للمجوسية فامتنع عن التعديل ، وظل على ما عليه حتى خلافة المتوكل، واتفق ان المتوكل مربستان فرأى الزرع أخضر وكان وزيره قد أستأذنه فى افتتاح الخراج ، فلما استفسر عما شاهده أخبروه بالسبب ، فأمرأن يضاف الى تلك السنة ما كان قد تأخر فاذاهو شهران وبضعه أيام حتى يصير النوروز فى الوقت اللازم (٢) إلا أن المتوكل قتل ولم يتم ما أمر به حتى كانت ايام المعتضد - ٢٧٩ - ٢٨٩ هـ / ٨٩٢ - ٩٠١ م (٣). فى حين كان أهل مصر اتبعوا نظام الكبس طول العصر العباسى الأول (٤)

---

(١) الماوردى ، الاحكام السلطانية ١٤٩ ، السنة الشمسية ٣٦٥ يوما بالتقريب اولها نزول الشمس برج الحمل ، قوانين الدواوين، ٣٥٨ ، والنيروز من أهم وأجل اعياد الفرس جعلوه ميقاتا للبدء فى جباية الخراج فاستمرذلك التقليد فى العصر الاسلامى ، والريس ، الخراج ص ٥١١.

(٢) صبح الاعشى ج١٣/٥٥،الالوسى، بلوغ الارب، حـ١/٣٥١ حسن ابراهيم ، النظم الاسلامية،ص٩٠ لم يتدخل الخلفاء فى تحديد موعد النيروز لان الفقهاء اعتبروه بدعه ومخالفة للشرع .

(٣) البيرونى، الاثار الباقية، ص ٣١ - ٣٣ .

(٤) الدورى، العصر العباسى الاول، بيروت ص٣٠٨ ـ العسكرى الاوائل ص٢٧٠ ـ ٢٧٢ .

لم يسقط خلفاء العصر العباسي الأول الخراج عن أحد مهما كانت الظروف في حين اجاز الفقهاء اسقاط خراج من تضررت محاصيله نتيجة اصابتها بالآفات والكوارث الطبيعية ولم يسقوطها نتيجة اهمال اصحابها وعدم ذراعتها ، لأنهم اعتبروا الخراج بمنزله الأجرة [(١)] ، كما لايحق للوالي أن يهب او يعفى احد من خراج الارض الا بتعويض من الخليفة إلا أن كان الوالي متقبلا للخراج [(٢)]

إلا أن خلفاء بني العباسي لم يضعوا في اعتباراهم اسقاط الخراج في هذه الحاله فكانوا يؤجلون خراج من لم يستطع دفعه للسنة التالية حفاظا على استمرارية موارد بيت المال ، وان كان القاضي ابو يوسف قد اقترح على الرشيد تعويض من تلف زرعه نتيجة مرور جيش المسلمين كما حدث في خلافة عمر بن الخطاب ، غير أنه لم يجعلة كقاعده للتعويض في الحالات الأخرى [(٣)]

أنواع الخراج :-

لقد اتبع المسلمون النظم الخراجية من تجارب الامم السابقة لهم في الجباية من الفرس والروم وغيرهم ، إلا أن المنصور استحدث مقياسا جديداً لقياس مساحة الأرض الخراجية عرف بالهاشمية لأن اباجعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباسي اعتبرهاوعمل بمقتضاها في المساحة وتبعه سائر خلفائهم على ذلك [(٤)] ويتضح أن خلفاء بني العباس اتبعوا ثلاثة انواع من الخراج على الأرض ، ذكرها

---

(١) ابن الجوزية ،احكام اهل الذمة،ج١/١١٧،ياقوت،معجم البلدان،ج١/٤٥

(٢) ابو يوسف،الخراج،ص ٨٦

(٣) نفس المصدر،ص ١١٩

(٤) سميت ايضا بالزيادية ، وبذراع الملك ، وهي أربع وعشرين اصبعا كل اصبع سبع شعيرات معتدلات معترضات ظهر لبطن ، كل شعيرة عرض سبع شعرات من شعر البرذون ، وهذه الذرع التي يعتمدها الفقهاء في الشرعيات ، صبح الاعشى ، ج٢/١٤٧.

بعض المؤرخين ومنهم الماوردى وهى :-(1)

أ - خراج المساحة ، وعرف بالمحاسبة والوظيفة - وهى الضريبة المعينة التى تدفع نقداً او عينا او بالطرقتين معا دون اعتبار للمنطقةالمزروعة فعلا .

ب - خراج المقاسمة ، وهى الضريبة التى تدفع حسب المحصول وتجبى عينا دون تحديد للمساحة .

جـ - خراج المقاطعة : وهى الضريبة التى تدفع على اساس ثابت بموجب ايجارات أو اتفاقيات بين الحكومة وأفراد الشعب ، دون تقدير المساحة المزروعة ، ويدخل فى هذا الاراضى السلطانية وهى واسعة ومتفرقة فى مختلف أراضى الخلافة كالعراق والشام ومصر وطبرستان واليمامة وخراسان وفارس وانشئ لها ديوان الضياع .

والفرق بين خراج الوظيفة والمقاسمة أن الأول يكون الواجب شيئا فى الذمة يتعلق بالتمكن من الانتفاع بالأرض ، أما خراج المقاسمة فيتعلق بالخارج من الارض لا بالتمكن من الزراعة حتى اذا عطل الارض صاحبها مع التمكن من الانتفاع بها لم يجب عليه شئ ، وخراج الوظيفة يؤخذ مرة واحدة فى السنة أما خراج المقاسمة فيتكرر اخذه بتكرار الخارج من الارض(2)

---

(1) الماوردى،الاحكام السلطانية،ص ١٤٦ - ١٤٨،حسينى،الادارة العربية،ص٢٥٣ سيد أمير على،مختصر تاريخ العرب،ص ٣٦٥ .

(2) زيدان،احكام الذميين،ص ١٦٢ .

"ب" المقاسمة :-

يرجع نظام المقاسمة فى الدولة الاسلامية الى ايام الرسول (صلى اللـه علية وسلم) ثم الغاه الخليفة عمر بن الخطاب ، واقر نظام المساحة لأنـه يضمن تحقيق العدالة ، ومصلحة عموم المسلمين (١) واستمر ذلك حتى ، بدلـه المهدى بنظام المقاسمة على المحصول ، وذلك بأخذ نسبة معينة من الحاصل وهذا تخفف عن المزارغين الاجحاف ، ويكون أصلح لهم اذا كانت الأسعـار رخيصة ، لأن الغلات حيئذ قد لاتفى بخراجها ، أو تكون نسبة الخراج النقـدى ثقيلة بالمقارنة الى ما يجنية المزارع من إيراد ، وايضا تكون المقاسمة اصلح اذا كان الخراج المقرر باهظا أى غير متناسب مع المساحة او درجه الخصوبة (٢) كما ان المقاسمة تضمن للدولة الحصول على نصيبها من الخراج بعد تحديده ، وينشط المزارع على الانتاج ويعطيه الاطمئنان ليحسن احواله المعيشية (٣)

"ج" اما النوع الاخير فهى المقاطعة وتتم هذه بالاتفاق على مبلغ محدود بـين الدولة والمقطع عليه ، وبهذه تضمن الدولة لبيت المال حق الضريبة دون تدخل الجباة فى تقويم الانتاج الزراعى لأنها غير مرتبطة بمساحة الرقعة المزروعـة ولابكمية الانتاج لمقاسمتها كيلا .

---

(١) الزهرانى ، موارد بيت المال،ص ٢١٥ .

(٢) الريس ، الخراج،ص ٤٠٥ .

(٣) عصام عبد الرءوف،الدولة العباسية،ص ١٠٣ .

وسائل تحصيل جباية الخراج :

لقد اهتم الخلفاء العباسيون بجباية الخراج اهتماماً عظيماً ، واتبعوا وسائل عدة لضمان جبايتها ، وهناك من المؤرخين من يذكر ان العصر العباسي الأول ترك جمع الضرائب فى ايدى الملتزمين مقابل دفع مبلغ محدد من المال وأدى هذا طبعا الى انواع متعددة من الابتزاز (١)

وهذا التعميم غير جائز ، فقد كانت جباية الخراج تتم بعدة طرق وبصورة عامة بطريقتين اما بواسطة عمال الدولة مباشرة ، او عن أشخاص يتكفلون بجباية الخراج نظير فرق الجباية الاصلية حيث تدفع للدولة مبلغا اقل من ارتفاع خراج الاقليم ، ويكون الفارق بين ما دفعه للدولة وما جمعه من اموال الخراج مكسبه فى هذا العمل ، وهذا اتضح جليا عندما تقبل والى السند خراج إقليمه فى خلافة المأمون .

(أ) الجباية المباشره عن طريق عمال الدولة :

وهذه من اقدم الوسائل المتبعة فقد اتبعها الخليفة عمر بن الخطاب حين أرسل رسله لسواد العراق ، فمسحوها وتقررت الجباية على اساس المساحة - الوظيفة - وما قدر عليه من الضريبة ، وقد تابع بنوامية جباية السواد على نفس النمط فكانوا يرسلون عمالهم إلى الاقاليم لتحصيل الضرائب على حسب الكشوف والسجلات التى بين ايديهم والتى توضع نوع الأرض الخراجية أوعشرية والقائم على فلاحتها وانواع المحصولات ...

---

(١) الحسينى ، الادارة العربية، ص ٣٥٤

وفي العصر العباسي الأول اتبع ذلك منذ سيطرة الخلال على الكوفة بتولية العمال فاهتم بديوان الخراج حيث عين عليه يوسف بن ثابت وأنفذ أبو مسلمه عمال الخراج الى كل كوره فجبى الخراج [1] ولاشك أن الخلال قد استعان بالكشوف الخراجية التي كانت في حوزة بني أمية ، وقام من بعده خالد البرمكي بترتيب هذه الكشوف وقيدها في سجلات ، وضبطت وظيفة المساحة في عهد المنصور ، بعد أن أمر بمسح السواد ، فكان عمال الخراج يقومون بجباية الخراج على اساس تقارير المساحين ، وتقديرهم للمساحة المزروعة وكانوا ربما زادوا في المساحه من واحد الى اثنين من العشره ، ثم تحضر لوائح المطالبين ، وتقارن بالتقارير وبعد ضبطها تسلم الى المستخرج الذي كان يبعث الفرسان والرجالة والمستحثين ، وسيخرجون ما عليهم من الضريبة وكانت سمه التشدد سمة غالبة في تحصيل الضريبة ، ويودعون ما جمعوا من الاموال عند الجهبذ [2] وهذا يدفعها الى صاحب ديوان الخراج وفق تقارير عما جباه وعن المتبقى ، هذا ما يتصل بخراج المساحة في المشرق، وتشير بعض المصادر إلى اسلوب جباية الخراج بمصر ، فيذكر النويرى انه اذا كان الخراج عينا بالنقد - ذهبا - او فضة يطلق عليه " الخراج الراتب " ويؤخذ من السواقي والبساتين والنخيل .... وخراج الراتب يستأدى ممن هو عليه سواء زرع أرضه أو عطلها ، ولايلغى خراجه الا بتقديم طلب رسمى لديوان الخراج ، الذي يقوم بدوره في التحقيق للوقوف على مدى خراب الارض [3] ويضيف ان الجباة كانوا يسجلون مايستخرجونه من الاموال في سجلاتهم وكان مباشر الخراج بمصر يعاين الاراض التي تصل اليها مياه النيل ، والتي لم تصلها ، ثم

---

(١) مجهول ، اخبار الدولة العباسية ص ٣٧٧

(٢) نشوار المحاضرة ، حـ١/٢٢٢-٢٢٣،فهمي سعد ، العامة في بغداد ص٤٠
الجهبذ = كاتب برسم استخراج المال وقبضة وكتب الوصولات به ، وعليه عمل المخازيم والروزمانجات والختمات وتواليها ، ويطالب بما يقبضه ويخرج مايرفعه من الحساب اللازم له.قوانين الدواوين،٣٠٤ .

(٣) النويرى ، نهاية الارب ، حـ٨/٣٤٧، لاشين ،التنظيم المحاسبى،ص٢٥٠-٢٥١

يوزع هذه الاراضى على المزارعين ، ويسجل ذلك فى سجله ، ثم يصرف لكل مزارع أحسن التقاوى ، ويقيد ذلك فى سجلاته موضحا اسم كل فلاح وما استلمه، من الفدن ، ويفصل ذلك بقبائلة وجهاته وقطائعه ، فاذا نبت الزرع ندب عند ذلك من يباشر مساحه الاراضى ٠٠٠٠٠٠

ويكون مباشرو المساحة قد يسطو ايضا سجلات التحضير ، فاذا تكاملت المساحة نظم مباشروها اوراقا يسمونها المكلفة ، يترجم صدرها بما مثاله : مكلفة تأريخ فنداق مساحه الاراضى بالناحية الفلانية لمغل سنة كذا وكذا الخراجية ، والفندق هو عبارة عن التعليق الذى فيه المساحات حال قياسها (١)

ويوضح القلقشندى ذلك فيقول ان الخراج نوعان : نوع كايجار بقدر معين لايزيد ولاينقص ، وطلب الخراج على حكمها ٠ والثانية على المساحة المزروعة واختلاف الرى فيها بالكثرة والقلة ، ويقوم كاتب خراج الناحية بتوزيع الاراضى على المزارعين بمساحات مقدرة ويكتب بها اوراقا تسمى اوراق المسجل، ويحفظ نسخة منها فى ديوانه ، فاذا طلع٠الزرع خرج المساحون فيمسحون أرض تلك البلد فى كل قبالة بأسماء المزارعين ويكتب ذلك فى اوراق تسمى الفنداق ، ثم تجمع القبائل باوراق تسمى تاريخ القبائل ثم تجمع أسماء المزارعين باوراق تسمى تاريخ الأسماء ويقابل بين ما اشتملت عليه اوراق المسجل وما اشتملت عليه مساحته، وفى الغالب يزيد على أوراق المسجلويجمع ذلك وتنظم به اوراق تسمى المكلفة ويشهد عليه شهود (٢)

---

(١) النويرى ، نهاية الارب ، حـ٨/٣٤٧ ، لاشين ، التنظيم المحاسبى،ص ٢٥٠-٢٥١ .

(٢) صبح الاعشى،حـ٣/٤٥٨ .

ثم تابع النويرى ذكر المراحل التالية على عمل المكلفه ، بان تقارن مع ما فى السجلات لتحديد المساحة المزروعة واصناف المزروعات وأسماء المزارعين واضافة الزيادة وطرح النقصان منها ، ويقارن المباشر بعد ذلك تفصيلات المساحة بما هو ثابت عنده من قبالة كل مزارع ، فاذا كملت بكماله المساحة وضـــع المباشر مازاد على مساحه كل اسم تحت اسمه وضمه الى سجله ورفع الجملـــة بالعين والغله وأصناف الى كل اسم ما لعله قد تسلمه ، مـــن تقاو ، وقروض وما عليه ، فاذا قبض صاحب الديوان من المزارع شيئا كتب له به وصولا وأن بقـــى شئ عليه حوله للعام التالى .(١)

لقد استمرت جباية خراج المساحة على اساس تقارير المساحين حتى أبدل المهدى نظام الخراج في السواد الى المقاسمة على النصف ، ثم رفعه ليصل ٦٠٪ وردها الرشيد الى النصف وعلى خمسية في خلافة المأمون ، وكان افتتاح الخراج يعتمد على استواء المحصول ودرسه وليس على توقيت زمنى ، ولكى يتم أداء الضريبه فى نظام المقاسمة بجلب المحاصيل الى ساحة القرية أو الى البيار حيث يتم درس الغلات ، ويستوفى الجابى حصته من الخراج كيلاً ويستعيد الفلاح نصيبه من الباقى (٢) وقد اشار ابو يوسف إلى إهمال عمال الخراج بترك الغلة فـــى البيادر الشهر والشهرين والثلاثة فتتعرض للسرقة والنقصان من الطيور الدواب ثم يرجع العامل ويكيل الغلال مره ثانيه فان وجد نقصانها حمل الفلاح ذلـــك النقصان (٣) ويشير النويرى إلى ارتفاع خراج المقاسمة واستلام وتسجيل الواردمنها الى مخازن بيت المال فيذكر أن مباشر أهراء الغلال عليه ضبط ما يصل إليه ، وما يصرفه حيث يسجل ايرادات الغلال بأصنافها فى سجلات ينظم اسماء النواحي

---

(١) نهاية الارب حـ٨/٢٥٠، لاشين ، التنظيم المحاسبى،ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

(٢) احمد يونس ، تطور انظمة،ص ٧١ كاهن ، تاريخ العرب،ص ٩٥.

(٣) ابو يوسف،الخراج،ص ١٠٩ .

التى تصل منها إلى الاهراء ، فاذا جاءته رسالة من جهة قارن بين ما كتب فى رسائلهم وبين الكمية المرسلة فان وجد نقصا فيها حاسب المتكفل بتوصيلهما وطالبه بالتعويض (١)

ومن هذا نرى ان الدولة غالبا ماتولت أمر استيفاء الضرائب باشراف مديرها المالى فى الولايات " العامل " كما اتبعت وسائل أخر لكى تضمن جباية الخراج ، عن طريق افراد - ويقومون بالجباية بعيدين عن رقابة الدولة ، من هذه الوسائل : الضمان والقبالة والمقاطعة .

ب = نظام الضمان :

كانت الدولة تؤثر ان تلجأ الى " الضمين " وكثيرا ما توجب عليه ذلك ، شأنها شأن جميع الدول الأخرى فى العضر الوسيط ، والضمين رجل ميسور يتكفل بجميع اعمال الجباية مستبقيا لنفسه بعض الربح فيؤدى للدولة مسبقا المبلغ المتفق عليه وهو أدنى من دخل الضريبة ، لكنه يتوفر للحكومة مباشرة ويعقد الضمان عامة لمدة سنتين او ثلاث ، ولايضم اى تعديل لنظام الضريبة (٢) وقد اتبع نظام الضمان فى العصر العباسى الأول بشكل محدود ، ولم ينتشر هذا النظام فى العراق الا فى ، أواخر القرن الثالث الهجرى ، وفى القرن الرابع (٣) إلا أن الضمان كان متبعا بشكل اكبر خارج العراق منذ عهد المنصور ، ففى عام

---

(١) النويرى،حـ٨/٢١٩ - ٢٢٠،لاشين ، التنظيم المحاسبى،ص ٢٤٦ .
(٢) كاهن،تاريخ العرب،ص ٩١ السامرائى ، المؤسسات،ص ١٦٧ .
(٣) الصابى ، الوزراء،ص ١٤ ، الدورى،النظم الاسلاميه،ص ١٧٠ .

١٤١ هـ تولى محمد بن الاشعث امرة مصر ، ارسل ابو جعفر المنصور الى نوفل ابن الفرات أن يعرض على الوالي ضمان خراج مصر ، فان ضمنه أشهد عليه الشهود ، وان أبى فعليه أن يتولى جباية خراج مصر ، الا أن الوالي رفض ان يضمن الخراج فتولى نوفل الخراج واستلم الدواوين فسارع الناس إليه (١) وظل الضمان متبعا بصورة خاصة فى مصر نتيجة رفض أهاليها دفع الضريبة ، فبعد اضطرابات عام ١٨٣هـ/٧٩٩م فى مصر خرج والي مصر إلى الرشيد وسأله ان يبعث معه الجيوش فإنه لم يستطع على استخراج الخراج من اهل الحوف فضمن محفوظ بن سليمان الخراج فولاه الرشيد (٢)

كذلك كان الضمان متبعا فى فارس في زمن المهدى ، فيروى الفضل بن يحيى البرمكى أن أباه كان قد ضمن خراج فارس فحل عليه مليونا درهم ، فطالبه المهدى بذلك (٣)

وهناك نوع ثان من الضمان وهو مارضى به القاضي ابو يوسف ان يضمن رجل موسر عن أهل المنطقة خراجها ويرضى عنه الخليفة وأشهد عليه على أن يبعث الخليفة معه مراقباً من قبله حتى لايظلم ، أو يزيد الخراج على أهل المنطقة (٤) ويطلق عليه احد المؤرخين هذا الضمان لفظ الايغار (٥) وكان للايغار معنى آخر وهو الحماية ، وذلك أن يضمن صاحب ضيعه أورجل موسر من أهل القرية خراجها برضاهم ، فيدفع الضمان الى الحكومة على أن لايدخلها عامل أوجاب وكان هذا النوع شائعا فى العصر العباسى الأول (٦)

---

(١) النجوم الزاهرة،جـ١/٣٤٦. الكندى ، الولاة،ص ١٠٩

(٢) الخطط،جـ١/٨٩

(٣) الجهشيارى،الوزراء،ص ١٩٧

(٤) ابويوسف،ص ١٠٦

(٥) الدورى،النظم الاسلامية،ص ١٠٧،مفاتيح العلوم،ص ٤٠ .

(٦) الدورى،تاريخ العراق الاقتصادى،ص ٣٦.وقد نهى الفقهاء ومنهم ابو يعلى عن اخذ الخراج بالتضمين ، ابو يعلى،الاحكام السلطانية،ص ١٨٦.

(جـ) القبالة :

القبالة طريقة لجباية الخراج لاقت معارضة شديدة من الفقهاء حتى شبهوا القبالة بالربا [(١)] وقد عرفها الرحبي بقوله " والتقبيل أن يدفع السلطان أو نائبه مقعـــا أو بلدة أو قرية إلى رجل مدة سنة مقاطعة بمال معلوم ، يؤديه إليه عن خراج أرضيها ، وجزية رؤوس أهلها ، إن كانوا أهل ذمة فيقبل ذلك ويكتب عليه بذلك كتاباً " [(٢)] ويوضح كاهن بقوله : لعل القبالة شملت أعمالاً متنوعة ومتباينـــة فهي تفيد في مصر مثلاً أداء مبلغ متفق عليه دون القيام بمسح سابق لبعض الملكيات الكبرى ، كما تعني - وعلى نحو أعم - أن يقوم أحـد أعيان القرية بتوفير الضريبة للدولة على أن يستوفيها من سائر الفلاحين الذين يعجزون عن أدائها لدى الاستحقاق ، وتتم هذه العملية - فيما يرى - على صعيد أدنى من " المزارعة " التى تشمل الاقليم بأسره ، وهي لاتعني بالنسبة للدولة أى تخفيض لدخل الضريبة فاذا استطاع هذا الرجل الثرى أن يحقق بعض الربـح فذلك شأنه وشأن الفلاحين [(٣)] .

ورغم كراهية القبالة فقد كانت وسيلة لجباية الضريبة ، قبل تولي بني العباس الخلافة وخاصة بمصر ، فيذكر المقريزى : " أن متولى خراج مصـر كان يجلس في جامع عمرو بن العاص في الفسطاط في الوقت الذى تهيأ فيـه قبالة الأراضي ، وقد اجتمع الناس من القرى والمدن فيقوم رجل ينادى علـى

---

(١) الصولي ، أدب الكتاب ، ص ٢٢ ، الماوردي ، الأحكام السطانيـة ، ص ١٨٦ .

(٢) الرجبي ، الرتاج ، جـ ٣/٢ ، وراجع أيضاً :
F. Lokkegaard; Islamic Taxation, P. 94.

(٣) كاهن ، تاريخ العرب ، ص ٩٢ - جرجي زيدان ، التمدن ، جـ ٣٠١/١ .

البلاد صفقات صفقات ، وكتاب الخراج بين يدى متولى الخراج يكتبون ماينتهى اليه مبالغ الكور والصفقات على من يتقبلها من الناس وكانت البلاد يتقبلها متقبلوها بالأربع سنين لأجل الظمأ والاستبحار وغير ذلك ، فاذا انقضى هذا الأمر خرج كل من كان تقبل أرضاً وضمها الى ناحيته فيتولى زراعتها واصلاح جسورها وسائر وجوه أعمالها بنفسه وأهله ومن ينتدبه لذلك ويحمل ماعليه من الخراج فى أيامه على أقساط أو يُحسب له من مبلغ قبالته وضمانه لتلك الأراضى ماينفقه على عمارة جسورها وسد ترعها وحفر خلجها بضرابة مقدرة على ديوان الخراج ، ويتأخر من مبلغ الخراج فى كل سنة فى جهات الضمان والمتقبلين ، ويقال كما تأخر من مال الخراج البواقى ، وكانت الولاة تشدد فى طلب ذلك ... "(١) .

وقد شاع التقبيل فى العصر العباسى الأول وظلت مصر تجبى بالتقبيل والتضمين،ونظراً لزيادة الضريبة تعددت ثوراتهم لأنهم يقبلون الأراضى فى مزاد فأخذوها بأعلى سعر (٢) فلم يستطع المزارع فى بعض الأحيان سداده . كما اتبع التقبل منذ خلافة السفاح واعتمده كوسيلة لجباية الضرائب على أطراف خراسان وحتى زمن المتوكل مع التزام المتقبل ترميم المشاريع العمرانية كبناء الجسور وحفر الأنهار ... (٣) .

---

(١) المقريزى ، الخطط ، جـ ٨٢/١ ، وأنظر حسينى ، الادارة العربية ، ص ٣٥٥ ، الأيوبى ، تاريخ مصر ، جـ ١٥٢/١ .

(٢) صالح العلى ، التنظيمات الاجتماعية ، ص ١٩٨ ، الأيوبى ، تاريخ مصر ، جـ ١٥٠/١ .

(٣) البلاذرى ، فتوح ، ص ٤٣٥ ، أحمد يونس ، تطور أنظمة ، ص ٧٠ - ٧١ ، الطبرى ، جـ ٢٣٢/٩ .

وكذلك كان اقليم كسكر يتولى جباية خراجه متقبل فى خلافة المنصور فقد ولى أبو أيوب المورياني كاتب الخليفة عام ١٣٧ هـ ٧٥٤ م ، مسلمة بن سعيد قبالة كسكر على أن يشترك معه فى القبالة أخوه حاتم بن أبى سليمان وكان مكسب المتقبل يساوى مكسب صاحب خراج العراق (١) وتقبل الفضل بن مروان خراج الأهواز بتسعة وأربعين مليون وأنفق على مصالحها سبعين ألف درهم فى عهد المأمون (٢) .

ويمكن القول:أن القبالة كانت أسوأ طرق الجباية ، لأن مكسب صاحب القبالة يعتمد على مايفرضه من زيادة الضرائب على الفلاحين ، وقد استمر هذا حتى زمن الرشيد وكان القاضى أقرب الناس لملاحظة المتقبلين فى السواد ومدى الضرر العائد على المزارعين ودافعى الضريبة ، لذا اقترح أبو يوسف على الرشيد الغاء القبالة فى السواد وبين عيوب هذه الوسيلة فيالجباية بقوله : " ورأيت أن لاتقبل شيئاً من السواد ولاغير السواد من البلاد فان المتقبل إذا كان فى قبالة فضل عن الخراج عسف أهل الخراج وحمل عليهم مالايجب عليهم ، وظلمهم وأخذهم بما يجحف بهم ليسلم مما دخل فيه . وفى ذلك وأمثاله خراب البلاد وهلاك الرعية ، والمتقبل لايبالى بهلاكهم لصلاح أمره فى قبالته.. وانما أكره القبالة لأنى لاآمن أن يحمل هذا المتقبل على أهل الخراج ماليس يجب عليهم ..." (٣) .

ليس هناك مايشير فى مصادرنا ومايثبت أن الرشيد أخذ بمقترحات القاضى شأنها شأن المقترحات الأخرى ، وقد قبّل المأمون السواد لاسحاق بن

---

(١) الطبرى ، جـ ٤٨٦/٧ - ٤٨٧ .
(٢) خرداذبه ، المسالك ، ص ٤٢ .
(٣) أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٠٥ ، أنظر الرجى ، الرتاج ، جـ ٤/٢ وبعدها.

ابراهيم ثلاث سنوات فانقضت قبالته فسأله أن يجددها فجلس المأمون ، فقال : " أيها الناس اني قبلت السواد من اسحاق ثلاث سنين وانقضت ، وسأل أن أقبله ثلاث مستأنفة فهل له من شاك أو متظلم ؟ فاعترض على القبالة أحد الشيوخ [١] . وقد استحسن المأمون القبالة فى الجباية ، فاحضر العمال فقبلهم أعمال السواد واحتاط فى العقود ، فلما فرغ اعترض عليه بعض قضاته فعدل عن تقبيلهم [٢] .

إلا أن التقبيل ظل الطريقة الأكثر شيوعاً فى العصر العباسى من بعد المتوكل . لذا فرض المتقبلون ضرائب إضافية حتى يتمكنوا من زيادة مكسبهم بالفارق بين الخراج المفروض وبين مايحصلون عليه .

(د) المقاطعة :

المقاطعة طريقة من طرق الجباية ، وغالباً مامزجوا بينها وبين " القطيعة " والاقطاع بحكم اشتقاقها من " قطع " فانها تتلخص فى منح أحد الأعيان امتيازاً - لمدة طويلة من الزمن - يؤدى بموجبها للدولة مبلغاً متفقاً عليه ومحدداً تحديداً ثابتاً ومن غير أن تعنى الدولة بمعرفة الطريقة التى يتخذها هذا المنتفع فى تقدير الضرائب على السكان ، وهو فى الغالب أمير مستقل فى ولاية صعبة الارتياد ، أو هو زعيم إحدى القبائل ، وقد يخفض الخراج فى بعض الأحوال أو يعفى بشكل مطلق فى بعض الملكيات المنيرة كما فى أعقاب كارثة اقتصادية أو يشمل بعض الكور مقابل خدمات تتوقعها الدولة من المنتفعين بهذا الاعفاء ، على أن يؤدى الأهلون الضرائب الأخرى الاعتيادية [٣] .

---

(١) راغب الأصفهانى ، محاضرات الأدباء، ٤ أجزاء بيروت ١٩٦١ - ١٩٦٣ ، حـ ١٦٨/١ . نقلاً عن الماوردى .

(٢) الماوردى ، تسهيل النظر ، ص ٢٤١ .

(٣) كاهن ، تاريخ العرب ، ص ٩٢ .

ويرجع نظام الاقطاع أو الالتزام فى العصر الاسلامى الى عهد الرسـول صلى الله عليه وسلم ويذكر المقريزى أن خلفاء بنى أمية وبنى العباس كانـوا يقطعون الأراضى من أرض مصر النفر من خواصهم [(١)] ويبدو أن نظام المقاطعـة لم يكن منتشراً فى العصر العباسى الأول لقلة الاشارات اليه فتذكر المصـادر أن الرشيد حين وجد أهل قزوين ينفقون أموالاً جمة للدفاع عن ثغرهم جعل خراجهـم مقاطعة فى كل سنة عشرة آلاف درهم [(٢)] . ورغم قلة الاشارات الى مدى انتشـار المقاطعة إلا أن المقدسى يذكر أن أكثر الضياع فى فارس مقتطعة [(٣)] وبقى بعض النبلاء من أهلها يحتفظون بأراضيهم لقاء دفع مبلغ محدد ، إلا أن عددهم هبط فى حين توسعت أملاك العرب [(٤)] .

إلا أن نظام الاقطاع لم يخل من العيوب أذأن المقطع أو الملتزم يعمـل على الاثراء وجمع الأموال الضخمة ، ولايتردد من إرهاق الأهالى وأثقالهم بأنـواع الضرائب المختلفة ليستطع أن يؤدى الى الحكومة ما عليه من مال الخـراج ويحفظ مازاد لنفسه،والأهالى فى ذلك مغلوبون على أمرهم ، وقلما تصل شكاياتهم الى السلطة المركزية [(٥)] .

ومهما كانت نظم جباية الضرائب فعلى متولى الجباية أن يرفع تقاريـراً سنوية يوضح فيها جملة الايرادات السنوية كاملة ، وبين الفائض مخصوماً مـن جملة المصروفات المستحقة عن السنة ذاتها ليكون الناتج ، إما نقص فـى

---

(١) حسن ابراهيم ، النظم ، ص ٢٢٦ .

(٢) البلاذرى ، فتوح ، ص ٣٣١ ، القزوينى، آثار البلاد ، ص ٤٣٥ ، ابـن الفقيه ، البلدان ، ص ٢٨٢ .

(٣) المقدسى ، أحسن التقاسيـم ، ص ٤٢١ .

(٤) الدورى ، نشأة الاقطاع ، ص ١٣ .

(٥) حسن ابراهيم ، النظم الاسلامية ، ص ٢٢٨ .

الايرادات أو فائضاً فيها ، كما يلزم متولى جمع الضرائب أن يرفع كل ثلاث سنوات كشوفاً تفصيلية يذكر فيها أسماء المتغيرات التى طرأت على أهل الذمة وعلى الأراضى التى كانت غامرة والغامرة منها الضعيفة ، والعاطلة ، ويذكر ما للمزارع من حقوق وما عليه ، ويذكر فى تقريره جملة الضرائب بالتفصيل بالسنين التى مرت ولايترك أى حق من حقوق الديوان ، ويسجل فى صدر الكشف جملة على عدد النواحى وعدد الأفدنة ، وجملة جهات العين والغلة مفصلاً بالمعاملات (١) .

وهذه الكشوف تمكن من يتولى المراجعة على ماقام به المتقبل أو غيره أثناء جبايته ، كما تمكن متولى ديوان بيت المال من معرفة ما استجد فى الأقاليم من ايرادات أراضى جديدة لم تكن مسجلة فى أصل الديوان ، ويعلم أيضاً أسباب نقص ايرادات بعض الأراضى ، كما أنها وسيلة لضبط الإهمال والاختلاس ويبين المصروفات والمدفوعات التى لم تصل لأصحابها .

(١) النويرى ، نهاية الارب ، ج ٢٩٧/٨ .

ثانياً : وسائل جباية الجزية وادارتها :

لقد تولى جباية الجزية فى أغلب الأحيان عمال الخراج ، أو رجـــال يُكلفون بالتفرغ لجباية الجزية ، أو ولاة الأقاليم ، وترفع هذه الأموال الى ديـوان الخراج فى الجهة المختصة فى كل اقليم ، وتضم إلى أموال خراج الأرض ، وينفـق منها مع شئون الإقليم ثم يرسل الباقى إلى ديوان بيت المال بالعاصمة .

وقد اقترح القاضى أبو يوسف على الرشيد أن يخصص لجباية الجزيـــة عمالاً متفرغين ومؤهلين لهذه المهمة متصفين بالصلاح فى دينهم وآمانتهم، وأن يسير معهم أعوان يساعدونهم فى الجباية على طبقاتهم فى المدن الكبرى (١) .

موعد جباية الجزية :

تتفق المصادر على أن الجزية تجبى سنوياً ، وأن رأى البعض جبايتهـــا شهرياً حتى لايخسر بيت المال من هذه الضريبة إذا مات الذمى أو أســلم (٢) واختلفت الآراء حول موعد جباية الجزية ، وهناك من يرى أن الجزية تجبـــى فى آخر الحول ، ويمثل هذا رأى الامام الشافعى (٣) ، ويرى آخرون أن الجزيـــة تجبى فى أول الحول و هـــذا الرأى للإمام أبو حنيفة (٤) .

ويوضح النويرى علة الاختلاف بأنه ناتج منذ بداية فرض الجزيـــــة ، وتباين الآراء فى خلافـة عمر بن الخطـاب لموعد أدائها فقد رأى جماعـــة

---

(١) أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٢٣ .

(٢) المقريزى ، الخطط ، ج ١٠٧/١ ، الرتاج ، ج ١٠٤/٢ ، ترتون ، أهـل الذمة ، ص ٢٦٩ .

(٣) ابن قدامة ، المغنى ، ج ٥٠٤/٨ - ابن الجوزية ، أهل الذمة ج٣٩/١ .

(٤) المغنى ، ج ٥٠٤/٨ - ابن الجوزية ، أهل الذمة ، ج ٣٩/١ ، النويرى نهاية الارب ، ج ٢٣٩/٨ ، ابو يوسف،الخراج ، ص ١٢٢ .

من الصحابة أن تؤدى مقدماً فى بداية الحول ، أو عند انقضاء الحول فـــــى رأى آخرين ، لذا جبيت فى بعض الأقاليم قبل دخول السنة بشهر أو شهرين [١] .

ورأى آخرون ضرورة ربط الجزية بالخراج ، وجعل ميقات جبايتها مرتبطاً بنضوج الغلات حتى يستطيع الذمـــى من ببيع بعض محاصيله [٢] .

وقد اهتم خلفاء بنى العباس بأهل الذمة ، وعدم ارهاقهم ، فلم يكـــن موعد جباية الجزية والجوالى واحداً لأن الجوالى فى المدن الكبرى كبغـــداد وسرمن راى وغيرها كانت تجبى على شهور الأهلة ، أما جزية أهل القرى فقـــد كانت تجبى على الشهور الشمسية ، وقد استمر هذا حتى خلافة المتوكل ، حيـن عدل فى افتتاح الخراج ونقل عام ٢٤١ هـ الى ٢٤٢ هـ - ٨٥٥ ، ٨٥٦ م وجبـــى الجزية والجوالى والصدقات لسنتين فى وقت واحد بعدها عدلت جباية الجزيـــة على الشهور القمرية [٣] ونظراً لتغير ميعاد جباية الجزية بما يلائم العصـــر والظروف اتفق رأى الفقهاء بأخذ الجزية فى نهاية السنة الهلالية أو بدايـــة السنة التالية وتقسيط الجزية على الذميين ، والغلاء أخذها حسب التوقيـــت الشمسى [٤] .

ما يسقط الجزية :

إن أهم مسقطات الجزية على من تجب ، هو الإسلام ، فلا جزية علـــى مسلم ، كما تسقط الجزية عن الذميين فى حالة عجز الدولة عن حماية أهـــل

---

(١) النويرى ، نهاية الارب ، جـ ٢٤١/٨ .

(٢) الزهرانى ، موارد بيت المال ، ص ١١٢ .

(٣) الدورى ، النظم الاسلامية ، ص ١٧٧ ، العصر العباسى الأول ، ص ٢٧٦ .

(٤) ابن الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، جـ ٣٦/١ ، زيدان ، أحكام الذميين ، ص ١٤٣ .

الذمة فى مناطق سكناهم • فعندما فتحت جزيرة قبرص فى زمن خلافة عثمان ابن عفان ، لم يفرض الجزية على أهلها لأن الخلافة لم تكن قد تمكنت من السيطرة على صد الهجمات عنهم وحمايتهم من البيزنطيين (١) •

وتسقط الجزية عن الذمى فى حالة مساهمته فى الدفاع عن دار السلام واستعد لهذا بالسلاح وهيأ نفسه فعلاً للدفاع والمشاركة فى القتال (٢) وأجاز الشرع الاسلامى لغير المسلم الأمان على نفسه وأمواله وفرصة الاقامة لمدة أربعة أشهر فى دار السلام من غير أن يدفع جزية رأسه (٣) •

ويؤكد القاضى أبو يوسف على أخذ الجزية من أهل الذمة ، ولايجيز إعفاء أحد منهم من دفعها ، ولايحق للوالى أن يعفى أحداً من الذميين من الضريبة المقررة عليه ، وعلى الوالى أن يتشدد فى أخذ الجزية ومطالبة الذمى لها وسجن ما نعيها ولايطلق سراحه إلا بعد أن يدفع (٤) •

أسلوب جباية الجزية :

لقد اختلف مقدار الجزية ، وطرق جبايتها بين الأمم ، فقد فرض الروم الجزية على اليهود والمجوس ، على كل رجل دينار ، وبلغ تعداد دافعى الجزية مائة وعشرين ألف رجل ، وتولى جبايتها البطارقة حيث كلف كل بطريق بجباية جزية عشرة آلاف رجل (٥) •

---

(١) حسينى ، الادارة العربية ، ص ٨٩ ، مدكور ، معالم الدولة الاسلامية ، ص ٤٢٣ •

(٢) زيدان ، أحكام الذميين ، ص ١٥٧ •

(٣) النويرى ، نهاية الارب ، ج ٢٣٩/٨ •

(٤) أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٢٣ ، الرحبى ، الرتاج ، ج ١٠٨/٢ •

(٥) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ١٤٧ •

أما الجباية فى الدولة الاسلامية فقد اتسمت بالدقة والتنظيم والحصر لجميع من تجب عليه الضريبة ، واستفادوا من تجارب الأمم السابقة فى أسلوب الحصر ، ثم نظموا طريقة الجباية ٠ فكان فى بداية فرضها على كل إقليم لابد من حصر أهل الذمة لمعرفة تعدادهم وأعمارهم والحالة الاجتماعية والاقتصادية والصحية لهؤلاء لتقدير الجزية عليهم ، ولعدم اطمئنان أهالى المدن المفتوحة للمسلمين لجأوا إلى ختم أعناق أهل الذمة لحصرهم ، ثم كلفوا دهمقان هذه المدن بجباية الجزية منهم بعد تقديرها بصفة اجمالية ، ويوضح أبو عبيد ذلك عند فرض الجزية على أهل السواد بقوله : " إن عمر بن الخطاب بعث حذيفة ابن اليمان ، وسهل بن حنيف - قال أبو عبيد هكذا قال كثير ، وانما هو عثمان بن حنيف - قال : ففلجا الأرض بالجزية على أهل السواد ٠ وقالا : من لم يأتنا نختم فى رقبته فقد برئت منه الذمة ، فحشدوا وكانوا أول ما افتتحوا خائفين من المسلمين ، قال فختما أعناقهم ، ثم فلجا الجزية : على كل إنسان أربعة دراهم فى كل شهر ، ثم حسبا أهل القرية وما عليهم ، وقالا لدهمقان كل قرية : على قريتك كذا وكذا ، فاذهبوا فتوزعوها بينكم ٠ قال : فكانوا يأخذون الدهقان بجميع ماعلى أهل قريته " (١) .

إن مسألة ختم رقاب أهل الذمة تناولها المسترقون بالحديث الطويل إلا أن العرب لم يكونوا مبتدعين فى هذا الموضوع ، ولكن كانوا مقلدين لأسلوب متبع قديماً لدى البيزنطيين والآشوريين من قبلهم ، ولكن الأمر مبالغ فيه ، فلايمكن للمرء أن يتصور دوام بقاء ختم الأعناق (٢) وأن العرب لم يقدموا على ختم الرقاب إلا فى أول إحصاء لأهل الذمة ، ثم سجلوا أسماءهم وأعمارهم فى سجلات خاصة وليس هناك إشارة لاستمرار ختم الأعناق فى مصادرنا التاريخية والأدبية وحين طلب القاضى أبو يوسف من الرشيد ختم أعناق أهل

---

(١) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٥٤ ٠

(٢) الصولى ، أدب الكتاب ، ص ٢١٥ ، ترتون ، أهل الذمة ، ص ١٣٨ ، متز ، الحضارة ، ج ٩٩/١ ، الخربوطلى ، الاسلام وأهل الذمة ، ص ٧١ ٠

الذمة كان الهدف من ذلك عمل إحصائية جديدة لأهل الذمة لأنه وجد أن بعض الولاة تغاضوا عن جباية الجزية من بعض أهل الذمة ، ولم يكن هناك متابعة لإضافة البالغين والنازحين لقوائم الجباية .

وكانت الفترة السابقة للخلافة العباسية بلغ فيها من الدقة فى نظام الجباية وتحصيل الجزية لدرجة أن الشخص المدين بها ، والمسجل فى كورة معينة إذا انتقل منها الى مكان آخر كان عليه أن يبلغ الجهات الادارية المعينة بمكانه الجديد وكان على الجباة متابعة الأفراد فى الجهات التى انتقلوا اليها وتطالبهم بمقدار ما عليهم ، ويثبت أوراق البردى دقه هذا النظام ففى عام ١١٤ هـ - ٧٣٢ م - فقد صدر أمر بدفع مقدار الجزية موجه من عامل الوالى على كورة أشمون لشخص كان يقيم بهذه الكورة ، ثم انتقل إلى مدينة الفسطاط [(١)] وهناك أمثلة أخرى لهذه المتابعة مما يحملنا على القول بأن ختم الرقاب كان الهدف منه إحصاء الذميين فى أول فرض الجزية فى السواد .

ويوضح النويرى كيفية سير تسجيل المستجد من الذميين وحذف المتوفى والذى أسلم من سجلات الجباة ومتابعة شؤونهم فيذكر أنه قد ألزم رؤساء طوائف أهل الذمة باحصاء وتسجيل أسماء المواليد والمقيمين البالغين والوافدين وبيان النازحين من الأقاليم ومكان استقرارهم ، ومن أسلم منهم ، ومن مات ، ويشهد على صحة البيانات الواردة فى السجل ، وترفع هذه السجلات الى الملتزم بجباية الجزية ، الذى يقوم بدوره بمراجعة هذه السجلات وشطب أو اضافة ما استجد فى سجلاته من واقع مارفعه رئيس كل طائفة وقد رتب لكل طائفة سجل خاص بهم ونظمت جباية الطوائف فى الأقاليم بحيث تجبى كل

---

(١) موسى لاشين ، التنظيم المحاسبى ، ص ١٢٦ ، جروهمان ، أوراق البردى ، العربية ، ١٥/٣ - ١٦ .

طائفة على حدة فى ميعاد محدد فتبدأ بجباية اليهود والسامرة ، ثم يليهم النصارى ، ثم الصائبة ثم المجوس ، وقد رتبت أسماء كل طائفة بحسب الحروف الأبجدية ليسهل على الجابى الكشف والشطب ، فاذا انتهى من جباية جالية أوردها فى التقرير اليومى ويكتب لهم بها ايصال ..[1] .

واذا عاد أحد الذميين النازحين من الاقليم فعلى الجابى التحقق من أنه دفع ما عليه من الجزية فى المكان الذى استقر فيه ، وعلى الذمى إبراز ما يثبت سداد ماعليه ، ولايقبل ادعاءه الدفع[2] .

وكان على الملتزم بجباية الجزية تفقد أحوال المواليد لاحتمال بلوغ الصبى أثناء الحول ، وقد اعتبر الصبى بالغاً اذا أتم ثلاث عشرة سنة ، من خلال سجلاته ، وعليه معاقبة الذى يخفى من حقت عليه الجزية بالاهانة والتنكيل[3] وكان أسلوب حلق الرأس نوعاً من أنواع العقاب على من لم يؤد خراج رأسه ، وكان الحلق عند أهل الذمة عظيماً[4] .

لقد تعمد المسلمون ألا يعاملوا أهل الذمة عند دفع ما عليهم بالاحترام تصغيراً لهم وكانوا يقابلونهم بشئ من الاستخفاف وعدم التكريم[5] ففى اليوم المحدد لجباية تلك الأموال كان الذميون المطالبون بها يذهبون الى الشخص المخول له حق تسلم الجزية ، وكان يجلس على أريكة عالية ، فيتقدم

---

(١) النويرى ، نهاية الارب ، ج ٢٤٢/٨ .

(٢) نفس المصدر ، ج ٢٤٣/٨ .

(٣) النويرى ، نهاية الارب ، ج ٢٤٥/٨ .

(٤) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٥٥ .

(٥) الصولى ، أدب الكتاب ، ص ٢١٥ .

الذمي اليه ويميل أمامه ، ويقدم اليه جزيته على كفه وهي مبسوطة فيتناولها الجابي بصورة تكون يده فيها هي العليا ، ويد الذمي هي السفلى ، ثم يصفعه على عنقه ويقول : أد الجزية ياكافر .. (١) .

وقد اتبع أيضاً نظام التضمين في جباية الجزية في بعض الأحيان في العصر العباسي ، كانت جزية قرية أو منطقة تضمن من قبل أحد مثريها أو أحد من رؤسائها ، وعليه أن يدفع مقداراً معيناً من المال لبيت المال وتترك له حرية جباية تلك الأموال ، وقد نهى القاضي أبو يوسف من تضمين الجزية لوقوع الضرر على بيت المال (٢) ، ويعلل ذلك بأن صاحب القرية قد يصالحهم على خمسمائة درهم ، وفيها من أهل الذمة من إذا أخذت منه الجزية بلغت ألف درهم أو أكثر ، وهذا لايحل وينقص من دخل الدولة ، ويمكن أن يخفف الضامن جزية أهل المنطقة فلا يحل أن يغير ما فرض على كل طبقة فيزيد أو ينقص عن الحد الذي فرضه الشرع .

---

(١) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ١٠٧ ، فان فلوتن ، السيادة العربية ، ص ٣٣ ، ترتون ، أهل الذمة ، ص ٢٧٣ .

(٢) أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٢٤ ، الدوري ، العصر العباسي الأول ، ص ٢٧٦ ، عصام عبد الرؤوف ، الدولة العباسية ، ص ١٧٥ .

ثالثاً : وسائل جباية المكوس وادارتها :

أطلق الفقهاء كلمة المكوس على الضرائب غير الشرعية والتى استحدثت في الدولة الاسلامية ، وفرضت على المواطنين ، ومنها ضريبة المنشآت التجارية المقامة على الأراضي التى تمتلكها الدولة ، وكذلك مافرض من ضرائب على الأسواق ، والمستغلات كالطواحين ودور صناعة ماء الورد ، وقد سميت هذه الضريبة بالأجرة أحياناً وغلة " وارتفاع الأسواق " أحياناً أخرى ، كما فرضت على البضائع التجارية المتنقلة عبر حدود الأقاليم داخل الدولة الاسلامية ، أو حدود الدول المجاورة ، وقد اعتبر هذا أول مكس فرض بغير حق [(١)] .

وجبيت أجرة الأسواق سنوياً على حسب اتساع المكان حيث كان يقدر الأجر بالذرع [(٢)] ولم يعثر الباحث فيما اطلع عليه أسلوب الجباية ، والمشرفين على جبايتها ولامقدار الاجارات التى فرضت على الحوانيت .

ويوضح النويرى كيفية تسجيل إيرادات أملاك الدولة من حوانيت وطواحين وحمامات ... ويطلق على هذه الأموال " أموال الهلالى" لأنها تحصل كل شهر أو سنوية كما سبق أن ذكر من قبل .

يقول النويرى : " والذى يعتمد عليه مباشرة أن يتخير لكل جهة من يستأجرها بقيمتها ... ويلزم المستأجر بكتابة اجارة شرعية لمدة معلومة بأجرة معينة ، ويخلدها فى ديوانه ... فاذا خلدت الحجة عنده كتب له من

---

(١) تاريخ اليعقوبى ، ج ٢٩٩/٢ ، معجم البلدان ، ج ٤٤٨/٤ ، الشيخلى ، الأصناف ، ص ١٥٠ ، العزاوى ، تاريخ الضرائب ، ص ٢٣ .

(٢) الخطط ، ج ١٠٣/١ . الزهرانى ، موارد بيت المال ، ص ١٥٢ .

ديوانه تقريراً عين له فيه استقبال مدة ضمانه ومبلغ الضمان وأقساطه مبسوطة أو منجمة ، ويذكر فيه ما يستأديه من رسوم تلك الجهة على ماتشهد به الضرائب المخلدة في الديوان وسلم اليه فاذا تكاملت عنده إجارات الأملاك ... بسط على ذلك جريدة ، يشرح فيها الجهة واسم مستأجرها واستقبال مدة ايجاره ومبلغ الأجرة في السنة والشهر واليوم ، ويكون بسطه لذلك في يُمنة القائمة الى الشطر المكسور المعتاد الذى يتخلله خيط الجريدة وإن اتفق فى جهة زيادة فى أثناء السنة قررها فى تعليق المياومة ووضعها فى الجريدة ..."[1] .

أما ضريبة الأموال التجارية المتنقلة بدار السلام والصادرة منها والواردة اليها فقد قدر الفقهاء نصابها بمائتى درهم ، ومايعادلها من البضائع فلا ضريبة على أقل من ذلك ، واختلفت نسبة المكوس فكان على المسلمين ربع العشر ، وعلى الذمى نصف العشر وعلى الحربى العشر ، ان مقدار مايجبى من عشور البضائع كانت تتوقف على نشاط الحركة التجارية فى الاقليم ، وتتبدل تبعاً لمدى ازدهار الحياة الاقتصادية ، غير أن المصادر أغفلت ذكر مقدار ارتفاع هذه الضريبة رغم أهميتها ، فقد بلغ عشر الخمر أربعة آلاف درهم فى زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز[2] .

جبيت العشور فى مراكز بحرية وبرية ، وأطلق على مراكز جباية العشور البحرية المآصر . وأطلق على مكان الجباية " بيت المكس "[3] والمآصر فى الأصل سلاسل أو حبال توضع على النهر لمنع السفن عن المرور حتى يؤدى

---

(١) النويرى ، نهاية الارب ، ج ٢٣١/٨ - ٢٣٢ ، لاشين ، التنظيم المحاسبى ، ص ٢٤٨ .

(٢) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٥٣ ، صالح العلى ، التنظيمات ، ص ١٢٣ ، وكان عمر بن عبد العزيز ينفق أموال العشور على فقراء الاقليم نفسه ورفض ارسالها الى بيت المال ، حسينى ، الادارة العربية ، ص ١٨٧ - ١٨٨ .

(٣) العزاوى ، تاريخ الضرائب ، ص ١٢ .

صاحبها ما عليه من الضريبة بعد تقديرها ، وهذه المحطات كانت تقع على الطرق النهرية الهامة يحرسها حراس [(١)] ويصعب على الباحث تحديد أماكن الجباية فى العصر العباسى الأول لأنها لم تكن ثابتة وقائمة بل تختلف حسب الظروف السياسية والاقتصادية [(٢)] . ويشير ابن رستة الى انتشار المآصر النهرية فى العراق ، ففى حديثه عن الطريق بين بغداد والبصرة يقول : " من بغداد الى المدائن الى دير العاقول ، ومنه الى جرجرايا ، ومنه الى جبل ومنه الى فم الصلح ، ومنه الى واسط ، ومنه الى نهر بين ، ومنه الى الصينية ومنه الى الحوانيت ومنه الى القنطر ، وهذه القرى من واسط الى هذا الموضع كلها شرقى دجلة وبالحوانيت أصحاب والسيارة والمآصر من قبل السلطان ، والمآصر أن تشد سفينتان من أحد جانبى دجلة وسفينتان من الجانب الآخر وتشد السفن على شطين ثم تؤخذ قلوس على عرض دجلة وتشد رأسها الى السفن لئلا تجوز السفن بالليل " [(٣)] . ويذكر فى موضع آخر عن مآصر النهرية فى العراق بقوله : " وبدير العاقول مسجد جامع وأسواق ومآصر ، وبها أصحاب السيارة ومآصر على دجلة " [(٤)] .

ويعد بخشل المتوفى - عام ٢٩٢ هـ ٩٠٤ م - من أقدم المؤرخين الذين نوهوا عن المآصر النهرية وذكر المآصر الذى بصريفين واسط وهو المشهور باسم " المآصر الأسفل " وقد اتخذت فيه السلاسل بدل القلوس ، وكان الأمير " مسروق " أشهر من أشرف على أعمال هذا المآصر ، ومما ذكره فيه بقوله : " حدثنا هشيم بن مجالد عن الشعبى قال : " بعث زياداً مسروقاً على السلسلة"

---

(١) الذهبى ، تاريخ الاسلام ، ج ١١٣/٥ ، مفاتيح العلوم ، ص ٤٠ ، الدورى تاريخ العراق ، ص ١٤٠ .

(٢) لسترنج ، بلدان الخلافة ، ص ٥٤ و ٢١٤ ، الدورى ، تاريخ العراق ، ص ٢٠١ ، الكبيسى، أسواق بغداد ، ص ١٣٠ .

(٣) ابن رستة ، الأعلاق النفيسة ، ص ١٨٤ - ١٨٥ ، السيارة نوع من السفن النهرية أيام العباسيين ، القلوس : الحبال الغليظة .

(٤) ابن رستة ، الأعلاق النفيسة ، ص ١٨٦ .

وقال : " بعث زياد مسروقاً على السلسلة فجاء بعشرين ألفاً فقال : ماجئت به ؟ قال جئت بعشرين ألفاً قال : هي لك فلم يقبلها " وقال : " سمعت زياداً وكان داهية وكان عشاراً وكان العشارون يومئذ مسروق وزياد بن حدير"(١) .

كما كان هناك مآصر أخرى بين بغداد وتكريت تقطع دجلة في عدة مواطن وأشهر هذه المآصر هو المآصر الأعلى في بغداد (٢) .

أما مراكز العشور البرية فانها تقع على حدود الأقاليم وعلى طرق القوافل تقوم بجباية العشور بالاضافة الى حماية القوافل التجارية وتأمينها من اللصوص وقطاع الطرق (٣) .

إن المآصر البرية كانت غير ثابتة ، لأن الحدود كانت تتغير حسب الظروف السياسية ، ويذكر المقدسي عن مراكز العشور في القرن الرابع دون أن يطلق عليها بالمآصر خلال عرضه للضرائب في العراق فيقول بأنها كانت ثقيلة في النهر والبر وفي البصرة تفتيش دقيق منكر ، وكذلك بالبطائح (٤) وكان في بلدة العقر بجبل حمرين من جهة الموصل مآصر لصاحب الموصل يأخذ العشور نظير الحماية ، وفي بدايته قرر شيئاً يسيراً على البضائع ثم ضاعف المقرر أضعافاً كبيرة (٥)

---

(١) بخشل ، تاريخ واسط ، ص ٤١ - ٤٢ .
(٢) ميخائيل عواد ، المآصر ، ص ١٣ .
(٣) أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٨٨ . خلاف ، السياسة الشرعية ، ص ١٠٩ ، الزهراني ، موارد بيت المال ، ص ١٢٣ .
(٤) أحسن التقاسيم ، ص ١٣٣ - ١٣٤ .
(٥) ميخائل عواد ، المآصر ، ص ٢٣ .

وسواء كان فى البر أو البحر كان العشار يقيم البضائع والأموال التجارية بحسب انتماء صاحب المال ويأخذ العشر ويمنحه ايصالاً على ما أخذ منه ، وتكون هذه البضاعة معفاة من الضرائب لمدة سنة [(١)] .

وتعددت مواقع الجباية على مداخل بغداد ، وكان أهالى بغداد يدفعون المكوس على مايجلبونه من الغنم اليها ، وقد حدثت تجاوزات ففرضت المكوس على مايحمله الحجاج القادمون والراحلون عن بغداد من الأدم والجمال والأمتعة ، ولم تسقط إلا فى عامى ٢٦٣ هـ و ٢٦٧ هـ - ٨٧٦ - ٨٨٠ م [(٢)] .

ويعد بعض المؤرخين الاتاوة كالمكس ، لافرق بينهما لأنهما بمعنى واحد يؤخذان كرهاً [(٣)] وقد فرضت الاتاوة فى عصر المنصور على سجستان حين ولى معين بن زائده الشيبانى عليها ، واستمر عمال المهدى والرشيد يقبضون الاتاوة من رتبيل سجستان على قدر قوتهم وضعفهم ، ودفعوا إتاوتهم مضاعفة للمأمون حين كان مقيماً بخراسان [(٤)] كما دفع الديلم الاتاوة للمأمون ، وصالحوا الافشين على دفع الاتاوة حين ولاه المعتصم الجبل [(٥)] .

---

(١) عصام عبد الرؤوف ، الدولة العباسية ، ص ١٠٥ - الزهرانى ، موارد بيت المال ، ص ١٢٦ .
(٢) فهمى سعد ، العامة فى بغداد ، ص ٤٣ .
(٣) العزاوى ، تاريخ الضرائب ، ص ١٢ .
(٤) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٤٠٨ و ٤٠٩ .
(٥) نفس المصدر ، ص ٣٣٢ .

أولا : العلاقة بين مستحقي الصدقة وادارة بيت المال :

لقد نظم الشرع الحنيف العلاقات الاجتماعية بين المسلمين ، ووضع على عاتق الوالي مسئولية النظر في أمورهم الأمنية والاجتماعية والاقتصادية فالعلاقة بين الحاكم والرعية علاقة وثيقة شرعا ، وهي غير مباشرة ، ففي الخلافة العباسية وضع للعجزة من بيت المال مخصصات مالية لسد حاجاتهم الضرورية من المعاش ، باعتباره نوعا من مساعدة الدولة لهم ، بالاضافة الى ما ينفق من أرزاق لمن يقدم خدماته للدولة على جميع المراتب .

إلا أن الشرع نظم موردا للعامة المحتاجين مما يصل للدولة ، منها خمس الغنائم ، وكذلك من أموال الصدقة وهذه الأموال تكون من نصيب من لم يقدم أي خدمة للدولة ، فالزكاة وهي الركن الاجتماعي البارز من أركان الاسلام والحق المعروف من أموال الأغنياء اذ حال عليه الحول ، والمتوسط العام فيها نصف العشر ، وتصرف الزكاة في مصارفها بقوله تعالى:" انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب ، والغارمين ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله "(١)

والاسلام حين يقرر لهذه الطوائف حقها في الزكاة لا يقرره إلا بعد أن تستنفذ هذه الطوائف وسائلها الخاصة في الارتزاق . وكان يعطى للفقراء والمساكين من هذه الأموال ما يبعدهم عن المسكنة

---

(١) سورة التوبة ، الآيه ٦٠

وللمؤلفة قلوبهم نصيب فى أموال الصدقة وكان الهدف من ذلك اتقاء شرهم وأن يكونوا عونا للمسلمين ودعاة للخير ودعوة للاسلام ، وظل أمر المؤلفة قلوبهم من عهد الرسول (ص) وجزءاً من خلافة عمر حيث ألغى ذلك بعد أن تمكن الاسلام من قلوب أهل الأراضى المفتوحة[1] وأخذ به باقى الحلفاء من بعد ٠

أما سهم الرقاب فيتفق لمحو الرق ، وازالة الاستعباد ، لكى يتمتع الانسان بحريته الطبيعية ، وهذا يتحقق فى اعانة المكاتبين وشراء الرقاب وعتقها وسهم يتفق فى قضاء ديون الغارمين وهم الذين استدانوا الأموال لمصالحهم الخاصة وعجزوا عن سدادها أو مصالح المسلمين العامة ، وذلك كالغرامات المالية فى دفع الديات واصلاح ذات البين ، مما يجمع القلوب ويوحد الكلمة ، وسهم يصرف فى سبيل الله على الغزاة والمرابطين في الثغور والأطراف ، وفى معدات الحرب من السلاح والكراع وفى تأمين الطريق ، واصلاحها وغير ذلك ، أما سهم أبناء السبيل وهم من الذين انقطع بهم السفر عن بلادهم ، ولم يتيسر لهم الحصول على شئ من أموالهم فيعطون نفقة سفرهم إلى بلادهم على قدر كفايتهم[2]

لقدترك أمر زكاه الأموال على عاتق صاحب المال ، أما صدقات المواشى فقد جبيت على حسب الأسس التى قدرها الفقهاء ، وكان ارتفاع الصدقات فى الخلافة العباسية مبلغا لا يستهان به فقد بلغت صدقات العرب بالبصرة ستة ملايين درهم[3] وكان متوسط ارتفاع الصدقة ببرقة مع بعض الضرائب خمسة

---

(١) بدورى ، النظام المالى ، ص ٧٧ ٠

(٢) الماوردى ، الاحكام السلطانية ، ص ١٢٣ ٠

(٣) خرداذبه ، المسالك ، ص ٥٩ ٠

عشر ألف دينار سنويا [(١)].

ومن هذا فان ارتفاع الصدقة فى الخلافة العباسية لم يكن للمحتاج كما فرض شرعيا ، بل كانت تدخل بيت المال ، فقد استغل الرشيد أموال الصدقة لدفع رواتب ولاة الأقاليم ، فاعترض بعض الولاة أن لا يكون رزقه من مال الصدقة ، ولم تذكر مصادرنا أن خلفاء بنى العباس خصوا هذه الأموال كما سبق أن ذكر بل أنهم استغلوا هذه الأموال للسيطرة على أفواه الأهالى ففى المدينة كانت أموال الصدقة تقدم لمن أراد قرضا ، ويكتب بذلك عليه صك يستعبدهم به فيضطرون لمداراة الوالى ، فاذا غضب على أحد منهم استخرج ذلك منه ، فتشكى هؤلاء للرشيد فأمر بالغاء تلك الصكوك وفى ذلك يقول والى المدينة جعفر بن الزبير :

فما كنت ديانا فقد دنت إذ بدت   صكوك أمير المؤمنين تدور [(٢)]

بل تجاوز الى أبعد من هذا فالمأمون وهب نصف صدقات البصرة لأحمد بن جعفر طعمه له سبع سنين وكان يتقلد ديوان السر للمأمون وبريد خراسان وصدقات البصرة [(٣)]

فخلفاء بنى العباس لم ينظروا للمجتمع على أساس هذه الطبقية لأن سياسة الحكم كانت تتطلب مراعاة الطبقة العليا من القوم ، للاستعانة بهم عند الضرورة ، والانتفاع بهم فى الشدائد ، فيقفون معه موقف المرضى فى المصادر والموارد ، أما العامة والدهماء فان الحاكم يسلك بهم طريقة واحدة

(١) اليعقوبى ، البلدان ،ص ٣٤٤ ،

(٢) صالح العلى ، التنظيمات الاجتماعية ،ص ٢٥٤ .

(٣) طيفور ، بغداد ،ص ١٢٨ .

يقفون عندها ، ولا يتعدون حدها ، ليجريهم على ما تعودوا من السير الحميدة[1] وكثيرا ما تغافلوا عن مراعاة متطلباتهم ، الا فيما يخص أمن الدولة ، وقد تفهم خلفاء بني العباس خفايا أفراد المجتمع ، ويصيف البيهقي هذه السياسة بقوله : كان المنصور أكبر الأمور عنده معرفة الرجال حتى عرف العدو من الموالي والموادع ، والمسالم من المشاغب ، فساس الرعية على ذلك ، ثم درست هذه السياسة حتى ملك الرشيد فكان أشد الملوك بحثا عن أسرار رعيته وأكثرهم بها عناية وأحزمهم فيها أمراً ، وعلى هذا كان المأمون حتى أدرك عيوب أفراد المجتمع[2]

ومن هذه السياسة توصل المنصور الى حقيقة في نظره بأن العامة يحتاجون إلى أمور ثلاث قاض ينظر في أمورهم ينصف بعضهم من بعض ، ورجال أمن يؤمن سبيلهم حتى لا يخافوا ليلهم ولا نهارهم ، وجيش يسد ثغورهم وأطرافهم ليصد هجمات العدو على ممتلكاتهم[3]

وبهذه السياسة نظر الرشيد واعتبرها غاية ما يطلبه العامة ، ونظرا لتوافر هذه الخدمات لم يرضى الرشيد أن يتجاوزها العامة فقد حدث عام ١٨٠هـ - ٧٩٦م - أن وثب الأهالي بالموصل على عامل الخليفة فكان عقاب الرشيد لهم شديداً[4]

---

(١) العبد الوادي ، واسطة السلوك،ص ٨٧ .

(٢) البيهقي،المحاسن والمساؤى ، ص ١٤٤ .

(٣)الطبري،حـ٨/ ٨٦ .

(٤) الدينوري ، الاخبار الطوال،ص ٣٩٠ .

ولم تختلف نظرة المأمون للعامة عن نظرة آبائه ، فبعد أنتهاء الفتنة ورجوع المأمون الى بغداد عام ٢٠٤هـ نظر إلى المجتمع على أنه على طبقات ثلاث ، ظالم ومظلوم ، ولا ظالم ولا مظلوم ، فساسهم على أن الظالم لا يتوقع الا العفو ، وأما المظلوم فلا يتوقع إلا أن ينصف ، أما الذى ليس بظالم ولا مظلوم فيترك لأمره (١)

أما رجال الدولة فكانت سلطتهم على الأهالى أشد وأمر ، واعتبروا العامة كالرعاع يساقون كالبهائم ، فى حين عزم المأمون على لعن معاوية على المنابر نهاه يحيى بن اكثم حتى لا يثير العامه فتراجع المأمون عن غزمه فى حين كان ثمامة بن اشرس يحرضه على ذلك ، ويسخف بمكانة العامة فى المجتمع ، فكان يقول له : " لو وجهت انسانا على عاتقه سواد ومعه عصا لساق اليك بعصاه عشرين ألفا منها" (٢)

فالعامة لم تكن لهم كلمة مسموعة ، ولم يكن لهم القوة على المطالبة بحقوقهم أو دفع الضرر عنهم ، أو الاعتراض على أى مسئول فى ادارة الدولة ، وان بناء المعتصم لمدينة سرمن راى لم يكن خوفا من العامة واعتراضهم على شغب جند الاتراك فى المدينة ولكن تقبل نصح بعض صلحاء المحدثين عن أهل بغداد لشكوى العامة من جنده وتجنبا لاعتراض الفقهاء على هؤلاء الجنود (٣)

ورغم هذه المواقف من العباسيين الا أن الدولة الاسلامية أعطت اهتمامها بالعجزة والمقعدين والمساكين والفقراء ما لم يعطه أرباب الأديان السابقة ،

---

(١) الطبري ،حـ٨/٥٧٥ ، ابن الاثير ، حـ٥/١٩٥ .

(٢) طيفور ، بغداد ، ص ٥٤ ، البيهقى ، المحاسن والمساوى، ص ١٤١ .

(٣) ابن دحية ، النبراس فى تاريخ بنى العباس، ص ٦٥ .

وخصصت لهم جانبا من دخل الدولة ، الا أن المصادر - التي أطلع عليها الباحث - لم توضح مدى التزام الخلفاء في صرف هذه الحقوق لأصحابها ، فكان الخليفة عمر بن الخطاب قد خصص مائة درهم لأرامل وأطفال المقاتلين الذين سقطوا في ميدان القتال أو أثناء الخدمة العامة [1] وأجرى خلفاء بنى أمية على الفقراء والمحتاجين فكان عبد الملك بن مروان أول من أجرى على الفقراء ، وقوام المساجد الأرزاق ، وكذلك العميان وأصحاب العاهات ، وألزم كل واحد منهم خادما [2] وسار على نهجه الوليد [3] وأعان عمر بن عبد العزيز الغرباء ، وجعل لهم عطاءاً من بيت المال قدر بمائتي درهم [4] وفي عام ١٠٩هـ - ٧٢٧م - نقل جماعة من أهل البادية الى بلبيس بمصر لزراعة أرضها وأعانهم من مال الصدقة فكان يصيب الرجل عشرة دنانير أو أكثر في الشهر [5].

واهتم خلفاء بنى العباس بهذا الجانب من المعونات بشيء من التنظيم إلا أن المتمعن في الأحداث يجد أنه اجتهاد مؤقت لم يأخذ صفه الاستمرار كالعطاء مثلاً فعندما تلقى أبو العباس السفاح نبأ مقتل مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية تصدق بعشرة آلاف دينار [6] وتابع المنصور تقديم العون للمحتاجين ، فبعث لزياد بن عبد الله بمالا وأمره أن يغدقه على المقعدين والأيتام والعميان [7]

---

(١) حسيني ، الادارة العربية، ص ١١٦ .

(٢) الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص١٨

(٣) كردعلي ، الادارة الاسلامية، ص ٩٣ .

(٤) الاغاني، ج٩/٣٣٨٤.

(٥) المقريزي ، الخطط، ج١/٨٠ ، الكندي، الولاه ص ٧٦ .

(٦) الاربلي ، الذهب المسبوك ، ص ٥٨ .

(٧) البيهقي ، المحاسن والمساوي، ص ٥٨٧ .

كذلك نظم المنصور أرزاقا للعميان في بغداد ، وجعل لهم كاتبا خاصا يرعى شؤونهم ، فأساء إليهم وقطع الأرزاق عنهم ، فاشتكى هؤلاء الى أبي جعفر الرازي فكلم المنصور في الأمر فعزل الكاتب وولي عليهم من اختاروه وارتضوا به (١)

ويعني أن هذه المعونة كانت محصورة لأهل بغداد ، ولم تعمم على سائر الأمصار إلا في عهد المهدي ، ففي عام ١٦٢هـ - ٧٧٨م - أمر المهدي أن تجرى على المجذمين وأهل السجون الأرزاق في جميع المدن (٢) وكان العباسيون لا يجرون الأرزاق على أهل السجون ، وكانوا يخرجون في كل صباح من سجونهم وهم في قيودهم الى الطرقات المجاورة يتسولون فيحسن الناس اليهم بما يسد رمقهم . (٣)

أما الرشيد فقد كان كثير البر والاحسان على المحتاجين ، يتصدق في كل يوم من صلب ماله بألف درهم ، ولا يؤخر صدقة اليوم للغد (٤) ومع ذلك انقطعت أرزاق أهل السجون في عهده ، حتى اقترح القاضي أبو يوسف منح السجين المحتاج معونة شهرية قدرها بعشرة دراهم وكسوة صيفية وأخرى شتوية ، ومثله تجرى للنساء (٥) وقد أخذ باقتراح قاضي القضاة فكانت أرزاق المسجونين جارية حتى زمن الواثق ، إلا أنه أمر بقطع أرزاق من خرج عليه مع أحمد بن نصر ، وكانوا نحو تسع وعشرين رجلا ، أطلق عليهم " الظلمة " (٦)

(١) تاريخ بغداد ،ج١١/١٤٥ .

(٢) الطبري،ج٨/١٤٢ ، ابن الاثير ،ج٥/٦٢ ، البداية والنهاية،ج١٠/١٣٥ .

(٣) الخربوطلي ، المهدي العباسي ، ص٢١٢ ، وكانت عادة الجاهلية خروج أهل السجون الى الطرقات لتلقي الحسنة ، حسيني الاداره العربية،ص ٣٠٩ .

(٤) تاريخ بغداد ،ج١٤/٦ ، تاريخ الاسحاقي،ص ٩٠ ، تاريخ الخميس،ج٢/٣٣١ شذرات الذهب،ج١/٣٣٤ .

(٥) ابو يوسف،الخراج ص ١٥٠ .

(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية،ج١٠/٣٠٥ .

وكان المأمون يتصدق فى كل يوم بستة آلاف درهم [1] واعتنى بتقديم المعونات والصدقات على الأضراء ، فولى يحيى من اكثم ديوان الصدقات على الأضراء ، الا أنه حجب عنهم أرزاقهم ولم يعطهم منها شيئا ، وحين ألحوا عليه سجنهم فتدخل المأمون نفسه لحل هذه المشكلة [2].

واهتم المعتصم بتقديم العون للمحتاجين ، فيروى ابن أبى دؤاد أن المعتصم تصدق مرة بمليون درهم [3] وقد فاق الواثق سلفه وفرق من أموال الصدقة والصلة ووجوه البر ببغداد و سر من رأى والكوفة والبصرة والمدينة ومكة خمسة ملايين دينار [4] حتى روى أن البلاد فى عهد الواثق خلت من الفقراء والشحاذين فى جميع العواصم [5].

ثانيا : العلاقة بين الأهالى والجباه

من الطبيعى أن يكون هناك تنافر بين من وجبت عليه الضريبة وبين من يجبيها فان كان الملتزم بالجبايه ضامنا أو متقبلا فإنه يظل فى جباية الضريبة حتى انقضاء الفترة المتفق عليها ، وليس فيما اطلع عليه الباحث أن خليفة من خلفاء بنى العباس قد سحب امتيازا من أحد المتقبلين للضريبة قبل انتهاء الفتره المتفق عليها للجباية ، والتى تقدر فى الغالب بثلاث سنين .

أما اذاكان عمال الضريبة هم ولاة الأقاليم فكان من العسير التأثير على الخليفة لعزله من ولايته فى حالة تجاوزه ، فحين تظلم أهل الكوفة من واليهم

(١) العصامى ، سمط النجوم، جـ٣/٣٢١ ، الحسينى ، عمران بغداد، صـ ١٤٢ .
(٢) تاريخ بغداد، جـ١٤/١٩٤.
(٣) ابن الاثير، جـ٥ / ٢٦٦ .
(٤) اليعقوبى ، البلدان، صـ ٣٧١ .
(٥) حسينى ، الادارة العربية، صـ٣٧٦ .

على المدينة عند المأمون لم يجبهم في بادىء الأمر بل وصفه بأنه أعدل وأعلم وال لأمور الرعية ، فاندفع أحد الكوفيين قائلا :" ياأمير المؤمنين ليس أحد أولى بالعدل منك فان كان هو بهذه الصفة فعلى الأمير أن يوليه بلداً بلداً ليلحق كل بلدة من عدله مالحقناه ، فاذا فعل الأمير ذلك لا يصيبنا أكثر من ثلاث سنين ، فضحك المأمون وأمر بصرفه"(١)

إلا أن هذا العداء لم يكن مصدراً مباشراً لثورة ما ، ويمكن أن نرجع ذلك الى ثبوت نسبة الضريبة ، وان الزيادة التى فرضها الجباة لم تكن عالية على الفرد وان الجباية لم تكن جماعية ولم يشكل الأهالى أى شكل من أشكال الاتحاد المهنى لهم لذا كان الجباة يسعون الى مناطق الجباية فيجبون أفراداً أو جماعة صغيرة يرافقهم الجند لقمع أى متمرد أو مماطل فكان اعتراضهم يرفع بشكل مظلمه للخليفة .

وبصفة عامة فان الجباية من الوظائف التى تثير الخواطر على القائم بها ، فصاحب الجباية إذا مال إلى الضبط والدقه ذمه الناس واذ جنح إلى التساهل والرفق تعرضت جبايته للكسر وعاقبه الخليفة وغرمه .

لقد كانت الزيادة فى الضريبة المصدر الرئيسي للتمرد وأكثر هذه الضرائب ثبوتا ضريبة الأموال التجارية التى لم تتبدل ولم تزد عن المعهود منذ فرضها ، وبخاصة الواردة من دار الحرب ، ولعل ذلك كان ناجما عن الحقوق المتبادلة أو خشية أن تقطع العلاقات لارتباط التجارة بالعلاقات الدولية وتمسك كل الأطراف بهذه النسبة غير العالية لذا لم يتذمر أحد

(١) القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٢٥٢ .

من ذلك [١].

أما جباة الجزية فان الفقهاء أكدوا على عدم تكليفهم مالا يقدرون عليه ، وتجنب العنف والتعذيب عن أدائها ومنع ضرب وحبس غير المقتدر منهم ، وكان عمر بن الخطاب يحث عماله على الرفق وحين آتى بمال الجزية قال لهم : " انى لأظنكم قد أهلكتم الناس قالوا : لا والله ، ما أخذنا إلا عفوا صفوا ، قال : بلاسوط ولا نوط ، قالوا : نعم ." [٢] وتركت جباية الجزية غالبا الى العمال فى العصر العباسى فأساءوا التصرف حتى أصبح من مظاهر جباية الجزية القسوة والشدة ، فاقترح القاضى أبو يوسف على الخليفة بقوله :" أن لا يضرن أحد من أهل الذمة فى استبدائهم الجزية ، ولا يقاموا فى الشمس ، ولا غيرها ولا يجعل عليهم فى ابدانهم شىء من المكاره ، ولكن يرفق بهم ويحبسون حتى يؤدوا ما عليهم ولا يخرجون من الحبس حتى تستوفى منهم الجزية " [٣]

ويبدو أن بعض الذميين قد امتنعوا عن أداء الجزية رغم قدرتهم على الأداء لذا وجب عليهم السجن الا أن بعض الجباة كانوا يفرضون على غير المقتدر منهم بيع مالديه من الماشية وغيرها ليسد بها ما عليه من الضريبة ، وهذا ما نهى عنه ، إلا أن قدمها الذمى طوعا ، دون اجباره على ذلك [٤] علاوة على هذا فقد كان من الجباة من يأخذون من أهل الذمة شيئا من أموالهم دون حق ، ويكلفونهم فوق طاقاتهم [٥] إلا أن مقدار الجزية ظل بوجه عام عند

(١) الغزاوى ، تاريخ الضرائب،ص ٢٢
(٢) ابن الجوزية ، احكام أهل الذمة،ح١/٣٥ ، ابو يوسف،الخراج،ص ١٢٥
(٣) ابو يوسف ، الخراج،ص ١٢٣
(٤) الصولى،أدب الكتاب،ص ٢١٥ ، ترتون ، أهل الذمة،ص ٢٧٢
(٥) الدورى ، النظم الاسلامية،ص١٧٦ ، ابو يوسف،الخراج،ص ١٢٥

المقدار الذى قررته الشريعة الاسلامية بالدرهم لأهل الفضة وبالدينار على أهل الذهب .

ومن أمثلة تجاوزات وظلم حياة الجزية ما يرويه ديونبسيون الذى زار مصر حوالى عام ٢٠٠هـ مدينة تنيس المشهورة بالنسيج اذ يقول: " ومع أن تنيس عامرة بالسكان كثيرة الكنائس ، فانى لم أر من البؤس فى بلد أكثر من بؤس أهلها ، وقد سألتهم عن مصدر هذا البؤس فأجابونى أن مدينتنا محاطة بالماء فلا نستطيع زرعا ولا تربية ماشية والماء الذى نشربه يجلب لنا من بعيد ، ونشتريه الجرة منه بأربعة دراهم ، ولا شغل لنا سوى نسيج الكتان ، فنساؤنا تغزله ونحن ننسجه ونعطى على ذلك نصف درهم فى اليوم من تجار الأقمشة ، ومع أن أجرتنا لا تكفى لاطعام كلابنا فان على كل منا أن يدفع ضريبة مقدارها خمسة دنانير ، وفى ذلك نضرب ونسجن ونلزم باعطاء أبنائنا وبناتنا رهائن ، فيلزمون بالعمل كالعبيد سنتين لأجل كل دينار ، ولو ولدت عندهم امرأة طفلا فانهم يأخذون قسمنا بأن لا نطالب به ، وقد يحدث أن تحل ضرائب جديده قبل اطلاق هؤلاء النساء "(١)

ومن هذا يمكن القول أن أهل السواد لاقوا معاملة حسنة أكثر من سائر الأقاليم كالشام ومصر وغيرها لم يسمع نداء أهل الذمة وشكواهم فى العراق فى حين ندد واعترض الامام الاوزاعى على المعاملة القاسية لأهل الذمة فى لبنان(٢)

أما مصر فلم يلاق أهل الذمة المعاملة الطيبة لبعدهم عن مقر الخلافة فكانوا غير راضين عن الأوضاع فكثرت الثورات التى قام بها أهل الذمة من

(١) آدم متز، الحضارة الاسلامية، جـ١/ ٩٧ ، الدورى، العصر العباسى الاول، ص ٢٧٥
(٢) كرد على، خطط الشام، جـ١/ ١٨٠

الأقباط ففي عام ١٣٢هـ - ٧٤٩م - وعام ١٣٥هـ - ٧٥٢م - ثار أهل سمتود ، وفي عام ١٥٦هـ - ٧٧٢م - ثار أهل بلهيب وأخرى عام ٢١١هـ - ٨٢٦م - في الوجه القبلي واستمرت واشتدت عام ٢١٦هـ - ٨٣١م - [1]

أماجباه الخراج فبرغم تحديد نسبة الخراج على الأراضي في كل اقليم بما تتحمله الا أن طريقة الجباية جلبت الكثير من السلبيات فزادوا بعض الضرائب على الفلاحين مثل فرق العملة ان كانت دنانير أو دراهم وثمن سجلات الجباة وأجرة عمال النقل والموازين وغيره مما ذكر القاضي ابو يوسف ، ولم يجد الباحث فيما اطلع عليه سخط الأهالي واعتراضهم على ذلك ، الا أنهم اتبعوا وسائل عدة للتهرب من الظلم ، أهمها ألجاء[2] مزارعهم بأسماء كبار موظفي الدولة والأسرة الحاكمة العباسية ، وقال ابن أبي الحديد في ذلك :" ان من أهل الخراج من يلجئ بعض أرضه الى خاصة الملك وبطانته لأحد أمرين : أما لامتناع من جور العمال وظلم الولاة ، وتلك منزلة يظهر بها سوء أثر العمال وضعف الملك واخلاله بما تحت يده ،وأما للدفاع عما يلزمهم من الحق والتيسير له ، وهذه علة تفسد بها آداب الرعية وينقص بها أموال الملك ، وكان العادلون من الملوك يعاقبون الملجئين والملجأ اليهم ، ولكن الناس يلجئون أملاكهم عند أربا ب الصوله "[3]

(١) المقريزي،الخطط،حـ١/٧٩ - ٢/٤٩٤ ، ترتون،أهل الذمة،ص ١٦٥ ٠

(٢) التلجئة : أن يلجئ الضعيف ضيعة الى قوى ليحامي عليها ، وجمعها الملاجئ والتلاجئ وقد يلجئ القوى الضيعة وقد ألجأها صاحبها اليه ٠ الخوازمي ، مفاتيح العلوم ، ص ٤١ ،

(٣) كرد علي،خطط الشام،م٥/٦٩ ، ظهر الالجاء بصورة واضحة في الامبراطورية البيزنطية وحصل النبلاء على حق الحماية وبقى ذلك ومنع من دخول الجباة اراضيهم الدوري،نشأة الاقطاع،ص ٦ ٠

وقد الغيت هذه الامتيازات فى صدر الاسلام ، وغابت هذه الحماية فترة من الزمن لتظهر من جديد فى أواسط العصر الأموى بصورة - الالجاء - وكان مقتصرا على الأمراء الأمويين (١).

وتدهورت أوضاع صغار الملاك فى القرى مما دفعهم الى الجاء أراضيهم لاصحاب السلطة بعد أن عجزت الخلافة العباسية عن توفير الحماية لهم من ظلم العمال الذين ابتزوا أموال صغار الملاك والفلاحين والضعفاء منهم (٢) وقد شكا أحد المزارعين ظلم العمال وضعف قدرته لابى ايوب سليمان الموزيانى وزير المنصور ووعد أن يدفع له نصف غلته ان وقع بأنه استأجر ضيعته ليمنع نفسه من ظلم الجباة وتعديهم فوافق الوزير ، وكان نصيبه من ذلك مائتى ألف درهم (٣) وقبل مائة الف درهم (٤)

وفى ولاية القاسم من الرشيد على جرجان وطبرستان وقزوين ألجأ أهل زنجان ضياعهم تقربا إليه ودفعا لهجمات الصعاليك وظلم العمال وعدوانهم وكتبوا له عليها الأشربة وصاروا مزارعين وأصبحت فيما بعد من ضياعه ، وكذلك فعل أهل القاقزان ، والجأوا أراضيهم الى القاسم على أن يجعلوا له عشر ثانيا سوى عشر بيت المال ، فصارت أيضا فيما بعد من ضياعه (٥)

وتقدم أهالي الشعيبه على الفرات بطلب لعلى بن الرشيد بأن يحول

---

(١) الدورى، نشأة الاقطاع، ص ٧

(٢) أحمد يونس، تطور انظمة استثمار الأرض، ص٧٧ ، الدورى، مقدمة فى التاريخ الاقتصادى، ص ٦٣ .

(٣) التنوخى، نشوار المحاضرة ، حـ٨/ ١٣٢ .

(٤) الجهشيارى ، الوزراء، ص ١١٨ .

(٥) ابن الفقيه ، البلدان، ص ٢٨٢ .

ضياعهم من خراج المقاسمه الى جعلها عشرية نظير حمة له من ارتفاعها فوافق(١)

وفى زمن المأمون جاء أهل المغازة فى الجبل وناشدوه برضى جميع أهلها أن يقطعوه رقبتها ، ويكونوا مزارعين له فيها على أن يمنع عنهم المعاليك وغيرهم فقبلها ، وأمر بتقويتهم ومعونتهم على عمارتها ومصلحتها فصارت من ضياع الخلافة (٢)

ويذكر الاصطخرى " أن بفارس ضياعا قد ألجأها أربابها الى الكبراء من حاشية السلطان بالعراق ، فهى تجرى بأسمائهموخفف عنهم الربع فهى فى أيدى أهلها بأسماء هؤلاء يتبايعونها ويتوارثونها"(٣)

فكان الجابى لا يجرؤ على العنف أو الظلم فى المناطق التى التجأت لأصحاب السلطان عن استبقاء الضريبة ، بل قد يكتفون منهم بأقل من الواجب عليهم بالنصف أو الربع مراعاة لذلك الكبير ، ويكون صاحب الأرض مجرد مزارع لها وتسجل فى سجلات الخراج اسم المسئول لا صاحبها الأصلى وبمرور الأيام تنقل هذه الأراضى ملكيتها للملجأ اليه فى كثير من الأحيان ، ومن الملاحظ أن معظم حالات الالجاء انتشرت خارج العراق لانهم التزموا بشىء من العدل فى السواد فى حين تجاوز العمال العدل خارج العراق فكثر الالجاء فيها(٤)

---

(١) البلاذرى ، فتوح،ص ٣٧٨ .
(٢) الدورى ، نشأة الاقطاع،ص ١٢ .
(٣) الاصطخرى ، المسالك،ص ٩٦ .
(٤) البلاذرى ، فتوح،ص ٣١٩ ، الدورى،العصر العباسى الاول،ص ٢٧٠ .

ومما سبق نجد خلفاء العصر العباسي الأول تابعوا أحوال وخفايا المواطنين لاعتبارات سياسية ، حفاظا على أمن الدولة ، لا لكي يمدوهم بالمساعدات التي فرضت للمحتاجين ، منهم من مال الصدقة أو من مال بيت المال في المقام الأول .

أما المساعدات التي أخرجها خلفاء بني العباس فقد خرجت كصدقة شخصية تارة وفي بعض المناسبات تارة أخرى وكأنها من أموال الخليفة نفسه ، لا من بيت المال ، كما أنها شملت بعض المحتاجين في بغداد ، ثم ياتي خليفة آخر لكي يعممها على باقي الأمصار لتختفي بعد رحيل هذا الخليفة ثم تظهر تاره أخرى ، ويمكن القول بأن عهد الواثق كان من أكثر العصور العباسية رحمة بالمحتاجين فقد مد يد العون اليهم داخل بغداد وخارجها لتشمل جميع الأمصار ، ورغم ذلك فان المصادر لم توضح دوام هذه المعونات وكيفية توزيعها .

وقد اتسمت العلاقة بين الجباة ودافعي الضريبة سواء خراج الأرض أو رؤوس أهل الذمة بالفتور ولجأ أصحاب المزارع الى أساليب مختلفة للتخلص من سطوتهم بألجاء أراضيهم الى الأمراء وكبار الموظفين فكانت هذه الأراضي نواة لنشأة الملكيات الكبيرة على حساب ضعفاء المزارعين عبر السنين .

الأمور من اسعار المواد الغذائية لمنع الاحتكار ومنع ظلم الجباة عن أهل الضريبة ومعرفة الرجال الموالين لهم من المعارضين واضعين نصب أعينهم أن استقرار الأمن أساس لتدفق موارد بيت المال ، ونظروا إلى أن خراج الأرض هو أهم مورد لبيت المال فحددوا ملكية الأرض التى فى أيدى المزارعين ومنعوا انتقال الاراضى الخراجية إلى عشرية إلا للمصلحة العامة فحولوا اراضى الثغور إلى عشرية لأنها منطقة حرب لكى يجذبوا إليها المرابطين ، وخفضوا الضرائب على الأرض حيث قسطوا الخراج على خرسان وقاسم المنصور الحنطة والشعير على أهل السواد واتضحت المقاسمة فى خلافة المهدى حيث جعلها على جميع الغلات ، فقاسم أهل السواد على النصف ، ولبى الخلفاء نداء الاقاليم المطالبين بتخفيف الضرائب التى كانت مجحفه بهم حقا •

أما الثورات الداخلية فى العصر العباسى الأول فلم تكن عائقا لموارد بيت المال ، ولم تكن الحركات الاستقلالية التى قام بها الخُرمية على اطراف خراسان عاملا لحجب مواردها من الأقاليم المجاورة مع انها كلفت الدولة الكثير من الأموال فقد كان خلفاء بنى العباس أسخياء فى السلم والحرب ، ويجزلون العطاء للمقاتلين والقادة • وقد فرض المنصور عقوبة على المدن التى تعين الخارجين على الدولة بمنع عطائهم ، وبمضاعفة الضرائب عليهم وجبايتهم بأثر رجعى فى حالة عدم تمكن جبايتها أثناء الاضطرابات فاتبع ذلك الرشيد مع أهل الموصل وكذلك المأمون ، ولم تكن الفتنة التى وقعت بين الأمين والمأمون وانقسام الدولة عائقا للجباية ، فقد جبى كل منهما المناطق التى كانت تحت سيطرته وانتظمت جباية الضرائب بمجرد انتهاء هذه الفتنة على يد ابن سهل فجبى المشرق والمغرب وكان سوء العلاقة مع البيزنطيين تكلف الكثير من دخل الدولة فكان بيت المال ينفق ضعفى ارتفاع خراج هذه الاقاليم ليتمكن من سد نفقات المرابطين بالاضافة الى تقديم الامتيازات لهم من الغاء ضريبة المستغلات واقطاعهم الأراضى وايغارهم ، ورغم شدة اهتمام بنى العباس بمصالح أهل الضريبة وتقديم العون لهم ، إلا أنهم لم يسقطوا خراج من تضررت ارضه نتيجة الكوارث

والآفات ، وأجل خراج من تضرر أرضه للسنة القادمة وحوسب عليه .

تركزت موارد بيت المال على أربعة ضرائب اساسية ، أهمها خراج الأرض إلا أن بنى العباس لم يعتبروا المزارعين كالعبيد مسخرين لزراعة الأرض ، بل أخذوا في اعتبارهم التسامح وعدم تركهم ضحية للجباة يعسفون بهم فاختاروا من وثقوا بعدله وأمانته لهذه المهمة ، وتوضح القوائم الخراجية مقدار خراج الأرض لكل أقليم ، في حين شكلت الجزية المصدر الثانى لموارد الدولة بالقدر الذى حدد منذ زمن الخليفة عمر بن الخطاب ، فلم يتجاوزوها ، ولم يوجه بنو العباس اهتماما بارتفاع الجزية ، فقد الغيت عمن أسلم وحاول المهدى اجتذاب الذميين للإسلام ، وقام المتوكل بخفض جزية بعض أهل الذمة ، وقد تولى هؤلاء الوظائف العالية فى الدولة ، وقربهم الخلفاء إلا أنهم كانوا كبش فداء إذ تذمر المسلمون من احد المنحرفين منهم إلا أن قرارات الخلفاء فى ابعادهم لم تبق الا لفترة قصيرة ثم لا يلبثون حتى يعودوا لشغل هذه المناصب .

وكانت ضريبة العشور مصدرا لبيت المال إلا أنها لم تكن ثقيلة ، استغلت أثناء الفتنة بين الأمين والمأمون للضغط على الموالين للأمين ، وقد أسقطها الخليفة الواثق لاسباب اقتصادية بعد حريق الكرخ وفيضان دجلة لتنشيط الحركة التجارية .

وشكلت بعض الضرائب غير الثابتة مورداً لبيت المال كالمصادرات وأن كانت فى أكثر الاحيان بدون وجه حق ، وكذلك أجرة المنشآت الاقتصاديةودور سك النقود المقامة على ارض الدولة نتيجة اهتمام الخلفاء لتقديم الخدمات العامة للمجتمع ، وفرضت ضريبة على المخالفات فى المدن والاقاليم إلا أن هذه الضريبة مازالت غامضة المعالم .

لم تكن للخليفة في العصر العباسي الأول مخصصات معينة ، بل كان له مطلق الحرية ، يتصرف في الانفاق كيف شاء ، وعين لابناء الخلفاء من العباسيين والأمراء منهم مخصصات سنوية أعلى من سائر العباسيين ، ورغم المعارضة العلوية للعباسيين فقد فرضت لهم مخصصات سنوية ، وكان لهم أكبر مقررات من العطاء بين القبائل .

وشكلت رواتب موظفي الدولة جانبا كبيرا من نفقات الدولة فكان اعلاها ما فرض للوزراء ويليهم ولاة الاقاليم ولم تكن رواتبهم موحدة بل أختلفت باختلاف أهمية الولاية ، وقد ثبتت مخصصات الولاة على قدر معلوم في عهد الخليفة هارون الرشيد إلى جانب بدلات السفر والسكن وهو ما يطلق عليه " الانزال " .

وقد اختلفت رواتب باقي الموظفين في الدولة ، كل على حسب أهمية عمله فكان اعلى راتب للأطباء في البلاط ، بالإضافة إلى ما كانوا يتلقونه من رجالات الدولة والأسرة الحاكمة مقابل ما يؤدونه من خدمات ، في حين تقاربت رواتب الكتاب وعمال الاقاليم الصغيرة والقضاة ، وكانت تمثل ضعف ما تحتاجه الأسرة في الشهر ، في حين نال الشعراء في البلاط مكانه مرموقه منذ خلافه المهدي فخصص لهم الجوائز والعطايا الجزيلة ، ومنذ خلافة الهادي عينت للشعراء رواتب محددة تدفع لهم شهريا . وكان رواتب الجند والخدم في البلاط اقل المخصصات للعاملين في الدولة فكانت أرزاقهم الحد الأدنى لتغطية تكاليف الحياة من مأكل ومشرب وملبس .

واستمر فرض العطاء في العصر العباسي ، ولم تتساو فيه جميع القبائل وكان قطع العطاء من الأمور الاعتيادية ، كما كان يتضاعف لأغراض سياسية وفي المناسبات السعيدة .

وكانت تكاليف ونفقات الانشاء والتعمير على عاتق بيت المال ونظرا للنفقات

الباهظة على الحروب لم يتسطع السفاح بناء حاضرة حصينة للدولة ومع استقرار الأمن بنى المنصور بغداد على أسس عسكرية واقتصادية فكانت نفقات بناء بغداد قليلة إذا قورنت بتكاليف بناء سرمن رأى حيث بلغ تكاليف بناء قصر من قصورها في خلافة المتوكل أكثر من تكاليف بناء بغداد ، وتكلفت الدولة نفقات إنشاء المرافق وخاصة ما يتعلق بالأمور الدينيه من حفر الآبار في طرق المسافرين لأداء فريضة الحج ٠

أما الجهاز الإدارى المشرف على ايرادات الدولة ونفقاتها ، فقد انتظم ، فكان الجهاز الإدارى لبيت المال يقوم بحصر إيرادات الدولة من الأموال والمتاع والغلال بشكل دقيق من واقع المستندات المرسلة من دواوين الخراج في الأقاليم ، وتسجيلها في سجلاتها الخاصة ، وإرسالها للجهة الخاصة بتخزينها وتنظيم صرفها وتثبيتها في سجلاته وكتابة التقارير عن مواردها وأوجه صرفها ، في حين كان على عاتق ديوان النفقات الاشراف على نفقات البلاط في جميع الأوجه يديرها جهاز إدارى متكامل ، وكان على متولى الديوان كتابة تقرير شهرى وسنوى عن سير العمل موضحا وارداته من بيت المال - ونفقات ادارته في البلاط ٠

وقد نظمت الرقابة الإدارية منذ عهد الخليفة المهدى لمنع أى تزوير واختلاس واهمال في ايرادات الدولة وكان يتولى إدارتها شخص له خبرة بالشؤون المالية الحسابية وظل ديوان الازمة حتى خلافة المتوكل ٠

وقد شارك خلفاء بنى العباس الفقهاء في النظر في الشؤون المالية حتى يحققوا العدل بالنسبة لحق المواطنين وحق الدولة ، فالقاضى أبو يوسف ألف كتاب الخراج بطلب من الخليفة الرشيد ، موضحا فيه موارد الدولة من الضرائب ومقدارها والاسلوب الامثل لجبايتها ، إلا أنه لم يوضح النظم الادارية لها إلا بالقدر الذى رآه فيه

شيئا من الإهمال ، ووضح ما على بيت المال من واجبات تجاه المواطنين أصحاب الحقوق فى موارد الدولة ، ليؤكد الصبغة الدينية على ايرادات الدولة ونفقاتها .

واتبعت الدولة وسائل عدة فى جباية الضرائب وحملت عبئها على عاتق موظفين متخصصين تابعين للدولة نظير مرتبات معينة لكى يكفوا عن اذى المزارعين بفرض زيادة عليهم ، واتبعت اساليب أخرى للجباية بعقد صفقات مع آشخاص يقومون بجباية الضرائب لحسابهم الخاص من واقع سجلات ديوان الخراج ، على أن يؤدوا مبالغ أقل من المقررة على الإقليم التى سوف يقومون بجباية خراجها ليشكل الفرق بين مقدار الخراج وبين المبالغ المتفق عليها مكسبا لهم إلا أن هؤلاء أساءوا للمزارعين وزادوا عليهم ضرائب اضافية فساءت العلاقة بين الجباة والمواطنين ونتج عن ذلك أن لجأ بعض المزارعين إلى تسجيل أراضيهم بأسماء شخصيات بارزة فى الدولة لكى يحتموا بهم من عسف الجباة .

ولم يتبع هذا الأسلوب فى جباية العشور والمستغلات وظل عمال الدولة يقومون بجباية الضرائب على أساس النصاب المتفق عليه فقلت مشكلات الجباية فيها .

وتعاقب الخلفاء فى تقديم العون للمحتاجين ، وتركز اهتمامهم على المعوقين منهم وأعطوا الصدقات لمستحقيها بصفة غير مستديمة وشاملة لجميع من في الدولة إلا فى عهد الواثق .

المصادر والمراجــع

أولا : المصـــادر :

- ابن الآبار : " ٥٩٥هـ - ٦٥٨هـ "

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى

"الحلة السيــراء"

تحقيق حسن يونس ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

- الأبشيهى : ت " ٨٥٠هـ - ١٤٤٦م "

شهاب الدين محمد الأبشيهى

" المستطرف فى كل فن مستطرف"

تحقيق عبد الله الطباع ، بيروت ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

- الآبى : ت " ٤٢١هـ - ١٠٣٠م "

أبو سعيد منصور بن الحسن الآبى .

" نثر الدر" .

القاهرة ، ١٩٨٥م .

- الأتابكى : " ٨١٣هـ - ٨٧٤هـ "

جمال الدين ابى المحاسن يوسف بن تغرى بردى

"النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة".

وزارة الثقافة والارشاد القومى ، القاهرة ، ب-ت .

- ابن الأثير : ت " ٦٣٠هـ - ١٢٣٢م "

أبو الحسن على بن ابى الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى .

"الكامل فى التاريخ"

دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

- ابن آدم : ت " ٢٠٣هـ - ٨١٨م "

يحيى بن آدم القرشي

" كتاب الخراج"

المطبعة السلفية ، مصر ، ١٣٤٧هـ ٠

- الأربلي : " ٧١٧هـ - ١٣١٧م "

عبد الرحمن بن سنبط قنيتو الأربلي ٠

" خلاصة الذهب المسبوك"

المثنى ، بغداد ، ١٩٦٤م

- الأزدي : ت " ٣٣٤هـ - ٩٤٥م "

أبو زكريا بريد بن محمد بن اياس القاسم ٠

" تاريخ الموصل"٠

تحقيق على حبيبه ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م ٠

- الأسحاقي :

محمد بن عبد المعطى بن أبى الفتح بن أحمد بن عبد الغنى بن على الاسحاقى ٠

" أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول"٠

مصر ، ١٣٠٠هـ -

- الأصطخري : " ٣١٨هـ - ٣٢١هـ "

أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخرى

" المسالك والممالك"

تحقيق ، محمد جابر عبد العال ، القاهرة ، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م ٠

- الأصفهاني : " ٢٨٤هـ - ٣٥٦هـ "

أبو الفرج على بن الحسين بن محمد القرشي ٠

الأغـانى

تحقيق ابراهيم الابيارى ، طبعة الشعب ، القاهرة .

- " مقاتل الطالبيين "

تحقيق ، أحمد صقر ، القاهرة ، ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩م .

- الأصفهانى :

حمزة بن الحسن الأصفهانى

" سنـــى ملوك الأرض والأنبيـاء "

بيروت ، (ب ، ت)

- ابن اصيبـعه : " ٦٠٠ - ٦٦٨ هـ "

موفق الدين ابى العباس أحمد بن القاسم بن خليفه بن يونس السعدى

" عيـــون الأنباء فى طبقات الأطباء "

تحقيق ، نزار رضا ، بـيروت ، (ب ـ ت)

- الألوسى :

محمود شكرى الألوسى البغدادى

" بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب "

الطبعة الثانية ، بيروت (ب - ت)

- الأنصارى :

أبو عبد الله محمد بن أبى طالب الأنصارى

" نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر "

بطربورغ ، ١٨٦٥ م ، ١٢٨١ هـ

- ابن ايـاس :

محمد بن أحمد بن اياس الحنفى .

- التنوخى : " ٣٢٧ هـ - ٣٨٤ هـ "

أبو على المحسن بن على التنوخى

" نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة "

تحقيق عبود الشالجى ، بيروت ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م ٠

"الفرج بعد الشدة"

الطبعة الأولى ، مصر ، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م ٠

- التوحيدى :

أبو حيان التوحيدى

"البصائر والذخائر"

الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م ٠

"الأمتاع والموانسة "

بيروت ، (ب - ت)

- الثعالبى : " ٣٥٠ هـ - ٤٢٩ هـ "

أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل

" ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب "

القاهرة ، ١٩٠٨ م ٠

" لطائف المعارف "

القاهرة ، ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م ٠

" خاص الخاص "

الطبعة الأولى ، مصر ، ١٣٢٦ هـ - ١٨٠٩ م ٠

- الجاحظ : ت " ٢٥٥ هـ - ٨٦٨ م "

أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

" التبصرة بالتجارة "

الطبعة الثانية ، مصر ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م .

" التاج فى أخلاق الملوك "

تحقيق ، فوزى عطوى ، بيروت ، ١٩٧٠ م .

" المحاسن والأضداد "

الطبعة الأولى ، مصر ١٣٢٤ هـ .

- ابن الجراح :

أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح

" الورقة "

تحقيق عبد الوهاب عزام ، دار المعارف ، مصر ، ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٧ م .

- ابن جلجل :

أبو داود سليمان بن حسان الأندلسى

" طبقات الأطباء والحكماء "

المعهد الفرنسى ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .

- الجهشيارى : ت " ٣٣١ هـ - ٩٤٢ م "

أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى

" كتاب الوزراء والكتاب "

الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨٠ م .

- ابن الجوزى : ت " ٥٩٧ هـ - ١٢٠٠ م "

أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على

" مناقب بغداد "

بغداد ، ١٣٤٢ هـ .

" المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم "

الطبعة الأولى ، حيدر آباد ، ١٣٥٨ هـ

- ابن الجوزية : ت " ٦٩١ هـ - ٧٥١ م "

أبو عبد الله محمد بن أبى بكر بن قسيم الجوزية

" أحكام أهل الذمة "

تحقيق صبحى الصالح ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٨٣ م ٠

- الحسن بن عبد الله بن محمد العباسى

" آثار الأول فى ترتيب الدول "

مصر ، ١٢٩٥ هـ

- الحموى ، ت " ٦٢٦ هـ - ١٢٢٩ م "

أبو عبد الله ياقوت الحموى

" معجم الأدباء "

طبعة ثانية ، بيروت ، (ب - ت)

" معجم البلدان "

بيروت ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ٠

- ابن حوقل : ت " ٣٦٧ هـ - ١٩٧٧ م "

أبو القاسم بن حوقل النصيبى

" صورة الأرض "

بيروت ، ١٩٧٩ م ٠

- الحسينى :

تاج الدين بن محمد بن حمزه بن زهره الحسينى

" غابه الاختصار فى أخبار البيوتات العلوية المحفوظة من الغيار "

بولاق ، ١٣٠١ هـ٠٠

- الخالدييـن :
محمد وسعيد ابنى هاشم الخالدييـن
" التحف والهدايـا "
دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٦م ٠

- خرداذبة : ت " ٣٠٠هـ - ٩١٢م "
أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله
"المسـالك والممـالك "
المثنى ، بغداد ، ١٨٨٩ م ٠

- الخطيب : ت " ٤٦٣هـ - ١٠٧٠م "
أبو بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى
" تاريخ بغداد "
بيـروت (ب - ت)

- ابن خلدون : ت " ٨٠٨هـ - ١٤٠٥م "
عبد الرحمن بن خلدون المغربـى
" كتاب العبـر وديوان المبتدأ والخبرة "
الطبعة الثانية ، بيـروت ، ١٩٧٩م

- ابن خلكان : " ٦٠٨هـ - ٦٨١هـ "
أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان
" وفيـات الأعيان وأنبـاء أبناء الزمـان "
دار صادره بيروت ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ٠

- الخوازمى : ت " ٣٨٧هـ - ٩٩٧م "
محمد بن أحمد بن يوسف
" مفاتيح العلوم "
الطبعة الأولى ، ١٣٤٢ ، القاهرة

- ابن الخياط : ت " ٢٤٠ هـ - ٨٥٤ م "
خليفه بن خياط بن أبى هبيـرة
" تاريخ خليفة بن الخيـاط "
الطبعة الأولى ، النجف ، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م .

- ابن دحيه :
عمر بن الشيخ الامام أبى على حسن بن على سبط الامام ابى البسام الغاطى
" النبراس فى تاريخ بنى العباس "
بغداد ، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م .

- ابن دقماق : ت " ٨٠٩ هـ - ١٤٠٦ م "
ابراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى
" الانتصار لواسطة عقد الأمصـار "
بولاق ، ١٨٩٣ هـ .

"الجوهر الثمين فى سيره الملوك والسلاطين "
الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٨٥ م - ١٤٠٥ هـ .

- ابن أبى الدم : ت " ٦٤٢ هـ - ١٢٤٤ م "
ابراهيم بن عبد الله الهمدانى الحموى الشافعى
" أدب القضـاء "
الطبعة الأولى ، بغداد ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

- الدميرى : " ٧٤٢ - ٨٠٨ هـ "
كمال الدين محمد بن موسى
" حياة الحيوان الكبـرى "
الطبعة الخامسة ، القاهرة ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

- الديار بكرى :

حسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى

" تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس "

المطبعة الوهبية ، بيروت ، ١٢٣٣ هـ .

- الدينورى : ت " ٢٨٢ هـ - ٨٩٥ م "

أحمد بن داود الدينورى

" الأخبار الطوال "

الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٦٠ م

- الذهبى : ت " ٧٤٨ هـ - ١٣٤٧ م "

محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى

" تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام "

طبعة السقدسى ، القاهرة ، ١٣٦٨ هـ

- ابن أبى الربيع :

شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبى الربيع

" سلوك المالك فى تدبير الممالك "

الطبعة الأولى ، مصر ، ١٣٢٩ هـ

- الرحبى : ت " ١١٨٤ هـ - ١٧٧٠ م "

عبد العزيز بن محمد الرحبى الحنفى

" فقه الملوك ومفتاح الرتاج المرصد على خزانة كتاب الخراج ".

تحقيق أحمد الكبيسى ، بغداد ، ١٩٧٣ م .

- ابن رجب : ت " ٧٩٥ هـ - ١٣٩٢ م "

عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلى

" الاستخراج لاحكام الخراج "

الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

- ابن رسته : ت " ٣٣٢ هـ - ٩٤٣ م "
"الاعلاق النفيسة "
ليدن ، ١٨٩١ م .

- ابن الزبير : " من القرن الخامس الهجرى "
الرشيد بن الزبير
" الذخائر والتحف "
الكويت ، ١٩٥٩ م

- ابن زولاق :
الحسن بن زولاق
" أخبار سيبويه المصرى "
الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م .

- ابن الساعى :
على بن أنجب
" مختصر أخبار الخلفاء "
بولاق ، ١٣٠٩ هـ

- ابن سعد : ت " ٢٣٠ هـ - ٨٤٤ م
" الطبقات الكبرى "
دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .

- سهراب :
" عجائب الأقاليم السبعة "
فينا ، ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م .

- السيوطى : ت " ٩١١ هـ - ١٥٠٥ م "

جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكـر
" تاريخ الخلفـاء "
طبعة الحلبـى ، مصـر ، ١٣٠٥ هـ .

" تحفة المجالس ونزهة المجالس "
الطبعة الأولى ، مصر ، ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م .

- الشابشتى : ت " ٣٨٨ هـ - ٩٩٨ م "
أبو الحسن على بن محمد الشابشتى
" الديـارات "
تحقيق ، كوركيس عواد ، الطبعة الثانية ، بغداد ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٦٦ م .

- ابن شاكر : ت " ٧٦٤ هـ - ١٣٦٢ م "
محمد بن شاكر بن أحمد الكبتى
" فوات الوفيـات "
مصر ، ١٢٩٩ هـ

- الشيزرى :
عبد الرحمن بن نصر الشيرزى
" نهاية الرتبـه فى طلب الحسبة "
تحقيق ، السيد البـاز ، بيروت ، (ب - ت)

- الصابى : " ٣٥٩ هـ - ٤٤٨ هـ "
أبو الحسين محمد بن هلال الصابى
" الهفوات النـادره "
الطبعة الأولى ، دمشق ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

" الوزراء أو تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء"

تحقيق، عبد الستار أحمد فراج ، القاهرة ١٩٥٨ ٠

" رسوم دار الخلافة "

تحقيق ميخائيل عواد ، بغداد ، ١٩٦٤ م ، ١٣٨٣ هـ ٠

- الصولى : ت (٣٣٦ هـ - ٩٤٧ م

محمد بن يحيى الصولى

" أدب الكتاب "

المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٤١ هـ ٠

- ابن طاطبا : ت " ٧٠٩ هـ - ١٣٠٩ م "

محمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى ٠

" الفخرى فى الآداب السلطانية "

القاهرة ، ١٣١٧ هـ ٠

- الطبرى : " ٢٢٤ هـ - ٣١٠ هـ "

أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى

" تاريخ الرسل والملوك "

دار المعارف ، مصر

- الطرطوشى :

محمد بن محمد بن الوليد الفهرى

" سراج الملوك "

مصر ، ١٢٨٩ هـ ٠

- ابن طولون : " ٨٨٠ هـ - ٩٥٣ م "

شمس الدين بن طولون

" قضاة دمشق "

دمشق ، ١٩٥٦ م ٠

- ابن طيفور : ت " ٢٨٠ هـ - ٨٩٣ م "
أحمد بن طاهر الكاتب
" كتاب بغداد "
مصر ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م

- ابن ظفر : " ٤٩٧ هـ - ٥٦٧ هـ "
محمد بن محمد بن ظفر المكى
" انبا نجباء الأبناء "
الطبعة الأولى ، مصر ، (ب - ت)

- ابن عبد الحكم : ت " ٢٥٧ هـ - ٨٧٠ م "
أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين
" فتوح مصر وأخبارها "
ليدن ، ١٩٣٠ م .

- ابن عبد الحق : ت " ٧٣٩ هـ
صفى الدين عبد المؤمن البغدادى
" مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع "
تحقيق محمد البجاوى ، الطبعة الأولى ، مصر ، ١٩٥٥ م .

- العبد الوادى :
موسى بن يوسف أبو حموين زبان
" واسطة السلوك فى سياسة الملوك "
تونس ، ١٢٧٩ هـ .

- ابن عبد ربه : ت " ٣٢٨ هـ - ٩٣٩ م "
أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى
" العقد الفريد "

تحقيق ، محمد سعيد العريـان

دار الفكر ، بيروت ، (ب ـ ت)

- عبد الرحمن بن عبد الله " من علماء القرن السادس "

" المنهج المسلوك في سياسة الملـوك "

القاهرة ، ١٣٢٦ هـ

- ابن العبرى : ت " ١٢٨٦ م "

نمر بفور يوس ابى الفرج بن اهرون الملطى

" تاريخ مختصر الدول "

بيروت ، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م

- أبو عبيد : ت " ٢٢٤ هـ ـ ٨٣٨ م "

أبو عبيد القاسم بن سلام

" كتاب الأموال "

تحقيق ، خليل هراس ، القاهرة ، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م ٠

- ابن عساكر : ت " ٥٧١ هـ ـ ١١٧٥ م "

أبو القاسم على بن الحسن بن هبه الله الشافعى

" تهذيب تاريخ دمشق الكبيـر "

الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م

- العسكرى : ت " ٢٩٥ هـ ـ ٨٧٢ م "

أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل

" الأوائل "

الطبعة الثانية دار البشير ، مصر ، ١٩٨٧

- العصامـى: " ١٠٤٩ هـ ـ ١١١١ هـ "

عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي
" سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي "
المطبعة السلفيه ، القاهرة ، ١٣٨٠ هـ .

- ابن العماد : ت " ١٠٨٩ هـ - ١٦٧٨ م "
عبد الحي بن العماد الحنبلي
" شذرات الذهب في أخبار من ذهب "
دار الافاق الجديدة ، بيروت (ب - ت)

- العمراني : ت " ٥٨٠ هـ - ١١٨٤ م "
محمد بن علي بن محمد
" الأنباء في تاريخ الخلفاء "
تحقيق ، قاسم السامرائي ، لايدن ، ١٩٧٣ م .

- أبو الفداء : ت " ٧٣٢ هـ - ١٣٣١ م "
عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر صاحب حماه
" تقويم البلدان "
باريس ، ١٨٤٠ م .

- ابن الفقيه :
أحمد بن محمد الهمداني ، المعروف بابن الفقيه
" بغداد مدينة السلام "
الطبعة الأولى ، وزارة الاعلام العراقية ، ١٩٧٧ .

" مختصر كتاب البلدان "
ليدن ، ١٣٠٢ هـ .

- القالى :

اسماعيل بن القاسم التالى البغدادى

" كتاب الآمالى "

بولاق ، ١٣٢٤هـ ٠

- ابن قتيبه : " ٢١٣هـ - ٢٧٦هـ "

عبد الله بن مسلم بن قتيبه الدينورى

" الأمامة والسياسة "

تحقيق ، طه محمد الزينى ، القاهرة ، ١٣٧٨هـ - ١٩٦٧م ٠

" المعارف "

الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩م

" عيون الأخبار "

دار الكتب المصرية ، ١٣٤٣هـ - ١٩٢٥م

- ابن قدامة : ت " ٦٣٠هـ - ١٢٣٢م "

عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة

" المغنى "

مصر ، (ب - ت)

- قدامة : ت " ٣٢٩هـ - ٩٤٠م "

قدامه بن جعفر بن قدامه بن زياد

" الخراج وصناعة الكتاب "

تحقيق ، محمد الزبيدى ، بغداد ١٩٨١م ، وطبعه ليد ١٨٨٩م ٠

- القزوينى :

زكريا بن محمد بن محمود

" آثار البلاد وأخبار العباد "

بيروت ، (ب - ت)

- القفطى : ت " ٦٤٦ هـ - ١٢٤٨ م "

على بن القاضى الاشرف يوسف القفطى

" أخبار العلماء بأخبار الحكماء "

القاهرة (ب - ت)

- القلقشندى : " ٧٥٦ هـ - ٨٢٠ هـ "

أبو العباس أحمد بن على

" صبح الأعشى فى صناعة الانشا "

القاهرة ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

" مآثر الأناقة فى معالم الخلافه "

تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، بيروت ، ١٩٨٠ م

- الكاتب :

أبو جعفر أحمد بن يوسف الكاتب

" المكافأة "

الطبعة الأولى ، مصر ، ١٣٣٢ هـ

- ابن كثير : ت " ٧٧٤ هـ - ١٣٧٢ م "

الحافظ بن كثير

" البداية والنهاية "

دار الفكر ، بيروت ، (ب - ت)

- الكندى : ت " ٣٥٠ هـ - ١٠٥٧ م "

ابو عمر محمد بن يوسف الكندى المصرى

" الولاة وكتاب القضاة "

بيـروت ، ١٩٠٨ م ٠

- الماوردى : ت " ٤٥٠ هـ - ١٠٥٨ م "
أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى
" الاحكام السلطانية "
الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣ م

" التحفه الملوكيه فى الآداب السلطانيه "
تحقيق ، فؤاد عبد المنعم ، الاسكندرية ١٩٧٧ م

" تسهيل النظر وتعجيل الظفر "
الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٨٧ م

- مارى بن سليمان
" أخبار بطاركة كرس المشرق "
روما ، ١٨٩٩ م ٠

- مجهول : (من القرن الثالث الهجرى)
" أخبار الدولة العباسية "
تحقيق ، عبد العزيز الدورى ، بيروت ، ١٩٧١ م

- مجهول :
" العيون والحدائق فى أخبار الحقائق "
طبعة المثنى ، بغداد ، ١٨٦٩ م

- المقريزى : ت " ٨٤٥هـ - ١٤٤١ م "
تقى الدين أحمد بن على
" اغاثه الأمه بكشف الغمه "
حمص (ب - ت)

" المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار"

بولاق ، ١٢٧٠ هـ

- المسعودى : ت " ٣٤٦ هـ - ٩٥٧ م "

أبو الحسن على بن الحسين بن على

" التنبيه والأشراف"

بيروت ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨

" مروج الذهب ومعادن الجوهر"

تحقيق ، محمد عبد الحميد ، الطبعة الخامسة ، القاهرة ، ١٩٧٣ م

- مسكويه : ت " ٤٢١ هـ - ١٠٣٠ م "

أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب

"تجارب الأمم "

المثنى ، بغداد ، باعتناء دى خويه ، طبعه ليدن ، ١٨٧١ م

الجزء السادس ، طبعة المثنى ، بغداد ، ١٨٩٦ م .

- المقدسى : ت " ٣٨٠ هـ - ٩٩٠ م "

أبو عبد الله محمد بن أحمد

"أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم "

ليدن ، ١٩٠٦

- المقدسى : ت " ٣٥٥ هـ - ٩٦٥ م "

مظهر بن طاهر

"البدء ، التاريخ "

باريس ، ١٨٩٩ م

- ابن مماتى : ت " ٦٠٦ هـ - ١٢٠٩ م "

اسعد بن مماتى

" قوانين الدواوين "

تحقيق ، عزيز سوريال عطيه ، مصر ، ١٩٤٣ م

- ابن منظور : ت " ٧١١ هـ - ١٣١١ م "

جمال الدين محمد بن جلال الدين الانصارى المصرى

" لسان العرب "

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة

- ابن النديم : ت " ٣٨٣ هـ - ٩٩٣ م "

محمد بن اسحاق النديم البغدادى

" الفهرست "

بيروت ، ١٩٧٨ م - ١٣٩٨ هـ

- النويرى : " ٦٧٧ هـ - ٧٣٢ هـ "

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب

" نهاية الارب فى فنون الأدب "

المؤسسة المصرية العامه للتأليف والترجمة

- ابن الوردى :

زين الدين عمر بن الوردى

" تتمه المختصر فى أخبار البشر"

تحقيق أحمد رفعت ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م

- وكيع : ت " ٣٠٦ هـ - ٩١٨ م "

محمد بن خلف بن حيان بن صدقه بن زياد الضبى

" أخبار القضاة "

بيروت ، (ب - ت)

- اليعقوبى : ت " ٢٨٤ هـ - ٨٩٧ م "

أحمد بن ابى يعقوب بن واضح

" كتاب البلدان "

ليدن ، ١٨٩١ م ٠

" تاريخ اليعقوبى "

دار صادر ، بيروت ، (ب - ت)

- الهاشمى :

عبد الله بن اسماعيل

" ر سالته الى عبد المسيح يدعوه بها الى الاسلام ورساله عبدالمسيح الى الهاشمى يرد بها عليه ويدعوه الى النصرانيه "٠

لندن ، ١٨٨٠ م ٠

- ابو يعلى : ت " ٤٥٨هـ - ١٠٦٥ م "

محمد بن الحسن القراء الحنبلى

" الأحكام السلطانية "

بيروت ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م

- ابو يوسف : ت " ١٩٢هـ - ٨٠٧م "

يعقوب بن ابراهيم

" كتاب الخراج "

المطبعه السلفية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٣٥٢هـ ٠

ثانيا : المراجع العربيـة الحديثـة :

- ابراهيم أحمد العدوى

" النظم الاسلاميـة "

القاهرة ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م

- ابراهيم سليمـان

" الأوزان والمقـادير "

الطبعة الأولى ، بيـروت ، ١٩٦٢ م

- ابراهيم فؤاد أحمد على

" الموارد الماليه فى الاسلام "

معهد الدراسات الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٨ م

- أحمد سوسـه

" فيضانات بغداد فى التاريخ "

الجزء الأول ، بغداد ، ١٩٦٣ م

" رى سامراء فى عهد الخلافه العباسية "

الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، بغداد ، ١٩٤٨ م

- أحمد عبد الحليم يونس

" تطور أنظمة استثمار الأرض الزراعية فى العهد العباسى" ،

الطبعة الأولى ، بيـروت ، ١٩٨٦ م .

- أحمد فريد رفاعى

" عصر المأمـون "

الطبعة الأولى ، دار الكتب المصرية ، ١٩٢٧ م .

- أحمد مجاهد مصباح

" تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى"

الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٦٤ م

- الياس الأيوبى

" تاريخ مصر الاسلامية "

الجزء الأول ، مصر ، ١٩٢٦ م .

- بدوى عبد اللطيف .

" النظام المالى المقارن فى الاسلام"

المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، القاهرة ، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م

- جرجى زيدان

" تاريخ التمدن الاسلامى "

طبعة ثانية ، بيروت ، (ب - ت)

- جهاديه القرة غولى

" العقليه العربيه فى التنظيمات الادارية والعسكرية "

الطبعة الأولى ، العراق ، ١٩٨٦ م

- حسام الدين السامرائى

" المؤسسات الادارية فى الدولة العباسية "

الطبعة الأولى ، دمشق ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م

- حسن ابراهيم حسن

" النظم الاسلامية "

النهضة المصرية ، القاهرة ، (ب - ت)

" تاريخ الاسلام السياسى والدينىوالثقافى والاجتماعى "
الطبعة السابعة ، القاهره ، ١٩٦٤ م

- حمدان عبد المجيد الكبيسى
" أسواق بغداد حتى بداية العصر البويهى "
بغداد ، ١٩٧٩ م

" الاقتصاد العربى الاسلامى "
بغداد ، ١٩٨٨ م

- خالد جاسم الجنابى
" تنظيمات الجيش العربى الاسلامى فى العصر الأموى "
العراق ، ١٩٨٤ م

- خولة شاكر الدجيلى
" بيت المال نشأته وتطوره من القرن الأول حتى القرن الرابع الهجرى "
بغداد ، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م

- رفائيل بابو اسحق
" تاريخ نصارى العراق "
بغداد ، ١٩٤٨ م

- رمزيه محمد الاطرقجى
" بناء بغداد فى عهد أبى جعفر المنصور "
بغداد ، ١٩٧٥ م

- سعيد الخورى الشرتونى
" أقرب الموارد فى فصح العربية والشوارد "
بيروت ، ١٨٨٩ م

- صالح أحمد العلي

" التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية فى البصره فى القرن الأول الهجرى"

مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٥٣ م

- صباح ابراهيم سعيد الشيخلى

" الأصناف فى العصر العباسى "

العراق ، ١٩٧٦ م

- ضيف الله يحيى الزهرانى

" موارد بيت المال فى الدولة العباسية"

الطبعة الأولى ، مكه المكرمه ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

- عباس العزاوى

" تاريخ الضرائب العراقيه"

بغداد ، ١٩٥٩ م

- عبد الرازق الحسنى

" العراق قديما وحديثا "

الطبعة الثالثه ، صيدا ، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م

- عبد الرازق الظاهر

" الاقطاع والديوان فى العراق "

مصر ، ١٩٤٦ م

- عبد السلام رستم

" ابو جعفر المنصور الخليفة العباسى "

دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٥ م

- عبدالعزيز الدورى

" تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابع الهجرى "

بغداد ، ١٩٤٨ م

" العصر العباسى الأول "

الطبعة الأولى ، بغداد ، ١٣٦٣ هـ - ١٩٤٥ م

الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٨٨ م

" مقدمة فى تاريخ صدر الاسلام"

الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٦١ م

" مقدمه فى التاريخ الاقتصادى العربى "

الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٧٨ م

" النظم الاسلاميـة "

الطبعة الأولى ، بغداد ، ١٩٥٠ م

- عبد الوهاب خلاف

" السياسة الشرعية "

القاهرة ، ١٣٩٧ هـ × ١٩٧٧ م

- عصام الدين عبد الرؤوف الفقى

" الدولة العباسية"

القاهرة ، ١٩٨٥ م

- على باشا مبـارك

" الميزان فى الأقيسه والأوزان "

بولاق ، ١٣٠٩ ، ١٨٩٢ م

- على حسنى الخربوطلى

" الاسلام وأهل الذمة "

القاهرة ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م

" تاريخ العراق فى ظل الحكم الاموى "

دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٩ م

" رساله الصحابة لابن المقفع "

القاهرة ، ١٩٧٢ م

" المهدى العباسى"

الدار المصريه للتأليف والترجمة ، (ب ـ ت)

- عليه عبد السميع الجنزورى

" الثغور البرية الاسلامية "

القاهرة ، ١٩٧٩ م

- عوف محمود الكفراوى

" الرقابه المالية فى الاسلام "

الاسكندرية ، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م

- فاروق عمر

" العباسيون الأوائل "

الجزء الثانى الطبعة الاولى ، بغداد ، ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٣ م

- فهمى عبد الرزاق سعد

" العامة فى بغداد فى القرنين الثالث والرابع الهجرى "

بيروت ، ١٩٨٣ م

- فيليب حتى

" تاريخ العرب المطول "

بيروت ، ١٩٤٩ م

- كاظم جواد الساعدى

" تاريخ البصرة "

الجزء الاولل ، النجف ، ١٩٥٩ م - ١٣٧٨ هـ

- الكرمى انستاس مارى الكرمى البغدادى

" النقود العربية وعلم النميات "

القاهرة ، ١٩٣٩ م

- لويس شيخو

" الأنوار الزاهية في ديوان أبى العتاهية "

طبعه رابعه ، بيروت ، ١٩١٤ م

- محمد أحمد برانق

" الوزراء العباسيون "

الجزء الأول ، القاهرة ، ١٣٦٧ هـ ، ١٩٤٨ م

- محمد الطيب النجار

" الموالى فى العصر الأموى "

الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م

- محمد رضا الشبيبى

" مؤرخ العراق ابن الفوطى "

العراق ، ١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م

- محمد زاهد الكوثرى

" حسن التقاضى فى سيرة الامام ابى يوسب القاضى "

القاهرة ، ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٨ م

- محمد صادق الحسينى

" عمران بغداد "

بغداد ، ١٣٤٨ ه - ١٩٣٠ م

- محمد ضياء الدين الريس

" الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية "

الطبعة الخامسه ، القاهرة ، ١٩٨٥ م

- محمد عبدالمنعم خميس

" الادارة فى صدر الاسلام "

المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٧٤ م

- محمد كرد على

" الاسلام والحضاره العربيه "

الطبعة الأولى ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٤ م

" الادارة الاسلاميه فى عز العرب "

القاهرة ، ١٩٣٤ م

" خطط الشام "

دمشق ، ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م

- محمود المرسى لاشين

" التنظيم المحاسبى للاموال العامه فى الدوله الاسلاميه "

الطبعة الاولى ، بيروت ، ١٩٧٧ م

- محمود محمد بن عرنوس

" تاريخ القضاء فى الاسلام "

القاهرة ، ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤ م

- مصطفى جـواد

" سيدات البلاط العباسى "

بيروت ، ١٩٥٠ م

- مليحة رحمة اللـه

"الحالة الاجتماعية فى العراق فى القرن الثالث والرابع الهجرى "

بغداد ، ١٩٧٠ م

- ميخائيل عواد

" المآمر فى بلاد الروم والاسلام "

مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٤٨ م

" صورة مشرقه من حضارة بغداد فى العصر العباسى "

الطبعة الثانية ، بغداد ، ١٩٨٦ م

- ناجى معروف وعبد العزيز الدورى

" موجز تاريخ الحضاره العربيه "

بغداد ، ١٣٦٨ هـ ، ١٩٤٩ م

- يوسف رزق الله غنيمـه

"نزهة المشتاق فى تاريخ العراق "

الطبعة الأولى ، بغداد ، ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤ م

ثالثا : المراجع المترجمة الى العربيـة :

- آدمز روبرت ماك

" أطراف بغداد ، تاريخ الاستيطان في سهول ديالى "

ترجمع : صالح أحمد العلي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٤ م

- بروكلمان ، كارل

" تاريخ الشعوب الاسلامية "

ترجمة : أمين فارس ، بيروت ، ١٩٤٨ م

- ترتون ، أ ، س

" أهل الذمة في الاسلام "

ترجمة : حسن حسني ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٧ م

- حسيني ، مولوي

" الادارة العربية "

ترجمة : ابراهيم أحمد العدوي ، القاهرة ، ١٣٧٨ هـ ، ١٩٥٨ م

- دانيل دينيـن

" الجزية والاسلام "

ترجمة : فوزي جاد الله ، بيروت (ب ـ ت)

- زامباور

" معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي"

ترجمة : محمد حسن زكي وحسن محمود ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، مصر ، ١٩٥١

- ستريك مكسملياه

"خطط بغداد وأنهار العراق القديمة "

ترجمة :خالد اسماعيل ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م

- سيد أمير علي

" مختصر تاريخ العرب "

ترجمة : عفيف البعلبكي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٦١ م

- سيديو ، ل ، أ

" خلاصة تاريخ العرب "

ترجمة : دار الآثار ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ

- فازيليف

" العرب والروم "

ترجمة محمد عبد الهادي شعير ، دار الفكر العربي ، مصر

- فالترهنتس

" المكاييل والأوزان الاسلامية "

ترجمة : كامل العسلي ، الطبعة الأولى ، جامعة الأردن ، ١٩٧٠ م

- فلوتن ، فان

" السياده العربية والشيعه والاسرائيليات في عهد بن أميه "

ترجمة : حسن ابراهيم ومحمد زكي ، الطبعة الأولى ، مصر ، ١٩٣٤ م

- كاهن ، كلود

" تاريخ العرب والشعوب الاسلامية "

ترجمة : بدر الدين القاسم ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

- لسترانج ، كي

" بغداد في عهد الخلافه العباسية "

ترجمة : بشير يوسف فرنسيس ، الطبعة الأولى ، بغداد ، ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م

" بلدان الخلافة الشرقية "

ترجمة : بشير فرنسيس ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

- متز ، آدم

" الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى"

ترجمة : محمد عبد الهادى ابو ريده ، الطبعة الخامسة ، بيروت

- يعقوب ليستر

" خطط بغداد فى العهود العباسية الأولى "

ترجمة : صالح أحمد العلى ، مطبعة المجمع العلمى العراقى ، بغداد ، ١٩٨٤ م

رابعا : المقـالات :

- حسام الدين السامرائى

" فى الاقتصاد الزراعى للدولة العباسية "

مجلة البحث العلمي والتراث الاسلامي ، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ،

جامعة أم الغرى ، مكة المكرمة ٠

العدد الخامس عام ١٤٠٢ هـ

- دريد عبد القادر نورى

" الأجور والرواتب فى العراق خلال العصر العباسى "

مجلة المؤرخ العربى ،اتحاد المؤرخين العرب ، بغداد

العدد ٣٢ عام ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

- عبدالعزيز الدورى

" نشأة الاقطاع فى المجتمعات الاسلامية "

مجلة المجمع العلمى العراقى ، المجلد العشرون ، بغداد

عام ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

- عبود الشالجى

" الرواتب فى الاسلام "

مجلة المجمع العلمى العراقى ، المجلد السادس والعشرون

بغداد ، عام ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م